

الكتاب
في الأدب العربي

تأليف
شاذي رشيد

مكتبة النهضة العربية

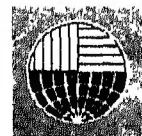
كتاب



المجود في الإلهام



بيروت - المزرعة بشاية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : ناهليكي - تلکس : ٢٣٣٩٠



الجوهر في الأدب العربي



General Organization of the Alexandria Library (G.O.A.L.)
Alexandria, Egypt

تأليف
شكري هادي شكر

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم التصنيف	892.7080362
رقم التسجيل	٤٤٥٤٦

الجزء الأول

عالم الكتب

سنة النهضة العربية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للتأثر
الطبعة الأولى
١٩٨٥ - ١٤٠٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنشأ الخلائق بلا روية أجالها، وضمين أرزاقها، وقدر أقواتها فشملت رحمته الذر في مصائفها^(١) والهوام في مشاتها، والوحوش في مغارات الجبال وأوديتها، والبعوض في مخابثها بين سوق الأشجار وألجيتها^(٢) وبنات الأرض وهي عائمة في كثران الرمال، وذوات الأجنحة المستقرة بذرى شناخيب^(٣) الجبال، وذوات المنطق من الطيور المغردة في دياجير الأوكار، وما استوعبته الأصداف، وحضنته أمواج البحار، وغشيتة سُدفة ليل، أوذر عليه شارق نهار. نفذهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسعهم عدله، وغمرهم فضله^(٤).
والصلاة والسلام على خيرة خلقه، وخاتم رسله الذي بعثه رحمة للعالمين كافة، وعلى أهل بيته منار الهدى، وأعلام الورى، وعلى أصحابه البرة الميامين الذين اقتدوا بسيرته، وساروا على سننه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين،

(١) الذر: صغار النمل. مصائفها: محل إقامتها في الصيف.

(٢) الألحية: جمع اللحاء وهو قشر الشجر.

(٣) شناخيب الجبال: رؤوس قممها.

(٤) معظم الكلمات مقتبسة من خطبة الأشباح للإمام علي (ع) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

وبعد: انْ بذرة هذا الكتاب قصيدة لابن العلاف الضرير في رثاء هُرٍّ، وجدتها أيام شبابي في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان مطلعها
يا هُرُّ فارقتنا ولم تعدِ وكنت منا بمنزل الولد^(١)
فدعاني لنقلها وحفظها قول المؤلف رحمه الله: إنها من أحسن الشعر وأبدعه. وبتأثير من حبِّي لهذه القصيدة أخذت الأشعار المنظومة في الحيوان تستوقفني فأقرأ معظم ما يصادفني منها أثناء مطالعاتي في دواوين الشعر والكتب الأدبية، وبدافع من هذه الرغبة المتنامية قرأت كتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب حياة الحيوان للدميري وغيرهما من الكتب التي لها علاقة في هذا الموضوع ككتاب المصائد والمطارد لكشاجم، وكنت كعادتي أدون مصدر كل فقرة تروفي في دفتر أعدته لهذا الغرض.

وبعد أن تحللت من قيود الوظيفة سنة ١٩٦٤ وقررت الانصراف إلى التحقيق والتأليف سجلت آنذاك ما طرأ على خاطري من الأعمال التي تمنيت لو أن الله عز وجل يوفقني لانجازها، فكان الكتاب الثاني عشر هو كتابي هذا، ولم تأتي نوبته إلا في سنة ١٩٧٧ م مع اني لم أراع التسلسل في القيام بتلك الأعمال.

ولأجل اعداد مواد الكتاب قرأت وراجعت مئات الكتب، ومئات الدواوين الشعرية. فكانت حصيلة تلك القراءات والمراجعات هذا الكتاب، وكان القصد من تأليفه عدة أمور أهمها:

- الاختصاص :

وذلك بالتقاط ما تناثر في الكتب الأدبية واللغوية ودواوين الشعر عن الحيوان وجمعه في كتاب مستقل خدمة للباحثين.

(١) يراجع باب القط للوقوف على القصيدة وعلى أسباب نظمها والاختلاف في نسبتها.

٢ - الحضارة العربية :

في جمع هذا الكتاب إبراز لظاهرة مهمة من ظواهر الحضارة العربية المتأصلة فيهم منذ أقدم العصور، وكشف عن مدى اهتمامهم بتسجيل حركات الحيوان وسكناته وطبائعه بأجلى صورة وأبلغ قول. فما من شاعر عربي إلا وللحيوان أثر مهم في شعره ولكنهم متفاوتون في هذا المضمار، فمنهم من يأتي على ذكره عرضاً عندما يشبه الشجاع بالأسد، والماكر بالثعلب، والغادة الحسنة بالظبية. إلى غير ذلك من التشبيهات الشائعة عندهم، ومنهم من ولع بالصيد فذكر في طردياته : الخيل والكلاب والفهود وجوارح الطير ، وما تصيده هذه السباع من الحيوانات، ومنهم من وقف على الكثير من أصناف الحيوانات الصغيرة والجسيمة. الأليفة منها والوحشية وقوف فاحص متأمل يحصى عليها حركاتها وأنفاسها. بل ولم يغفل البعض منهم عن كل ما هبّ ودبّ، أوطار في أجواء السماء، أو عام أوركس في الماء مما هو موجود في بلادهم دارساً خصائصه وطبائعه.

وقد أخذ الخلف عن السلف ما حوته أمثالهم من حكايات على السنة الحيوانات كحكاية ذات الصفا وهي حية ورد ذكرها في رائية النابغة الذبياني التي مطلعها^(١) :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائره
ملخصها أن ذات الصفا لدغت رجلاً فمات، ونهض أخوه لأخذ الثأر منها، فارتأت أن تصالحه على أن تدفع له في كل يوم ديناراً من مال مخزون لديها فوافق على ذلك، وأخذ يتسلم الدينار منها في كل يوم. وبعد مدة ندم الرجل على المصالحة وقرر أخذ الثأر منها. فترصدها وضربها بفأس على رأسها ضربة غير

(١) ديوانه / ٦٨ .

مميتة . فدخلت جحرها وقطعت الدينار عنه . فجاء إلى مخبئها وعرض عليها أن يجعلها بينهما عهداً على تناسي ما حدث ، ويبدأن صعبة جديدة تقوم على المحبة والوئام . فنظرت الحية إلى قبر أخيه ، وتحسست موضع الضربة من رأسها .

ف قالت يمين الله أفعل انني رأيتك مسحوراً يمينك فاجره
أبى لي قبر لا يزال مقابلي وضربة فأس فوق رأسي فاقره

كما نلمس من معاشره الانسان العربي للحيوانات عطفاً منقطع النظير حتى على المفترس منها عندما يتعرض للجوع أو العطش كقصة الفرزدق مع الذئب وهي معروضة عرضاً رائعاً في قصيدته النونية التي مطلعها

وأطلس عسأل وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأتاني^(١)
وأمثال هاتين القصتين كثيرة يجدها القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب ولورجنا إلى أمثالهم السائرة لوجدناها جامعة لكل صفات الحيوانات وطبائعها . وإذا كان ضيق المجال لا يتسع لقائله أن يبرز خصائص الموصوف كاملة فقد نظم العرب - حسب اعتقادي - من الاشعار في الحيوان أكثر مما نظمه أي شعب آخر . فقلماً تجد قصيدة مهما كان موضوعها وليس للحيوان ذكر فيها . وفي ذلك يقول الجاحظ : قل معنى سمعناه في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن وجدناه أو قريباً منه في اشعار العرب وفي معرفة أهل لغتنا وملتنا^(٢) .

٣ - الناحية التعبدية :

من العبادات المهمة في الإسلام التفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى والبحث - قدر الامكان - عن خصائص تلك المخلوقات ليكون الإقرار بالعبودية لله

(١) ديوانه ٣٢٩/٢ .

(٢) الحيوان ٢٦٨/٣ .

الواحد الأحد عن دراية ويقين صادق عملاً بقوله عزّت قدرته (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار) (١).

فعالم الحيوان عالم رحيب جداً كرحابة الأكوان العلوية، ومن يسرّح الطرق في خصائص الحيوانات وتكوينها وتصوّر مراحل حياتها وخدماتها الجلى لبني البشر، وكيف أنها تتزاج وتتناسل، وتعتني بأولادها، وتتفاهم فيما بينها وهي عجماء، وتكسب رزقها، وتميّز الحيوان الذي يناصبها العداء من الذي لا ضرر منه، وكيف تهاجر من قطر لآخر طلباً للرزق أو المناخ الملائم ثم تعود إلى مواطنها الأصلية في الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزمن أو تخفى عليها المعالم. فمن ذا الذي يتدبر هذه الأمور ولا يقف عندها مبهوراً أمام عظمة الباريء المصور جلّت قدرته؟ ثم لا يهتف قائلاً:

ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه الواحد
قال الجاحظ (٢): من علّم البعوضة أنّ من وراء ظاهر جلد الجاموس دماً، وأنّ ذلك الدم غذاء لها. وأنّها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ الشديد الصلب أنّ خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة، ولو أنّ رجلاً منّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أن تصل إلى موضع الدم والذي سخر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذي سخر قمقم النحاس لإبرة العقرب. انتهى .

إلهي قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سُبُحات وجهك، ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلّا بالعجز عن معرفتك، فاهدنا يا أرحم

(١) سورة آل عمران / ١٩١.

(٢) الحيوان ١٨٥/٧.

الراحمين صراطك المستقيم واشمل برحمتك من قال :

فيك يا أعجوبة الكون غدا الفكر كليلا
انت حيّرت ذوي اللبّ وبلبلت العقولا
كلّما قدّم فكري فيك شبراً فرميلا
ناكصاً يخبط في عشواء لا يهْدَى سبيلا

بُنية الكتاب :

بنيت كتابي هذا على سبعة أعمدة بها يتكامل الأدب العربي هي : اللغة .
القرآن الكريم . الحديث النبوي الشريف . المثل السائر . القصة . المقالة أو
المقامة . الشعر .

ولقد حاولت جهد الإمكان أن أختصر فأجعل الكتاب جزءاً واحداً فعمّزت
عن تحقيق ذلك لوفرة المادة ، ولو أطلقت لنفسي العنان لبلغ عشرة أجزاء لأنني لم
أقيده بزمن محدود .

ومن الجدير بالذكر أن الكتب الأدبية ودواوين الشعراء تضمنت الكثير من
القصائد التي نظمت في الحيوان بصورة عامة ، وخصّ ناظموها كل جنس من
الحيوان بيتاً أو بيتين ، ولأنني جعلت في كتابي هذا باباً مستقلاً لكل نوع فلم أجد
لتلك القصائد محلاً فيه .

وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر مطالع بعض تلك القصائد ومصادرها .

١ - قصيدتان لبشر بن المعتمر أوردهما الجاحظ في كتابه (الحيوان) ٢٨٤/٦
و ٢٩١/٦ عدد أبيات الأولى (٦٠) ومطلعها :

الناس دأباً في طلاب الغنى وكلّهم من شأنه الخثرُ
وعدد أبيات الثانية (٧٠) بيتاً ، ومطلعها :
أما ترى العالم ذا حشوة يقصر عنها عدد القطرِ

٢ - في فوات الوفيات لابن شاعر ١٦٤/٢ ، وحياة الحيوان للدميري ٤٠٠/٢ قصيدة لكمال الدين بن الأعمى علي بن محمد بن المبارك عدد أبياتها (٤٥) يذم فيها دار سكناه ويعدد ما فيها من الحشرات . مطلعها .

دار سكنت بها أقل صفاتها أن تكثر الحشرات في جنباتها
٣ - قصيدة للسيد أحمد الصافي النجفي في ديوانه : التّيار / ١٦٠ عدد أبياتها (٣٤) عنوانها (مملكة الحيوان) مطلعها :

لو يعلم الحيوان ما عندي له من رحمة لأتني إليّ مسلماً
٤ - قصيدة للشاعر القروي رشيد سليم خوري مثبته في ديوانه / ٢٤٣ عدد أبياتها (٣٦) مطلعها :

بيض كأعلام السلام على السفينة تخفق

٥ - وفي ديوان ابن زيدون / ٥٩٥ - ٦٢٦ فصل عنوانه المطيرات وهو نوع من المطارحات الشعرية في الأحاجي والالغاز تدور على أسماء الطيور، ولكل طائر حرف يرمز إليه .

دارت هذه المطارحات بين الشاعر وبين المعتمد بن عباد باستثناء مطارحة واحدة كانت بينه وبين الشاعر أبي طالب بن مكي بلغ مجموع أبيات تلك المطارحات (٢٢١) .

وبالختام أتضرع إلى الله عز وجل أن يتقبل أعمالنا التي خلصت فيها نياتنا ومنه استمد العون والسداد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .
وكان الفراغ من تأليفه وكتابه بخط يدي يوم الأحد السابع من شهر شعبان سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ليوم (٣٠) من شهر مايس سنة ١٩٨٢ م في بغداد .
الداودي . حيّ الأمين . بداري المرقمة ٢/٣٠٣ .

شاعر هادي شكر

الإبل^(١)

الإبل (بكسر الباء، وقد تسكن) : الجمال، وهو اسمٌ واحدٌ يقع على الجميع ليس بجمع، ولا أسم جمع، وإنما هو دالٌّ على الجنس، وهي مؤنثة، وإذا صغرتها قلت : أيلة. وينضوي تحت اسمها اسم.

(البعير)

وهو من الإبل بمنزلة الانسان من الناس، يقع على الذكر والأنثى، يقال: حلبت بعيري، وصرعتني بعيرٌ نِي. والجمع أبرة وأباعر. وبُعْران.

و (الجمال)

وهو الذكر من الإبل، وجمعه: جمال، وأجمال، وجمالة، وجماليات.

و (الناقة)

وهي الأنثى من الإبل، ولا تسمى ناقة حتى تجذع، ومن جموعها: ناق، ونوق، ونياق، وأنوق، وأينق.

(١) المخصص ١٢/٧/٢ (الإبل) وصبح الأعشى ٣١/٢ و٣٢، ومعجم اللغة.

أسنان الإبل

إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه، قبل أن يُعلم أذكر. هو أم أنثى:

(سَلِيل)

فإذا علم وكان ذكراً فهو.

(سَقَب، وَصَقَب)

والجمع سِقَاب، ولا يقال للأنثى سَقَبَة، وأمه مُسَقِب. فإذا قوى ومشى فهو.

(رَاشِح)

والجمع رُشَح، فإذا ارتفع عن الراشح فهو.

(جَادِل)

فإذا مشى مع أمه فهي مُشْبِل، وإذا تَبِعَهَا فهي مُتْلِيَة، وإذا حمل في سنامه شحماً فهو (مُجْدِل) و (مَكْعَر) وهو في هذا كله:

(حَوَار)

جمعه حِيرَان، وأَحْوَرَة، والانسى (حَوَارَة). فإذا كان الحوار ابن سبعة أشهر، أو ثمانية فهو.

(أَفِيل)

والأنثى (أَفِيلَة) والجمع: أَفَائِل، وإِفَال. فإذا بلغ الحوار سنة ففصل عن أمه فهو.

(فَصِيل)

والأنثى (فَصِيلَة) والجمع فصلان، وفَصَال، فإذا أتم سنة وحُمِل على أمه فَأَلْقَحَتْ فهو حِينْد.

(ابن. مخاض) ويسمى (خَلّ)

والأنثى (بنت مخاض) وتسمّى أيضاً (خَلَّة). فإذا نتجت أمّه وذلك بعد ستين ودخول الثالثة ، وصار لها لبن فهو.

(ابن لبون)

والأنثى (بنت لبون). فإذا فصل أخوه وذلك لاستكمال ثلاث ودخول السنة الرابعة فهو.

(حَقّ)

حتى يستكمل، وقيل: الحَقّ: الذي استحقّ أن يركب، ويُحمل عليه، والأنثى (حَقَّة) والجمع لكليهما: حَقاق، وقيل جمع الحَقَّة: حَقَق، وحَقائق. فإذا أتت عليه الخامسة فهو.

(جَدَع)

والأنثى (جَدْعَة). فإذا ألقى ثَنِيَّتَه وذلك في السنة السادسة فهو.

(ثَنِيّ) و (ثَنِيّ)

والجمع ثَنِيَّان، وثَنَان. والأنثى (ثَنِيَّة) وجمعها: ثَنِيَّات. ويقال للثني

(بَكْر) و (قَعود)

وقيل: البَكْر: ابن المخاض إلى أن يثني، والجمع: أبكر، وبكار، والبَكْر بمنزلة الفتى، و

(القلوص)

بمنزلة الفتاة، والجمع: قِلاص، وقُلُص، وقِلايص. فإذا ألقى رَبَاعِيَّتَه وذلك في السابعة فهو.

(رَبَاع)

وإذا أَرَبَعَ سَمِي.

(جَمَلًا)

وتكون الأنثى (ناقة) إذا أُجْدَعَتْ. وإذا أَلْقَى الجملُ السنَّ التي بعد الرباعيَّة فهو.

(سَدَس) و (سَدِيس)

وذلك في الثامنة. وهذه الأسنان كلها قبل الناب، فإذا خرج الناب فقد بزل، فهو.

(بازِل)

وتسمى الناقة في أول البُزُول (ناب) وجمعها : نِيب : فإذا أتى على الجمل عام بعد البزول فهو.

(مُخْلِف)

وليس له إسم في سنِّه بعد الاختلاف، ولكن يقال (بازل عام) و عامين، وكذلك ما زاد. والمؤنث في جميع هذه الأسنان بالهاء الآ السدس، والسديس، والبازل، والمُخْلِف فإنَّها في المؤنث كما في المذكر بغير هاء.

وإذا اشتدَّ ناب البعير وغلظ قيل (عَصِل نابه) فإذا طال واصْفَرَّ قيل (عَرِد نابه) وهو من عُرُود النبات وطوله، فإذا جاوز سنَّ العرود فهو.

(عَوْد)

والأنثى (عَوْدَة). وإذا جاوز ذلك فأسنَّ وفيه بقية قيل : جمل

(قَحْر)

والأنثى (قَحْرَة). وإذا بلغت سنَّ القحرفهي (عَوَزَم) أيضاً، فإذا جاوزت

العوزم فهي (ضِرْزَم) فإذا ارتفعت عن ذلك وتكسّرت أسنانها قيل (ناب دِلْقَم) من الدلق، لأنها لا أسنان لها فلسانها يخرج من فيها، فإذا أكلت أسنانها؛ أو وقعت فهي (لَطْلِط) و (كَحِكْح) و (دِرْدِج). هذا في الاناث دون الذكور.

وإذا جاوز البعير سنّ القحر فهو.

(ثُلْب)

إلى أن ينتهي هرمه، فإذا سال لعابه فهو.

(مَاج)

والأنثى (مَاجَّة) لأنه يَمَج ريقه ولا يستطيع أن يمسكه من الكبر.

أنواع الإبل ومنسوباتها

(العِراب)

هي الإبل العربية التي ليس فيها هجنة. الواحد: عربي، وفي الصحاح: الإبل العِراب: خلاف البخاتي.

(البُخت)

وهي الإبل الخراسانية. واحدها بُختي، تجمع أيضاً على بخاتي، وبخات.

(الفَلَج) و (الفالَج)

عظيم الخلق، ذو سنامين، يحمل من السند للفحلة، جمعه فوالج

(الصَّرْصَرَانِيَّة)

بين البخاتي والعِراب، وفي الصحاح، ويقال: هي الفَوالج.

(المَهْرِيَّة)

منسوبة إلى قبيلة مَهْرَة، أبوها مهرة بن حَيْدَان، والجمع المَهاريّ)، وان

شئت خَفَّفْتُ الياء فقلت: المهاري، أو المهارى بالقصر.

(الْقُرْطِيَّة)

تُنسب إلى قُرط، وهي قبيلة من مَهرة بن حَيْدان إحدى قبائل اليمن..

(الْمَاطِلِيَّة)

تنسب إلى فحل يقال له: ماطل.

(الْبُحْثَرِيَّة)

تنسب إلى بُحتر وهم بطن من طيء. كذا في المخصص ولسان العرب، وفي القاموس: تنسب إلى فحل من فحولهم إسمه بُحتر.

(العَيْدِيَّة)

إبل كرام في نسبها أقوال كثيرة.

(الصَّدْفِي)

ضرب من نجائب الإبل تُنسب إلى الصَّدِف : بطن من كندة.

(الدِّيَافِي)

ضرب من الإبل منسوب إلى قرية بالشام، وقيل بالجزيرة اسمها (دياف).

(الْأَقْيِشِيَّة)

إبل غير عتاق تنفر من كل شيء، تنسب إلى بني أَقَيْش : حي من عُكل.

(الْحُوشِيَّة)

بمعنى الْوَحْشِيَّة وقيل: منسوبة إلى الحُوش، وهي فحول تزعم العرب أنها من إبل الجن ضربت ببعضها فنسبت إليها.

(الْقُرْمِلِيَّة)

من الإبل الصغار، الكثيرة الأوبار، وهناك (القرامل) : البختي ، أو ولده ،
(القرامل) كلها ذو سنامين .

(الشَّوَيْكِيَّة)

كذا في الصحاح والمخصص ، وفي القاموس (الشويكة) كجهنية : ضرب
من الإبل .

ألوان الإبل

(البياض)

إذا كان البعير خالص البياض قيل (آدَم) والأنثى (أَدْمَاء) على الضد من
بني آدم . فإن خالط البياض شقرة يسيرة قيل : (أَعْيَس) والأنثى (عَيْسَاء) .

(الحمراء)

فإن احمرَّ وغلبت عليه الشقرة قيل (أَصْهَب) والأنثى صَهْبَاء ، فإن خلصت
حمرته قيل (أحمر) والأنثى (حمراء) ، فإن خالط حمرته قنوء قيل (كميث)
للذكر والأنثى . فإن صفت حمرته قيل (أحمر مُدَمَّى) ، فإن خالط الحمرة خضرة
قيل (أَحْوَى) ، فإن خالطها صفرة قيل (أحمر رادني) فإن خالطها سواد قيل
(أَرْمَك) والأنثى (رَمَكاء) ، فإن كانت حمرته كصدأ الحديد قيل (أجأى)
والإسم الجؤوة .

(السواد)

فإن كان السواد فيه ضعيفاً قيل (أكلف) فإن خالط السواد صفرة قيل
(أَحْوَى) ، فإن علق بسواده بياض قيل (أَوْرَق) ، فإن زادت وُرْقَتُهُ حتى اظلمَّ
بياضه قيل (أَدْهَم) ، فإن اشتدَّ سواده قيل (جَوْن) ، فإن كان بين الغبرة والحمرة

قيل (خَوَّار) والأنثى (خَوَّارة) .

من أوصاف الإبل المستحسنة

دَقَّةُ الأذن وتحديد أطرافها . كبر الرأس . استطالة الوجه . عِظَم الوجنتين .
قنَو الأنف . طول العنق، وغلظه . دَقَّة المذبح . طول الظهر . عِظَم السَّنام .
طول الدُّنب وكثرة شعره . غلظ الأطراف . قلة لحم القوائم . وأن تكون كثيرة
اللحم لا رَهْلة ولا مسترخية . مَلْسَاء الجلد . تَامَّة الخَلْق . قويَّة صُلْبة ، خفيفة .
سريعة السير .

جماعة الإبل

(الدَّوْد)

من الثلاث إلى العشر، وقيل: ما بين الثنتين والتسع من الإناث دون
الذكور، وجمعها: أدَّواد .

(الزِيْمَة)

ما بين البعيرين والخمسة عشر، جمعها زِيَم .

(الصِّرْمَة)

من العشرة إلى الثلاثين ، وقيل: إلى الأربعين، وقيل: قطعة قليلة ما بين
العشر إلى بضع عشرة، وقيل: بل هي ما بين الثلاثين وخمس وأربعين، وإذا بلغت
الستين فهي .

(العَكْرَة)

وقيل: العكرة إلى السبعين، وقيل: بل هي ما بين الخمسين والمائة،
وجمعها العَكَر .

(العَرَج)

وقد تكسر العين؛ مائة وخمسون، وقيل: إذا بلغت خمسمائة إلى الألف،
جمعها: عُروج .

(الهَيْدَة)

المائة قطّ .

(الكَوْر)

الإبل الكثيرة العظيمة .

(الخِطْر)

ويُفتح الخاء: نحو من مائتين .

(الحَوْم)

الكثير من الإبل، أكثره إلى الألف .

(اللَّطِيْمَة)

الإبل التي تحمل الطيب .

(العَسْجَدِيَّة)

الإبل التي تحمل النقد والذهب .

(الضَّفَّاطَة)

العير التي تحمل المتاع، وتسمى الدجّانة أيضاً .

(النِّعَم)

الإبل، يذكّر، ويؤنث، والجمع أنعام .

(الزمزم)

الجماعة من الإبل إذا لم يكن فيها صغار .

(الزمزمة)

الجماعة ، أو خمسون من الإبل .

(الرف)

القطعة العظيمة من الإبل .

(القار)

القطيع الضخم من الإبل .

مما ورد في معاجم اللغة في الإبل

(أ)

أ ب ي : الأيئة من النوق : التي ضربها الفحل ولم تلقح
من عامها

أ ث ر : أثر الفحل الناقة أثراً ، ووثرها وثرأ : ضربها
المرّة بعد المرّة

أ ر ض : الأرض : فراسن البعير ، واحده فرسن : طرف خف البعير

أ س د : استأسد البعير : وثب على الإبل يقاتلها ويكدمها

أ ص ص : الأصوص : الناقة التي حمل عليها فلم تلقح .

أ ط ط : أطيط الإبل : أنينها من ثقل الحمل .

(ب)

ب ر ق : أبرقت الناقة : شالت من غير حمل ، وهي مبرق
وبروق .

ب ر ك : البرك : ما ولي الأرض من جلد صدر البعير
إذا برك .

ب ر ك ع : البركع : القصير من الإبل
ب س ق : أبسقت الناقة : وقع اللبأ في ثديها قبل النتاج ، فهي
مُسْبِقٌ ، وبَسُوق .

ب ش ك : البشك : خفة في نقل القوائم ، وبَشَك الإبل :
ساقها سوقاً سريعاً

ب غ ل : التبغيل : من مشي الإبل ، فيه سعة

ب غ م : البغام : صوت الإبل المتقطع

ب ك ر : البكر : التي تضع أول مولود

ب ل ع س : البلّعس : الناقة العظيمة

ب ل م : أبلمت الناقة : لا ترغو من شدة الغلّة ، وهي

مُبلِم ، ومِبلَام ، وبها بلمة شديدة .

ب ه ت : بُهت الفحل : نُحّي عن الناقة ليُحمل عليها
أكرم منه .

ب ه ز ر : البهزرة : الناقة العظيمة .

ب و ك : البائك : الناقة العظيمة .

(ت)

ت ر ب : التربوت : الذلول ، للبعير والناقة ، ويقال :

دَرَبُوت أيضاً ، أنظر (درب) .

(ث)

ث ف ن : ثفّنات البعير : ما أصاب الأرض من أعضائه ،

أي الركبتان ، والسعدانة - وتسمى الكركرة - ، وأصول

الفخذين، والأخفاف. وأحدثها ثَفْنَة .

ث ن ي : الثَّني : الناقة التي تلد الولد الثاني

(ج)

ج ث م : تجثم البعيرُ الناقة : برك عليها ليضربها

ج ذ ب : الجذيب من الإبل : العظيم، والجاذب : الناقة
قلّ لبنها .

ج ر ج ب : الجَراجِب : الناقة العظيمة .

ج ر ر : الجَراجِر، والجَرَجُور: الناقة العظيمة، والجَرَجُرة:
تردّد هدير الفحل في حنجرتة، والجرّة : ما يخرجها
البعير من كرشه فيأكله ثانية، جمعه جَرَر،
وهو يجترُّ

ج ر ض : الجُراض من النوق : اللطيفة .

ج ر ض م : الجِرْضِم : الناقة الضخمة الثقيلة .

ج ر ن : الجِران : مقدّم عنق البعير من المذبح إلى المنحر

ج ر ه م : الجَراهم : العظيم من الإبل .

ج ز ر : جزارة البعير: رأسه وفراسنه، لأن الجزار
يأخذها كراء عمله .

ج س ر : الجَسرة : الناقة العظيمة، والجريئة على السير .

ج ش م : جُشم البعير: صدره ، وبه سُمّي الرجل جُشم .

ج ع د ل : الجعدل : البعير الضخم .

ج ل ع ب : الجَلْعَب، والجَلْعَبَة، والجَلْعَابَة من الإبل: الطويلة
مع هَوَج .

ج ل ف ع : الجلفع : البعير الشديد الغليظ، والناقة بالهاء .

- ج ل ل : تجلّل الفحل الناقة : علاها .
 ج م ر : المُجمرات (بفتح الميم الثانية أو كسرها) : الأخفاف الشداد .
 ج م ز : الجَمْزَى : العَدُو دون الحُضُر، وفوق العَنَق .
 ج م ع : الجُمُع : الناقة التي في بطنها ولد .
 ج م ل : الجُمالة : جماعة من الإبل إذا كانت ذكوراً
 كلُّها، وأجمل القوم: كثرت جمالهم .
 ج ن ح : جَوَانح البعير: أضلاع زَوْرِهِ .
 ج هـ ض : الجَهْض، والجَهْيض: السَّقْط الذي تمَّ خَلْقُه
 ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، وقيل:
 الذي لم يستتب خَلْقُه - وفي المخصص : لا يكون
 الجهاز إلا في الإبل خاصة .

(ح)

- ح د ب ر : الحِدْبَار : الناقة الهزيلة العجفاء الظهر
 ح ذ و : الحِذاء : ما يطأ عليه البعير من خَفِّهِ .
 ح ر ج : الحُرْج : الناقة الجسيمة الطويلة على الأرض،
 والناقة التي لا تركب، ولا يضربها الفحل ليكون
 أسمن لها، والحَرَجَة : مائة من الإبل .
 ح ر د : الحِرْد : مبعر البعير والناقة، وقطعة من السنام،
 جمعه حرود .
 ح ر ف : الحَرْف : الناقة الضامر، والطويلة .
 ح ر ق ص : الحَرْقصة : الناقة الكريمة .
 ح ش ف : حَشَف يَحْلِف الناقة، وأَحْشَفَ: تَقَبَّضَ،
 واستشَنَّ، أي صار كالقربة الخَلْق الصغيرة .

ح ش ك : الحشك : شدة الدرة في الضرع، وحشك
 الناقة : ترك حلبها حتى يجتمع لبنها .
 ح ض ن : الحَضُون من النوق : التي ذهب أحد طَبَّيْها
 ح ف د : الحَفْد : سير دون الخب .
 ح ن د ل س : الحَنْدِلِس : الناقة الكثيرة اللحم المسترخية
 ح ن ن : الحنين : نزاع الناقة إلى ولدها
 ح و ز : الحَوَز : السير الرَّوَيْد .
 ح ي ل : الحائل : الناقة التي لم تحمل، جمعها حُول
 وحِيال، وحُول .

(خ)

خ ب ب : الحَبَب : سير سريع تراوح الناقة فيه بين
 يديها ورجليها .
 خ ب ر : الحَبِير : زبد أفواه الإبل
 خ ب ز : الحَبَز : السَّوْق الشديد، والضرب
 خ ج أ : الحُجَاة من الإبل : الكثير الضَّرَاب
 خ ز ب : خَزَب ضرع الناقة : ييس، فهي خَزَب ،
 وخَزِبَت الناقة : ورم ضرعها .
 خ ط ر : خَطَر البعير بَدَنِيهِ : ضرب به يميناً وشمالاً فهو
 خطَّار، وناقة خطَّارة .
 خ ف ف : الحُفَّ من الإبل كالحافر من الخيل، جمعه أخفاف،
 وخِفَاف .
 خ ل ج : الحَلُوج ، والإخليج : الناقة التي جُرَّ عنها
 ولدها بموت، أو ذبح .

- خ ل ف : الخلف: ضرع الناقة، أو حلمة الضرع .
- خ ل ل : الخلال : عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع
- خ م س : الخمس: حبس الإبل عن الماء أربعاً ثم ترد اليوم الخامس، ثم كذلك إلى العشر، فإذا زادت فليس لها تسمية وُرد ، ولكن يقال: هي ترد عشراً ، وغباً ، ثم كذلك إلى العشرين، فيقال حينئذ : ظمؤها عشرين، فإذا جازت العشرين فهي جوازي .
- خ ن د ل س: الخندلس: الناقة الكثيرة اللحم المسترخية وقد مرت الكلمة بالحاء المهملة .
- خ و د : خوّد الفحل: أرسله في الإناث
- خ ي ف : الخيف: جلد الضرع، وناقة خيفاء : واسعة جلد الضرع، ويسمى الضرع خيفاً إذا خلا من اللبن، والخيفانة: الناقة السريعة، وقد شُبّهت بالجرّادة .
- خ ي ل : الخال: الجمل الضخم، والجمع خيلان .
- (د)

- د ب ب : الأدبُ: الجمل الكثير وبر الوجه. قال ابن سيده : فأما قول النبي ﷺ يخاطب نساءه. « ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب » تخرج فتنبحها كلاب الحوَاب » فإنه ضعّف الأدب بفك الإدغام ليخرج على مثال (الحوَاب) وأصل الفعل: الدَّبب .

- د ح ل : الدحول: الناقة التي تعارض الإبل متنحية عنها.
- د ر ب : الدربوت : الذلول، للبعير والناقة، وهي

فَعَلُّوت من الدربة، ويقال أيضاً : تَرَبُّوت،

أنظر (ت ر ب)

د ر س : دَرَسَ الناقة: راخها

د س ر : الدُّوسَرَة : الناقة العظيمة

د ع ب ل : دِعْبَل : الجمل العظيم الجميل، وبه سُمِّي الرجل

د ع ك ن : الدِّعْكَنَة : الناقة الشديدة الصلبة

د ف و : الدَّفْواء : الناقة النجبة الطويلة العنق

الطويلة الظهر .

د ل ع س : الدَّلْعَس : الناقة الضخمة .

د ل ع ك : الدَّلْعَك : الناقة العظيمة المسترخية

د ه ن ج : الدُّهانج : البعير ذو السنامين

د ي ث : دَيْث البعير: ذلَّه ، وأصل التديث : التلين.

(ذ)

ذ ف ر : الذُّفْرُ : العظيم من الإبل، والناقة النجبة: ذِفْرَةٌ

ذ ل ل : الدَّلُول: ضدَّ الصَّعْب، للجمل والناقة .

ذ م ل : الدَّمِيل: من السير السريع للإبل .

ذ ي ب : الذَّيْبَان : الشعر على عنق البعير ومشفره

وهو أيضاً بقيَّة الوبر .

ذ ي ر : الدِّيار : طين يعجن ببعر أو روث، ثم يُطلى

به ضرع الناقة لئلا يرضعها الفصيل .

(ر)

ر أ م : رثمت الناقة ولدها: عطفت عليه ولزمته فهي رؤوم

ر ب ب : رَبَّت الناقة، وأرَبَت: لَزمت الفحل وأحَبَّتْه

- ر ب ع : ارْتَبَعَت الناقة وأرْبَعَت ، وهي مربعة : اغلقت
رحمها فلم تقبل ماء الفحل . والرَّيْع : حبس
الإبل عن الماء ثلاثاً ، ثم تَرِد اليوم الرابع
ر د د : الرِّدَّة : أن تشرب الإبل الماء عَلَّاء فتزيد
الألبان في ضروعها .
ر ز ح : الرازح : البعير الذي ألقى نفسه من الاعياء ، وناقة
رازح ، وابل رزحى .
ر ز م : الرازم : الذي لا يتحرك هذاً
ر س م : الرِّسيم : سير للإبل سريع فوق الذميل
ر ش ح : التَّرشيح : لحس الناقة ما على ولدها من الندوة .
ر ش ش : رَشَرَش البعير : برك ثم فحس بصدرة في
الأرض لبروكه .
ر غ غ : الرُّغْرَغَة للإبل : أن ترد يوماً بالغداة ، ويوماً
بالعشي ، وقيل أن ترد كلَّ يوم متى شاءت .
ر غ و : الرُّغَاء ؛ صوت الإبل مع الضجيج
ر ف هـ : الرُّفَة : الورد في كلَّ يوم ، فالجمل رافه ،
والناقة : رافهة .
ر هـ ن : الراهن من الإبل : المهزول .
ر ق ل : الإِرْقَال : سرعة السير للإبل .
ر ك ض : رَكَضَت الناقة : تحرك ولدها في بطنها .
ر م د : رَمَدَت الناقة : أضرعت وهي بكر .
(ز)

- ز خ ز ب : الزُّخْزُب : القوي الشديد اللحم من أولاد الناقة .
ز ع ل : الزَّعْلَة : الناقة التي تحمل سنة ولا تحمل أخرى .

ز ف ف : الزَّفِيف: من السير السريع، وقيل: هو الذميل.
ز ل ق : أزلقت الناقة: ألقت حملها قبل أن يستبين خلقه .

(س)

س أ د : الإسَّاد: أن تسير الإبل الليل مع النهار .
س ج ل : السَّجلاء: الناقة العظيمة الضرع، والغريزة اللبن .
س ح ج : السَّحجاء من الإبل: التامة طولاً، وعظماً .
س ح ف : السَّحُوف: الناقة الطويلة الأخلاف .
س د م : السَّديم: الفحل الذي لا يرغب من شدة الغلظة، وهو مسدَّم أيضاً .

س ر ح ب : السَّرْحوب: الطويل السريع من الإبل للذكر والأنثى
س ر د ح : السَّرْدَاة: العظيمة، وقيل: الطويلة من النوق،
والبعير: سَرْداح .

س ر م ط : السَّرْمَط، والسَّرْمُوط: الجمل الطويل .
س ف د : سَفَدَ الفحلُ الناقة: ضربها، والإسم: السَّفاد .
س ق ب : أسْقَبَتِ الناقة: إذا كان أكثر ما تضع ذكوراً، وهي مسْقاب .
س ق ف : السَّقائف: أضلاع البعير. واحدها: سقيفة .
س ل م : السُّلامى: عظام الفرسن كلها للواحد والجمع .

س ن ر : السَّنور: فقارة عنق البعير .
س ن م : السَّنام: أعلى ظهر البعير، وتسَّم الفحل الناقة: علاها
س ن ن : السَّنان، والمُسانة: المعارضة، يقال: سانَّ البعير الناقة
سيناناً طويلاً حتى أناخها .

س ي ء : السَّيء، والسيء: ما كان من اللبن في ضرع الناقة قبل أن تدرّ،
وتسيَّات الناقة: أرسلت لبنها من غير حلب .

(ش)

- ش ح ذ : المُشَاحِذ من النوق: التي أخذها المخاض ولوت ذنبها،
وإنما تفعل ذلك لما يأخذها من الغم .
- ش خ خ : شَخْشَخَت الناقة: رفعت صدرها وهي باركة .
- ش ر خ : الشَّرْخ: نتاج كل سنة من أولاد الإبل .
- ش ر ع : شِراع البعير: عنقه .
- ش ر ف : الشَّرَافِيَّة ، والشَّرَفَاء من النوق: الضخمة الأذنين .
- ش غ ر : الشَّغَر، من شجر الفحل شَغَرًا: ضرب برأسه تحت
الناقة من قبل ضرعها فيرفعها فيضرعها .
- ش ف ر : المِشْفَر من البعير: بمنزلة الشِّفَّة من الإنسان، وقد
تستعار المشافر للإنسان. والشفير: حدُّ مشفر البعير .
- ش ق ش ق: الشُّقْشُقَّة: لهاة البعير، أو شيء كالرِّثة يخرج البعير من
فيه إذا هاج .
- ش ك ر : الشَّكِرَة : الناقة الممثلة الضرع .
- ش م ر دل : الشمرذلة: الناقة الحسنة الجميلة، والسريعة،
والبعير: شمرذل .
- ش م ع ل : الشَّمْعَل، والشَّمْعَلَة، والمُشْمَعِلَة: الناقة الطويلة،
والنشيطة السريعة .
- ش م ل : الشِّمْلَال، والشِّمْلِيل من الإبل للمذكر والمؤنث: السريع،
وكذلك الشِّمْلُ، للجمل، والشِّمْلَة للناقة .
- ش ن خ ب: الشناخيب: فُقر البعير، واحدها شنخوب .
- ش و ر : استشار الفحل الناقة: إذا كرفها فنظر ألاقح هي أم حائل .
- ش و ف : المَشُوف: الجمل الهائج، والمَطْلِيُّ بالقَطْران .

ش ي ع : أشاعت الناقة: أخذت، وأشاعت ببولها :
أرسلته متفرقاً .

(ص)

ص ر ر : الصرار: الخيط الذي يشد به الضرع .
ص ر م : المصرمة : الناقة مقطوعة الطيين .
ص ر ي : الصرى: اللبن المحفل في الضرع .
ص ل ق : تصلقت الناقة: تمرغت عند المخاض ظهراً لبطن، فهي متصلة .
ص ل ق م : الصلقم، والصلقام: الضخم من الإبل .
ص و ل : الصائل من الجمال: الذي يخبط برجله، وتسمع لجوفه دويّاً
من عزة نفسه عند الهياج، وهو الذي يواثب راعيه،
ويواثب الناس فيأكلهم .

(ض)

ض ب ع : ضبعت الناقة ضبعاً، وأضبعت: إذا أرادت الفحل، ونوق
ضباع، وضباعى .
ض ر س : الضروس من الإبل: العضوض .
ض ر ع : المضريع: الناقة التي أشرق ضرعها، وقع فيه اللبن .
ض م ز : الضموز: الناقة المسنة، وضمر البعير: أمسك
عن جرته فلم يجتر .
ض م ز ر : الضماز: البعير القوي، والضمر: الناقة القوية
ض م ن : المضامين: التي في أصلاب الفحول، والتي في بطون
الحوامل .
ض و ب : الضوبان: الجمل القوي السمين، جمعه كواحدة .

(ط)

- ط ب ق : الطابقاء : الفحل العاجز عن الضراب .
 ط ر ق : طَرَقَ الفحل يطرق طرقاً : نزا على الناقة .
 ط ف ل : التطفيل : السير الرؤيد .
 ط ل ح : الطليح : الناقة التي هزلت من كثرة السير، والبعير طليح أيضاً .
 ط و ط : الطاط، والطائط، والطوط : الفحل الهائج .

(ظ)

- ظ أ ر : الظُّرَّ: الناقة تُعْطَف على ولد غيرها حتى ترأمه .
 ظ ل ل : الأظل من البعير والناقة : ما تحت المنسم .
 ظ م أ : الظمء : ما بين السقيتين، والجمع أظماء .

(ع)

- ع ب ر : المُعَبَّر: البعير كثير الوبر .
 ع ت ر س : الاعتراس: أن يقفز الفحل على رقبة الناقة حتى يركبها ساخطة أو راضية .
 ع ث ن : العُثْنُون: شعيرات عند مذبح البعير .
 ع ج ب : العَجَب: أصل الذنب .
 ع ج س : العَجِيس، والعَجِيساء، والعَجَّاساء : الفحل العاجز عن الضراب، والعظيمة من الإبل .
 ع ج ل : العَجُول: الناقة التي مات ولدها .
 ع ج ن : العَجْنَة، والعَجْناء : الناقة التي ورم حياءها ولا تلقح .
 ع ذ ف ر : العُذافرة : الناقة العظيمة .

- ع ر ج : العُرْجَاء: وَرَدَ الْإِبِلَ يَوْمًا بِالْغَدَاةِ، وَيَوْمًا بِالْعَشِيِّ،
ويسمى الرغرغة أيضاً .
- ع ر م س : العِرْمَس: الناقة الطيعة والقويّة الشديدة .
- ع ر ه م : العَرْهَم: العظيم الغليظ من الإبل .
- ع ر ه ن : العَرْهَن: العظيم الشديد من الإبل .
- ع س ب : العَسْب: كِرَاء ضِرَاب الفحل و: ماء الفحل، يقال: قطع
الله عَسْبَهُ وَعُسْبَهُ، أي ماءه ونسله. والعسيب: عظم
ذنب البعير .
- ع س ر : العَسِير: الناقة إذا لم تحمل في سنتها، والرافعة ذنبها
في عَدْوِهَا، والتي ركبت ولم تُلَيَّن من قبل، وتسمى أيضاً
عيسرائيّة، والبعير عيسراني .
- ع ش ر : العُشْرَاء: الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، والجمع
عِشَار، وَعُشْرَاوَات .
- ع ش و : العُشَوَاء: الناقة التي لا تبصر ما أمامها، فهي تخبط
ما مرّت به بيديها .
- ع ص ب : إِعْصُوصَتِ الْإِبِل: اجتمعت وجدّت في سيرها .
- ع ص ف : العَصُوف: الناقة السريعة التي تعصف براكبها، وتذهب
به كالريح .
- ع ص م : العِصَام: عَسِيب البعير، وهو عظم الذنب .
- ع ص ي : العاصي: الفصيل الذي لم يتبع أمّه .
- ع ط ل : العَطِل من الجمال: الحسن الجسم، والناقة عَطِلَة .
- ع ط ه م س : العَيْطُمُوس: الناقة الثأمة الخلق الحسنة. جمعها عطامس .
- ع ط ن : العَطَن: مبرك الإبل حول الماء: الجمع أعطان .
- ع ل ط : إِعْلُوطُ الْفَحْلِ الناقة: ركب عنقها وتقحّمها من فوق .

ع ل ط س : العَلَطُوسُ : الخيار الفارحة من النوق .
ع ل ط م : العَلَطُوسُ ، والعَلَطِيسُ : الناقة الضخمة الشديدة والضخمة
السنام .

ع ل ق : العَلُوقُ : الناقة التي لم تألف الفحل .
ع ل ك : العَلِكة : شِقْشِقة البعير عند الهدير ، والعَلِكة : الناقة السمينة .
ع ل ك م : العَلُكُومُ : الناقة العظيمة .
ع م ل : اليَعْمَلَةُ : الناقة القوية النجبية المعتملة المطبوعة على العمل ،
والجمل يجعل جمعهما : يعملات ، ويعامل . وفي المخصص (لا
يوصف بها المذكر) .

ع م ي ث ل : العَمَيْثَلَةُ : الناقة الجسيمة ، والذكر : عميثل .
ع ن ت ر : العَنَتَرِيسُ : الناقة الغليظة الصلبة الكثيرة اللحم .
ع ن س : العَنَسُ : الناقة التي تم سنّها واشتدت قوتها ، وطال ذنبها
ع ن ق : العَنَقُ : سير مسطرّ ، أي ممتدّ .
ع و ذ : العائذ : الناقة عندما تضع حملها ، جمعها عُوذ ، وعُوذات
ع و ه ج : العَوْهَجُ : الناقة الفتية .
ع ي ر : العَيْرَانَةُ : الناقة التي تُشَبَّه بالَعِير في سرعتها ونشاطها
ع ي س : عاسُ الفحلُ الناقة : ضربها .
ع ي ط : العائط من النوق : كالحائل .
ع ي ه ل : العَيْهَلُ ، والعَيْهَلَةُ ، والعَيْهُولُ ، والعَيْهَالُ : الناقة السريعة والنجبية
الشديدة ، والجمل : عَيْهَل .

ع ي ه م : العَيْهَمُ : الشديد من الإبل ، والناقة عَيْهَمَةٌ أيضاً .
ع ي ي : العَيَاءُ ، والعَيَاءُ : الفحل الذي لا يضرب .

(غ)

غ ب ب : الغَبُّ في موارد الإبل : ليومين وليلتين .

غ ب ر : الغُبر: بقيَّة اللبن في الضرع . جمعه: أغبار .
 غ ذ ذ : الإغذاذ: سرعة السير .
 غ ر ب : الغارب: الكاهل، والغرابان: ظهر البعير من مقدِّمه ومؤخِّره .
 والغرابان من البعير: حرفا الوركين اللَّذان فوق الذنب .
 غ ر ز : التغريز: أن تدع حلبة بين حلبتين، وذلك إذا أدبر
 لبن الناقة .
 غ س ل : فحل غِسل، وغُسل، وغَسِيل، وغُسْلَة، ومِغْسَل، وغِسِيل:
 يكثر الضراب ولا يُلقح .
 غ م د : تَغْمَدُ الفحلُ الناقةَ: علاعا .
 غ م س : الغموس: الناقة في بطنها ولد وهي لا تشول .
 غ ي ه ق : الغَيْهَق: الطويل من الإبل .

(ف)

ف ر س ن : الفُرْسِن: طرف خفِّ البعير . الجمع فراسن .
 ف ر ش ط : فَرَشَطَ البعير: برك بروكاً مسترخياً، وألصق أعضائه بالأرض .
 ف ر ض : الفارِض من الإبل: العظيمة .
 ف ر ع : الفَرَع: أول ما ينتج من الإبل، و: طعام يصنع عند
 نتاج الإبل .
 ف ر ق : فَرَّقَت الناقة: أخذجت، والمفرق: الناقة التي فارقتها
 ولدها بموت، أو ذبح .
 ف س ج : فَسَجَت القلوص فُسُوجاً: أعجلها الفحل فضربها قبل بلوغ
 وقت الضرب، فهي فاسجة، والفاسج: الناقة السريعة الفتيَّة .
 ف ش ش : فَشَّشَت الناقة أفشُّها فشاً: أسرعَتْ حلبها، وفششتُ الضرع:
 أخرجت جميع ما فيه .

- ف ط م : الفَطِيم : كالفَصِيل .
 ف ك هـ : المُفَكِّه : الناقة التي يُهراق لبنها عند النتاج قبل أن تضع .
 ف ن ق : الفَنِيْق من الإبل : الذي نُعَمَّ وَسُمِّن للفحلة . جمعه فُنُق وأفناق .
 ف و ق : الفَيْقَة (بقلب الواو ياء) : إسم اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين، وأفأقت الناقة : درَّ لبنها فهي مفيق ومفيقة، والجمع مفاويق .

(ق)

- ق ب س : القَبِيس من الإبل : السريع اللقاح .
 ق ب ع ث ر : القَبْعَثري : الجمل الضخم . .
 ق ذ ع م ل : القَدْعَمِل : القصير الضخم من الإبل .
 ق ر ب : القَرَب : سير الليل لورود الغد .
 ق ر ح : القَارِح من النوق : أول ما تحمل، و: التي لا تُشعر بلقاحها حتى يستبين حملها . الجمع قوارح وقَرَح .
 ق ر ر : أَقَرَّت الناقة : ثبت حملها .
 ق ر ع : القَرِيع من الجمال : المختار للضراب، وقرع الفحلُ الناقة : ضربها .
 ق ر م : القَرَم : الفحل من الإبل الذي تُرك من العمل والركوب، وودَّع للفحلة، وبه شُبَّ الأكابر من الناس .
 ق ر و : القرواء : الناقة العظيمة القرا وهو الظهر .
 ق ط ر : القطار : اقتران الإبل بعضها إلى بعض على نسق .
 ق ط ن : القَطْنَة : مثل الرمانة تكون على كرش البعير، واللحمة بين وركيه .

ق ع د : القَعُود؛ الفصيل، وهو الذي فصل عن أمه .
 ق ع و : قَعَا الفحل على الناقة: علاها للضراب .
 ق ل ص : القَلُوص: الشائبة من الإبل .
 ق م ح : القامح ، والمُقامح من الإبل : الذي اشتد عطشه حتى
 فتر فتوراً شديداً .
 ق م ط ر : القِمَطَر: الجمل القوي السريع .
 ق ن د ل : القَنْدَل: الناقة العظيمة الرأس .
 ق ن ف ذ : قَنَفُذُ البعير: ذِفراه، والذفرى: العظم خلف الأذن .
 ق ن و ر : القَنَوْر من الإبل: الشرس الصعب .
 ق ي س ر : القَيَاسِرَة ، والقَيَسِرِيَّة: الناقة العظيمة .
 (ك)

ك ب س : الكُبَساء، والكُبَاس: العظيمة الرأس من النوق .
 ك ت م : الكَتُوم: الناقة التي لا تشول بذنبها عند اللقاح، ولا
 يُعلم بحملها. جمعها: كُتُم .
 ك ر ض : الكِرَاض: الخداج: ماء الفحل: حلق الرحم .
 ك ر ك ر : الكِرَكَرَة: سَعْدَانَة البعير التي تلصق بالأرض من صدره
 إِذْ برك .
 ك س ع : كَسَعَ الناقة: ترك في خِلْفها بَقِيَّة من اللبن، وقيل:
 الكسع: أن يضرب ضرعها بالماء البارد ليتراذ
 اللبن في ظهرها فيكون أقوى لها على الجذب .
 ك س ل : أَكْسَلَ الفحل، وكَسِل: ضعف عن الضراب .
 ك ش ف : الكِشَاف: أن تبقى الناقة ستين، أو ثلاثاً لا
 يحمل عليها، أو يحمل عليها (ضد) . والكَشُوف:

الناقة التي يضربها الفحل وهي حامل .
 ك ف أ : أَكْفَأَتِ الإِبِلُ : كثر نتاجها، وأَكْفَأَتْ إِبِلِي : جعلتها
 كفأتين، يعني نصفين ينتج كل عام نصفاً .
 ك م ت : الكُمُوت : الكتوم اللقاح .
 ك م ث : الكُمُشَّة من النياق : الصغيرة الضرع .
 ك ن ع ر : الكَنَعَرَة : الناقة العظيمة .
 ك ه هـ : الكَهَّة ، والكَهَاء ، والكِيهَاء : الناقة العظيمة .
 ك و م : الكَوَمَاء : العظيمة السنام، والبعر أكرم .
 (ل)

ل ج ن : اللَّجَان في الإِبِل : كالحران في الخيل . يقال : جمل
 وناقة لِحُون .
 ل ط س : المِلْطَاس : خفُّ البعير الشديد الوطأ .
 ل غ م : اللُّغَام من الإِبِل : بمنزلة البصاق من الإنسان .
 ل ق ح : لَقِيَحَتِ الناقة لِقْحاً وَلَقَاحاً ، وأَلْقَحَهَا الفحل ، فهي لاقح وَلَقُوح .
 ل ك ل ك : اللَّكَالِك : الناقة العظيمة .
 ل م ع : أَلْمَعَتِ الناقة : شالت بذنبها، وأعلمت بلقاحها . واللمعة :
 السواد حول حلمة الضرع .

(م)
 م ت ش : مَتَشَّ أَنْحَافِ الناقة بأصابعه : احتلبها احتلاباً ضعيفاً .
 م ر ن : مَارَتِ الناقةُ مراناً : ضربت فلم تلقح ، فهي مُمارن .
 م ر ي : مَرِيْتُ الناقة : استدرزتها بالمسح ، وأمرت الناقة : در لبنها .
 م ش ش : مَشَّ الناقة مشاً : حلبها وترك في الضرع بعض اللبن .
 م ص ر : المَصُور : الناقة التي يتمصّر لبنها قليلاً قليلاً ، وهي الماصر .

م غ ص : المغص (محركة، والاسكان لغة) : خيار الإبل، الواحدة مَغَصَّة، وقيل: الخالصة البياض، والجمع: مَغَاص، وقيل هو جمع لا واحد له، يقال: ابل مغص، وناقة مغص، والأول أرجح

م غ ط : تَمَغَّطَ البعير في سيره: مَدَّ يديه مَدًّا شديداً .
م ك س : المَكُوس من الإبل: التي تراها أَوَّلَ الإبل في المرعى والمورد، وكلُّ مسير، والمكس: التقدم .
م ل ص : مَأَصَّتِ الناقة: أَلْقَتْ ولدها، والولد مليص، والناقة مملص .
م ل ط : المِلَاطان : كتفا البعير، وقيل: العضدان، وجانب السنام .
م ن ح : أَمْنَحَتِ الناقة: دنا نتاجها فهي ممنح .
م ن ي : المُنْيَةُ، والمنوة للبكر: عشر ليالٍ حتى يستبين لقاحها، وإذا كانت ثنياً، أو ثلثاً فخمس عشرة ليلة، فإذا مضت المنية استبان حمل الناقة .
م و ر : المَوَّارة: الناقة السريعة السهلة .

(ن)

ن ب ل : النَّبْلُ: السير الشديد للإبل .
ن ت ج : النَّتَاج: اسم يجمع وضع جميع البهائم، وقيل: هو في الناقة والفرس، والأول أصح .
ن ج ب : النَّجِيب: الكريم من الإبل، والانثى نجبية، والجمع نجائب .
ن ج د : النَّجُود: الناقة الشديدة النفس، و: التي لا تبرك إلا على مرتفع من الأرض .
ن ج و : النَّاجِي: البعير السريع، والناقة ناجية .
ن خ ن خ : تَنَخَّنَخَ البعير: برك، ومكَّنْ ثفناته في الأرض .
ن س م : المَنَسِم: طرف خفِّ البعير .

ن ش أ : أنشأت الناقة : لقيحت .
 ن ص ص : النص : السير الشديد حتى يُستخرج أقصى ما عند الناقة .
 ن ص ع : أنصعت الناقة للفحل : قزت له .
 ن ص ن ص : نصنص البعير : تحرك للنهوض .
 ن ع ج : النعج : ضرب من سير الإبل السريع ، والناعجة : الناقة التي يصاد عليها نعاج الوحش ، ولا يكون ذلك إلا في الإبل المهرية .
 ن ق ب : النقيبة من الإبل : المؤترة بضرعها عظماً وحسناً .
 ن ه ب ل : النهيلة : الضخمة من النوق .
 ن ه ض : نهض البعير : ما بين الكتف والمنكب .
 ن و خ : تنوخ الجمل الناقة : أبركها ، وبرك عليها للضراب .
 (هـ)

ه ج ن : الهجان : الكريم ، والأبيض من الإبل .
 ه د ب : هدب الناقة : احتلبها .
 ه د ر : الهدير : صوت البعير المستمر الذي لا يكاد ينقطع .
 ه د م : الهدمة : الناقة التي اشتدت ضبعها ، أي اشتد امتداد أضباعها في سيرها . فهي هدمة من نوق هدامى .
 ه د ي : الهادية : المتقدمة من الإبل .
 ه ر ج ب : الهرجاب : الناقة الضخمة الطويلة .
 ه ش ر : الهشار : الناقة التي تلقح في أول ضربة ، وتضع أول الإبل .
 ه ض ل : الهضل : الجمل الضخم ، والأثنى هيضلة ، وهي الغزيرة اللبن أيضاً .

ه ق ع : اهْتَقَعَ الفحل الناقة: أَبْرَكَهَا، وَتَهَقَّعَتْ هي: بركت .
ه ك ع : الهَيْكَةُ: الناقة التي استرخت من الضبعة وأربت .
ه ل ع : الهَلُوع، والهَلُوعَة من الإبل: السريعة التي تخاف السوط
ه ل ق س : الهَلْقَس: الجمل الشديد .
ه ل ل : الهِلَال: الجمل المهزول من ضراب أو سير، والمهلل من
الإبل: الضامر، والناقة: مهللة .
ه م ر ج ل : الهَمْزَجَل: البعير النجيب الكريم، والناقة: همرجلة .
ه و ج : الهَوْجَاء: الناقة التي كَانَ بها هَوْجاً من سرعتها .
ه و د : التَّهْوِيد: سير الإبل الرفيق .
ه و ز ب : الهَوَزَب: الجمل الشديد الجري .
ه ي ج : هاج الفحل يهيج هياجاً: هدر، وأراد الضراب .

(و)

و ج ب : وَجَبَت الإبل، وَوَجَّبَتْ: لم تكد تقوم من مباركتها .
و ج ف : الوَجِيف: من السير السريع للإبل .
و ج ن : الوَجْنَاء: الناقة الشديدة اللحم .
و ح ف : المَوْحِف: مبرك الإبل .
و خ د : الوَخْد، والوَخْدَان، والوَخِيد: سرعة السير للإبل مع سرعة الخطو .
و د ي : التَّوْدِيَّة: خشبة تشدُّ على خِلف الناقة إذا صُرَّت،
والجمع: التوادي .
و س ن : تَوَسَّنَ الفحل الناقة: علاها .
و غ ب : الوَغْب: الجمل الضخم الشديد .
و ك ر : الوَكْرَى: الناقة السريعة، والقصورة .
و ل ق : الوَلْق: سرعة سير الإبل .
و ه ق : المُواهَقَة: المواظبة على السير، ومدُّ الاعناق .

و هـ م : الرَّهْمُ: الجمل الضخم الذلول، والجمع: أوهام ووهوم ووهُم .

(ي)

ي ع ر : اللَّيْعَارَةُ من النوق: التي لا تضرب مع الإبل، ولكن يقاد إليها الفحل، وذلك لكرمها .

ذكر الابل في القرآن الكريم

الإبل ﴿ ومن الإبل اثنين ﴾ - الانعام/ ١٤٤

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ - الغاشية/ ١٧

البعير: ﴿ ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ﴾ - يوسف/ ٦٥ .

﴿ وقالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ - يوسف/ ٧٢ .

الجمل ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ - الاعراف/ ٤٠

الجمالة ﴿ كأنه جمالة صفر ﴾ - المرسلات/ ٣٣ . والجمالة جمع الجمل

كالجمال، وقال ابن السكيت: يقال للإبل الذكور خاصة (جمالة) .

الناقة ﴿ هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ﴾ - الاعراف/ ٧٣ .

﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ﴾ - الاعراف/ ٧٧ .

﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ﴾ - هود/ ٦٤ .

﴿ وآتيننا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾ - الاسراء/ ٥٩ .

﴿ هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ - الشعراء/ ١٥٥ .

﴿ إنا مرسلوا الناقة فتنه لهم فارتقبهم واصطبر ﴾ - القمر/ ٢٧ .

﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ﴾ - الشمس/ ١٣ .

الأنعام: جمع النعم (بالفتح) وهي في الأصل: الإبل، وقد يتوسّع في النعم

فتطلق على الإبل، والبقر، والغنم اذا أريد جماعة الأصناف الثلاثة،

ووردت الكلمة في القرآن مراداً بها - على الأغلب - الابل والبقر والغنم:

﴿ من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ - المائدة/ ٩٥ .
 ﴿ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام ﴾ - آل عمران/ ١٤ .

﴿ ولامرئهم فليبتكن آذان الأنعام ﴾ - النساء/ ١١٩ .
 ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلّى الصيد ﴾ - المائدة/ ١/ .

﴿ وجعلوا لله ممّا ذرأ من الحدث والأنعام نصيباً ﴾ - الأنعام/ ١٣٦ .
 ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ﴾ - الأنعام/ ١٣٨/ .

﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ - الأنعام/ ١٣٨ .
 ﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء ﴾ - الأنعام/ ١٣٨ .
 ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة للذكورنا ﴾ - الأنعام/ ١٣٩ .
 ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ - الأنعام/ ١٤٢ .
 ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضلّ ﴾ - الأعراف/ ١٧٩ .
 ﴿ فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ - يونس/ ٢٤ .
 ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها داء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ - النحل/ ٥ .
 ﴿ وإنّ لكم في الأنعام لعبرة ﴾ - النحل/ ٦٦ .
 ﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ﴾ - النحل/ ٨٠/ .

﴿ ويذكرون اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ - الحج/ ٢٨ .

﴿ وأحلّت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ﴾ - الحج/ ٣٠ .
 ﴿ ولكلّ أمة جعلنا منسكاً ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ - الحج/ ٣٤ .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ - المؤمنون / ٢١ .
 ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ - الفرقان / ٤٤ .
 ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ - الشعراء / ١٣٣ .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ - فاطر / ٢٨ .
 ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ - الزمر / ٦ .
 ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ - غافر / ٧٩ .
 ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ - الشورى / ١١ .
 ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ - الزخرف / ١٢ .
 ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴾ - محمد / ١٢ .
 ﴿ وَنَسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرَةً ﴾ - الفرقان / ٤٩ .
 ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾
 يس / ٧١

﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾ - طه / ٥٤ .
 ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ -
 النازعات / ٣١ - ٣٣ .

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ - عبس / ٣٢ .
 ﴿ فَخَرَجَ بِهِ زُرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ - السجدة / ٢٧ .
 مِمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ الْإِبْلِ (١)

- ان العرف لينفع عند الجمل الصَّوَال، والكلب العقور..
 - الإبل عزَّ لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة.

(١) ثمار القلوب/ ٣٥ والنهاية ١٦/١ والدميري ١٤/١ و١٥ (حياة الحيوان) .

- تجدون الناس بعدي كإبل مائة ليس فيها راحلة.
- لا تسبوا الإبل فان فيها رقوء الدم، ومهر الكريمة.
- لا تسبوا الإبل فانها من نفس الله تعالى.
- إنما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة، إن تعاهدّها صاحبها على عقلها أمسكها، وإن أغفلها ذهبت.

مما ورد في الأمثال عن الإبل^(١)

(اتَّخَذَ اللَّيْلُ جَمَلًا).

معناه: ركب الليل في حاجته، ولم ينم حتى أدركها. وقال الامام أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) لأصحابه ليلة العاشر من محرم: أنتم في حلّ من بيعتي، وهذا الليل قد غشيكم فاتخلدوه جملاً، وتفرقوا في سواده، وذروني وهؤلاء القوم فانهم لا يريدون غيري.

(أنخم من فصيل)

وذلك أنه يشرب من اللبن فوق ما يحتاج إليه .

(أتعب من راكب فصيل)

الفصيل ولد الناقة الذي فصل عن أمه بعد سنة من ولادته، وأنما يتعب لأنه لا يستحق الركوب إلا في السنة الرابعة بعد الترويض.

(أتمك من سنام)

سنام تامك، أي مرتفع.

(١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

(أحقد من جمل)

الجمل موصوف بالحقْد في أيام الضراب خاصة .

(أخبط من عشواء)

العشواء: الناقة التي لا تبصر بالليل فتخبط كلَّ شيء تمرُّ به
(أخفَّ حلمًا من بعير)

مأخوذ من قول العباس بن مرداس السلمي :

لقد عظم البعير بغير لبّ فلم يستغن بالعظم البعيرُ
(أخلف من بول الجمل)

من الخلاف، وذلك أن الجمل يبول إلى خلف .
(استنّت الفصال حتى القرعى)

أصله : إن الفصال الصحيحة إذا استنّت (أي عدت) نظرت إليها القرعى
(المصابة بالقرع وهو بثور تخرج في باطن أخفافها) فاستنّت معها فسقطت من
ضعفها .

(استنوق الجمل)

المثل لطرفة بن العبد، ويضرب للرجل الواهن الرأي المخلّط في كلامه .

(أشهر ممن قاد الجمل)

من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة .
(أصول من جمل)

الصولة ها هنا: العضّ ، يقال: صال الجمل، وعقر الكلب.

(أَعْدَةُ كَغْدَةُ الْبَعِيرِ، وَمَوْتَ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ؟)

الغَدَّةُ: طَاعُونَ الْإِبِلِ، وَسَلُولُ: قَبِيلَةٌ مِنْ أَذَلِ الْعَرَبِ. وَالْمَثَلُ لِعَامِرِ بْنِ
الطَّفِيلِ، يَضْرِبُ لِاجْتِمَاعِ نَوْعَيْنِ مِنَ الشَّرِّ.
(أَمَّا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمْلُ)

الْمَثَلُ عَجَزَ بَيْتَ اللَّيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ، صَدْرَهُ (وَإِذَا جُوزِيتَ قَرْضاً فَاجْزِهِ) ،
وَأَخَذَهُ ابْنُ الرُّومِيِّ فَقَالَ:
لَسْتُ أَلْحَاكَ عَلَى مَا سَمَنْتَنِي مِنْ قَبِيحِ الرَّدِّ أَوْ مَنَعَ النِّفْلِ
قَدْ قَضَى قَوْلَ لَيْدٍ بَيْنَنَا أَمَّا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمْلُ
(أَرْغُو لَهَا حَوَارَهَا تَقْرُ)

يَضْرِبُ مَثَلاً لِأَغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ لَيْسَكْنَ، وَالنَّاقَةُ إِذَا سَمِعَتْ رِغَاءَ
حَوَارَهَا سَكَتَتْ. وَيُرْوَى الْمَثَلُ عَلَى وَجْهِ آخَرٍ، وَهُوَ:

(حَرِّكَ لَهَا حَوَارَهَا تَحْنُ)

وَمَعْنَاهُ أَنْ تَذَكَّرَ الرَّجُلُ بَعْضَ أَشْجَانِهِ فَيَهْتَاجَ.
(الذُّودُ إِلَى الذُّودِ إِبِلُ)

الذُّودُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعِشْرَمِنْ إِنْثِ الْإِبِلِ، يُرَادُ أَنَّ الْقَلِيلَ إِذَا جُمِعَ إِلَى
الْقَلِيلِ كَثُرَ.

(ضَرْبُهُ ضَرْبُ غَرَاثِبِ الْإِبِلِ)

يَضْرِبُ مَثَلاً لِشِدَّةِ الظُّلْمِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَكَارِهِ، وَأَصْلُهُ فِي الْإِبِلِ تَرْدُ الْحَوْضِ
وَلَيْسَ لَهَا رَبٌّ يَوْمَنْ وَرَدَّهَا، فَيَضْرِبُهَا أَرْيَابُ الْإِبِلِ الْوَارِدَةُ ضَرْباً شَدِيداً، وَيَذُودُونَهَا
ذِياداً عَنِيفاً.

(عشب ولا بعير)

يضرب مثلاً للرجل له مال كثير، وليس له من ينفقه عليه، أو أن يأتي الشيء في وقت لا ينتفع به، كقول المتنبي:
إذا أردت كميت اللون صافية وجدتها وحبيب القلب مفقود

وقال أبو تمام:
أرض بها عشب جَرَفَ وليس بها ماء وأخرى بها ماء ولا عشب

(العُنوق بعد النوق)

العُنوق جمع عَنَاق: الأنثى من أولاد المعز، ويراد بالمثل: أبعد الخال الجليلة صغر أمركم.

(عودي إلى مباركك)

يعني ارجعي إلى أمرك الأول. قال أبو سفيان بن حرب - لما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة -: كان هذا الأمر في تيم، ثم في عدي وأنى ليتم وعدي هذا الأمر، ثم رجعت الابل إلى مباركها، فاستقر قراره، فتلقفوه تلقف الكرة.

(الفحل يحمي شوله معقولا)

يضرب مثلاً للرجل الغيران الدافع عن حريمه ولو كان مقيداً. والشول الإبل التي قد سالت ألبانها أي ارتفعت، وسالت أذنا بها طلباً للفحل.

(كفى برغائها منادياً)

يضرب مثلاً للشيء تكتفي بمنظره عن تعرف حاله. وأصله أن ضيفاً أناخ بفناء رجل فجعلت راحلته ترغو، فقال الرجل: ما هذا الرغاء؟ أضيف أناخ بنا فلم يعرفنا

مكانه؟ فقال الضيف (كفى برغائها منادياً).

(كلُّ نجارٍ إبِلٍ نجارُها)

يضرب مثلاً لأشياء مختلفة يجمعها أصل واحد . وأصل المثل أنَّ خارباً أغار على ابل من وجوه مختلفة فجاء بها إلى السوق ، فسألوه عن سِمَتِها لتعرف أصولها ، فأنشأ يقول :

تسألني الباعة أين نارها إذ زعزعوها فسمت أبصارها
كلُّ نجارٍ إبِلٍ نجارها وكلُّ دارٍ لأناس دارها

وكل نار العالمين نارها

والخارب : اللص : ، وقد خصَّه الأصمعي بسارق البُعران . والنار : السِّمة

(مثقل استعان بذقنه)

يضرب مثلاً للذليل يستعين بمثله ، وأصله : البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض به فيعتمد بذقنه على الأرض . ويروى (استعان بذقيّه) أي بجنبه .

(هذا أمر لا تبرك عليه الإبل)

ذلك أنَّ الإبل إذا أنكرت الشيء نفرت منه ، فذهبت في الأرض ، ولا يجمعها الراعي إلا بتعب .

(وقعا كركبتي البعير)

يقال ذلك للشيثين المستويين . والبعير إذا أراد البروك وقعت ركبتاه معاً .

(يركب الصعب من لا ذلول له)

يضرب مثلاً لمن يحمل نفسه على الشدائد عندما لا يجد ما يناله بسهولة . والصعب من الإبل : الذي لم يُرَضَّ ، والذلول : البعير السهل المروَّض للركوب .

وقريب من هذا المثل قول الشاعر:
إذا لم يكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطرّ إلا ركوبها
(يا عاقد اذكرُ حلاً)

يضرب مثلاً للنظر في العواقب . وأصله أنّ الرجل يشدّ جملة على بغيره
فيُسرف في الإستيثاق، فيضرب ذلك به وبغيره عند الحلول . وأخذ المثل أبو نواس
فقال:

يا عاقد القلب مني هلاً تذكرت حلاً

مما ورد في الكلام المنثور عن الابل

قال أبو العلاء المعري في رسالته (الصاهل والشاحج) على لسان الصاهل
(الفرس) مخاطباً الشاحج (البغل):

(والابل أكثر افتناناً في الأصوات، لأنّ من أصواتها: الحنين والأصيط
والسجع والتحبُّب والعجيج والجرجرة، والهدر وأصنافه وهي: الفحيح والكتيت
والكشيش والقصف والقرقرة والزَّغْد والشحشحة والقَلْخ . ومن أصواتها الرغاء
والْبُغام . . .)

(أما الناقة فحسبها من قلة اللب أن ولدها يذبح ويحشى جلده من الشام
فتدرّ عليه، وعندها أنّه حوارها . وأما الجمل فأخوها، وهل يكون ابن دعة^(١) إلا
على قدرها، وابنة جهيزة^(٢) إلا من جنسها؟ وحسبك من جهالة أنها تترك مالان من

(١) - دعة، هي مارية بنت معنج توصف بالحمق (أمثال الميداني ٢١٩/١)

(٢) - جهيزة: أم شبيب الحروري تنبز بالحمق أيضاً (الأمثال للميداني ٢١٨ / ١).

المرعى وتختار عليه شوك السعدان وغيره من الشجر والعضاه^(١)، فربما نشبت الشوكة منها في بطن البعير فكانت سبب هلاكه . . .

وقال على لسان الشاحج مخاطباً الجمّل:

(وأدعوربك أن يبلوك بهوى ناقة شارف همّة مشرّمة يفضحك هواها في الابل فتكون في ذلك هُزأةً في البرك وضحكة بين الأكوار، وأقول في مضانّ الاجابة: لا ملأت كرشك من السعدان، ولا شِمت بارق الغيث والصَّيب، ولا رأيت نضرة كلاً عازب، ولا سمعت صوت التلبية، ولا زرت النَّاسَة^(٢) في حجة ولا وقفت بعرفة. وان كنت يمانيّ المولد فلا قدّر لك أن تنظر إلى الفحل سهيل، وإن كان مولدك بالشام فمنعت أن تلمح شاميّ النجوم . . .

(وان خرجت إليّ من حقي فانيّ أغسل الحقد عليك من قلبي وأنتزع مذمتك من لساني، وأحثّ على مودتك نفسي، ولن تستغني عن صديق من ذوات الحافر، كما لا أستغني عن صديق من ذوات الخُفّ، وأدعو الخالق بسعادتك، وأن يُرعيك أنف الكلاء، ويوردك نَمير المساء من غير أن تعارك عليه خَوْماً، ولا تزاحم عليه في موردك عَرَجاً^(٣) بل تنفخ حَباب الحوض أو الغدير لاهياً في شربك متهنياً في ذلك بعَبْكَ ورشفك، لا تخاف من عصاً تقرعك ولا زجريوعك ويزعرك، وأن يُعفى ظهرك من الأعباء فيخلو جثمانك من الجُلب^(٤) والدُّبَر، وتسرح في أرض كثيرة العضاه فيها القتادان الأكبر والأصغر، و السَّلم والطلّح والعُرفط والسَّمُر والشُّبْهان^(٥) - فإن أبا زيد الأنصاري ذكر الشبّهان في جملة العضاه الشاكة ولولا ذلك

(١) - السعدان: نبت من أفضل مراعي الابل له شوك، وفي المثل (مرعى ولا كالسعدان، والعضاه: كل شجر له شوك.

(٢) - النَّاسَة، هكذا بلام التعريف في الصحاح، وفي المعجم (نَاسَة): من أسماء مكة المكرمة

(٣) - الحَوم: القطيع من الابل. والعَرَج: القطيع من الابل، وقد يصل من خمسمائة إلى ألف.

(٤) - الجلب (بالضم) جمع جلبية: قشرة الجرح.

(٥) - العضاه: كل شجر له شوك، ومن أنواعه: القتاد والسلم والطلح والعرفط والسمر والشبّهان.

لم أذكره لك اذ كان غير أبي زيد يزعم أن الشبهان الثمام، أو شجر يشبهه -
ويكون في تلك الأرض ما يعجبك من أصناف الشجر الذي تطرف ورقه،
وتجذب أغصانه، وينقل إليك الله بقدرته قطعة من سعدان توضح فيلقيه في
أرضك لتعاقب^(١) بين أصناف الشجر والنبات، ويرزقك هجمة عوناً وأبكاراً كأنها
عدارى عليها شارة، ومعاصر^(٢) تتخير فيها على عينك تخير أبي قابوس^(٣) في
قيان العراق. هذا إن كنت راغباً في الضراب، فإن لم تكن راغباً في ذلك فهو أبقي
لأيدك وأرجى لبصيرتك وأدنى لرشدك وأجدر بطول عمرك، على أن العمر إلى الله
إن شاء قصر، وإن شاء مد^(٤).

مما قاله الشعراء في الإبل

عبد الله بن المعتز:

وَمَهْلِكَةٌ لَا مَعَ آلِهَا	قَطَعْتُ بِحَرْفِ أُمُونِ الْخُطَا
لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ خُوصِ الْعَسِيبِ	وَأَرْبَعَةٌ تَرْتَمِي بِالْحَصَا
بَنَاهَا الرِّيعُ بِنَاءَ الْكَثِيبِ	سَاقَتْ إِلَيْهِ الرِّيحُ النُّقَا
فَمَا زَالَ يُذِيبُهَا مَا جَدَّ	عَلَى الْأَيْنِ حَتَّى انْطَوَتْ وَانْطَوَى
بِأَرْضٍ تَأُولُ آيَاتِهَا	عَلَى الظَّنِّ يَخْبُطُ فِيهَا الْهُدَى
صَدَعَتْ الْمِطْيَى بِإِرْقَالِهَا	فَمَا أَعْتَذَرْتُ بَيْنَهَا بِالْوَجَى ^(٥)

(١) - التعاقب: التداول، مرتعاً في عقب مرتع.

(٢) - الشارة: الحسن، وجمال الهيئة. اعصرت الجارية أدركت عصر شبابها فهي مُعَصِر. جمعها معاصر ومعاصر.

(٣) - أبو قابوس: النعمان بن المنذر.

(٤) - الصاهل والشاحج / ١٦٣ و ٢٠١ و ٢١٥ - ٢١٧.

(٥) الديوان ١٣/١.

وله أيضاً :

أَنَعْتُ شَذَّ قَمِيًّا تَمَّ كَمَا يَشَاءُ^(١)
تَنَقَّلُهُ أَخْفَافُ كَأَنَّهَا دِلَاءُ
نَيْطَتْ بِهَا أَشْطَانُ قَلْبُهَا الْفَضَاءُ
تَحْسَبُهُ مُقِمًّا وَسَيْرُهُ نَجَاءُ
كَأَنَّهُ شِهَابٌ رَمَتْ بِهِ السَّمَاءُ^(٢)

وقال ذو الرمة :

وَمُنْخَرِقٍ خَاوِي الْمَمَرِّ قَطَعْتُهُ بُمُنْعَقِدٍ خَلَفَ الشَّرَاسِفَ حَالِيَةً^(٣)
يَكَادُ مِنَ التَّصْدِيرِ يَنْسَلُ كُلَّمَا تَرَنَّمَ أَوْ مَسَّ الْعِمَامَةَ رَاكِبُهُ^(٤)
طَوِيلِ النِّسَاءِ وَالْأَخْدَعِينَ شُمْرَدَلٍ مُضْبِرَةٍ أَوْرَاكُهُ وَمَنَاكِبُهُ^(٥)
طَوَى بَطْنَهُ التَّرْجَافُ حَتَّى كَأَنَّهُ هِلَالٌ بَدَا وَانْشَقَّ عَنْهُ سَحَابُهُ
كَأَنَّ يَمَامِيًّا طَوَى فَوْقَ ظَهْرِهِ صَفِيحًا يُدَانِي بَيْنَهُ وَيُقَارِبُهُ
إِذَا عُجْتُ مِنْهُ أَوْ رَأَى فَوْقَ رَحْلِهِ تَحْرُكُ شَيْءٍ ظَنُّ أَنِّي ضَارِبُهُ^(٦)

وقال ديك الجن (عبد السلام بن رغبان):

مَا الْمَطَايَا إِلَّا الْمَنَايَا وَمَا فَرَّقَ شَيْءٌ تَفْرِيقَهَا الْأَحْبَابَا
ظِلٌّ حَادِيَهُمْ يَسُوقُ بِقَلْبِي وَيَرْمِي أَنَّهُ يَسُوقُ الرِّكَّابَا^(٧)

(١) الشدقي : نسبة الى شذقم: فحل للنعمان بن المنذر. ومنه الإبل الشدقييات.

(٢) الديوان ٢/ ٤٩٤.

(٣) الشراسف: أطراف الضلوع.

(٤) التصدير: الحزام على صدر البعير، والترنم: ضرب من الغناء.

(٥) النسا: عرق يستوطن الفخذين حتى ينتهي الى الساقين: الأخدعان: عرقان في القفا. الشمردل:

الطويل. يصف بعيره بالطول.

(٦) الديوان ٤٤/

(٧) الديوان ١٤٩/

وقال الأخطل (غياث بن غوث):

وَمَحْبُوسَةٌ فِي الْحَيِّ ضَامِنَةَ الْقَرَى
مُعَفَّرَةٌ لَا تَنْكُرُ السَّيْفَ وَسَطَهَا
مَرَاذِيحُ فِي الْمَاوَى إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا الرِّيحُ لَمْ تَنْفِثْ لَهَا
إِذَا مَا الدَّمُ الْمُهْرَاقُ أَضْلَعَ حَمْلُهُ
إِذَا مَا بَدَّ بِالْغَيْبِ مِنْهَا عِصَابَةٌ
يَطْفَنُ بِزَيَافٍ كَأَنَّ هَدِيرَهُ
تَرْدُ عَلَى الظَّمِيءِ الطَّوِيلِ نِطَافَهَا
كَأَنَّ لَهَا فِي بِلَاعِيمِ جَنَّةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْقَتَادُ تَجَزَعَتْ
تُحْطِمُهُ تَحْتَ الْجَلِيدِ فُؤُوسُهَا

إِذَا اللَّيْلُ وَاغَاها بِأَشَعَتْ سَاغِبٌ^(١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَسٌ لِحَالِبٍ^(٢)
تُطِيفُ أَوَابِيهَا بِأَكْلَفٍ ثَالِبٍ^(٣)
وَإِنْ أَصْبَحَتْ شَهْبُ الدُّرَى وَالْغَوَارِبِ
وَنَابَ رَهْنَاهَا بِأَغْلَى النُّوَابِ^(٤)
أَوْتِنَ لَهُ مَشْيِ النِّسَاءِ اللُّوَاغِبِ^(٥)
إِذَا جَاوَزَ الْحَيْزُومَ تَرْجِيعُ قَاصِبٍ^(٦)
إِذَا شَوَتْ الْجُوزَاءُ وَرَقَ الْجَنَادِبِ^(٧)
وَأَشْدَاقَهَا السُّفْلَى مَغَارُ الثَّعَالِبِ
مَنَاجِلُهَا أَصَلَ الْقَتَادِ الْمُكَالِبِ^(٨)
إِذَا قَنَّعَ الْمَشْتَا أَكْفَ الْحَوَاطِبِ^(٩)

(١) يريد الابل المحبوسة لقرى الضيف. المتعب الجائع.

(٢) المعس: المطلب.

(٣) المرازيح: الساقطة هزلاً. وقال محقق الديوان: لعلها (مراديع) بالبدال المهملة، وهي الثقياء في مبركها. الأوابي: التي أبت الفحل. الأكلف من الابل: في حمرة لونه كلف. الثالب: البعير المسن.

(٤) كانوا يعدّون إبلهم للديات والرهائن في النوايب العظيمة، لان الخصوم لا يقبلون في الديات إلا كرائم الإبل.

(٥) الغيب هنا: الأرض الواطئة.

(٦) القاصب: الزامر.

(٧) نطافها: القليل من الماء الباقي في أجوافها. الجنادب: صغار الجراد. الورق: التي لونها لون الرماد.

(٨) التجزيع: التقطيع، والتكسير. يريد بمناجلها: أنيابها. المكالب: صفة للقتاد.

(٩) استعار الفؤوس للاضراس. قنّع، بمعنى غشى.

كَأَنَّ عَلَيْهَا الْقَسْطَ لَانِي مُحْمَلًا إِذَا مَا اتَّقَتْ شَفَانَهُ بِالْمَنَاكِبِ (١)

ولعبد الله بن المعتز:

لَنَا وَفْرَةٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا وَلَا دَعَرَتْهَا فِي الصُّبْحِ الصَّوَائِحُ (٢)
تَقْسِمُهُنَّ الْحَمْدُ إِلَّا بَقِيَّةً تُرَدُّ عَلَيْنَا حِينَ تُخْشَى الْجَوَائِحُ
إِذَا غَدَرَتْ أَلْبَانُهَا بِضُيُوفِهَا وَفَتْ بِالْقَرَى خَيْرَاتُهَا وَالصَّفَائِحُ
وَقَيْدَهَا بِالنَّصْلِ خِرْقٌ كَأَنَّهُ إِذَا جَدَّ لَوْلَا مَا جَنَى السَّيْفُ مَا زُحْ
كَأَنَّ أَكْفَ الْقَوْمِ فِي جَفَنَاتِهِ قَطَأٌ لَمْ يُنْفَرَهُ عَنِ الْمَاءِ سَارِحُ (٣)

وقال طرفة بن العبد :

وَانِي لِأَمْضِي الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي (٤)
أُمُومٍ كَالْوَاخِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرُ بُرْجِدٍ (٥)
جَمَالِيَّةٍ وَجَنَاءَ تَرْدِي كَأَنَّهُا سَفْنَجَةٌ تَبْرِي لِأَزْعَرَ أَرْبَدٍ (٦)
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعْتُ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبِّدٍ (٧)
تَرَبَّعَتِ الْفَقِينِ بِالشُّوْلِ تَرْتَعِي حَدَائِقَ مَوَلِيٍّ الْأَسِرَّةِ أَغْيَدٍ (٨)

(١) الدويون / ٥٦ . القسطلاني : ثوب من القُطف منسوبة الى قسطله : مدينة بالأندلس . الشفان : برد مع ريح .

(٢) يريد بالوفرة : الإبل الكثيرة .

(٣) ديوان ابن المعتز ٧٦/١ .

(٤) العوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لنشاطها .

(٥) الأران : الثابت . نصاتها : ونسائها : بمعنى زجرتها وحملتها على البرجد : كساء مخطط ، شبه

به الطريق الواضح .

(٦) تردى : تعدو . السفنجة : النعامة تبرى : تعرض . الأزعر : قليل الشعر .

(٧) العتاق : كرام الإبل . الناجيات : المسرعات . يريد اتبعت الناقة وظيف يديها وهو ما بين الرسغين إلى الركبتين - وظيف رجلها - وهو ما بين الرسغين إلى العرقوبين - المور : الطريق .

(٨) تربعت : رعت الربيع . القف : ما ارتفع من الأرض . الشول : التي جفت البانها . المولي : الممطور بالولي .

تَرِيحُ إِلَى صَوْتِ الْمُهِيبِ وَتَتَّقِي
 كَأَنَّ جَنَاحِي مَضْرَحِي تَكْنُفَا
 فَطَوْرًا بِهِ خَلَفَ الزَّمِيلِ وَتَارَةً
 لَهَا فَخْذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضُ فِيهِمَا
 وَطَيَّ مَحَالٍ كَالْحَنِيِّ خُلُوفُهُ
 كَأَنَّ كِنَاسِي ضَالَّةٍ يَكْنُفَانِهَا
 لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا
 كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا
 صُهَابِيَّةُ الْعُثْنُونِ مُوجَدَةُ الْقَرَا
 أَمَرَتْ يَدَاهَا قَتَلَ شَرْزٍ وَأُجْنِحَتْ
 جَنُوحُ دُفَاقٍ عِنْدَلْ ثُمَّ أَفْرِعَتْ
 بِذِي خُصَلٍ رَوَعَاتٍ أَكْلَفَ مُلْبِدٍ^(١)
 حِفَافِيهِ شُكَّا فِي الْعَسِيبِ بِمَسْرَدٍ^(٢)
 عَلَى حَشِيفٍ كَالشَّنِّ ذَاوٍ مُجَدِّدٍ^(٣)
 كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرِّدٍ^(٤)
 وَأَجْرِنَةً لُزْتُ بِدَائِي مُنْضِدٍ^(٥)
 وَأَطَرَ قِيسِي تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيِّدٍ^(٦)
 تَمَرٌ بِسَلَمِي دَالِجٍ مُتَشَدِّدٍ^(٧)
 لِنُكْتَنَفَنَ حَتَّى تَشَادَ بِقَرْمَدٍ^(٨)
 بَعِيدَةً وَخَذِ الرَّجُلِ مَوَارَةَ الْيَدِ^(٩)
 لَهَا عَضْدَاهَا فِي سَقِيفٍ مُسْنَدٍ^(١٠)
 لَهَا كَيْفَاهَا فِي مُعَالِيٍّ مُصْعَدٍ^(١١)

- (١) تريح : ترجع . المهيب : الذي يصبح بها وهو راعيها . الأكلف فحلها . الملبد : الفحل الذي يضرب بذنبه ظهره من الهياج .
- (٢) المضرحي : النسر . الحفاف : الجانب . العسيب عظم الذنب . المسرد : المخصف .
- (٣) الزميل : الرديف . الحشف : خلف الناقة الذي جف لبنه . الشن : القربة . المجدد : الداهب اللبن .
- (٤) النحض : اللحم . المنيف : يريد القصر العالي . الممرّد : المملّس .
- (٥) المحال : فقار الظهر . الحني : القسي . الخلوف : الأضلاع . الأجرة ، جمع الجران : باطن العنق الدأي : خرز الظهر .
- (٦) الكناس : بيت يتخذة الوحش . الضال : ضرب من الشجر . الأطر : العطف .
- (٧) السلم : الدلو لها عروة واحدة . الدالج : الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض .
- (٨) الاكتناف : الكون في أكتاف الشيء ، وهي نواحيه . القرمد : الأجر .
- (٩) الصهابية : التي يضرب لونها إلى الحمرة العثنون : شعرات تحت لحي الناقة الأسفل الموجودة : المقوّة ، والايجاد : التقوية . القرا : الظهر . المّوّارة : السريعة الخطو .
- (١٠) أمرّت يداها : أحكم قتلها . والقتل نوعان : شزر ، وهو القتل إلى خارج ، ويسر وهو القتل إلى الصدر . السقيف : السقف . المسند : الذي اسند بعضه إلى بعض .
- (١١) الجنوح : التي تنجح في سيرها لنشاطها . الدفاق : المتدفقة في سيرها . الضخمة الرأس .

- كَانَ غُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَائِيَاتِهَا مَوَارِدُ مِنْ خَلْقَاءَ فِي ظَهْرِ قَرَدٍ^(١)
تَلَاقَى وَأَحْيَاناً تَبِينُ كَأَنَّهَا بَنَائِقُ غُرٍّ فِي قَمِيصٍ مُقَدَّدٍ^(٢)
وَأَتْلَعَ نَهَاضٌ إِذَا صَعِدَتْ بِهِ كُسْكَانِ بُوصِيٍّ بِدَجَلَةٍ مُصْعِدٍ^(٣)
وَجُمُجْمَةٍ مِثْلُ الْعَلَاةِ كَأَنَّمَا وَعَى الْمُلتَقَى مِنْهَا إِلَى حَرْفٍ مَبْرَدٍ^(٤)
وَنَحْدُ كَقِرْطَاسِ الشَّامِيِّ وَمِشْفَرٍ كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدُّهُ لَمْ يُجْرَدٍ^(٥)
وَعَيْنَانِ كَالْمَاوِيَّتَيْنِ آسَكْتَنَا بِكَهْفِي حَجَاجِي صَخْرَةٍ قَلَّتْ مَوْرِدُ^(٦)
طُحُورَانِ عُوَارَ الْقَدَى فَتَرَاهُمَا كَمَكْحُولَتِي مَدْعُورَةٍ أَمْ فَرْقَدٍ^(٧)
وَصَادِقَتَا سَمْعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرَى لِهَجْسٍ خَفِيٍّ أَوْ لِبَصَوْتٍ مُنْدَدٍ^(٨)
مُؤَلَّلَتَانِ تَعْرِفُ الْعِتْقَ فِيهِمَا كَسَامِعَتِي شَاةٍ بِحَوْمَلٍ مُفْرَدٍ^(٩)
وَأَرْوَعُ نَبَاضٍ أَحَدُ مُلْمَلَمٍ كِمِرْدَاتِ صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ مُصَمِّدٍ^(١٠)
وَأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الْأَنْفِ مَارِنٌ عَتِيقٌ مَتَى تَرْجُمَ بِهِ الْأَرْضُ تَزْدَدُ^(١١)

- (١) العلوب: الأثار من ضرب أو شد حبل. الدأيات: ضلوع الصدر. الخلقاء: الملساء ويريد صخرة ملساء. القرد: الأرض الغليظة الصلبة.
(٢) البنائق، جمع البنيقة: دخرصة القميص وهي زيقة. المقلد: المشقق.
(٣) البوحى: ضرب من السفن.
(٤) العلاة: سندان الحداد. وعى العظم: اجتمع وتماسك واجتبر.
(٥) السبب: جلود البقر المدبوعة. التجريد: اضطراب القطع وتفاوته.
(٦) الماوية: المرأة. الحجاج (بالكسر): العظم المشرف على العين. القلت: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء.
(٧) طحرت العين قذاها فهي طحورة. الفرقد: ولد البقرة الوحشية.
(٨) التوجس: التسمع: الهجس: الحركة. التنديد: رفع الصوت.
(٩) مؤللتان: محدثتان كتحديد الآلة وهي الحربة. العتق: الكرم والنجابة. الشاة: هنا: الثور الوحشي.
حومل: موضع بعينه.
(١٠) النباض: الكثير الحركة. الأنحد: الخفيف السريع الململم: المجتمع الخلق، والشديد الصلب. المرادة: الصخرة التي تكسر بها الصخور. الصفيحة. الحجر المريض: المصمّد: المحكم الموثق.
(١١) الأعلم: المشقوق الشفة العليا. المخروت: المثقوب. المارن: ملان من الأنف.

وإن شئت لم تُرَقِّلْ وإن شئت أرقلتُ
وإن شئت سامي واسيط الكور رأسها
على مثلها أمضي إذا قالصاحبي
مخافة ملوي من القدِّ مُحَصِّدٍ^(١)
وعامت بضبعيها نجاء الحَفِيدِ^(٢)
ألا ليتني أفديك منها وأفتدي^(٣)

وقال المثقب العبدى (عائد بن محصن بن ثعلبة)

هل عند غانٍ لفؤادٍ صَدِ
يُجْزَى بها الجازون عني ولو
قالت ألا لا يشتري ذاكم
إلا بِبَدْرِي ذَهَبٍ خالِصٍ
من مالٍ مَنْ يَجْبُو وَيُجْبَى له
أو مائة تجعل أولادها
إذ لم أجد حَبلاً له مرّة
حتى تُلَوِّفِتْ بِلُكِّيَّةٍ
تُعْطِيكَ مَشِيّاً حَسْناً مرّة
من نهلة في اليوم أوفي غدٍ^(٤)
يُمنع شربي لَسَقَتْنِي يَدِي
الأ بما شئنا ولم يوجد
كل صباحٍ آخر المُسْنَدِ^(٥)
سَبْعُونَ قِنطاراً من العَسَجِدِ
لَغْوَاً وَعَرْضُ المائة الجَلْمَدِ^(٦)
إذ أنا بين الخَلِّ والأوبِدِ^(٧)
مَعْجَمَةِ الحارِكِ والمَحْفِدِ^(٨)
حُكَّكٍ بِالْمُرُودِ والمُحْصِدِ^(٩)

(١) الملوِي: يريد السوط. القد (بالكسر): السير يقَدُّ من جلد المحصد: المحكم.

(٢) الضَّيْع: العضد. النجاء: الاسراع، الخفيدد. الظليم وهو ذكر النعام.

(٣) ديوان طرفة ٢٢، وشرح القصائد السبع الطول للأنباري ١٤٩.

(٤) يريد بـ (غان): غانية، فحذف.

(٥) بدري ذهب: يريد بدرتي ذهب، والبدره كيس فيه بين ألف وعشرة آلاف المسند: الدهر.

(٦) يريد بالأوبد بدرتي ذهب، أو مائة من الإبل لا تحسب أولادها معها. عرض المائة (بضم العين): قوتها وصلايتها. في البيت اقواء.

(٧) الحبل (هنا): العهد. المدة: القوة. الخل (بالتفتح) والأوبد: موضعان مخيفان.

(٨) تلوفيت: تدوركت. اللكِّيَّة: الناقة المكتنزة اللحم. المعجم: الصلب. الحارك: موصل الظهر بالعنق. المحفد: أصل السنام.

(٩) المرود: حديدة تدور في اللجام. المحصد (بضم الميم): الحبل أحكم فتله، يريد السوط.

- يُنْبِي تَجَالِيدِي وَأُفْتَادَهَا نَاوِ كَرَأْسِ الْفَدَنِ الْمُوَيْدِ^(١)
عَرَفَاءَ وَجَنَاءَ جُمَالِيَّةِ مُكَرَبَةً أَرْسَاغَهَا جَلْعِدِ^(٢)
تَنْمِي بِنَهَاظٍ إِلَى حَارِكِ ثُمَّ كَرَكِنَ الْحَجَرِ الْأَصْلَدِ^(٣)
كَأَنَّمَا أُوبُ يَدِيهَا إِلَى حَيَزُومِهَا فَوْقَ حَصَا الْفَدْفَدِ^(٤)
نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكِ تَنْدُبُهُ رَافِعَةَ الْمَجْلَدِ^(٥)
كَلَفْتُهَا تَهْجِيرَ دَاوِيَّةِ مِنْ بَعْدِ شَاوٍ لَيْلِهَا الْأَبْعَدِ^(٦)
فِي لَاجِبٍ تَعْرِفُ جَنَائِهِ مُنْفَهَقِ الْقُقْرَةِ كَالْبُرْجِدِ^(٧)
تَكَادُ إِنْ حُرِّكَ مِجْدَافُهَا تَنْسَلُ مِنْ مَثْنَاتِهَا بِالْيَدِ^(٨)
لَا يَرْفَعُ الصَّوْتُ لَهَا رَاكِبُ إِذَا الْمَهَارَى خَوَّدَتْ فِي الْبَدِي^(٩)
تَسْمَعُ تَعَزَافاً لَهُ رَنَّةٌ فِي بَاطِنِ الْوَادِي وَفِي الْقَرْدَدِ^(١٠)
كَأَنَّمَا أَسْفَعُ ذُو جُدَّةِ يَمْسُدُهُ الْبَقْلُ وَلَيْلُ سَدِي^(١١)
مُلَمَّعُ الْخَدَّيْنِ أُرْدِفَتْ أَكْرَعُهُ بِالزَّمْعِ الْأَسْوَدِ^(١٢)

(١) تجاليد الانسان: مجموع جسمه، لا واحد لها. ناو: سمين، ويريد: سنام ناو. الفدن: القصر

المشيد. المويدي (بكسر الياء): العظيم، وروي (بفتح الياء): المشدد.

(٢) عرفاء: طويلة العرف، وهو شعر العنق. جمالية: تشبه الجمل في خلقها. مكربة: موثقة، مشدودة، جلد: صلبة قوية.

(٣) بنهاض: يريد العنق، وقد شبهه بركن الحجر الأملس. الحارك: أعلى الكاهل، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

(٤) أوب يديها: سرعة تقلبهما، حيزومها: صدرها.

(٥) ابنة الجون: نائحة من كندة. المجلد (كمنبر): جلدة تمسكها النائحة بيدها.

(٦) التهجير: السير في الهاجلة: الداوية: المغازة.

(٧) المجداف: مجداف السفينة، يريد به السوط على التشبيه. يريد بالمشاة: الزمام.

(٨) التخويد: اهتزاز البعير في السير. البدّي: ابتداء السير، وخفف الياء لاستقامة الوزن.

(٩) التعزاف (هنا) صوت الحجارة التي تقذفها بيديها. القردد: ما غلظ من الأرض وارتفع.

(١٠) الأسفع: الثور الوحشي في وجهه فقط سود تضرب إلى الحمرة. الجدة (بالضم): خطة في ظهر

الثور تخالف لونه. يمسده البقل: يجرئه عن الماء. ليل سيد: ندى. شبه ناقته بالثور الوحشي قوة

وسرعة سير وأعطاه من صفاته الأخرى التي سيذكرها في الآيات الآتية.

(١١) الملمع: المنقطة بلون يخالف لونه. الزمع: الشعر المدلى خلف الضلف.

كأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي بَرْقَعٍ
يُصِيخُ لِلنَّبَاةِ أَسْمَاعُهُ
ضَمَّ صِمَاخِيهِ لِنُكْرِيَّةٍ
وَأَنْتَصَبَ الْقَلْبُ لِتَقْسِيمِهِ
يَتَّبَعُهُ فِي إِثْرِهِ وَاصِلُ
تَنْحِيسُ الْغَمْرِ عَنْهُ كَمَا
سَاطِ إِلَى الْعَلِيَا إِلَى الْمُتَهَيِّ
فِي بَلْدَةٍ تَعْرِفُ جَنَانُهَا
فَذَاكَمُ شَبَّهْتُه نَاقَتِي
وقال عمر بن أبي ربيعة

وَقَمْتُ إِلَى عَنَسٍ تَخُونُ نِيَّهَا
وَحَبْسِي عَلَى الْحَاجَاتِ وَحَتَّى كَأَنَّهَا
وَمَاءٌ . بِمَوَاةٍ قَلِيلٍ أُنَيْسُهُ
بِهِ مُبْتَنًى لِلْعَنَكَبُوتِ كَأَنَّهُ
وَرَدْتُ وَمَا أَذْرِي أَمَا بَعْدَ مَوْرِدِي
سُرَى اللَّيْلِ حَتَّى لَحَمَهَا مُتَحَسِّرُ^(٦)
بَقِيَّةُ لُوحٍ أَوْ شِجَارٍ مُؤَسِّرِ^(٧)
بَسَاسٍ لَمْ يَحْدُثْ بِهِ الصَّيْفَ مَحْضَرُ^(٨)
عَلَى طَرْفِ الْأَرْجَاءِ خَامٍ مُنْشَرُ^(٩)
مِنَ اللَّيْلِ أَمْ مَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَكْثَرُ

(١) الروق : القرن. السلب : الطويل، أو سريع الطعن. يذود : آلة الذود يدفع به.
(٢) الخلب : حبل من ليف أو من قطن. الأجرد : الخلق.
(٣) ساط : راكب رأسه في السير. وأصل ذلك في الفرس. العليا والمتهى : لعلهما موضعان.
المستعرض : الذي يأتي الشيء من جانبه. عضد الركائب : أتاها مرة عن يمينها ومرة عن يسارها.
(٤) الخناطيل، جمع خنطولة (بالضم) : القطعة من سائر الدواب. الرود : التي تروح وتجيء الواحدة : رائدة.
(٥) القصيدة من كتاب رغبة الأمل للمرصفي ٥٥/٢.

(٦) العنس : الناقة القوية تخون نبيها : تنقص شحمها. المتحسر : المتكشف.
(٧) اللوح : الصفحة العريضة من الخشب. الشجار : مركب دون الهودج . مؤسر : مشدود.
(٨) الموماء : الصحراء : البساس : القفار، واحدها بسبس .
(٩) الخام : الجلد الذي لم يدبغ .

فَقُمْتُ إِلَى مِغْلَاةٍ أَرْضٍ كَانَهَا
تُنَازِعُنِي جَرِصاً عَلَى الْمَاءِ رَأْسَهَا
مُحَاوِلَةً لِلْمَاءِ لَوْلَا زَمَامُهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ الضَّرَّ مِنْهَا وَأَنْنِي
قَصَرْتُ لَهَا مِنْ جَانِبِ الْحَوْضِ مُنْشَأً
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ فَلَيْسَ لِمُلْتَقِي
وَلَا دَلْوٍ إِلَّا الْقَعْبُ كَانَ رِشَاءَهُ
فَسَافَتْ وَمَا عَافَتْ وَمَا رَدَّ شُرْبُهَا
إِذَا التَفَتْتُ مَجْنُونَةٌ حِينَ تَنْظُرُ^(١)
وَمِنْ دُونِ مَا تَهْوَى قَلِيبٌ مُعَوَّرُ^(٢)
وَجَذْبِي لَهَا كَادَتْ مِرَاراً تَكْسَرُ
يَبْلَدَةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مُعَصَّرُ^(٣)
جَدِيداً كَقَابِ الشُّبْرِ أَوْ هُوَ أَصْغَرُ^(٤)
مَشَافِرُهَا مِنْهُ قَدَى الْكَفِّ مُسَارُ^(٥)
إِلَى الْمَاءِ يُسَعِّ وَالْأَدِيمُ الْمَضْغَرُ^(٦)
عَنِ الرَّيِّ مَطْرُوقٌ مِنَ الْمَاءِ أَكْذَرُ^(٧)

وقال الراعي النميري :

وَلَا تُعْجَلِ الْمَرَّةَ قَبْلَ الْبُرُوءِ
وَهِيَ إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا
وَمُضْغِيَّةٌ خَدُّهَا بِالزَّمَا
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى طَبَّقَتْ
كِ وَهِيَ بِرُكْبَتَيْهِ أَبْصَرُ
كَمِثْلِ السِّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
مِ فَالرَّأْسُ فِيهَا لَهُ أَصْعَرُ
كَمَا طَبَّقَ الْمِسْحَلُ الْأَغْبَرُ^(٨)

(١) المِغْلَاةُ، من غلت الدابة في سيرها: أسرع.

(٢) القليب المعوَّر: البئر التي في حافاتها خلل، أو في مائها كدورة.

(٣) المعصَّر: المملجأ، والمنجاة.

(٤) المنشأ: العلامة. كقَابِ الشُّبْرِ: كمقدار الشبر.

(٥) شرعت الدابة في الماء: دخلت فيه. قَدَى الْكَفِّ: قدره. المسار من السُّور: البقية.

(٦) القعب (بالفتح): القدح الضخم، وقيل: الذي يروي الرجل. النسع: جبل من جلد. الأديم: الجلد، وفي رواية (والجديل المضغَر).

(٧) سافت الماء: شمتته. الماء المطروق: الكدر، والذي تبول فيه الإبل وتبعر. الأبيات من الديوان

١٠١.

(٨) طبقت الناقة الطريق: قطعت غير مائلة عن القصد. وطبق الفرس: قَرَّبَ في العدو. المسحل

الأغبر؛ حمار الوحش. القطعة من الديوان ٧٢/ و ٧٣.

وقال [ابن] شرشير. (الناشيء الأكبر عبد الله بن محمد الأنباري) :

على جَسْرَةٍ لا يُدْرِكُ الطَّرْفُ شَأُوهَا إذا جَدَّ مِنْ نَصِّ الوَجِيفِ دُمُورٌ^(١)
مُوثَقَةٌ لَمْ يَنْحَضِ الْبَيْدُ لَحَبَهَا قَوَائِمُهَا فَوْقَ الصُّخُورِ صُخُورٌ
تُفْتَقُ عَنْ ذَاتِ الْوَحَادِ جُرُومُهَا وَلَا يَبْلُغُ الرُّكْبَانُ حَيْثُ تُغَيَّرُ
مُضَبَّرَةٌ جَلَسَ فَأَمَّا عِظَامُهَا فَرَصَفَتْ وَأَمَّا لِيُطَهَا فَخَيْرٌ^(٢)
كَأَنِّي إِذَا عَالَيْتُ جَوْرَةً مَتْنِهَا عَلَى عُلوِّيَّاتِ الرِّيَّاحِ أَسِيرٌ^(٣)

وقال أبو نواس:

وَلَقَدْ تَجُوبُ بِنَا الْفَلَاةَ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتْ الْعُقُرُ^(٤)
شَدْنِيَّةٌ رَعَتِ الْحِمَى فَأَتَتْ مِلءَ الْجَالِ كَأَنَّمَا قَصُرُ
تَثْنِي عَلَى الْحَادِثِينَ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشُّدْرَانُ وَالْخَطَرُ^(٥)
أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِذَةٌ فَتَقُولُ رَنَقٌ فَوْقَهَا نَسْرُ^(٦)
أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ عَارِضَةٌ فَتَقُولُ أُرْخِي فَوْقَهَا سِتْرُ
وَتَسِفُ أَحْيَانًا فَتَحَسِبُهَا مَتَرَسِّمًا يَقْتَادُهُ أَثَرُ
فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامُ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ يَلْطَمُ حُرُ^(٧)
فَكَأَنَّمَا مُصْغٍ لَتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ بِأَذْنِهِ وَقُرُ

-
- (١) الجسرة : المقدامة على سلوك الأوعار. الدمور: الحث على الأمر .
(٢) المضبرة: المكتنزة اللحم. المجلس: الناقة الجسيمة. الليط - هنا : الجلد.
(٣) الأبيات من الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧٥/١ ، وفيه لقب الشاعر (شرشير) والتصويب من وفيات الأعيان ومصادر أخرى.
(٤) قالت: من القيلولة: النوم في القائلة أي نصف النهار. العفر: الظباء.
(٥) الحاذان تشنية الحاذ: ظاهر الفخذ. ذو الخصل: الذئب. يريد بالشدران. والخطر: ضرب الناقة بذنبها يميناً وشمالاً.
(٦) الشامذة التي تشيل ذنبها نشاطاً. رنق الطائر: خفق بجناحيه ولم يطر.
(٧) المقادم: مقادم الرجل الملطم: الخد.

تَنْفِي الشَّدَا عَنْهَا بِذِي خُصَلٍ وَخَفِ السَّبَبِ يَزِينُهُ الضَّفَرُ^(١)
تَتَرَى لِانْفَاضٍ أَخْرَبَهَا جَذْبُ الْبُرَى فَخَذُوذُهَا صِفَرُ^(٢)
يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَبَاعَتَبُهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فِكْلا كَمَا بَحْرُ^(٣)

وقال العباس بن مرداس، وقيل لكثير عزة، وقيل لغيرهما، وهي للأول أشهر:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسْرُ مَزِيرُ^(٤)
وَيُعْجِبُكَ الطَّيْرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلَ الطَّيْرُ
فَمَا عَظُمَ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ
ضِعَافُ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جُسُومًا وَلَمْ تَطُلِ الْبَزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
بُغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِعْلَاةٌ نَزُورُ
لَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَعْنِ بِالْعِظَمِ الْبَعِيرُ
يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِ وَيَحْسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ^(٥)
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَأَنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرُ^(٦)

(١) الشدا: الذباب. وحف السبيب: غزير الشعر ويريد ذنب الناقة.

(٢) تترى: تتراخى. الانفاض: الهزل. البرى، جمع البرة حلقة توضع في وتره أنف البعير يده بها الزمام. صفر: خالية، ويريد خالية من اللحم لهزالها.

(٣) الديوان ٤٧٨/ و ٤٧٩.

(٤) مع ان في مقدمة القطعة ابيات لا تخص موضوعنا فقد أثرت أثباتها كلها لطرافتها.

(٥) الجرير: حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة.

(٦) عن ديوان الحماسة لأبي تمام. القطعة (٤١٩) ص/ ١١٥٣، ووردت في أمالي القاضي ٤٧/١ وزهر الآداب ٣٥٥/١ مع اختلاف في النسبة والرواية.

وقال الشريف البياضي^(١):

نُوقُ تَراها كَالسَّفِي ن إذا رَأَيْتَ الآلَ بَحْرا
كَتَبَ السَّجَا بِدِمايها في مُهَرَّقِ البَيْداءِ سَطْرا^(٢)
لا تَسْتَكِينُ مِنَ اللُّغُو ب إذا ولا يَعْرفُنْ زَجْرا
وكانَ أَرْجُلَهُنَّ تَط لَبُ عندَ أَيْدِيَهُنَّ وترا^(٣)

وقال البحتري :

وإذا ما تَنَكَّرْتَ لي بِبلادٍ وَخَلِيلٌ فَإِنِّي بِالْخِيارِ
وَخَدانُ القِلاصِ حُولا إذا قا بَلَنَ حُولا من أنْجَمِ الأَسْجارِ
يَتَرَقِّقَنَّ كَالسَّرابِ وَقَدْ خَضَّ ن غِمَارا من السَّرابِ الجاري
كَالقِسيِّ المُعْطَفاتِ بَلِ الأَسَدِ هُم مَبْرِيَّةٌ بَلِ الأوتارِ^(٤)

وقال ابن عبد ربّه (أحمد بن محمد) (٤٠).

نَعَبَ الغُرابُ فَقُلْتُ أَكْذَبُ طائِرٍ إِنْ لَمْ يُصَدِّقْهُ رُغَاءُ بَعِيرٍ
رَدُّ الجِمالِ هو المَحْققُ لِلنَّوى بَلْ شَرُّ أَحْلاسٍ لَهْنٌ وَكُورٍ^(٥)

وقال السيد محمد سعيد الحبوبي^(٦):

يا راکِبا ذاتَ لُوثٍ في مَناسِبيها رُقَيَّ تَقِيها سُهَامَ الأَينِ والضَّجَرِ^(٧)

(١) نهاية الأرب ١١٧/١٠.

(٢) المهرق، والمهراق (بالضم): صحيفة بيضاء يكتب فيها (فارسي معرب) .

(٣) ديوان البحتري ٩٨٧/٢.

(٤) العقد الفريد ٣٤٨/٥.

(٥) الردّ (بكسر الراء): الظهر والحمولة للإبل.

(٦) ديوانه ٢٩١/١.

(٧) اللوث (بضم اللام): القوة، والاسترخاء (من الأضداد) والأول هو المقصود.

حَرْفُ أَبُوهَا ظَلِيمٌ فِي مَنَاسِيهِ
فَخَلَقُهَا بَرَزْخٌ مَا بَيْنَ ذَاكَ وَذِي
وَاعْجَبَ لَهَا ذَاتُ أَخْفَافٍ وَأَجْنِحَةٍ

وقال محمود سامي البارودي :

وَرَوْعَاءُ الْمَسَامِعِ مَا تَمَطَّتْ
خَرَجْتُ بِهَا عَلَى الْبَيْدَاءِ وَهْنًا
تُقَلِّبُ أَيْدِيًا مُتَسَابِقَاتٍ
مَدَدْتُ زِمَامَهَا وَالصَّبْحُ بَادٍ
فَمَا بَلَغَتْ مَغِيبَ الشَّمْسِ حَتَّى
أَحَالَ السَّيْرُ جِرَّتَهَا رَمَادًا
وَمَا كَانَتْ لِتَسَامَ غَيْرَ أَنِّي
هَتَكْتُ بِهَا سُتُورَ اللَّيْلِ حَتَّى

يَحْمَلُ بَيْنَ سَائِمَةٍ مَخَاضٍ (٢)
خُرُوجَ اللَّيْلِ مِنْ سَدَفِ الْغِيَاضِ
إِلَى الْغَايَاتِ كَالنَّبْلِ الْمَوَاضِي
فَمَا كَفَكَفْتُهَا وَاللَّيْلُ غَاضِي (٣)
أَضَافَتْ آتِيًا مِنْهُ بِمَاضِي
فَرَاخَتْ وَهِيَ خَاوِيَةٌ الْوِفَاضِ (٤)
رَمَيْتُ بِهَا اعْتِزَامِي وَاعْتِرَاضِي
خَرَجْتُ مِنَ السَّوَادِ إِلَى الْبَيَاضِ (٥)

وقال ابن حمديس (عبد الجبار بن أبي بكر الصقلي):

وَمِنْ سُفْنِ الْقَفْرِ سَبَّاحَةٌ
لَهَا شَرَّةٌ لَا تُبَالِي بِهَا
إِذَا خَفَقَ الْبَرْدُ بِي خِلْتَنِي
وَأِنْ يُعْرِضُ الْبَعْضُ عَنْ سِيرهَا

مِنْ آلَالٍ بَحْرًا إِذَا مَا أَعْتَرَضَ
أَطَالَ لَهَا سَبَبٌ أَمْ عَرَضَ
عَلَى كُورِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ
تَرَى الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ

(١) الحرف: الناقة الضامرة الصلبة . الصعر (بالتحريك) ميل في الخد والعنق . والنعام صعر خلفة ، والابل تصاعر في البرى .

(٢) الروعاء: الناقة الحديدة الفؤاد . المخاض: الحوامل من الأبل .

(٣) غاضي: من غضا الليل يغضو غضوا: أظلم ، أو ألبس ظلامه كل شيء .

(٤) الجرة (بالكسر): ما يجتره البعير . الرماد - هنا - كناية عن ذهاب الشيء وفناؤه .

(٥) ديوان البارودي ١٦٠/٢ .

فَلَوْ عَوْضَ الْمَرْءِ مِنْهَا الصَّبَا
هِيَ الْقَوْسُ إِنِّي لَسَهْمٌ لَهَا
إِذَا أَنْبَسْتُ لِلْسَرَى أَيَّاسْتُ
لَمَّا رَضِيتَ نَفْسَهُ بِالْعَوْضِ
أَصِيبُ بِكُلِّ فَلَاقٍ غَرَضُ
سَنَا الْبَرَقَ مِنِّي أَوْ تَنْقِضُ^(١)

وقال علي بن الجهم :

بِخَيْفَانَةٍ كَالْقَصْرِ وَجَنَاءِ حُرَّةٍ
مُذَكَّرَةٍ خَرَقَاءَ مُضَبَّرَةِ الْقَرَا
كَأَنِّي وَرَحْلِي فَوْقَ أَحَقَبَ لَاحَهُ
نَمَتْهَا مِنَ النُّوقِ الْهَجَانِ الْخَوَانِفُ^(٢)
يَفُوتُ يَدَ الْعَادِيِّ مِنْهَا الْمَشَارِفُ
طِرَادُ جِيَادٍ وَقَعَهَا مُتْرَاصِفُ^(٣)

وقال كعب بن زهير:

أَمَسْتُ سُعَادَ بَارِضٍ لَا يُبْلَغُهَا
وَلَنْ يُبْلَغُهَا إِلَّا عُدَافَرَةٌ
مِنْ كُلِّ نَضَاحَةِ الذُّفْرِيِّ إِذَا عَرِقَتْ
تَرْمِي الْغُيُوبَ بِعَيْنِي مُفَرِّدٍ لَهَقٍ
ضَحْمٌ مُقْلَدُهَا فَعَمَّ مُقَيِّدُهَا
يَمْشِي الْقَرَارَ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزَلِّقُهُ
عَيْرَانَةٌ قَدِفَتْ فِي اللَّحْمِ عَنْ غُرْضٍ
كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا
إِلَّا الْعِتَاقُ النَّجِيَّاتُ الْمَرَايِلُ
فِيهَا عَلَى الْآيِنِ إِرْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٤)
عُرْضَتُهَا طَامِسُ الْأَعْلَامِ مَجْهُولُ^(٥)
إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحُزَانُ وَالْمِيلُ^(٦)
فِي خَلْقِهَا عَنْ بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ
مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ^(٧)
مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولُ^(٨)
مِنْ خَطْمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

(١) ديوان ابن حمديس الصقلي / ٢٩٢ و ٢٩٣.

(٢) الخوانف، جمع الخائف: الناقة التي تلوي أنفها من الزمام نشاطاً.

(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧٢/١، وقد خلا ديوان الشاعر منها.

(٤) عذافرة: شديدة غليظة. التبغيل: مشى فيه اختلاط بين الهملجة والعنق.

(٥) الذفري: الرائحة الظاهرة طيبة كانت أو غيرها. العرضة: الهمة.

(٦) اللهق: الشديد البياض ويريد الثور الوحشي. الميل جمع ميلاء: العقدة من الرمل.

(٧) اللبان: الصدر الأقرب: الخواصر، الزهاليل: الملس.

(٨) عيرانة: صلبة كحمار الوحش. الزور: عظام الصدر.

ثَمْرٌ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصْلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تُخَوَّنُهُ الْأَحَالِيلُ^(١)
 قَنَوءٌ فِي حَدَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عِتَقٌ مُبِينٌ فِي الْخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ^(٢)
 تَخْذِي عَلَى يَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاحِقَةٌ ذَوَابِلٌ وَقَعْنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ^(٣)
 سُمْرُ الْعُجَايَاتِ يَتُرَكَّنُ الْحَصَى زَيْمًا لَمْ يَقَهَنَّ رُؤُوسَ الْأَكْمَرِ تَنْعِيلُ^(٤)
 يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُصْطَخِمًا كَأَنَّ ضَاحِيَهُ بِالنَّارِ مَمْلُوءُ^(٥)
 كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْعَسَاqِيلُ^(٦)

وقال القطامي (عُمير بن شَيْم):

إِنَّا مُحْيُوكٌ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ^(٧)
 ثم يقول بعد خمسة أبيات:

وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّبَهُ عَيْنٌ وَلَا حَالَةً إِلَّا سَتَتَقِيلُ
 وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مَ الْمُخْطِيءِ الْهَبْلُ
 قَدْ يُذْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
 أَمَسْتُ عَلِيَّةً يَرْتَاحُ الْفُؤَادُ لَهَا وَلِلرَّوَاسِمِ فِيمَا دُونَهَا عَمَلُ
 بِكَلِّ مُخْتَرَقٍ يَجْرِي السَّرَابُ بِهِ يُنْضَبِي الْهَجَانُ الَّتِي كَانَتْ تَكُونُ بِهَا
 يُمَسِّي وَرَاكِبُهُ مِنْ خَوْفِهِ وَجَلُّ عَرْضِيَّةً وَهَبَابٌ حِينَ يَرْتَجِلُ^(٨)

- (١) يريد بالغارز: ضرعها. لم تخوننه: لم تنقصه، الأحاليل: مجاري اللبن.
- (٢) قنواء: في أنفها حذب. حدتها: أذناها. العتق: الكرم.
- (٣) تخذي: تسير بسرعة. اليسرات: القوائم الخفاف. لاحقة: ضامرة.
- (٤) العجايات: عصب باطن اليمين، واحدها عجاية. زيم: متفرقة.
- (٥) الحرباء: حيوان يستقبل الشمس ويدور معها. المصطخم: القائم. المملول، من الملة، وهي بقية النار في الرماد.
- (٦) ديوان كعب بن زهير/ ٩-١٥، القور: الجبال. العساqيل جمع عسقل: السراب. كذا ورد البيت في الديوان، وينبغي تقديمه على الذي قبله.
- (٧) الطليل: والطول: الرسن الطويل، وطال طيلك وطولك، أي مكثك وعمرك.
- (٨) الهجان: الكريم من الإبل. ناقة عرضية: فيها صعوبة. الهباب: النشاط.

حَتَّى تَرَى الْحُرَّةَ الْوَجْنَاءَ لَاغِبَةً وَالْأَرْحَبِيَّ الَّذِي فِي خَطْوِهِ خَطْلٌ^(١)
خُوصاً تُدِيرُ عُيُوناً مَاؤَهَا سَرَبٌ عَلَى الْخُدُودِ إِذَا مَا أَغْرَوْرَقَ الْمُقْلُ^(٢)
لَوَاغِبَ الطَّرَفِ مَنْقُوباً مُحَاجِرَهَا كَأَنَّهَا قُلُبٌ عَادِيَّةٌ مُكَلُّ^(٣)
يَرْمِي الْفِجَاجَ بِهَا الرِّكْبَانُ مُعْتَرِضاً أَغْنَاكَ بِزُلْهَا مُرْخَى لَهَا الْجُدْلُ^(٤)
يَمْشِينَ رَهْواً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةً

وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
فَهُنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَوْضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِئَةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ
يَتْبَعْنَ سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تَرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ^(٥)

وقال علي بن الجهم :

وَأَخُو فَلَاةٍ سَهْوٍ وَسَقَتْ لَهُ خُنْفٌ نَوَاحِلُ كَالْقَيْسِيِّ ذَوَابِلُ^(٦)
أَوْ كَالْإِرَانِ تَضَاءَلَتْ أَنْقَاضُهُ وَكَذَاكَ ظَاهِرُ آلِهَا مُتَضَائِلُ
أَوْ كَالْقِدَاحِ أَجَالُهَا ذُومِيعَةٌ جَذْلَانُ مِنْ نُجْبَاءِ قَارَةِ نَابِلُ^(٧)
أَفْنَى ثَمَائِلُهَا الْوَجِيفُ وَسَائِقُ غَرْدٌ يُمَاطِلُهَا النَّدَى وَتُمَاطِلُ

(١) اللاغبة: الكليلة المعيبة. الأرحبي: منسوب الى أرحب، حي من همدان.

(٢) الخوص (محركة): ضيق العين وغثورها، وقيل: أن تكون إحدى العينين أصغر من الأخرى.

(٣) منقوب محاجرها: غائرة العينين. القلب (بضم تين): الآبار، واحدها قليب. المكل: المكيول: البشريقل
ماؤها فيستجم حتى يجتمع في أسفلها جمعها مكل.

(٤) ديوان القطامي / ٢٣: وجمهرة اشعار العرب / ٢٨٨.

(٥) أخو الفلاة: البعير. السهوق: الطويل الساقين. وسقت له: عرضت له. الخنف (بضم تين) جمع
الخنوف: الناقة التي تميل رأسها إلى ركبها في عدوها.

(٦) الإران (بالكس): تابوت خشب.

(٧) الميعة: أول الشباب. قارة: قبيلة اشتهر أفرادها بالرمي، وبهم ضرب المثل (وقد أنصف القارة من
راماها).

يَقْصُ الإِكَامَ بِهَا مَشِيقُ عَيْطُلٍ مَتَّخِذُ الْخَدَيْنِ أَفْلَحُ بَاسِلُ^(١)
يَتَلَوُ شَوَارِدَهَا عَلَى عِلَاتِهِ مَرِحاً كَمَا يَتَلَوُ السَّنَانُ الْعَامِلُ
فَإِذَا اسْتَرَابَ بِرَبْوَةٍ أَوْ رَهْوَةٍ فَلَهُنَّ عَنْهُ تَجَانُفٌ وَتَزَايِلُ^(٢)
وَلَهُ عَلَى أَثْبَاجِهِنَّ مِيَاسِمٌ شُخْبٌ كَأَفْوَاهِ الضُّبَابِ سَوَائِلُ^(٣)

وقال ابن المعتز:

وَلَرُبَّ مُهْلِكَةٍ يَحَارِبُهَا الْقَطَا مَسْجُورَةٌ بِالشَّمْسِ خَرْقٍ مَجْهَلِ
خَلَفَتْهَا بِشِمْلَةٍ تَطُّ الْوَجَا مُرْتَاعَةً الْحَرَكَاتِ جَلْسٍ عَيْطُلِ^(٤)
تَرْنُو بِنَاطِرَةٍ كَأَنَّ حِجَاجَهَا وَقَبْ أَنْفَ بِشَاهِقٍ لَمْ يُحْلَلِ^(٥)
وَكَأَنَّ مَسْقِطَهَا إِذَا مَا عَرَّسَتْ آثَارُ مَسْقِطٍ سَاجِدٍ مُتَبَّئِلِ
وَكَأَنَّ آثَارَ النُّسُوعِ بِذَفْهَا مَسْرَى الْأَسَاوِدِ فِي هَيَامٍ أَهْيَلِ^(٦)
وَيَشُدُّ حَاذِيهَا بِحَبْلٍ كَامِلِ كَعَسِيبٍ نَخْلٍ خُوصُهُ لَمْ يَنْجَلِ
وَكَأَنَّهَا عَدُوًّا قِطَاةً صَبَّحَتْ زُرْقَ الْمِيَاهِ وَهْمُهَا فِي الْمَنْزِلِ
مَلَأَتْ دَلَاةً تَسْتَقِيلُ بِحَمْلِهَا قُدَّامَ كُلِّهَا كُصْغَرَى الْحَنْظَلِ^(٧)

(١) يقصُّ الأكام: يمشي عليها مسرعاً بين العنق والجنب، وقيل: القص: شدة الوطء في المشي كأنه يقصُّ ما تحته، أي يكسره. المشيق: السريع في المشي، وكل سرعة: مشق، ومنه المشق في الكتابة. عيطل: طويل؛ أفلح: مجرب.

(٢) الرهو (هنا): المكان المنخفض يجتمع فيه الماء.

(٣) عن الأنوار ومحاسن الأشعار ٣٧١/١، ولا وجود لهذه القطعة في ديوان الشاعر. الضباب، من ضَبَّ لثاء الرجل: إذا انتهى الحموضة فتحلَّب فوه. فهو ضَبَّ وهم ضباب.

(٤): الشملة: الشريعة. الوجا: الحفا. الجلس: الناقة الوثيقة الجسمية. عيطل: طويلة العنق في حسن.

(٥) الحجاج: عظم ينبت عليه الحاجب. الوقب، كالقلت: نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء.

(٦) النسوع جمع النسع: سير عريض تشد به الرحال. الدف: الجنب. الأسود جمع الأسود: الحية العظيمة. الهيام (بالفتح): ما لا يتماسك من الرمل فهو ينهار أبداً.

(٧) الدلاة (بالفتح): الدلو الصغير. الكلكل: الصدر.

وَعَدَتْ كَجَلْمُودِ الْقَذَافِ يَقْلُهَا
حَمَلَتْهَا ثِقَلُ الْهُمُومِ فَقَطَّعَتْ
عَنْ عَظْمِ قَلْبٍ لَمْ أَصِلْهُ بِغَيْرِهِ
حَتَّى إِذَا اعْتَدَلَتْ عَلَيْهِمْ لَيْلَةٌ

وَأَفِ كَيْثِلِ الطَّلِيسَانِ الْمُخْمَلِ (١)
أَسْبَابِيْنِ بِنَا تَحُبُّ وَتَعْتَلِي
عَضْبِ الْمَضَارِبِ صَائِبٍ لِلْمَفْصِلِ
سَقَطُوا إِلَى أَيْدِي قَلَائِصٍ نُحْلِ (٢)

وقال علقمة الفحل:

مِنْ ذِكْرِ سَلَمَى وَمَا ذِكْرِي الْأَوَانِ بِهَا
صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلءُ الدَّرْعِ خَرَعَبَةٌ
هَلْ تُلْحِقْنِي بِأَخْرَى الْحَيِّ أَذْ شَحِطُوا
كَأَنَّ غِسْلَةَ خَطْمِي بِمُشْفَرِهَا
بِمِثْلِهَا تُقَطِّعُ الْمَوْمَاءُ عَنْ عُرْضِ
تُلَاحِظُ السُّوْطَ شَذْرًا وَهِيَ ضَافِرَةٌ
كَأَنَّهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَادِمُهُ

إِلَّا السَّفَاهُ وَظَنُّ الْغَيْبِ تَرْجِيمُ
كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومُ
جُلْدِيَّةٌ كَاتَانِ الضُّحَلِ عُلُكُومُ (٣)
فِي الْخَدِّ مِنْهَا وَفِي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمُ (٤)
إِذَا تَبَغَّمَ فِي ظُلُمَائِهِ الْبُومُ
كَمَا تَوْجَسَّ طَاوِي الْكَشِيشِ مَوْشُومُ (٥)
أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرِيٌّ وَتَنُومُ (٦)

وقال أبو تمام الطائي:

لَعَلَّكَ ذَاكِرَ الطَّلَلِ الْقَدِيمِ
وَمُوفٍ بِالْعُهُودِ عَلَى الرُّسُومِ

(١) القذاف (بالضم) جمع قذفة: ما أشرف من رؤوس الجبال.

(٢) ديوان ابن المعتز ١٦٢/١ - ١٦٤، .

(٣) الجلديَّة: الناقة القوية. أتان الضحل: بعضها ظاهر وبعضها غامر. شبه الناقة بها لأنها إذا بقيت في الماء املاست وصلبت. العلكوم: الناقة الغليظة.

(٤) الغسلة: ما غسل به الرأس. الخطمي: نبات يغسل به. التلغيم: من اللغام، وهو زيد أفواه الإبل.

(٥) الضامزة: التي لا ترغو من ضجر. الموشوم: الذي في قوائمه نقط سود، ويريد به الثور الوحشي.

(٦) الخاضب: الظليم - وهو ذكر النعام - قد احمر جلده وساقاه. زعر الريش: قل وتفرق. القوادم: ريشات في مقدم الجناح. أجنى النبات: آن أو أن جنه: الشري: شجر الحنظل والظليم يأكله.

التنوم: شجر ورقه يشبه ورق الأس. الأبيات من قصيدة في المفضليات ٣٩٨ و ٣٩٩.

وَوَاصِفَ نَاقَةٍ تَذُرُ الْمَهَارَى
 وَقَدْ أُمِّمَتْ بَيْتَ اللَّهِ نُضُوءاً
 أَتَيْتُ الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو
 فَمَا بَلَغَتْ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى
 وَبَدَّلَهَا السُّرَى بِالْجَهْلِ جِلْمًا
 أَذَابَ سِنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَا فِي
 طَوَاهَا طَيْهَا الْمَوْمَاءَ وَخُذًا
 رَمَتْ خُطُوتُهَا بَيْنِي خَطَايَا
 بِكُلِّ بَعِيدَةٍ الْأَرْجَاءِ رَتِيهِ
 أَقُولُ لَهَا وَقَدْ أَوْحَتْ بِعَيْنٍ
 بِكُورِكَ أَشْعُرُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا
 فَمَا لَكَ تَشْتَكِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي
 مَتَى أَظْمَتِكَ هَاجِرَةٌ فَشِيْمِي
 وَإِنْ غَشِيَتْكَ ظُلْمَاءٌ تَجَلَّى
 فَمَرْتُ مِثْلَمَا يَمْشِي شَهِيدٌ
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِي:

ظَلَّتْ تُشَوِّقُنِي بِرَجْعِ جَنِينِهَا
 نِضْوَيْنِ مُغْتَرٍ بَيْنَ بَيْنٍ مَهَامِيهِ
 طَوِيَا الضُّلُوعَ عَلَى هَوًى مَكْنُونٍ
 عَنْ مُسْتَقَرِّ صَبَابَةِ الْمَحْزُونِ^(٤)

(١) العيرانة : الناقة الصلبة تشبها بعير الوحش . الحرف: الضامرة. السعوم: التي تسير السعوم، وهو ضرب من سير الابل.

(٢) العصيم: العرق، ووسخ، وبول ييس على فخذ الابل.

(٣) الديوان ٥٣٣/٤ و ٥٣٤.

(٤) الحماسة البصرية ١٥٢/٢، ووردت الأبيات في الزهرة ٢٥٤/١ والأنوار ومحاسن الأشعار بدون عزو.

الأسد

أسماءه وصفاته (١)

أسامة: علم جنس على الأسد، لا ينصرف
 أسد: والجمع آساد، وأُسُود، وأُسُد.
 بَيْهَس: مأخوذ من البهس وهو الجرأة.
 حبيل براح: أي كأنه قد شدد بالحبال فلا يبرح، وبه سمي الرجل الشجاع.
 حُلْبَس، وحُلَابَس، وحُلْبَس، وحُلْبَس، وبه سمي الشجاع والملازم
 للشيء.
 حَيْدَرَة: في لسان العرب عن ابن الأعرابي (الحيدرة في الأسد مثل الملك
 في الناس) وبه سمي الامام علي (ع) وقال راجزاً في وقعة خيبر (أنا الذي
 سمتني أمي حيدرة).
 الخاير: المقيم في خدره، وخدره: أجمته.

(١) - ديوان جرير / ٥٤٩ . نقاض جرير والفرزدق / ١١٩ . بعض معاجم اللغة . المخصص ٥٨/٨/٢ -
 ٦٤ . حياة الحيوان للدميري ٢/١ .

الْخَبَعَثَةُ، وَالْخَبَعَثَنُ: العظيم الشديد. يقال: اخْبَعَثَن الرجل: مشى مشية الأسد.

خُنَابِس، وَخَبُوس، وَخَابِس، وَخَبَّاس، وَخَوَابِس. مأخوذ من خَبَس الشيء وتَخَبَّسَه، وَاخْتَبَسَه: أخذه وغنمه. وقيل الخُنَابِس: الكريه المنظر الدُّرْبَاس: الغليظ العظيم.

الدُّرَّوَّاس: الضَّخْم الرأس.

الدُّلْهَمَس: لجرأته ومضائه

الدُّوَّاس: وبه سمِّي الماهر، والشجاع.

الدُّوَّسَك: كجوه: الأسد.

الدُّوَّكْس: كجوه: أيضاً.

الرُّثْبَال: والرَّيَال (يهمز ولا يهمز)، وقال السَّكْرِي (الرُّثْبَال من الأسد كالقارح من الخيل). جمع الرُّثْبَال: رَابِل ورَابِيل، وجمع الرِّيَال: رِيَابِل وريَابِيل.

زُفْر: والزُّفْر: الجمل، وبه سمِّي الرجل الشجاع: زُفْر، والرجل الكريم: زفر.

سَاعِدَة: عَلم لا ينصرف، وبه سُمِّي ساعدة الأيدي، أبوقيس الذي يضرب به المثل بالفصاحة

السَّبْع: والجمع سِبَاع: وأَسْبَع، والأُنْثَى سبعة

الشَّابِك: وهو الذي اختلفت أنيابه واشتبكة.

الشَّيْطَم، والشَّيْطَمِي.

الصِّمَّة، والصِّمُّ، الجمع صِمْم (بالكسر): ورجل صِمْمَة: شجاع، وبه

سمِّي الصِّمَّة أبو دريد الشاعر. قال جرير:

سعرنا عليك الحرب تغلي قدورها

فهلَّا غداة الصِّمَّتَيْن تديمُها

أراد بالصِّمَتَيْن: أبا دريد وعمه.
 الضُّبَاث: مأخوذ من قولهم: ضبث على الشيء ضبثاً: قبض عليه.
 ويقال لمخالبه: المضابث.
 الضُّبَارِم: الشديد الخلق.
 الضُّبَيْثُم: والضُّبَاثُم، كالضُّبَاث.
 ضُرَاك: وهو الغليظ الشديد عصب الخلق.
 ضِرْغَام، وضِرْغَم، وضِرْغَامَة، والجمع ضِرَاغَم وضِرَاغَمَة.
 الضَّمَاضِم، والضَّمْمُضَم.
 الضَّيْثُم: كحيدر.
 الضَّيْغَم: وهو الشديد الضغم، والضغَم: العضُّ، وقيل: الواسع الشدين
 الطُّيْثَار، ومنه رجل طيثار: لا يبالي على من أقدم.
 العَظْمَثُم: وهو العظيم الشديد.
 العِرْبَاض: وهو الثقيل العظيم، وفي اللسان: رجب الكلكل.
 العِفْرَاس، والعَفْرَاس: الشديد العنق الغليظة.
 العَفْرَتَى: الغليظ العنق، ومنه اشتقاق العفرنة من النوق.
 العَنْبَس: من العبوس، وعنبسة وبه سمّي الرجل.
 عَوْف: مأخوذ من عَوْف الأسد: التمس العريسة بالليل، وبه سمّي الرجل.
 والعوف، والعوافة: ما ظفرت به ليلاً.
 غَضْنَفَر: الغليظ الجثة، والنون زائدة.
 الفُرَايَرَة: لأنه يفر فريرته، أي يكسرهما.
 الفُرَايَصَة: والفُرَايَصَة: الشديد الغليظ
 الفِرْناس، والفِرْناس، قال سيبويه: هو ثلاثي
 القَسُور، والقَسُورَة. قال السيرافي: هو مشتق من القسر وهو القهر
 القَشْعَم، ويطلق على غيره من سباع الطير.

قَصَاقِص، وقَصَاقِص: الغليظ، وقيل القصير.
القَصِيل: الشديد، والمخدّر وهو الذي اتخذ الأجمة خدرًا له.
القَضَاقِص، والقَضَاقِص، أي يحطّم كلّ شيء.
الكَهَمَس: وهو الكريه المنظر.
اللَّيْث: والجمع ليوث، واللائث لئثة.
المِهْزَع: والهَزَاع، لأنّه يكثر كسر الفرائس.
الهَرَّاس: لأنّه يهرس كلّ شيء، والهَرَس، والأهرَس: الشديد المِرَاس.
الهَرَمَاس: وهو الشّدِيد.
الهَزَبَر: والهَزَبَر، والجمع هَزَابَر، واللائث هَزَبَرَة.
الهَصْمَصَم: لشدّته وصولته
الهَصُور: مأخوذ من هصر الشيء: كسره، وثناه، وجذبه، وغمزه.
الهَمَّاس، والهَمُوس: الخفيّ الوطىء، والشديد الغمز بالضررس.
الهُمَام: لانه إذا همّ فعل.
الهَوَّاس: وهو الطوّاف بالليل مع جرأة في الطلب.
الهَيْصَم: لانه يكسر كلّ شيء، والهصم: الكسر.
الوَرْدُ، أي الجريء.

هذه بعض أسماء الأسد وصفاته، ومنها ما توصف بها حيوانات أخرى كالابل والخيّل وغيرهما. وفي حياة الحيوان للدميري (قال ابن خالويه: للأسد خمسمائة اسم وصفة، وزاد عليه عليّ بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسماً). وفي تاج العروس للزبيدي (قال شيخنا: ورأيت من قال: للأسد ألف اسم).

واسم أنثى الأسد: أسدة ولبوة، ويقال لولده: جرو (بالكسر ويفتح) وجمعه أجراء، وشبل وجمعه أشبال وأشبُل وشُبُول، وشِبَال، وشَيْع، وحَفُص، وفُرْهُد.

ويكنى أبا الحارث، وأبا الأشبال، وأبا الأبطال، وأبا حفص، وأبا الزعفران، وأبا العباس، وأبا فراس.

وصوته الزئير، والنهيم فوق الزئير، والهمهمة، يقال أسد همهم، أي يأزر (ويزثر) ويهمهم. والزَمْجَرَة: صوت يردده في صدره، والقبقبة وهي قعقة أنيابه.

بعض طبائع الأسد (١)

حريص واسع الشحو (٢)، يبلع البضعة التي لورآها الإنسان لم يظن أن حلقه يتسع لمرور ذلك، ويقال إن عنقه عظم واحد، واللُّقْم لا تجول فيه، وهو في ذلك قليل الريق، فلا يسلس في حلقه ما يمر فيه، بل يتلع لفرط نهمة، وشحولحيه ضعفي ذلك المقدار. وزعم ناس: أن الذي يدل على أن عنق الأسد عظم واحد: ضعفه عن تصريف عنقه فلا يلتفت إلا معاً، ولذلك سمي الأُصيد.

وقال أسامة بن منقذ: الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان، وقال إنه شاهد أسداً لأحد السباعين يهرب من خروف، والخروف يركض خلفه وينطحه. والناس يضحكون منه، فأمر الأمير معين الدين بذبحه، فذبحوه وسلخوا جلده وجاؤا به، وأعتق الخروف من الذبح. وأنه رأى كلباً يخلص صاحبه من الأسد. ثم قال: وأن الأسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبله ما لم يُجرح، فإذا جرح فهو الأسد الذي يخاف منه، وإذا خرج من غاب أو أجمه وأغار على الخيل فلا بد له من الرجوع إلى الأجمة التي خرج منها ولو أن النيران في طريقه.

(١) - الحيوان للجاحظ ٢/٢١٣، وكتاب الاعتبار لأسامة ١٠٦/ - ١٠٩.

(٢) الشحو: الجوف.

ذكره في القرآن الكريم

ورد ذكر الأسد في القرآن مرة واحدة، في الآية ٥١ / من سورة المدثر ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنَفِرَةٌ. فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾. وذكر مرة أخرى مع بقية السباع ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾، / سورة المائدة ٣ /

ذكره في الحديث النبوي ^(١)

ومما ورد في الحديث الشريف، قول النبي عليه الصلاة والسلام (فرُّ من المجدوم كما تفرُّ من الأسد)، وقوله في حديث أم زرع: (وقالت - المرأة - الخامسة: زوجي إن دخل فهدِّه، وإن خرج أسد).

مما ورد عنه في الأمثال السائرة ^(٢)

- * كمتبني الصيد في عبْرسة الأسد *
- * ولا قرار على زار من الأسد *
- * النهر يشرب منه الكلب والأسد *
- * الجوع يرضي الأسود بالجيء *
- * والليث ليس يسيغ إلا ما افترس *
- * من يتبع الأسد لم يعدم لحماً *
- * ما استبقاك من عرّضك للأسد *
- * فلان يسلب القطعة من شدة الأسد *

(١) - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ١٢٢/٢، و١٣٥.

(٢) - التمثيل والمحاضرة/٣٤٩، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب /٣٨١ - ٣٨٤، وجمهرة

الأمثال ١/١٦٧ و ٣٢٩ و ٤٠٨ و ٥٣٨ و ٥٦٢ و ٥٦٨ و ٢/٢٢٧.

*ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا *
 * ومن يحاول شيئاً من فم الأسد؟ *
 * أجراً من قسورة *
 * أجراً من ليث بخفان *
 * أجراً من ذي لبدة *
 * أجراً من أسامة *
 * أحمى من أنف الأسد *
 * أشجع من ليث عريسة *
 * أشجع من ليث عفرين *
 * أشدّ اقداًماً من الأسد *
 * أشره من الأسد *
 * أصيد من ليث عفرين *
 * أمتع من أنف الأسد *
 * خاصي الأسد *
 * راكب الأسد *
 * ليث عريسة *
 * ليث غاب *
 * ليث عفرين *
 * نكهة الأسد *

الأسد والصقر معروفان بالبحر، قال شاعر يهجو أحد الولاة في فارس والأهواز:

قد ولي فارس والأهواز داود بن بشر
 وله لحية تيس وله منقار نسر
 وله نكهة ليث خالطت نكهة صقر

بعض ما قيل في وصفه نثراً (١)

أنشد أبو زيد الطائي قصيدة في مجلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وصف فيها الأسد، فقال عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت. والله اني لأحسبك جباناً هذان. قال: كلاً يا أمير المؤمنين، ولكنني رأيت منه منظراً وشهدت منه مشهداً لا يبرح ذكره يتجدد ويتردّد في قلبي، ومعدور أنا يا أمير المؤمنين غير ملوم، فقال له عثمان، وأنى كان ذلك؟ قال:

خرجت في صيّابة أشرافٍ من أفناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة
ترتمي بنا المهاري بأكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام
فاخروّط بنا السير في حمارة القيظ. حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت
المياه وأذكت الجوزاء المّعزاء، وذاب الصّيهد، وصرّ الجُنْدَب، وضاف العصفورُ
الضّبّ وجاوره في جحره، قال قائل: أيها الركب غوروا بنا في ضوَج هذا الوادي،
وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدّغل دائم الغلل، شجراؤه مُغْنّة، وأطيّاره مُرْنّة. فحططنا
رحالنا بأصول دوحاتٍ كنهيلات، فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد.

فأنا لنصف حرّ يومنا ومماطلته إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه * وفحص الأرض
بيديه. فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحداً
فواحداً، فتضعضت الخيل، وتكعكت الابل، وتقهرت البغال، فمن نافر
بشكاليه (٢)، وناهض بعقاله، فعلمنا أن قد أتينا وأنه السّبع، ففزح كلُّ رجل منا إلى
سيفه فاستلّه من جُرْبانه (٣)، ثم وقفنا له رزداً (أي صفّاً) وأقبل أبو الحارث من
أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب، أو في هجارٍ معصوب. لصدّره نحيط.

(١) - الأغاني لأبي الفرج ١١٨/١٢، ونهاية الارب ٢٣٥/٩.

(٢) - الشكّال: حبل تشدّ به قوائم الدابة.

(٣) - جدّبان السيف: غمده.

ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض^(١)، كأنما يخبط هشيمًا، أو يطا صريمًا، وإذا هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجراوان كأنهما سراجان يقدان، وقصرة ريلة^(٢)، ولهزمة رهلة^(٣)، وكتد مغبط^(٤)، وزور^(٥) مفط، وساعد مجدول وعضد مفتول، وكف شثة البرائن^(٦)، إلى مخالف كالمحاجن، فضرب بيده فأرهج، وكش فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى فأسرع بيديه، وحفز وركيه برجليه، حتى صار ظلّه مثليه، ثم ألقى^(٧) فاقشعر ثم مثل فاكفهر، ثم تجهّم فازبأر^(٨). فلا وذو^(٩) بيته في السماء ما أتقيناها إلا بأول أخ لنا من فزارة كان ضخم الجزارة، فوقصه ثم نفضه نفضة فقضض متنيه فجعل يلغ في دمه .

فدمرت أصحابي^(١٠)، فبعد لأي ما استقدموا. فجهجنا به، فكر مقشعراً بزبرته^(١١)، كأن به شيهما حولياً^(١٢)، فاختلج رجلاً أعجر ذاحوايا^(١٣) فنفضه نفضة تزايلت منها مفاصله، ثم نهم ففرفر، ثم زفر فبربر^(١٤) ثم زأر فجرجر، ثم

-
- (١) - نقيض الأرساغ: صوته.
 (٢) - القصرة: أصل العنق إذا غلظت، والريلة: كل لحمه غليظة
 (٣) - اللهزمة: عظم ناتئ، أو مضغة عليّة تحت الأذن. رهلة: منتفخة.
 (٤) - الكتد: ما بين الكاهل إلى الظهر. مغبط: مرتفع.
 (٥) - الزور: الصدر.
 (٦) - البرائن من السباع بمنزلة الأصابع من الانسان. الشثن: الخشن.
 (٧) - ألقى: جلس على استه.
 (٨) - ازبأر: تنفّس حتى ظهرت أصول وبر شعره.
 (٩) - ذو- هنا-: بمعنى الذي في لغة طيء.
 (١٠) - دمر أصحابه: لامهم وحثمهم.
 (١١) - الزبرة: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد.
 (١٢) - الشيهم: ما عظم شوكة من ذكور القنافل. الحولي: ما أتى عليه الحول.
 (١٣) - اختلج رجلاً: انتزعه. أعجر: ممتلى جداً. الحوايا: الأمعاء
 (١٤) - نهم: أخرج صوتاً كالأنين. ففرفر: صاح، وبربر مثلها وزناً ومعنى.

لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي، واصطكَّت الأرجل، وأطَّت^(١) الأضلاع، وارتجت الأسماع، وشخصت العيون، وتحقَّقت الظنون، وانخزلت المتون. فقال له عثمان رضي الله عنه: اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين. ووصفه بعض الأعراب فقال:

له عينان حمراوان مثل وهج الشرر، كأنما نقرتا بالمناكير في عرض حجر، لونه وَرْد، وزثيره رعد. هامته عظيمة، وجبهته شتيمة^(٢)، نأبه شديد، وشره عتيد. إذا استقبلته قلت: أقرع، وإذا استدبرته قلت أفرع^(٣) لايهاب إذا الليل عسّس، ولا يجبن إذا الصبح تنفّس. بعض ما ورد عنه في القصص^(٤)

١ - إباء وشمم:

عمي أسد من عوامِّ الأسد فأضّر ذلك به، فقليل له: لو جئت ملك الأسد فسألته أن يصلك لكان ذلك رأياً لك. فذهّب إليه وسرد قصّته عليه، فقال لخازنه يُجرى له في كلّ يوم عضواً مؤزّراً. فقال الأسد الذي التمس الجراية: أصلح الله الملك، أني كنت اصطاد الوعل، أو البقرة الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشيع فأين مني هذا العضو يقع؟. فقال الملك: من اتّكل على كسب غيره وجب أن يقتنع بقليل خيره. قال الأسد: صدق الملك، ولا حاجة لي بهذا العضو.

(١) - أطَّت الأضلاع: صوّت.

(٢) - الشتيمة: الكريه المنظر.

(٣) - الأفرع: الكثير الشعر.

(٤) - الصاهل والشاحج / ٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ٧٠ / ١، والشريشي ٢٥ / ١ (شرح مقامات الحريري)

قال الملك: فماذا تصنع؟
قال: أجتزىء بنبت السحاب، ولا أفتقر إلى الملك والأصحاب.

٢- فرّق تسد:

قيل إن ثورين أسود وأبيض كانا في بعض المروج، فكان الأسد إذا قصدهما تعاوناً عليه فردّاه، فخلا يوماً بالأبيض وقال له: إن خلّيتني فأكلت الأسود خلالك مرعاك، وأعطيك عهداً ألا أطورك بك^(١)، فخلّاه والأسود فأكله، ثم عطف عليه فافترسه، فقال: انما أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأسود^(٢).

٣- منطق القوي

خرج أسد وذئب وتعلب يتصيّدون فاضطادوا حمار وحش، وغزالاً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: إقسم بيننا هذا الصيد، فقال: الحمار للملك، والغزال لي، والأرنب للثعلب. فرفع الأسد يده فضربه ضربة فإذا هو مجذّل بين يديه ثم قال للثعلب: اقسمها، فقال: الحمار يتغذى به الملك، والغزال يتعشى به، والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء؟ قال: رأس هذا الذئب.

بعض ما ورد في الشعر عن الأسد

قال ابن الأثير محمد بن عبد الله القضاعي^(٣): حضرت ملعباً للأسود في تونس سنة (٦٣٦) هـ يدحرج اللاعب إليها كرة متصلة من خشب محكمة الصنعة تحجبه من بأسها وهي رابضة، وييده حدائد طوال في نهاية الإرهاف معدة لها،

(١) - لا أطورك بك: لا أحرم حولك ولا أدنو منك

(٢) - رواية المثل في كتاب الميداني ٢٥/١ تختلف عن هذه بعض الاختلاف.

(٣) الحلة السيرة ٢٦٢/٢.

فإذا أحسَّت به وثبت على الكرة فألقم أفواهها تلك الحدائد، ودحرج الكرة فتباعدت عنه تمجُّ الدم، وأحياناً يجهز بها عليها إذا لم يأمن عاديته، وقد حفر بمجالها الرحب لآخرين مهاوٍ تسع جثثهم ولها أبواب صغيرة يطبقونها عليهم، فإذا ربضت على بُعدٍ صيح بأحدهم، ففتح باب تلك الهوة وهجهج بها، وربما أُلْمِع لها بما يكون في يده. فما هو إلا أن تراه فيكاد وثوبها إليه يعجله عن إطباق الباب عليه، ثم تنصرف عنه يائسة منه، وقد اشتد حنقها وعظم زئيرها، فيعانين من ذلك آنق منظر وأبدع مرأى، ولي في ذلك من كلمة قلتها :

تَحَنُّنٌ إِلَى مَلْعَبٍ لِلظَّبَائِ	بَكُثْبَانٍ رَامَةً أَوْ غُرْبٍ ^(١)
فَهَلَّا إِلَى مَلْعَبٍ لِلْأَسْوَدِ	سَعِدَتْ بِمَنْظَرِهِ الْمُعْجِبِ
يُقَامُ الْجِهَادُ بِهِ وَالْجِلَادُ	لِكُلِّ فَتَى مِذْرَى مُحَرَّبِ
وَيُضْرَى عَلَى الْفَتَكِ بِالضَّارِيَاتِ	فَإِنْ غَالَبَ الْقَرْنُ لَمْ يُغْلَبِ
ضَوَارٍ ضَوَارِبُ أَظْفَارِهَا	تُغِيرُ الظُّبَى رِقَّةَ الْمَضْرِبِ
فَمِنْ أَسَدٍ شَرِسٍ مُحْنَقِ	وَمِنْ نَمِرٍ حَرِدٍ مُغْضَبِ
أَثِيرَتْ خَفَائِظُهَا فَانْبَرَتْ	تُسَابِقُ فِي شَأْوِهَا الْأَرْحَبِ
تُصَيِّمُ الْمَسَامِعَ مِنْ زَأْرِهَا	عَوَادِي كَالضُّمَرِ الشُّرْبِ
وَتَنْبُو الْعُيُونُ لِإِقْدَامِهَا	مُذَرَّبَةَ النَّابِ وَالْمِخْلَبِ
كَوَاثِرٌ عَنْ مُرْهَفَاتِ جِدَادِ	مَتَى تَصْدَعُ الْهَامَ لَا تَنْشَبِ
نُيُوبٌ نَبَّتْ مِنَ النَّائِبَاتِ	وَأَزْرَيْنَ بِالصَّارِمِ الْمُقْضَبِ
تَنْوُءُ ثِقَالاً وَلَكِنَّهَا	أَخَفُ وَثُوباً مِنَ الْجُنْدُبِ
وَمُقْتَحِمٌ غَمَرَاتِ الرَّدَى	إِذَا مَا ادَّعَى الْبَاسَ لَمْ يَكْذِبِ
يُلَاعِبُهَا حَيْثُ جَدَّ الْجِمَا	مُ فَتَقَزَّعُ مِنْهُ إِلَى مَهْرَبِ
يَكُرُّ عَلَيْهَا وَلَا جَنَّةُ	سِوَى كُرَّةٍ سَهْلَةٍ الْمَجْدَبِ

(١) غُرْب: جبل دون الشام في ديار كلب .

يُبْدَحِرْجُهَا مَاشِيًا ثِنِيهَا
عَجِبْتُ لَهَا أَحْجَمَتْ رَهْبَةً
وَقَتُّهُ الْأَوَاقِي عَلَى أَنَّهُ
وَنَاوٍ بِمَطْبَقَةٍ فَوْقَهُ
يُهَجِّجُ بِاللَّيْلِ كَيْمَا يَهِيْجُ
كَذَلِكَ حَتَّى هَوَتْ نَحْوَهَا
وَعَاجَتْ عَلَيْهَا قَوَاسِي الْقَيْسِيِّ
وَشَالَتْ هُنَاكَ بِأَذْنَابِهَا
فِيَا لِقَسَاوِرَ قَدْ صُيِّرَتْ

عَلَى حَذَرٍ مِشِيَةً الْأَنْكَبِ
وَأَقْدَمَ بِأَسَا وَلَمْ يَرْهَبِ
تَسْنَمُهَا صَعْبَةَ الْمَرْكَبِ
مَتَى تَطْفُتْ هَامَتُهُ تَرْسِبِ
وَيَأْوِي إِلَى الْكَهْفِ كَالثَّلَبِ
عُقَابُ الْمَيِّتَةِ مِنْ مَرْقَبِ
فَعَبَّتْ مِنَ الْحَيْنِ فِي مَشْرِبِ
لِيَاذًا مِنَ الْعَقْرِ كَالْعَقْرِ
فَرَأَيْتُ لِلْأَسْهُمِ الصُّيْبِ

وقال جحدر بن معاوية بن جعدة العكلي^(١) :

يَا جُمْلُ إِنَّكَ لَوْ شَهِدْتَ كَرِيهَتِي
وَتَقَدَّمِي لِلَّيْلِ أَرْسَفُ مُوثِقًا
جَهْمٌ كَانَ جَبِيْنُهُ طَبَقُ الرَّحَى
شُنْ بَرَاثْنُهُ كَانَ نُيُوبُهُ
وَكَأَنَّمَا خِيَطَتْ عَلَيْهِ عِبَاءَةٌ
يَسْمُو بِنَاطِرَتَيْنِ تَحْسُبُ فِيهِمَا
وَلَهُ إِذَا وَطِئَ الْمِهَادَ تَنْقُضُ
أَقْبَلْتُ أَرْسَفُ فِي الْحَدِيدِ مَكْبَلًا
وَالنَّاسُ مِنْهُمْ شَامِتٌ وَعَصَابَةٌ

فِي يَوْمٍ هَوَلَ مُسْدِفٍ وَعَجَاجِ
كَيْمَا أَكَابَرُهُ عَلَى الْإِحْرَاجِ
لَمَّا بَدَا مُتَعَجَّرَ الْأَثْبَاجِ
زُرْقُ الْمَعَابِلِ أَوْ شَبَاةُ زِجَاجِ
بَرْقَاءُ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الدِّيَاجِ
لَمَّا أَجَالَهُمَا شُعَاعُ سِرَاجِ
وَلِشْنِي طُفْطُفِهِ نَقِيقُ دَجَاجِ^(٢)
لِلْمَوْتِ نَفْسِي عِنْدَ ذَاكَ أَنَا جِي
عَبْرَانَهُمْ لِي فِي الْحُلُوقِ شَوَاجِي

(١) الحماسة البصرية ٣٣٧/٢ ، وبعض أبيات القصيدة في حياة الحيوان للدميمي ٣٢١/٢ ، وفيه اسم الشاعر جحدر بن مالك العجلي .

(٢) التنقض : صوت البناء المنقض . الطفطفة (بالفتح وتكسر) : الخاصرة ، وقيل أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .

قَرْنَانِ مُحْتَضِرَانِ قَدْ مَحَضَتْهُمَا
لَمَّا نَزَلْتُ بِحِصْنِ أَزْبَرَ مُهْصِرِ
نَازِلْتُهُ إِنَّ النُّزَالَ سَجِيَّتِي
وَعَلِمْتُ أَنِّي لَوْ أَبَيْتُ نِزَالَهُ
فَقَلَقْتُ هَامَتَهُ فَخَرُّ كَأَنَّهُ
ثُمَّ أَتَشْنَيْتُ وَفِي قَمِيصِي شَاهِدُ
وَلَبَّاسُكَ ابْنُ أَبِي عَقِيلٍ فَوْقَهُ
وَلَيْنٌ قَذَفْتُ بِي الْمَنِيَّةَ عَامِداً
عَلِمَ النِّسَاءُ بِأَنِّي ذُو طُؤْلَةٍ
وقال آخر (٢) :

تَوَقَّ - وِقَاكَ رَبُّ النَّاسِ - لَيْثًا
كَأَنَّ بِمُلْتَقَى اللَّحْيَيْنِ مِنْهُ
وَتَحَسَّبُ لِمَحْ عَيْنِيهِ هُدُوءًا
حَدِيدَ النَّابِ وَالْأَظْفَارِ وَرْدًا
مُذْرَبَةَ الْأَسِنَّةِ أَوْ أَحَدًا
وَرَجَعَ زَيْرِهِ بَرْقًا وَرَعْدًا

(١) الحجاج: ابن يوسف الثقفي والي العراق، وقد روى الدميري في حياة الحيوان ٢ / ٣٢٠ أن الشاعر تغلب على بلاد حاجر وما يليها. وبأمر من الحجاج احتال عامل اليمامة على جحدر فقيده وأرسله إلى العراق. ولما مثل أمام والي سأل: ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: جراءة الجنان وكَلْبُ الزمان وجفوة السلطان. قال: وما الذي بلغ من أمرك فيجرأ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك؟ قال: لوبلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان وأهم الفرسان. أما جراءة جناني فأني لم ألق فارساً قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدراً. فقال له الحجاج: إنا قاذفون بك في جبٍّ ليث فإن هو قتلك كفأنا مؤنتك، وإن أنت قتلته خلعنا عنك وأحسننا جائزتك. قال: نعم أصلح الله الأمير، قرأت المحنة، وأعظمت المنة وأنت أهل ذلك إذا شئت. فأمر بتقييده وحبسه حتى هبأ له أسداً ضارباً. وبعد أن أجمع الأسد ثلاثة أيام أدخل عليه جحدر وهو يرسف في قيوده ويده سيف قاطع، وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما. فوثب الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بضربة من سيفه على هامته ففلقها حتى خالط السيف لهاته. وفي ذلك قال جحدر قصيدته هذه.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٣٧/٩.

تَهَابُ الْأَسَدُ حِينَ تَرَاهُ مِنْهُ إِذَا لَاقَيْنَهُ فِي الْغَابِ فَرْدًا^(١)
تَصُدُّ عَنِ الْفَرَائِسِ حِينَ يَبْدُو وَكَانَتْ قَبْلُ تَأَنَّفُ أَنْ تَصُدَّ
وقال أبو زيد الطائي^(٢) :

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخٌ مُكَابِرٌ جَرِيءٌ عَلَى الْأَقْرَانِ لِلْقِرْنِ قَاهِرٌ^(٣)
مَنِيعٌ وَيَحْمِي كُلَّ وَادٍ يَرُومُهُ شَدِيدٌ أُصُولِ الْمَاضِغَيْنِ مُكَابِرٌ
بَرَائِنُهُ شُنٌّ وَعَيْنَاهُ فِي الدَّجَى كَجَمْرِ الْعَصَى فِي وَجْهِهِ الشَّرِّ ظَاهِرٌ
يُسِدُّ بِأَنْيَابِ حِدَادٍ كَأَنَّهَا إِذَا قَلَصَ الْأَشْدَاقُ عَنْهَا خَنَاجِرٌ
وقال أيضاً^(٤) :

فَلَا يَعْلقَنُكُمْ مِهْصَرُ النَّابِ عَنَبَسٌ عَبُوسٌ لَهُ خَلْقٌ غَلِيظٌ غَضَبَفَرٌ^(٥)
مِنْ بَأَعْلَى خَلِّ رَمَانٍ مُخْدِرٌ عَفَرَنِي مَذَاكِي الْأَسَدِ مِنْهُ تَحَجَّرُ^(٦)
لَهُ زُبَرٌ كَاللَّبْدِ طَارَتْ رَعَابِلًا وَكَتَفَانِ كَالشَّرْحَيْنِ عَبِلٌ مُضَبَّرٌ^(٧)
كَأَنَّ غَضُونًا مِنْ لُهَاةٍ وَحَلَقِهِ مَغَارٌ هَيَامٌ عُذْمَلِيٌّ مِنْهُورٌ^(٨)
يُعَرِّدُ مِنْهُ ذُو الْحِفَافِ مُدَجَّجًا وَيَحْبِقُ مِنْهُ الْأَحْمَرِيُّ الْمُدَوَّرُ^(٩)

(١) (تهاب) - هنا - بمعنى تفرع، ولو أراد الشاعر (الهيئة) لقال: (تهاهب) ولم يقل (تهاب منه) .

(٢) (الديوان/٦٥) ، والأبيات في نهاية الأرب ٢٣٦/٩ منسوبة لبعض الاعراب .

(٣) (المُصْلَخُ) المتصب قائماً، والمراد أنه متهيء للشر .

(٤) (الديوان/٥٨) .

(٥) (المهصر: الأسد، ويريد (لا يعلقنكم ناب المهصر) فلم يستقم له الوزن فقلب اللفظ، والقلب شائع في الشعر العربي . انظر (أنوار الربيع ٢٢٧/٦) .

(٦) (المبن: المقيم في المكان، الخل: الطريق ينفذ في الرمل، رمان: جبل في بلاد طيء .

(٧) (الرعايل: القطع الممزقة من الثوب، الشرح: - هنا - الحرف الناتئ من الشيء .

(٨) (الهيام: ما لا يماسك من الرمل، العدملي: القديم، المنهور: الواسع، وفي أساس البلاغة) أمام داره منهرة، أي فضاء) .

(٩) (يعرّد: يفرّ، ذو الحفاظ: الذاب عن المحارم والمناع لها عند الحرب، يحبق: يضبط، الأحمرري:

الأحمر، وياؤه زائدة للمبالغة على حدّ زيادة التاء في نحو (علامة) والأحمر - هنا - : من لا سلاح معه، وهو نقيض المدجج، المدور: خلاف المستطيل، ولعله يريد الرجل السمين، وهو عادة لا يقدر على الهرب، والمدور أيضاً: المصاب بدور الرأس من الخوف أو غيره .

رَحِيبٌ مَشَقَّ الشِّدْقِ أَغْضَفُ ضَيْعَمٍ
وَعَيْنَانِ كَالْوَقْبَيْنِ فِي قُبُلِ صَخْرَةٍ
من الأسدِ عَادِيٌّ يَكَادُ لِصَوْتِهِ
كَأَنَّ اهْتِزَامَ الرَّعْدِ خَالَطَ جَوْفَهُ
يَظَلُّ مُغِيبًا عِنْدَهُ مِنْ فَرَائِسٍ
وَحُلُقَانٍ دِرْسَانٍ حَوَالِي عَرِينِهِ
أَقْلٌ فَأَقْوَى ذَاتِ يَوْمٍ وَخَيَّةٌ
فَأَبْصَرَ رَكْبًا رَائِحِينَ عَشِيَّةً
بَلِ السَّيْعِ فَاسْتَنْجُوا وَأَيْنَ نَجَاؤُكُمْ
فَوَلُّوا سِرَاعًا يَنْدَهُونَ مَطِيَّهِمْ
فساراهُم ما أن (لحسن) حَسِيْسُهُ
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ يَرِيْبُهُمْ
له لَحَظَاتٌ مُشْرِفَاتٌ وَمَحْجَرٌ^(١)
يُرَى فِيهِمَا كَالنَّجْمَتَيْنِ التَّبَصُّرُ^(٢)
رُؤُوسُ الْجِبَالِ الْعَادِيَاتِ تَقَعَّرُ^(٣)
إِذَا حَنَّ فِيهِ الْخَيْزِرَانُ الْمُثَجَّرُ^(٤)
رُفَاتٌ عِظَامٍ أَوْ غَرِيضٌ مُشْرِشَرُ^(٥)
وَرَفُضٌ سِلَاحٍ أَوْ قُنَانٍ مُقَتَّرُ^(٦)
لِأَوَّلِ مَنْ يَلْقَى وَغَيٍّ مُسِيرُ
فَقَالُوا: أَبْغُلْ مَاثِلُ الْجَلِّ أَشْقَرُ
فهذا وَرَبُّ الرَّاqِصَاتِ الْمُزْعَفَرُ^(٧)
وَرَا حَ عَلَى آثَارِهِمْ يَتَقَمَّرُ^(٨)
مَدَى الصَّوْتِ لَا يَدْنُو وَلَا يَتَأَخَّرُ^(٩)
وَقَدْ أَذْلَجُوا اللَّيْلَ التَّمَامَ وَأَبْكَرُوا

(١) الأغضف: المسترخي الأذن .

(٢) الوقبان، تشية الوقت: نقرة في الجبل أو في صخرة يجتمع فيها الماء .

(٣) العادي: الظالم المفترس. تَقَعَّرُ: تنقلع، وتنقلب .

(٤) اهتزام الرعد: صوته. الخيزران - هنا - القصب، والخيزران المثجّر: ذو الأنابيب، ويريد به المزمار المزدوج .

(٥) المغب: الذي يأتي بعد غياب، ومنه الحديث: زر غباً تزدد حباً، واللحم الغاب: البائت، والمجفف. الغريض: اللحم الطري. المشرشر: المقطّع، والمشقّق .

(٦) الخلقان: الأثواب البالية والممزقة. رفض السلاح: ما تحطّم منه وتفرّق. القنان (بالضم) : كم القميص، ويريد به الدرع. المقتر: المزين بالقتير وهي رؤوس المسامير في الدرع .

(٧) الراقصات: الإبل. يريد بالمزعفر: الأسد، تشبيهاً له بلون الزعفران .

(٨) تقمّر الأسد: خرج في القمراء يطلب الصيد .

(٩) (لحسن) كذا ورد في الديوان، وشعراء النصرانية بعد الإسلام/٧٢ ولم أجد لها معنى، ولعلها تحريف (يحسن) .

وقد بردَ الليلَ الطَّويلُ عليهمُ
تَنَادَوْا بَأْنَ حُلُوا قَلِيلًا وَعَرَّسُوا
بَعَيْنِيهِ لَمَّا عَرَّسُوا وَرَحَالَهُمْ
فَفَاجَأَهُمْ يَسْتَنُّ ثَانِي عِطْفِهِ
فَنَادَوْا جَمِيعًا بِالسَّلَاحِ مُيَسَّرًا
وَنَدَّتْ مَطَايَاهُمْ فَمِنْ بَيْنِ عَاتِقِ
وَطَارُوا بِأَسْيَافٍ لَهُمْ وَقَطَائِفِ
فَأَوَّلُ مَنْ لَاقَى يَجُولُ بِسَيْفِهِ
فَقَضَضَ بِالنَّابِئِينَ قَلَّةَ رَأْسِهِ
وَوَافَى بِهِ مَنْ كَانَ يَرْجُو إِيَابَهُ
وَمَرَّ بِهِمْ لَفْحٌ مِنَ الْقَرِّ أَعْسَرَ^(١)
وَحَفُّوا الرِّكَابَ حَوْلَكُمْ وَتَيَسَّرُوا
وَمَسَّقَطِهِمْ وَالصُّبْحُ قَدْ كَادَ يُسْفِرُ
لَهُ غَبَبٌ كَأَنَّمَا بَاتَ يَمْكُرُ^(٢)
وَأَصْبَحَ فِي حَافَاتِهِمْ يَتَنَمَّرُ
وَمِنْ بَيْنِ مُودٍ بِالْبَسِيطَةِ يَعْجُرُ^(٣)
وَكُلُّهُمْ يُخْفِي الْوَعِيدَ وَيَزْجُرُ
عَظِيمِ الْحَوَايَا قَدْ شَتَا وَهُوَ أَعَجَرُ^(٤)
وَدَقَّ صَلِيفَ الْعُنُقِ وَالْعُنَى أَصْعَرَ^(٥)
فَصَادَفَ مِنْهُ بَعْضٌ مَا كَانَ يَحْذَرُ^(٦)

وقال ابن الرومي^(٧)

فَمَا أَسَدُ جَهْمٍ الْمُحْيَا شَتِيمُهُ
مُسَمًى بِأَسْمَاءٍ فَمِنْهُمْ صَيِّعُمُ
قُصَاقِصُهُ وَرَدُّ السَّبَالِ غَضَنَفَرُ^(٨)
وَمِنْهُمْ ضِرْغَامٌ وَمِنْهُمْ قَسُورُ

(١) يقول: مرَّ بهم لفح من الحرِّ أعسر من برد الشتاء .

(٢) يستنُّ: يقيمص، ويعدو. الغبب: اللحم المتدلي تحت الحنك. المكر (هنا) : صوت نفخ الأسد .

(٣) نَدَّتْ الإبل: نفرت. العاتق: السابق عند الهرب. المودي: الهالك. عجر البعير بصاحبه: أتجه به إلى غير الجهة التي يريد بها .

(٤) الحوايا: ما تحوي من الأمعاء ويريد البطن. الأعجر العظيم البطن والممتلئ جداً .

(٥) قضض الأسد فريسته: كسرها. الصليف: غرض العنق، وهما صليقان من الجانبين. الأصعر: المائل العنق .

(٦) في الديوان (ما كاد يحذر) والتصويب من شعراء النصرانية بعد الاسلام ٧٣/ .

(٧) الديوان ١٠٤٤/٣ .

(٨) شتيم الأسد: وجهه العابس، أو الكريه: أسد قصاقصة: غليظ، وقيل قصير. السبال: مجتمع الشارين .

له جنة لا تسعار و شبكة
إهاب كتجفاف الكمي حصانة
وحجن كأنصاف الأهلة لا يني
تظل له غلب الأسود خواضعا
له ذمرات حين يوعد قرنه
يراه سراه الليل والدودونه
يدير إذا جن الظلام حجاجه
خبثنة جاب البضيع كأنه
له كلكل ركب اللبان وكاهل

شديد القوى عبلى الشوى مؤجد القرا

ملاحق أطباق الففار مضبر^(٦)
إذا ما علا متن الطريق ببركه
أخو وحدة تغنيه عن كل منجد
مخوف الشذا يمشي الضراء لصيده
وَيَبْرُزُ لِلْقَرْنِ الْمُنَاوِي فِيصْجِرُ^(٧)

وقال بديع الزمان الهمداني^(٨).

أفأطم لو شهدت ببطن خبت
وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

(١) التجفاف: ما يلبسه الانسان، ويجلل به الفرس لوقيته في الحرب.

(٢) الحجن (بالضم): العوج ويريد بها أنياب الأسد.

(٣) ذمر الأسد: زار. السلام (بالكسر): الأحجار.

(٤) الدو: المغارة.

(٥) الخبثنة: العظيم الشديد. جاب البضيع: غليظ اللحم، جوز الشيء: وسطه.

(٦) مؤجدة القرا: موثقة الظهر.

(٧) الشدا: الشر، والأذى، والجوع، الضراء: الاستخفاء، أصر: برز إلى الصحراء لا يواريه شيء.

(٨) أورد الشاعر هذه القصيدة في المقامة الواحدة والخمسين من مقاماته ص/٤٤٩. ونسبها ابن الأثير =

إِذَا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا
تَبْهَنْسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي
أَنْلِ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضِ إِنِّي
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا
يُكَفِّفُ غِيْلَةً إِحْدَى يَدَيْهِ
يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ وَبِحَدِّ نَابٍ
وَفِي يُنْمَايَ مَا ضِيَّيَ الْحَدِّ أَتَقَى
أَلَمْ يَلْغُوكَ مَا فَعَلْتَ ظَبَاهُ
وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا
فَقِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُؤَلِّي
نَصْحَتِكَ فَالْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغِشَّ نُصْجِي
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا
هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ فَخَلْتُ أَنِّي
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرْتُهُ
وَأَطْلَقْتُ الْمُهْنَدَ مِنْ يَمِينِي
فَخَزُّ مَجْدَلًا بِدَمٍ كَأَنِّي

هَزَزْتُ أَعْظَمَ لَأَقَى هَزَزْتُ
مُحَادَرَةً فَقُلْتُ عَقِرْتُ مُهْرًا (١)
رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
مُحَدَّدَةً وَوَجَّهًا مُكَفِّهًا
وَيَسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى
وَبِاللَّحْظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرًا
بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثَرًا (٢)
بِكَاطِمَةٍ غَدَاةً لَقِيتُ عَمْرًا (٣)
مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ دُعْرًا
وَأَطْلُبُ لِابْنَةِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا
طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا
وَحَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا
مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعَرَا
سَلَّلْتُ بِهِ لَدَى الظُّلُمَاءِ فَجْرًا
بَأَنَّ كَذَبَتُهُ مَا مَتَّهَ غَدْرًا
فَقَدْ لَهُ مِنَ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا
هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًا

= في المثل السائر ٢٨٤/٣ إلى بشر بن عوانة، وما بشر بن عوانة إلا شخص اخترعه البديع لبطولة مقامته المذكورة. والقصيدة كما قال ابن الأثير (من النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثله: وكل الشعراء لم تسم - قرائحهم إلى استخراج معنى ليس بملحوظ فيها).

(١) تبهنس: تبخر واختال.

(٢) الأثر (بالضم): أثر الجرح بعد البرء..

(٣) كاظمة: موضع في الكويت بينه وبين البصرة مرحلتان.

وَقُلْتُ لَهُ يَعْزُرْ عَلَيَّ أَنِّي
وَلَكِنْ رُمْتُ شَيْئاً لَمْ يَرْمُهُ
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَاراً
فَلَا تَجْزَعُ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرّاً
فَإِنْ تَكُ قَدْ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عَاراً
قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْداً وَفَخْراً
سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْراً
لَعَمْرُ أَيْبِكَ قَدْ حَاوَلْتُ نُكْرَا
يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمِتَّ حُرّاً^(١)
فَقَدْ لَاقَيْتَ ذَا طَرْفَيْنِ حُرّاً^(٢)

وقال ابن حمديس (عبد الجبار):^(٣)

وَلَيْثُ مُقِيمٍ فِي غِيَاظٍ مَنِعَةٍ
يُوسِّدُ شِبْلِيهِ لِحُومٍ فَوَارِسِ
هَزَبَرٍ لَهُ فِي فِيهِ نَارٌ وَشَفْرَةٌ
سِرَاجُهُ عَيْنَاهُ إِذَا أَظْلَمَ الدُّجَى
لَهُ جَبْهَةٌ مِثْلُ الْمَجَنِّ وَمَعِطُسٌ
يُصْلِصِلُ رَعْدٌ مِنْ عَظِيمِ زَيْبِهِ
لَهُ ذَنْبٌ مُسْتَبْطٌ مِنْهُ سَوَاطِ
وَيَضْرِبُ جَنْبِيهِ بِهِ فَكَأَنَّمَا
وَيُضْحِكُ فِي التَّعْبِيسِ فَكَيْهِ عَنْ مَدَى
يَصُولُ بِكَفِّ عَرْضِ شَبْرَيْنِ عَرْضُهَا
يُجَرِّدُ مِنْهَا كُلَّ ظَفَرٍ كَأَنَّهُ
أَمِيرٌ عَلَى الْوَحْشِ الْمُقِيمَةِ فِي الْفَقْرِ
وَيَقْطَعُ كَاللِّصِّ السَّبِيلَ عَلَى السَّفَرِ
فَمَا يَشْتَوِي لَحْمَ الْقَتِيلِ عَلَى الْجَمْرِ
فَإِنْ بَاتَ يَسْرِي بَاتَ الْوَحْشُ لَا تَسْرِي
كَأَنَّ عَلَى أَرْجَائِهِ صِبْغَةَ الْجَبْرِ
وَيَلْمَعُ بَرَقٌ مِنْ حَمَالِيْقِهِ الْحُمْرِ
تَرَى الْأَرْضَ مِنْهُ وَهِيَ مَضْرُوبَةُ الظَّهِرِ
لَهُ فِيهِمَا طَبْلٌ يَحُضُّ عَلَى الْكَرِّ
نِيُوبُ صِلَابٍ لَيْسَ تُهْتَمُّ بِالْفِهْرِ^(٤)
خَنَاجِرُهَا أَمْضَى مِنَ الْقَضْبِ الْبُتْرِ
هَلَالٌ بَدَا لِلْعَيْنِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ

وقال ابن المعتز:^(٥)

وَمَالِيْتُ غَابَ يَهْزِمُ الْجَيْشَ خَوْفُهُ
بِمَشْيِهِ وَثَابَ عَلَى النَّهْيِ وَالزُّجْرِ

(١) الحر: الخالص من العبودية.

(٢) الحر هنا: الكريم النسب.

(٣) الديوان/٥٤٩.

(٤) هتم أسنانه: كسرهما من اصلها.

(٥) الديوان ٤٣٧/١.

يَجْرُ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ
إِذَا مَا رَأَوْهُ طَارَ جَمْعُهُمْ مَعًا
جَرِيٌّ أَيُّ يَحْسِبُ الْأَلْفَ وَاحِدًا
يُرْعِزُ أَحْشَاءَ الْبِلَادِ زَيْبُهُ
إِذَا ضَمَّ قِرْنًا بَيْنَ كَفَيْهِ خِلَّتْهُ
فَحَرَّمَ أَرْضَ الْحَائِرَيْنِ وَمَاءَهَا
بَأَجْرًا مِنْهُ حَدٌّ بَأْسٍ وَعِزَّةٌ

ومن التهويلات في وصف الأسد قول الشاعر (١).

إِيَّاكَ لَا تَسْتَوْشِرُ لَيْثًا مُخْدِرًا
مَرَسًا كَأَمْرَاسِ الْقَلِيبِ جُدُولُهُ
شَنَ الْبَرَاثِنِ كَالْمَحَاجِنِ عَطْفَتْ
لَانَ الْحَدِيدِ لَجْدِيهِ فَأِهَابُهُ
مُصْطَكَّةٌ أَرْسَاغُهُ بِعِظَامِهِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى وَمِضِ جُفُونِهِ
لِلْهَوْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى دَوَاسًا (٢)
لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ الْأَنَامُ مِرَاسًا (٣)
أُظْفَارُهُ فِتْخَالُهَا أَقْوَاسًا (٤)
يَكْفِيهِ مِنْ دُونِ الْحَدِيدِ لِبَاسًا
فَكَأَنَّ بَيْنَ فُصُولِهَا أَجْرَاسًا (٥)
أَبْصَرْتُ بَيْنَ شُفُورِهَا مِقْبَاسًا

وقال أبو زيد الطائي: (٦)

وَأَسْتَحْدِثُ الْقَوْمَ أَمْرًا غَيْرَ مَا وَهْمُوا
وَطَارَ أَنْصَارُهُمْ شَتَّى وَمَا جَمَعُوا

(١) نهاية الارب ٢٣٦/٩.

(٢) لا تستوش الأسد: لا تحرك ساكنه. يقال: استوشى فرسه: حركه لاستخراج ما عنده من الجري.

(٣) المرس (بكسر الراء) الشديد المراس. الأمراس: الحبال الجدول: قصب اليدين والرجلين، أو هي الأعضاء، واحده جدل.

(٤) الشن: الخشن، والغليظ. البرثن، جمع البرثن، وهو بمنزلة الأصابع من الانسان..

(٥) الارساغ، جمع الرسغ: مفصل ما بين الساعد والكف، والساق والقدم. الفصول: المفاصل.

(٦) الديوان ١١٠/.

كَأَنَّمَا يَفْادَى أَهْلُ بَعْضِهِمْ
ضِرْغَامَةً أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ ذِي لَبَدٍ
بِالثَّنِيِّ أَسْفَلَ مِنْ جَمَاءَ لَيْسَ لَهُ
أَبْنٌ عَرِيْسَةٌ عُنَابُهَا أَشْبَبُ
شَأْسُ الْهَبُوطِ زَنَاءُ الْحَامِيَيْنِ مَتَى
أَبُو شَتِيْمَيْنِ مِنْ حَصَاءٍ قَدْ أَفْلَتْ
أَعْطَتْهُمَا جُهْدَهَا حَتَّى إِذَا وَجِمَتْ
ثُمَّ آسَتْفَاهَا فَلَمْ تَقْطَعْ فِطَامَهُمَا
وَرَدَّيْنِ قَدْ أَخَذَا أَخْلَاقَ شَيْخِهِمَا
عَذَاهُمَا بِلِحَامِ الْقَوْمِ مُدْشَدَّنَا
عَلَى جَنَاجِنِهِ مِنْ ثَوْبِهِ هَبَبٌ

مِنْ ذِي زَوَائِدَ فِي أَرْسَاغِهِ فَدَعُ^(١)
كَأَنَّهُ بُرْنَسًا فِي الْغَابِ مَلْتَفِعُ^(٢)
إِلَّا بَنِيهِ وَإِلَّا عِرْسَهُ شَيْعُ^(٣)
وَدُونَ غَايَتِهَا مُسْتَوْرَدُ شَرْعُ^(٤)
يَبْشَعُ بَوَارِدَةٍ يَحْدُثُ لَهَا فَرْعُ^(٥)
كَأَنَّ أَطْبَاءَهَا فِي رُفْعِهَا رُقْعُ^(٦)
صَدَّتْ وَصَدَّ فَلَا غَيْلَ وَلَا جَدْعُ^(٧)
عَنِ التَّضْبِبِ لَا شَعْبُ وَلَا قَدْعُ^(٨)
فَفِيهِمَا عَزْمَةُ الظُّلْمَاءِ وَالْجَشْعُ^(٩)
فَمَا يَزَالُ بَوْصَلِي رَاكِبٍ يَضْعُ^(١٠)
وَمِنْ دَمٍ صَائِكٍ مُسْتَكْرَهُ دَفْعُ^(١١)

- (١) ذو الزوائد: الأسد. القدح (محرّك): الاعوجاج،
(٢) الأهرت: الواسع الشدقين.
(٣) الثني، والجماء: موضعان ذكرهما ياقوت في معجم البلدان.
(٤) أبْنٌ: أقام. العريسة: مأوى الأسد. العناب: شجر حبه أحر حلو. أشب الشجر: التفّ،
المستورد: موضع الورود. الشرع: الذي يشرع فيه.
(٥) الشأس: الغليظ يعني بزناء الحاميين، انه ضيق جانبي الوادي، يشع: يضيق (عن أمالي
المرتضى ٢٨٦/٢) في الديوان (ينشع)
(٦) الشميم: الكريه الوجه. الحصاء: القليلة الشعر. الأطباء. حلّمت الضرع. الرفغ: أصل الفخذ.
(٧) الغيل: اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل. الجدع: سوء الغذاء.
(٨) الاستفاهة: شدة الأكل. التضبيب: السمن وكثرة اللحم. الشعب: التفريق. القدح: دفع المرأ
عن أمر يريده.
(٩) (أخلاق شيخهما) عن شعراء النصرانية بعد الاسلام ٦٨/، في الديوان (أخلاق شحمهما).
(١٠) شدن الظبي وغيره شدونا: قوي وترعرع واستغنى عن أمه. الوصل: كلّ عضو على حدة لا يوصل
به غيره، ويريد بالوصلين: الرجلين. وضع الرجل: أسرع في سيره.
(١١) الجناجن: عظام الصدر. الهيب: المتقطع. الصائك: اللازق.

كأَنَّمَا هُوَ فِي أَهْدَابِ أَرْمَلَةٍ مُسْرُولٌ وَإِلَى الْإِبْطِينِ مُدْرَعٌ ^(١)

وقال المتنبي: ^(٢).

وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةَ شَارِباً
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا
فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
يَطُأُ الْبَرَى مُتَرْفِقاً مِنْ تَيْهِهِ
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوحِهِ
وَتَظُنُّهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ نَفْسُهُ
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
أَلْقَى فَرِيستَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا
فَتَشَابَهَ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
فِي سَرَجٍ ظَامِئَةٍ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ
نَيَْالَةِ الطُّلُبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا اسْتَحْضَرْتَهَا
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسُهُ فِي زَوْرِهِ

وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْيَرُهُ وَالنَّيْلَا
فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلَا
تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا
لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا
فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجْسُ عَلِيْلَا
حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلَا ^(٣)
عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْكُولَا ^(٤)
وَقَرُبَتْ قُرْباً خَالَهُ تَطْفِيلَا ^(٥)
وَتَخَالَفَا فِي بَذْلِكَ الْمَأْكُولَا
مَتْنَأً أَزَلَّ وَسَاعِداً مَفْتُولَا
يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَا ^(٦)
تُعْطِي مَكَانَ لِجَامِهَا مَا نِيْلَا
وَتَظُنُّ عَقْدَ عِنَانِهَا مَحْلُولَا
حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضَ مِنْهُ الطُّولَا

(١) في رواية (الكعبيين) مكان (الابطين).

(٢) الديوان شرح العكبري ٢٣٨/٣.

(٣) الغفرة: ما يغطى به الشيء، ويريد بها: الشعر اجتمع على قفاه ويافوخه.

(٤) المشكول: المقيد بالشكال، وهو الحبل الذي تشد به قوائم الدابة.

(٥) الضمير من (قربت) يعود إلى الممدوح وهو سيف الدولة الحمداني.

(٦) الفصوص: المفاصل، وظامئة الفصوص، أي ليست برهلة كثيرة اللحم. الطمرة: الفرس الوثابة.

وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
فَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّانِي
أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّيَّةِ تَارِكُ
وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ
سَبَقَ الْيَقَاءَ كُهُ بَوْبَةٍ هَاجِمٍ
خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ
قَبَضَتْ مَيْتَتَهُ يَدَيْهِ وَعُنَقَهُ
سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ
يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلًا
لَا يُبْصِرُ الْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا
فِي عَيْنِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرَ قَلِيلًا
مِنْ خَتَفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا
لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَارَكَ مِيلًا
فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلًا (١)
فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولا
فَنَجَا يُهْرُولُ مِنْكَ أَمْسِرَ مَهُولًا (٢)

وقال الوزير أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي (٣) - وقد أحضر
لمعاينة قتل أسد هائل المنظر - يصفه من قصيدة:

جَهْمُ الْمُحْيَا إِنْ تَبَسَّمَ هَبَّتْهُ
وَيُقَالُ: كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
وَكَأَنَّمَا هُوَ نَاطِلٌ عَنْ زَيْبِقٍ
وَكَأَنَّ لِبَدَتَهُ بَقِيَّةُ فَرُودَةٍ
لَمَّا تَمَرَّدَ فِي الْعَرِينَةِ فَتَحَتْ
وَعَلَا زَيْبِرٌ مِنْهُ حَتَّى نَجَلَتْهُ
وَوَطَّنَتْ أَنْ الرَّعْدَ مِنْ حَيْثُ الْحَيَا
وَتَنَاوَلَتْ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ زُرْقَهُ
وَمِنْ الْعَجَائِبِ هَيْبَةُ الْمُتَبَسِّمِ
وَأَرَى الْفَرَاءَ لَدَيْهِ بَعْضَ الْمَطْعَمِ
وَكَأَنَّمَا هُوَ كَاشِرٌ عَنْ مِخْذَمٍ
قَصُرَتْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
أَبْوَابُهَا فَانْسَابَ مِثْلَ الْأَرْقَمِ
كَالْفَحْلِ يَهْدُرُ عِنْدَ شَوْلٍ هَيْمٍ (٤)
حَتَّى سَمِعْتُ الْيَوْمَ رَعْدًا مِنْ فَمٍ
حَتَّى بَدَأَ فِي شَكْلِهِ كَالشَّيْهَمِ (٥)

(١) التجديل: من قولهم جدله: إذا صرعه.

(٢) ابن عمته: أسد من جنسه. المهول: المخوف.

(٣) الحلة السرياء ٢/٢٦١.

(٤) الشول: النوق التي ترفع أذنانها للقوق واحدتها شائل.

(٥) الشيهم: ذكر القنافل.

وقال الشريف الرضي^(١) يصف الأسد :

دَعِيَ جَنَابَ الْوَادِيَيْنِ فَدُونَهَا أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ ضَبَارِمُ
إِذَا هُمْ لَمْ تَقْعُدْ بِهِ عَزَمَاتُهُ وَإِنْ ثَارَ لَا تَعْيَا عَلَيْهِ الْمَطَاعِمُ
كَأَنَّ عَلَى شِدْقَيْهِ ثَغْرًا وَرَاءَهُ ذَوَابِلُ مِنْ أَنْيَابِهِ وَصَوَارِمُ
فَمَا جَذَبَ الْأَقْرَانُ مِنْهُ فَرِيَسَةً وَلَا عَادَ يَوْمًا أَنْفُهُ وَهُوَ رَاغِمُ
يَرَى رَاكِبَ الظُّلُمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ وَتَسْتَنُّ مِنْهُ فِي الْعَرِينِ الْغَمَائِمُ
نَمْرٌ وَرَاءَ اللَّيْلِ نَكْتَمُهُ السَّرَى وَقَدْ فَضَحْتَنَا بِالْبُغَامِ الرُّوَاسِمُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ غَارَةٌ فِي عَدُوِّهِ تُشَارِكُهُ فِيهَا الشُّسُورُ الْقَشَائِمُ
كَأَنَّ الْمَنَايَا إِنْ تَوَسَّدَ بَاعَهُ تَيَقَّظُ فِي أَنْيَابِهِ وَهُوَ نَائِمُ
وَمَا اللَّيْثُ إِلَّا مَنْ يُدِلُّ بِنَفْسِهِ وَيَمْضِي إِذَا مَا بَادَهَتْهُ الْعِظَائِمُ
وَمَا كُلُّ لَيْثٍ يَغْنَمُ الْقَوْمَ زَادُهُ إِذَا خَفَقَتْ تَحْتَ الظُّلَامِ الضَّرَائِمُ

وقال المتوكل الليثي^(٢) من قصيدة :

فَهَابُوا وَقَاعِي كَالَّذِي هَابَ خَادِرًا شَتِيمَ الْمُحْيَا خَطْوُهُ مُتَدَانِي^(٣)
تُشَبُّهُ عَيْنِيهِ إِذَا مَا فَجِئْتُهُ سِرَاجِينَ فِي ذُبُجُورَةٍ تَقْدَانِي
كَأَنَّ ذِرَاعِيهِ وَبَلْدَةَ نَحْرِهِ حُضْبُنَ بِحِجَاءٍ فَهَنْ قَوَانِي^(٤)
عَفَرْنِي يَضُمُّ الْقِرْنَ مِنْهُ بِسَاعِدِ إِلَى كَاهِلٍ عَارِي الْقَرَا^(٥) وَلِبَانِ^(٥)
أَزْبُ هَرِيْتُ الشَّدْقِ وَرَدُّ كَأَنَّمَا يُعَلُّ أَعَالِي لَوْنِهِ بِدِهَانِ^(٦)

(١) ديوانه ٣٦٥/٢ . دار صادر.

(٢) ديوانه ٢٠١/١ .

(٣) شتيم: كريحه، وقبيح .

(٤) البلدة - هنا - : الصدر.

(٥) العفرني والعفرنا: الأسد الشديد. القرا : الظهر. اللبان: الصدر.

(٦) الأزب: الطويل الشعر كثيره. هريت الشدق: واسع الفم. الورد لون الأسد وهو ما بين الكميت والأشقر.

مُضَاعَفٌ لَوْنِ السَّاعِدَيْنِ مُضَبَّرٌ هَمُوسٌ دُجَى الظُّلَمَاءِ غَيْرُ جَبَانٍ^(١)
وقال الناشئ الأكبر عبد الله بن محمد^(٢) .

وَعَفْرَنَاءٍ	ضَبَّارِمَةٍ	ضَبَّ مُضَبٍّ عَلَى إِحْنَةٍ ^(٣)
وَارِدِ الْأَكْبَادِ ذِي لِبَدٍ	خَادِرٍ يَسْتَنُّ فِي أَرْزِنَةٍ ^(٤)	
هَرَّتْ عُصْلُ خَوَاصِمِهِ	سَهْكَ وَالْعَرْفُ فِي أَسْنِمَةٍ ^(٥)	
تُضْبِحُ الْأَسَادُ نَابِيَةً	عَنْ مَغَانِيهِ وَعَنْ فِطْنِهِ	
أَوْثَقَتْ لِلْبَطْشِ آلَتُهُ	فَكَفَّتُهُ السَّعْيَ فِي مَهْنَةٍ	
حَرَبُ الْأَبْطَالِ عَادَتُهُ	وَاعْتِيَالُ الشُّوسِ مِنْ سُنْنِهِ	
وَإِذَا غَطَّتْ بِلَاعِمُهُ	وَاسْتَحَرَّ الزَّارُ عَنْ دِمْنِهِ ^(٦)	
غَالَ قَلْبُ الْمَرءِ يَبْعُدُ عَنْ	أَرْضِهِ مَا جَالَ فِي أَذُنِهِ	
مِخْطَفُ الْأَعْجَازِ جَوْشُنُهُ	صَادِقٌ أَوْفَى عَلَى قُنْنِهِ ^(٧)	

- (١) المضبّر: الموثق الخلق. الهموس: الخفي الوطاء .
(٢) المصائد والمطارد/ ١٨٠ ، وسأشير إلى هذا الكتاب عند تقويم بعض أبيات القصيدة بكلمة (الأصل) لأنني لم أعر عليها في مصدر آخر.
(٣) الضبارمة: المجتمع الخلق موثق. الضبّ - هنا - : الغيظ. المضبّ، من ضبّ على الشيء : احتواه. الأحن: الأحقاد. ورد البيت في الأصل مصحفاً هكذا :
وعفرونة صعيارمة صب مصب على أحنه
(٤) الوارد : الجريء والشجاع. الخادر: الأسد المقيم في خدره. يستن: يقمص ويعدو. الأرن: النشاط .
(٥) الهرت: الواسع الشديق. العصل جمع الأعصل : الأعوج. خواضم الأسد: أنيابه. في الأصل (خواصمه) وهو تصحيف. السهك: ذو الرائحة الكريهة. العرف - هنا - الرائحة الممتنة وهي من الأضداد. الأسن، من أسن الماء أسناً: تغير طعمه وريحه. والأسن (بضمين) : بقية الشحم. في الأصل (سهك في عرفه أسنه) ولا تستقيم معه القافية .
(٦) غطّت بلاعمه ، من الغطيظ وهو غطيظ النائم، وغطيظ البعير عندما يهدر في شقشقته. الدمن، جمع الدمنة ، وهي - هنا - الحقد القديم .
(٧) المخطف (بالكسر) : الخطاف : وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء، وخطاطيف السباع: مخالباها. الجوشن : الصدر. في الأصل (خوشنه) و (صدق) مكان (جوشنه) و (صادق) .

تَقْصِفُ الْمِرَّانَ شِكَّتُهُ وَيَكُلُّ السَّيْفُ عَنْ جَنَنِهِ^(١)
وَإِذَا أَجْفَانُهُ وَمَضَّتْ كَوَيْمِضِ الْبَرْقِ فِي مُزْنِهِ
لَمْ تَرْغُ عَنْ عَيْنٍ لَامِحِهَا دُونَ سَلِّ الرُّوحِ مِنْ بَدَنِهِ^(٢)
كُلُّ ذِي رُوحٍ يَدِينُ لَهُ وَيَخَافُ الْقُرْبَ مِنْ سَنَنِهِ
حِينَ تَمَّتْ مِنْهُ مُدَّتُهُ وَانْقَضَى مَا امْتَدَّ مِنْ زَمَنِهِ
غَالَهُ خِرْقٌ تَوَسَّطُهُ نَشِزًا أَوْفَى عَلَى شَرْزَنِهِ^(٣)
جُعِلَتْ فِيهِ فَرِيسَتُهُ كَجُثُومِ الطَّيْرِ فِي مَكْنِهِ^(٤)
فَسَرَى وَالْحَيْنُ يَقْدُمُهُ غَيْرَ مَطْوِيٍّ عَلَى ظَنَنِهِ
وَأَتَى يَبْغِي فَرِيسَتَهُ فَوَهَى وَأَنْهَدَ مِنْ رُكْنِهِ
وَعَدَا الْقَنَاصُ فَاَنْتَظَمُوا بَيْنَ مَتْنَيْهِ إِلَى دَقْنِهِ
بِسِهَامِ الْحَفَّتِهِ كَمَا يُدْرَجُ الْمَقْبُورُ فِي كَفْنِهِ^(٥)
فَثَوَى وَالتُّرْبُ مَسْكُنُهُ نَائِي الْأَوْطَانِ عَنْ وَطْنِهِ^(٦)

وقال ابن الهبارية أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي في حكاية أسدين^(٧):

فقال كان أسدٌ بالحاجرِ فظاً على الأصحابِ والعشائرِ^(٨)

-
- (١) الميران : الرماح . الشكّة : السلاح ، في الأصل (حننه) مكان (جننه) .
(٢) في الأصل (لم ترع) - مكان (لم ترغ) .
(٣) الخرق ، والخريق : الفتى السخي ، والحسن الكريم الخليفة . النشز : الذي يحتمل قرنه فيصرعه .
الشزن : النشاط .
(٤) مكينات الطير : مقارها وأعشاشها ، في الأصل (كحتوم) مكان (كجثوم) وهو تصحيف .
(٥) في الأصل (تدرج) مكان (يدرج) .
(٦) قال محقق الكتاب الدكتور محمد أسعد طلس في فهرس التصويبات ما نصّه (في قصيدة الناشئ
اضطراب فليحقق) لذلك التزمت بتقويم ما فيها من خلل .
(٧) ديوانه (الصادح والباغم) / ٣٨ .
(٨) حاجر : موضع في ديار بني تميم ، وقيل : لمزينة .

يَأْكُلُ مَا يَصِيدُهُ وَيُطْعِمُهُ
وَالنَّيْرُ الْمُسْكِينُ ثَاوٍ جَائِعُ
فَإِنْ شَكُوا أَنْكَرَ ذَلِكَ قَائِلًا
وَهُمْ يَعْضُونَ الْبَنَانَ عَضًا
وَفِي زُرُودٍ شَبْلٍ لَيْثٌ فِي أَجْمٍ
مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ طِفْلٌ يَرْضَعُ
كَانَ أَبُوهُ لَهُمْ يُرَاعِي
ثُمَّ أَقَامَتْ أُمُّهُ تُرْضِعُهُ
تَضْطَادُّ مَا تَضْطَادُّهُ بَعْجَرُهَا
وَكَبُرَ الشَّبْلُ وَشَبَّ وَنَهَضَ
وَعَلِمَتْهُ أُمُّهُ أَخْلَاقُهَا
فَمَلَكَ الْقُلُوبَ بِالْمَحَبَّةِ
ثُمَّ غَزَاهُ ذَلِكَ اللَّيْثُ الَّذِي
فِي جَحْفَلٍ مِنْ قَوْمِهِ جَدَّارٍ
فَرِيعٍ مِنْهُ الشَّبْلُ وَاسْتُطِيرَا
وَهُمْ أَنْ يَهْرَبَ مِنْ مَكَانِهِ
قَالُوا لَهُ عَدِيدُنَا قَلِيلُ
وَوَاحِدٌ يَصْدُقُ فِي اللَّقَاءِ
فَأَصْبِرْ لَهُ فَإِنَّا سَنَهْزِمُهُ
حَتَّى إِذَا مَا رَحَفَا وَاصْطَفَا
فَظَلَّ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ وَحَدَهُ

جماعةً من الكلاب تخدمُهُ
وكلُّ ساداتِ السَّباعِ ضائعُ
ما تستحقُّونَ عليَّ طائلاً
ويُضْمِرُونَ حَنَقاً مُضِماً
لا يَدْفَعُ الْخَصَمَ إِذَا الْخَصَمُ هَجَمَ^(١)
لكن له جُنْدٌ قَلِيلٌ طَيِّعُ
والْحِفْظُ مِنْ مَكَارِمِ الطَّبَاعِ
وَتُطْعِمُ الْجُنْدَ الَّذِي يَتَّبِعُهُ
ثُمَّ تُجِيعُ نَفْسَهَا لِعِزِّهَا
وَاصْطَادَ مَا عَزَّ وَدَقَّ وَبَهَضَ^(٢)
سَخَاءُهَا الطَّبْعِيُّ أَوْ نَفَاقُهَا
وَالْحُبُّ لَا يَخْلُصُ إِلَّا رَغْبَةُ
كَانَ بِهِ الْجُنْدُ زَمَاناً قَدْ أَذِيَ
يَقُودُ كُلَّ بَطلٍ كَرَّارٍ
لَمَّا رَأَى عَسْكَرَهُ الْكَثِيرَا
وَعَرَضَ الرَّأْيَ عَلَى أَغْوَانِهِ
لَكُنَّا غَنَاؤُنَا جَلِيلُ
خَيْرٌ مِنَ الْأَلْفِ بِلا غَنَاءٍ^(٣)
بِصَدَقِنَا وَجُنْدُهُ سَيُسْلِمُهُ
أَحْجَمَ عَنْهُ جُنْدُهُ وَكَفَا
كَذَاكَ حَالُ مَنْ يُضِيعُ جُنْدَهُ

(١) زرود: موضع بالحجاز في طريق مكة للقادم إليها من الكوفة .

(٢) بهضه الأمر، وأبهضه: أثقله فعجز عن حمله .

(٣) في الديوان (عناء) مكان (غناء) وهو تصحيف .

لأنهم قَضَوْهُ مَا أَسْلَفَهُمْ وَأَخْلَفُوهُ الْوَعْدَ إِذْ أَخْلَفَهُمْ
وَفَارَ بِالْمَلِكِ الشُّبَيْلُ وَغَلَبَ وَلَمْ يُطِقْ ذَاكَ الْفِرَارُ وَالْهَرَبُ
وَجَاءَهُ فِي يَوْمِهِ جَمَاعَهُ فَأَوْثَقُوا فِي عُنُقِهِ ذِرَاعَهُ
وَحَمَلُوهُ قُرْبَةً إِلَيْهِ وَأَوْجَبُوا الْحَقَّ بِهِ عَلَيْهِ

ابن آوى

حيوان وحشيٌ مفسد . قلما يُرى في النهار، وإن رُوي فلا يُسمع له حسٌّ أو عواء ، ولا يعوي في الليل إلا إذا استوحش لابتعاده عن رفاقه . يعيش مع جماعة من فصيلته، ويقود الجماعة أكبرهم سنًا وأكثرهم خبرة . يخشى الإنسان ويهرب منه، ولكنه يهاجمه عند الإضطرار للدفاع عن نفسه .

يغير على القرى وأطراف المدن ليلاً، فيفتك بالدجاج، ويتلف ثمار المزارع .

ولبعده عن الإنسان، وعدم حاجة الإنسان إليه كانت أخباره في الأدب العربي قليلة جداً، بل تكاد تكون معدومة، فلم يرد ذكره في القرآن، ولا في الحديث النبوي، ولا في الأمثال العربية، ولم يتعرض له الشعراء بمدح أو ذم إلا في أبيات معدودات، وهي على الأكثر غير معزوة لأحد .

وها إننا ذاكرون ما تيسر لنا من أخباره وأحواله ممّا يدخل ضمن منهج هذا

الكتاب :

أسماءه وكناهه^(١)

أشهر أسمائه (ابن آوى) ، وجمعه : بنات آوى ، وسبب التسمية لأنه يأوي إلى عواء أبناء جنسه ، وهو معرفة لا ينصرف ، لوزن الفعل ، ولأنه علم يطلق على الذكر والأنثى ، وتركيبه إضافي . فابن غير منفصل من (آوى) وآوى غير منفصل من (ابن) ، ومن أسمائه :

- الوَعَوَعُ ، والْوَعَوَاعُ ، ويشترك في هذه التسمية : الكلب والذئب .
- لَعَوُض (كجدول) وفي أقرب الموارد بالصاد المهملة .
- عَلَوُض ، وهو من عَلَض الشيء عَلَضاً : حرَّكه لينتزعه .
- شَعَبَر (بالعين المهملة) وفي رواية : شَعْبَر (بالعين المعجمة) .
- عَلُوْش ، وهو الخفيف الحريص ، ويشترك معه الذئب .
- شَوُطُ بَرَّاح .
- الدُّوْلَبَان (يهمز ولا يهمز) .

ومن كناه : أبو أيوب ، وأبو ذؤيب ، وأبو كعب ، وأبو وائل .

ذكره في الشعر

قال أبو نواس الحسن بن هاني من قطعة يهجو بها إسماعيل بن سهل بن نوبخت^(٢) .

على خُبْرِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وما خُبْرُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ ولم يُرَ آوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ

(١) المخصَّص/٢/٧٣ ، عجائب المخلوقات/٢٢٨ ، حياة الحيوان الكبرى ١/١٠٨ . المعجم الزوولوجي الحديث ١/٤٠ ، وبعض معاجم اللغة .

(٢) ديوان أبي نواس/٥١٥ .

وقال آخر في صعوبة صيده ورخص ثمنه^(١) :
 كَابِنِ آوَى وَهُوَ صَعْبُ صَيْدُهُ فَإِذَا صِيدَ يُسَاوِي خَرْدَلَهُ
 وقال آخر^(٢) .

إِنَّ ابْنَ آوَى لَشَدِيدُ الْمُقْتَنَصِ وَهُوَ إِذَا مَا صِيدَ رِيحُ فِي قَفْصِ
 بعض ما ورد عنه في القصص^(٣)

١ - زعموا أنَّ غراباً كان له وكر في شجرة على جبل ، وكان قريباً منه حجر
 ثعبان أسود ، فكان الغراب إذا أفرخ عمد الأسود إلى فراخه فأكلها . فبلغ ذلك من
 الغراب فأحزنه ، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى وقال له : أريد مشاورتك
 في أمر قد عزمت عليه . قال : وما هو ؟

قال الغراب : قد عزمت على أن أذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه
 فأفقاها لعلِّي أستريح منه . قال ابن آوى : بئس الحيلة التي احتلت . فالتمس أمراً
 تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغدّر بنفسك وتخطر بها ، وإيّاك أن يكون
 مثلك مَثَلُ العُلجوم^(٤) الذي أراد قتل السرطان فقتل نفسه^(٥) . ولكني أدلك على
 أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك ، وتكون
 فيه سلامتك .

قال الغراب : وما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتتبصّر في طيرانك لعلّك تظفر بشيء من حليّ النساء

(١) و (٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ ٢٦٦ .

(٣) كليلية ودمنة/ ١٤٧ و ١٥٠ ، و ٣١٢ - ٣١٦ .

(٤) العُلجوم يطلق في اللغة على عدة حيوانات تنصف بكثرة اللحم ، ولا ينطبق هنا - إلا على ذكر البط .

(٥) انظر قصة العُلجوم والسرطان في كليلية ودمنة/ ١٤٨ .

فتخطفه ولا تزال طائراً واقعاً بحيث لا تفوت العيون . فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحليّ عنده فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليّهم وأراحوك من الأسود .

فانطلق الغراب محلّقاً في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليّها ناحية ، فانقضّ واختطف من حليّها عقداً وطار به ، فتنبه الناس ، ولم يزل طائراً واقعاً بحيث يراه كلُّ أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود ، فألقى العقد عليه والناس ينظرون إليه . فلما أتوا أخذوا العقد وقتلوا الأسود .

٢ - وزعموا أنّه كان أسند في أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فضلات طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف شديداً وجُهد فلم يستطع الصيد ، فقال له ابن آوى :

ما بالك يا سيد السباع قد تغيّرت أحوالك ؟ قال : هذا الجرب الذي قد جهدني وليس له دواء إلاّ قلب حمار وأذناه . قال ابن آوى : ما أيسر هذا ، وقد عرفت بمكان كذا حمّاراً مع قصّار^(١) يحمل عليه الثياب وأنا آتيك به ، ثم دلف إلى الحمّار فاتاه وسلم عليه وقال له : ما لي أراك مهزولاً ؟ قال : لسوء تدبير صاحبي ، فإنّه لا يزال يجيع بطني ، ويثقل ظهري ، وما تجتمع هاتان الحالتان على جسم إلاّ أنحلّته وأسقمته . فقال له : كيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال : ما لي حيلة للهرب منه فلست أتوجّه إلى جهة إلاّ أضرب بي إنسان فكدّني وأجاعني .

قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمرّ به إنسان ، خصيب المرعى فيه عانة^(٢) من الحُمُر ترعى آمنة مطمئنة .

(١) القصّار: مبيّض الثياب .

(٢) العانة: القطيع من حمير الوحش .

قال الحمار: وما يحبسنا عنها فانطلق بنا إليها . فانطلق به نحو الأسد، وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار. فخرج إليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه، وتخلص الحمار منه فأفلت هليعاً على وجهه. فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له: يا سيد السباع أعجزت إلى هذه الغاية؟ فقال له: إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجومني أبداً. فمضى ابن آوى إلى الحمار فقال له: ما الذي جرى عليك؟ إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك، ولو ثبت لأنسك ومضى بك. إلى أصحابه.

فلما سمع الحمار ذلك، ولم يكن رأى أسداً قط صدق ما قاله ابن آوى وأخذ طريقه إلى الأسد، فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه وقال له: استعد له فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف في هذه النبوة، فإنه إن أفلت لن يعود معي أبداً، والفرص لا تصاب في كل وقت.

فجاش جاش الأسد لتحريض ابن آوى له، وخرج إلى موضع الحمار، فلما بصر به عاجله بوثة افترسه بها ثم قال: قد ذكرت الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الإغتسال والطهور، فاحتفظ به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه، وأترك ما سوى ذلك قوتاً لك.

فلما ذهب الأسد ليغتسل عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئاً. ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى: أين قلب الحمار وأذناه؟ قال ابن آوى: ألم تعلم أنه لو كان له قلب يعقل به وأذنان يسمع بهما لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة؟

الأرنب

أَسْمَاؤها والصفات التي تجري مجرى الأسماء^(١)

الأرنب: اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، ويميّز باسم الإشارة فيقال للذكر: هذا أرنب، وللأنثى: هذه أرنب، ونقل عن الخليل بن أحمد قوله: للأنثى، أرنبة. والجمع أرانب، وربما قالوا أراني، كثعالب، وثعالي. ومن أسمائها الأخرى:

- الخرنق: ولد الأرنب، للذكر والأنثى، ثم سخلة، ثم أرنب.
- الخرز: للذكر، جمعه خِرْزَان، وأخْزَة.
- الدرامة، والدريمة، ويشترك معها القنفذ.
- الزُمُوع: للذكر والأنثى. لتقارب خطوها كأنها تعدو على زمعاتها وهي الشعرات في مؤخر رجلها.
- عِكْرَشَة: للأنثى.
- القُواع: للذكر، والأنثى: قُواع.

مما ورد عنها في اللغة^(٢)

أرض مُؤَرَّبَة، ومُرَبَّبة: كثيرة الأرناب.

(١) و (٢) المخصّص ٧٦/٨/٢ و ٧٧، وبعض معاجم اللغة، وحياة الحيوان ٢٠/١.

أَرْضٌ مُخَزَّنَةٌ: تكثر فيها الخرائق، وهي الأرناب .
 أرنب مُحَشَّيَةُ الكلاب، أي تعدو الكلاب خلفها حتى تنبهر. أخذه من
 (الحشا) وهو الربو .
 أرنب مُقَطَّعة النياط، لسرعتها .
 أرنب حُدْمَةٌ لُدْمَةٌ، تسبق الجمع بالأكمة، والخدمة: السريعة المشي
 والبطيئة (من الأضداد) واللدمة: ثابتة العدو، وقيل اتباع حذمة .
 التوير: مشي الأرنب التي تخفُّ وطأها وتمشي على وبر قوائمها لثلاث
 تقصص .
 تَنَفَّجَتِ الأرنب: اقشعرت (يمانية) .
 الجَحْمَرِش: الأرنب المرضع، جمعها جحامر، والتصغير جُحيمر
 دَرَمَتِ الأرنب: قاربت الخطو .
 دَمَجَتِ الأرنب في العدو: أسرع، وهو سرعة تقارب القوائم على
 الأرض .
 دَمَكَتِ الأرنب، وهو أسرع ما يكون من عدوها .
 ضَغِبَتِ الأرنب تَضَغَبَ ضَغِيْباً: صَوَّتَتْ، وفي الأساس (سمعت ضَغِيْبِ
 الأرنب وضغابها، وهو تَضَوُّرها إذا أخذت) .
 العانقاء: جحر مملوء تراباً يكون للأرنب تدخل فيه عنقها .
 المَحَزَّة: موضع الخزان وهي الأرناب .
 نفج الأرنب: إذا ثار، والأنثى: نفجت، وأنفجها الصياد .

مما ورد عنها في الأمثال^(١)

- (اطعم أخاك من كلية الأرنب) يضرب للمواساة .
- (أقطف من أرنب) يضرب للمبالغة والتناهي .
- (بثس الرميّة الأرنب) يريدون : بثس الشيء مما يُرمى .
- (حذفته بالعصا كما تحذف الأرنب) .
- (كراع الأرنب) يضرب مثلاً فيما قلّ وذُلّ .
- (لو كانت الضبّة دجاجة . لكانت الأرنب درّاجة) يضرب لمن يعجب من شيء لا يستحق الإعجاب .
- (ما الدنيا في الآخرة إلّا كنفجة أرنب) يضرب لتقليل المدة .

مما ورد عنها في القصص^(٢)

١ - زعم العرب على ألسنة البهائم أن الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها .

- فانطلقا يختصمان إلى الضبّ .
- ف قالت الأرنب : يا أبا حسل ، قال : سميعاً دعوت .
- قالت : أتيناك لنختصم إليك ، قال : عادلاً حكمتُما .
- قالت : فانخرج إلينا ، قال : في بيته يُؤتى الحكم .
- قالت : إنّي وجدت ثمرة ، قال : حلوة فكليها .
- قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغى الخير .
- قالت : فلطمته ، قال : بحقك أخذت .

(١) الحيوان للجاحظ ٣٥٢/٦ و ٣٥٣ . جمهرة الأمثال ١١٥/٢ . ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٠٧ . المخصص لابن سيده ٧٧/٨/٢ ، حياة الحيوان الكبرى ٢١/١ .

(٢) كليله ودمنة ١٥٢ و ٢٧٢ . رسالة الصاهل والشاحج ٢٧٩ و ٢٨٠ . حياة الحيوان الكبرى ٢١/١ .

قالت : فلطمني، قال : حرّ انتصر لنفسه .

قالت : فاقض بيننا، قال : قد قضيت .

فذهبت أقواله كلّها أمثالاً .

٢ - استبّت الوبرة والأرنب، فقالت الوبرة: أران أران^(١) رأس وأذنان، وسائر أكلتان .

وقالت الأرنب: يا وبر يا وبر، منكبانٍ وصدر، وسائر حفر، نفر .

٣ - الأرنب فيروز مع ملك الفيلة :

زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون، وأجدبت وقلّ ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد، فشكّون ذلك إلى ملكهنّ، فأرسل الملك رسله وروّاده في طلب الماء في كلّ ناحية، فرجع إليه بعض الرسل فقال له : إنّي قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها : عين القمر كثيرة الماء . فتوجّه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته، وكانت العين في أرض للأرنب، فوطئن الأرنب في أجحارهن فأهلكن منهنّ كثيراً .

فاجتمعت الأرنب إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما أصابنا من الفيلة؟ فقال : ليحضّر منكنّ كلّ ذي رأي رأيّه . فتقدّمت أرنب من الأرنب يقال لها فيروز، وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت : إن رأي الملك أن يبعثني إلى الفيلة، ويرسل معي أميناً لسمع ويرى ما أقول ويرفعه إلى الملك . فقال لها الملك : أنت أمينة ونرضى بقولك، فانطلقني إلى الفيلة وبلّغي عني ما تريدن، واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل، فعليك باللين

(١) استبّت الوبرة والأرنب: تسابنا، والوبرة: دويبة على هيئة السنور. أران : مأخوذ من أرنب .

والرفق والحلم والتأني فإنَّ الرسول هو الذي يُلين الصدور إذا رَفَقَ، ويخشِّن الصدور إذا خَرَقَ .

ثم أنَّ الأرنب انطلقت في ليلة قمراء حتى انتهت إلى الفيلة وكرهت أن تدنو منهنَّ مخافة أن يطأنها بأرجلهنَّ فيقتلنها وإن كنَّ غير متعمِّدات، فأشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له إِنَّ القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم يبلغ وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة؟ قالت: يقول لك إِنَّه من عرف فضل قُوَّته على الضعفاء فاغترَّ في ذلك بالأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قُوَّته وبالأعلى عليه، وأنت قد عرفت فضل قُوَّتِكَ على الدوابِّ فغرَّكَ ذلك فعمدت إلى العين التي تسمَّى باسمي فشربت منها ورنَّقتها، فأرسلني إليك فأندرك أن لا تعود إلى مثل ذلك، وأنه إن فعلت يُغشِّي على بصرِكَ ويتلف نفسك، وإن كنت في شكٍّ من رسالتي فهلمَّ إلى العين من ساعتك فإنه موافيك بها .

فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق إلى العين مع الرسول فيروز، فلما نظر إليها رأى ضوء القمر فيها، فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء فتحرك فُخَّيْل إلى الفيل أنَّ القمر ارتعد، فقال: ما شأن القمر ارتعد؟ أترينه غضب من إدخاله خرطومي في الماء؟ قالت فيروز: نعم، فسجد الفيل للقمر مرَّةً أخرى وتاب إليه ممَّا صنع وشرط ألاَّ يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته .

٤ - الأرنب والأسد :

زعموا أنَّ أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب، وكان في تلك الأرض من الوحوش في سعة المياه والمرعى شيء كثير، إلاَّ أنَّه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد فقالت له: إِنَّكَ لتصيبُ منَّا الدابةَ بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمنٌ لنا، فإن أنت أُمِّتتنا

ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك . فرضي الأسد بذلك وصالح الوحش عليه ، ووفَّينَ له به .

ثم إنَّ أرنبا أصابته القرعة وصارت غداء الأسد . فقالت للوحوش : إنَّ أنثى رفقتني بي فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الأسد . فقالت الوحوش : وما الذي تكلفينا من الأمور ؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلي ريشما أبطيء عليه بعض الإبطاء . فقلن لها : ذلك لك . فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغدَّى فيه الأسد ، ثم تقدَّمت إليه وحدها رويداً وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول الوحوش إليك ، وقد بعثتني ومعني أرنب لك فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش . فقلت له : إنَّ هذا غداء الملك أرسلت به الوحوش إليه ، فلا تغضبنه ، فسبك وشتمك ، فأقبلت مسرعة لأخبرك . فقال الأسد : انطلقني معي فأريني موضع هذا الأسد . فانطلقت الأرنب إلى جب فيه ماء غامر صافٍ ، فاطَّلعت فيه وقالت : هذا المكان . فاطَّلَعَ الأسد فرأى ظلَّه وظلَّ الأرنب في الماء ، فلم يشك في قولها ووَثبَ على الأسد ليقاتله فغرق في الجب . فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فاعلمتهنَّ صنيعها بالأسد .

مما ورد عنها في الشعر

- قال أحد الشعراء يهجو قوماً بأنَّهم لا كسب لهم إلَّا صيد الأرناب وبيع جلودها^(١) :

إذا ابتَدَرَ الناسُ المعالي رأيتهم قياماً بأيديهم مُسوكُ الأرنابِ^(٢)

(١) الحيوان ٣٦٠/٦ .

(٢) المسوك : الجلود .

- كان بعض الأعراب إذا دخل قرية، يقف على بابها فيعشر كما يعشر الحمار^(١) ويعلق عليه كعب أرنب ليدفع عنه الجن والوباء، وفي ذلك يقول قائلهم^(٢):

ولا ينفع التعشير في جنب جرمة ولا دعدع يغني ولا كعب أرنب^(٣)
- وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الخيل^(٤):

كأن حماتيهما أرنبا ن غيضا خيفة الأذوب^(٥)

- وقال الأبيد الرياحي يهجو حارثة بن بدر الغداني^(٦):

زعمت غدانه أن فيها سيذا ضحما يوازنه جناح الجندب^(٧)
يروي ما يروي الذباب فينتشي شكرا ويشبعه كراع الأرنب

- وقال امرؤ القيس^(٨):

يا هند لا تنكحي بوهة عليه عقيقتة أحسبا^(٩)
مرسعة بين أرساغه به عسم يبتغي أرنبا^(١٠)

(١) عشر الحمار: نهق عشرة أصوات في طلق واحد.

(٢) الحيوان ٣٥٨/٦.

(٣) الجرمة (بالكسر): القوم الذين يصرمون النخل، وما صرم من البسر، وقيل: القطعة من النخل. دعدع: كلمة يقولونها عند العثار.

(٤) الحيوان ٣٥٤/٦ ولا وجود للبيت بين أشعار عبد الرحمن بن حسان جمع الدكتور سامي مكّي العاني.

(٥) الحماة: عضلة الساق، وفي ساق الفرس حماتان.

(٦) الحيوان ٣٥١/٦. وثمار القلوب في المضاف والمنسوب/٤٠٧.

(٧) في رواية - (يواريه) مكان (يوازنه). الجندب: الصغير من الجراد.

(٨) ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/١٢٨.

(٩) البوهة: البومة. العقيقة: شعر الإنسان الذي ولد به. الشعر الأحسب: الأشقر.

(١٠) التقدير (بين أرساغه مرسعة)، والمرسعة: العوذة، من خرز وغيره لدفع الشر. حسب اعتقادهم. - العسم: الاعوجاج، والبيس.

ليجعل في كفه كعبها حذار المنية أن يعطبا

- وقال الأعشى^(١) وقيل للمدار العدوي^(٢) يصف جواداً .

وإذا تصفحه الفوارس معرضاً فتقول سرحان الغضا المنتصب^(٣)
أما إذا استدبرته فتسوقه ساق يقمصها وظيف أحدب^(٤)
منه وجاعرة كأن حماتها كشطت مكان الجلل عنها أرنب^(٥)

- وقال عمرو بن قميئة^(٦) :

ليس بالمطعم الأرنب أذ قلد ص در اللقاح في الصنبر^(٧)
ورأيت الإماء كالجعثن الباء لي عكوفاً على قرارة قدير
ورأيت الدخان كالودع الأه جني ينباع من وزاء السّتر
حاضر شركم وخيركم د ر خروس من الأرنب بكر

وقال الشماخ بن ضرار^(٨) :

فما تنفك بين عويرضات تجر برأس عكرشة زموع^(٩)

(١) لم أجد الأبيات في ديوان الأعشى شرح الدكتور م. محمد حسين.

(٢) الحيوان ٣٥٤/٦ .

(٣) السرحان: الذئب. المنتصب: المنتصب أي القائم .

(٤) الوظيف لكل ذي أربع: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. يقمصها، من القمص وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويطحهما معاً .

(٥) الجاعدة: حرف الورك المشرف على الفخذ. الحماة: مر تفسيرها.

(٦) الحيوان ٣٥٦/٦ ، رسائل الجاحظ ٣٥٧/٢ ، وديوان عمرو بن قميئة (الذيل) ٧٨/ .

(٧) في رواية البيت اختلاف بين المصادر المذكورة، والمثبت عن كتاب الحيوان. الصنبر: شدة البرد .

(٨) الحيوان للجاحظ ٢٨٢/٥ .

(٩) عويرضات: اسم موضع. العكرشة: أنثى الأرنب . الزموع: التي تمشي على زمعاتها، والزمعة مؤخر رجلها .

تُطَارِدُ سَيِّدَ صَارَاتٍ وَيَوْمًا عَلَى خِزَّانٍ قَارَاتِ الْجُمُوعِ^(١)

(١) صارات: اسم جبل. الخِزَّان: ذكور الأرناب. القارات، جمع قارة: الجبل الصغير. الجموع: الجماعات.

الأَوْزُ

الأَوْزُ (بالفتح ويكسر) طير مائيٌ واحدته إَوْزَةٌ، وقد جمعه بالواو والنون فقالوا: إَوْزُونَ .

ويسمى أيضاً، البط (أعجمي معرّب ، بَت) ، والبطّة إسم للأنثى والذكر جميعاً، وليست الهاء للتانيث وإنما هي لواحد الجنس، تقول : بطّة أنثى، وبطّة ذكر. قال ابن جنّي: إنّها سمّيت بذلك حكاية لأصواتها .

مما ورد عنه في الأمثال^(١)

(أَوْ لِبَطٌ تَهْدِدِينَ بِالشَّطِّ) .

ورد هذا المثل في رسالة لأبي الحسن سنان بن سليمان بن محمد صاحب قلاع الإسماعيلية أرسلها إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي يردُّ بها على تهديدات السلطان .

(١) حياة الحيوان الكبرى ١/ ١٢٤ .

مما ورد عنه في القصص^(١)

- زعموا أنَّ غديراً كان عنده عشب، وكان فيه بطَّتان، وكان في الغدير سلحفاة بينها وبين البطَّتين مودةٌ وصداقة. فاتَّفَق أن غِيض ذلك الماء، فجاءت البطتان لودَّاع السلحفاة وقالتا: السلام عليك فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه. فقالت: إنما يبين نقصان الماء على مثلي التي كأني السفينة لا أقدر على العيش إلَّا بالماء، فأما أنتما فتقدرا على العيش حيث كنتما، فاذهبا بي معكما. قالتا: نعم. قالت: كيف السبيل إلى حملي؟

قالتا: نأخذ بطرفي عود وتقضين بفيك على وسطه ونطير بك في الجوّ. وإيّاك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي.

ثم أخذتاها فطارتا بها في الجوّ. فقال الناس: عجب، سلحفاة بين بطَّتين قد حملتاها. فلما سمعت ذلك قالت: فقأ الله أعينكم أيُّها الناس. فلما فتحت فاهما بالنطق وقعت على الأرض فماتت.

- ويحدِّثنا ابن شهيد الأندلسي في التوابع والزوابع أنَّه بينما كان واقفاً في وادي الجن مع بغلة من بغالها إذ رأى إوزةً جنيّةً في بركة ماءٍ قريبة منه ومن صاحبه زهير بن نمير من أشجع الجن.

(إوزة بيضاء شهلاء في مثل جثمان النعامة، كأنما ذرٌ عليها الكافور، أو لبست غلالة من دمقس الحرير... في ظهرها صفاء، تثني سالفتها وتكسر حدقتها، وتلولب قَمَحْدُوتَها^(٢)) فترى الحسن مستعاراً منها والشكل مأخوذ عنها).

(١) كلية ودمنة/ ١٨١، والنثر الفني للدكتور زكي مبارك ٢٦٤/١، ورسالة التوابع والزوابع/ ٢٠٦ - تحقيق بطرس البستاني - دار صادر ١٩٥١.

(٢) القمحدوة: الهنة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال، ومؤخر القذال جمعها قماحد.

وقد صاحبت تلك الإوزة بالبغلة (لقد حكمتكم بالهوى ورضيتكم من صاحبكم بغير الرضى)^(١) .

فيسأل ابن شهيد صاحبه: ما شأن هذه الإوزة ؟ فيجيبه :

(هي تابعة شيخ من مشيختكم تسمى العاقلة، وتسمى أم عفيف، وهي ذات خط من الأدب فاستعد لها) .

فيقول ابن شهيد: (أيتها الإوزة الجميلة، العريضة الطويلة: لجمال صفتك باعتدال منكبيك، واستقامة جناحيك، وطول جيدك، وصفر رأسك. تقابلين الضيف بمثل هذا الكلام، وتلقين الطائر الغريب بشبه هذا المقال، وأنا الذي همت بالأوز صباية، واحتملت في الكتاب بها غصن كل مقالة، وأنا الذي استرجعتها للوطن المألوف، وحببتها إلى كل غطريف، فاتخذتها السادة بأرضنا، واستهلك عليها الظرفاء منا، ورضيتها بدلاً من العصافير، ومتكلمات الزراير، ونُسيت لذة الحمام، ونقار الديوك، ونطاح الكباش) .

عند ذلك داخلها العجب من كلام ابن شهيد ثم تدفعت وقد اعترتها خفة شديدة في مائها، فمرة سباحة، ومرة طائرة، تغطس هنا وتخرج هناك، ثم سكنت وأقامت عنقها وعرضت صدرها وقالت لابن شهيد:

(أيتها الغار المغرور، كيف تحكم في الفروع وأنت لا تحكم الأصول ؟ ما الذي تحسن ؟) .

ثم يلاحقها وتلاحيه حول الشعر والخطابة والنحو والغريب إلى أن يسألها: يا أم عفيف، بالذي جعل رداءك ماء، وحشا رأسك هواء، أيهما أفضل ؟ الأدب أم العقل ؟ فتجيب: بل العقل. فيقول ابن شهيد: وهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة ؟ فتجيب: لا .

(١) تشير إلى مناظرة شعرية جرت بين بغل وحمار .

فيقول: تطلّبي عقل التجربة إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة . . .

مما ورد عنه في الشعر

قال الدكتور أكرم فاضل تحت عنوان (البطّة العرجاء)^(١) .

جاؤوا بها من جنوب القطر عرجاء
فعالجتها يد من مرأة كلفت
كانت تذر عليها كل آونة
كانت تضمدها كانت تمرضها
تشكو إلى الله ظلم الناس خرساء
بالخير تسديه معروفا لمن شاء
من المساجيق ما تشفي به الداء
تحنو على جرحها صبحاً وإمساء

وكانت البطّة العرجاء ترفسها
ولا تني نقر كفيها مدافعة
أدمت يديها على صنع الجميل لها
علماً بأن يد الإنسان قد ظلمت
فالبطّة اليوم في دعر وفي قلق
والرفس والنقر تعبير لمنتقم
وها هي الآن في البستان سائحة
فهل تراها تناست ظلم ظالمها
بأظفر تشبه الأشواك إيذاء
عن نفسها من طيب رام إشفاء
فزادت المرأة المؤذاة سراء
والظلم لا بد أن يرتد بغضاء
تخشى البرية أشراراً وأعداء
من ابن آدم ممن طاب أو ساء
سباحة حيث ألفت دونها ماء
وأسدلت فوقه عفواً وإغضاء

وقال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني يصف فعل إوز^(٢):

نظرت إلى فحل الإوز فخلته
ينقل رجليه على حين فترة
من الثقل في وحل وما هو بالوحل
كمنتعل لا يحسن المشي في النعل

(١) ديوان (في المقاهي والملاهي/ ١٣) .

(٢) نهاية الأرب للنوري ٢٣٦/١٠ ، وديوان ابن رشيق القيرواني جمع الدكتور عبد الرحمن باغي/ ١٦٢ .

لَهُ عُنُقٌ كَالصَّوْلَجَانِ وَمَخِطٌ
يُدَاخِلُهُ زَهْوٌ فَيُلْحِظُ مِنْ عُلٍّ
يَضُمُّ جَنَاحِيهِ إِلَيْهِ كَمَا آرْتَدَى
حَكَى طَرَفَ الْعُرْجُونِ مِنْ يَانِعِ النَّخْلِ
جَوَانِبِهِ الْخَاطِ مُتَّهِمِ الْعَقْلِ
رِدَاءً جَدِيداً مِنْ بَنِي الْبَدْوِ ذُو جَهْلِ

ابن عرس

ابن عرس (بالكسر) وجمعه بنات عرس للذكر والأنثى - المعرفة النكرة -
وحكى الأخفش: بنات عرس، وبنو عرس .

تقول هذا ابن عرس مقبلاً، وهذا ابن عرس آخر مقبلاً. ويجوز في
المعرفة الرفع، كما يجوز في النكرة النصب، وهو في ذلك كأبن آوى وأبن
مخاض وأبن لبون .

هو حيوان نشط أكبر من الجرذ، في جسمه وذيله طول. ومن أسمائه
السرعوب لطول جسمه. كنيته أبو الحكم، وأبو الوثاب .

مما ورد عنه في القصص^(١)

- زعموا أن عُلجوماً^(٢) جاور حية فكان كلما أفرخ جاءت إلى عشّه،
وأكلت فراخه، ففزع في ذلك إلى السرطان، فقال له السرطان: إن بقربك
جحراً يسكنه ابن عرس وهو يأكل الحيات، فأجمع سمكاً كثيراً وفرقه من جحر

(١) كليله ودمنة/١٩١ و ٣٢١ .

(٢) يطلق اسم العلجوم على عدد من الحيوانات، وهو هنا: نوع كبير من الضفادع .

آبن عرس إلى جحر الحية، فإنه إذا بدأ في أكل السمك انتهى إلى جحر الحية فأكلها .

ففعل وكان كذلك .

ثم تدرج آبن عرس إلى جحر الحية في طلب غيرها حتى بلغ إلى جحر العُلجوم فأكله أيضاً وفراخه جميعاً .

- وزعموا أن ناسكاً رزق غلاماً بعد يأس، ولما حان لزوجته أن تغتسل قالت له: أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود .

ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والغلام، فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه، ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير آبن عرسٍ داجنٍ عنده كان قد رباه صغيراً، فهو عنده عديل ولده. فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول. فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء فدنّت من الغلام، فضربها آبن عرس فوثبت عليه فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها. ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاء ابن عرس كالمشير له بما صنع من قتل الحية. فلما رآه ملوثاً بالدم وهو مذعور، طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبت في أمره ولم يترؤف فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك، ولكن عجل على آبن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على رأسه فمات .

ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً وعنده أسود مقطّع، فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه وقال: ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر. ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحالة فقالت له: ما شأنك؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له، فقالت: هذه ثمرة العجلة لأن الأمر إذا فرط مثل الكلام إذا خرج والسهم إذا مرق، لا مرد له .

مما ورد عنه في الشعر

قال الناشي الأكبر (عبد الله بن محمد) ^(١) في صيده الثعلب :

لو أن حيّاً واثقاً بعُمره أو عائداً من نكبات دهره
بمِقْصَلٍ يَحْصِيهِ مِنْ غَدْرِهِ أفلت من ختل الردى وخبره
أبو الحُصَيْنِ كَامِناً فِي جُحْرِهِ مُقَدِّراً فِي ظَنِّهِ وَفِكْرِهِ
أنَّ الْوَجَارَ ضَامِناً لِنَصْرِهِ وَحِفْظِهِ مِنْ قَانِصٍ وَسْتَرِهِ
عَنْ حِيلَةٍ يُعْمِلُهَا بِفِكْرِهِ إِذَا غَدَا بِكَلْبِهِ وَصَقْرِهِ
وَلَيْسَ يَجْرِي فِي بَنَاتِ صَدْرِهِ أَنَّ ابْنَ عِرْسٍ قَاصِمٍ لظَهْرِهِ
وَهَاجِمٌ عَلَيْهِ فِي مَقَرِّهِ أُعْجِبْ بِهِ مُقْتَحِماً فِي وَكْرِهِ
وَحَيْطُهُ مُعَلَّقٌ فِي نَحْرِهِ حَتَّى إِذَا أَمَرْتَهُمْ بِجَرِّهِ
جَرُّوهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ قَعْرِهِ لِلَّهِ مَا أَعْظَمَهُ بِهَضْرِهِ
وَقَدِّهِ أَوْ قَطُّهُ مِنْ خَصْرِهِ وَذَبْحِهِ بِنَابِهِ وَظُفْرِهِ
لَكِنَّهُ بِعَصْرِهِ وَقَسْرِهِ أَحْسَنَ فِي اسْتِحْيَائِهِ وَأُسْرِهِ ^(٢)

وقال أبو الشمقمق ^(٣) :

إِبْنُ عِرْسٍ رَأْسَ بَيْتِي صَاعِداً فِي رَأْسِ نَبْقَةٍ
سَيْفُهُ سَيْفٌ حَدِيدٌ شَقَّاهُ مِنْ ظُلْعٍ سِلْقَةٍ ^(٤)
جَاءَنَا يَطْرُقُ بِاللَّيْلِ فَدَقَّ أَلْبَابَ دَقَّةٍ

(١) المصائد والمصادر/ ٢٢٧ .

(٢) استحياء: تركه حياً .

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٦٨/٥ .

(٤) حديد: حاد. السلقة (بالكسر) أنثى السلق وهو الذئب، وقيل: السلقة: الذئبة خاصة، ولا يقال للذكر سلق.

دَخَلَ الْبَيْتَ جِهَاراً لَمْ يَدْعُ فِي الْبَيْتِ فَلَقَهُ (١)
 وَأَتَى يَصْفِقُ مِنِّي عَيْنَ بَابِ الدَّارِ صَفْقَةً (٢)
 صَفْقَةً أَبْصَرْتُ مِنْهَا فِي سَوَادِ الْعَيْنِ زُرْقَةً
 زُرْقَهُ مِثْلَ ابْنِ عَرَسٍ أَغْبَشُ تَعْلُوهُ بُلْقَةً (٣)

-
- (١) يريد بالفلقة: الكسرة من الخبز .
 (٢) الصفقة: الضربة يسمع لها صوت. البيت المثبت في متن المصدر المذكور :
 وتترس برغيف و صفق نازويه صفقه
 أما البيت الذي أثبت به مكانه فهو عن رواية أخرى أوردها المحقق في الحاشية .
 (٣) الغبش: الظلمة. البلقة: سواد يخالطه بياض .

الأيِّل

الأيِّل (كسَّيد) والجمع إيِّل، وإيِّل، وإيائل، والأنثى أيِّلة وإنَّما سَمِّيَ بذلك لأنَّه يؤوِّل إلى الجبال ويعتصم بها .

وهو حيوان لبون من ذوات الأظلاف متشعب القرون أنواعه متعدّدة ولكنها لا تختلف عن بعضها كثيراً، وكلُّ نوع ينسب إلى لونه أو المنطقة التي يعيش فيها، ومنها اليعمور، والوعل والأروى .

مما ورد عنه في الشعر

- قال الزجاجي^(١) أخبرني بعض أصحابنا، قال: حضرت مجلس أبي بكر ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر:

هَجَرْتُكَ لَا قِلَىٰ مِنِّي وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَقَاءَ وَدَّكَ فِي الصُّدُودِ
كَهَجَرِ الْحَائِمَاتِ الْوَرْدَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ فِي الْوُرُودِ
تَفِيضُ نَفْسُهَا ظَمًا وَتَخْشَى جَمَامًا فَهِيَ تَنْظُرُ مِنْ بَعِيدِ
تَصُدُّ بِوَجْهِ ذِي الْبَغْضَاءِ عَنْهُ وَتَرْمُقُهُ بِالْحَاطِ الْوُدُودِ

(١) أمالي الزجاجي/٢٤٧ وحياة الحيوان/١٠٧ .

قال : إِنَّ الْأَيَّامَ تَأْكُلُ الْأَفَاعِي فِي الصَّيْفِ فَتَحْمَى وَتَلْهَبُ لِحَرَارَتِهَا، فَتَطْلُبُ الْمَاءَ، فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ امْتَنَعَتْ مِنْ شَرْبِهِ وَحَامَتْ حَوْلَهُ تَنْتَسِمُهُ، لِأَنَّهَا إِنْ شَرِبَتْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَصَادَفَ الْمَاءَ السَّمَّ الَّذِي فِي أَجْوَافِهَا تَلَفَتْ، فَلَا تَزَالُ تَدَافِعُ شَرْبَ الْمَاءِ حَتَّى يَطُولَ الزَّمَانُ فَيَسْكُنُ فُورَانَ السَّمِّ، ثُمَّ تَشْرِبُهُ فَلَا يَضُرُّهَا .

فيقول هذا الشاعر: أنا في تركي وصالك مع شدة حاجتي إليه إبقاءً على ودك، بمنزلة هذه الحائطات التي تدع شرب الماء مع شدة حاجتها إليه إبقاءً على حياتها .

- وقال المتنبي^(١) من أرجوزة يذكر فيها خروج عضد الدولة للصيد :

طَوَّعَ وَهُوقَ الْخَيْلَ وَالرِّجَالَ ^(٢)	فَقِيدَتِ الْإِيْلُ فِي الْجِبَالِ
مُعْتَمَةً بِبَيْسِ الْأَجْدَالِ ^(٣)	تَسِيرُ سَيْرَ النَّعَمِ الْأُرْسَالِ
قَدْ مَنَعَتْهُنَّ مِنَ التَّفَالِي ^(٤)	وُلِدْنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الْأَحْمَالِ
إِذَا تَلَفَّتْنَ إِلَى الْأَظْلَالِ	لَا تَشْرُكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهُزَالِ
كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٥)	أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ
وَالْعُضُوْ لَيْسَ نَافِعاً فِي حَالِ ^(٦)	زِيَادَةٍ فِي سُبَّةِ الْجُهَالِ

(١) ديوان المتنبي شرح البازجي/٦١٤ .

(٢) الوهوق جمع وهق: الحبل تؤخذ به الذابة وغيرها . يريد بالخيل: الفرسان .

(٣) الارسال: القطعان . الأجذال: أصول الشجر . يقول كان قرونها أعواد يابسة من أصول الشجر .

(٤) يريد بقوله، ولدن: خلقن كذلك، وبقوله أثقل الأحمال: القرون لغلظها وتشعبها وثقلها، وأنها تمنعن أن يفلين رؤوسهن لاعوجاجها .

(٥) أشنع الأمثال: أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعاريجها، ويشير بقوله: خلقن للإذلال، إلى قول العامة في الشتم: يا قرنان، وهو الذي لا غيره له .

(٦) السبّة: العار . أراد بالعضو: القرن، وقد أطلقه عليه مجازاً .

لِسَائِرِ الْجِسْمِ مِنَ الْخَبَالِ وَأَوْفَتِ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَوْعَالِ^(١)
 مُرْتَدِيَاتٍ بِقَسْيِ الضَّالِ نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْأَكْفَالِ^(٢)
 يَكْدَنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الْأَطَالِ لَهَا لِحَى سُوْدٌ بِلا سِبَالِ^(٣)
 يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا لِالْإِجْلَالِ

وقال شاعر ينعت كلب صيد^(٤) :

ذَا هِمَّةٌ فِي الصَّيْدِ فِي أَعْلَى الْعُلَا يَسْتَصْغِرُ الظُّبْيُ فَيَبْغِي الْأَيْلَا
 لَا يَجِدُ الْأَيْلُ مِنْهُ مَوْثِلًا تَخَالُهُ مِنْ خَوْفِهِ مُعَقَّلًا

(١) الخبال : شلل الأعضاء. الفدر (بضم فسكون) ، جمع الفادر، وهو الوعل المسن، وقيل: الشاب التام منه .

(٢) الضال: شجر السدر البري. نواחס، حال من القسي.

(٣) الأطال جمع إطل وهو الخاصرة. السبال: الشوارب.

(٤) المصائد والمطارد/١٤٢ .

البغاء

طير مشهور، دمث الخلق ثاقب الفهم، له قابليّة على محاكات الأصوات وقبول التلقين.

قال ابن معصوم المدني^(١): (رأينا في بندر جيتابور بالهند من الببائي الخضر ما لا يحصى. واحدها ببغا - بثلاث بآت موحدات أولاهن وثالثهن مفتوحتان، والثانية ساكنة، وبالغين المعجمة - وهي هذا الطائر المعروف بالدرّة - بدال مهملة مضمومة - كذا ضبطها [الصاغاني] في العباب، وضبطها السمعاني في الأنساب بباءين - بفتح الأولى وإسكان الثانية).

واللفظة هندية الأصل أغفلها عدد من أصحاب معاجم اللّغة منهم الجوهري في الصحاح، وابن منظور في لسان العرب، والفيروز أبادي في القاموس.

وقال الزبيدي في تاج العروس: (البغاء بفتح فسكون وقد تشدّد الباء الثانية).

(١) في رحلته المسماة سلوة الغريب وأسوة الأريب: انظر مجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/ ٣٤١ و ٣٤٢.

وقال الشيخ محمد رضا في معجم متن اللّغة: (الببغاء: دخيلة هندية، جمعه ببغاوات ويعرف بالدُّرة).

وقال الشرتوتي في أقرب الموارد: (الببغاء، وتفتح الباء وتشدّد مفتوحة: طائر من أشهر أوصافه أنّه يسمع كلام الناس فيعيده، ويشبه به من حفظ كلاماً لا يدري معناه. يقع على الذكر والأنثى فيقال: ببغاء ذكر، وببغاء أنثى والجمع ببغاوات).

وقال النويري^(١): (الببغاء: طائر هندي، وحشي... في لونه: الأخضر والأغبر والأسود والأحمر والأصفر والأبيض، وهذه الألوان كلّها قليلة نادرة الوجود إلاّ الأخضر والأغبر. وقد شاهدت أنا بالقاهرة المعزّية درّة بيضاء. وحكي أنّه أهدي إليّ معز الدولة ابن بويه ببغاء هديّة من اليمن كان فيها ببغاء بيضاء، سوداء المنقار والرجلين، وعلى رأسها ذؤابة فستقية.

مما ورد عنها في الشعر

كتب أبو إسحاق الصابي إلى أبي الفرج الببغاء هذه الأرجوزة في صفة الببغاء^(٢):

أُنْعَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً	نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
غَدَتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ	يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُنْهِئِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارِ	وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارِ
سَكَّاءٌ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ	تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ ^(٣)
و [ر] بِمَا لُقِّنَتْ الْعَضِيَّةُ	فَتَغْتَدِي بَلِيَّةً سَفِيهَةٌ ^(٤)

(١) نهاية الأرب ١٠/٢٨٠.

(٢) يتيمة الدهر ١/٢٦٩، ومجلة المورد العدد الثالث من المجلد الثامن ص/٣٤٢.

(٣) السكّاء: الصغيرة الأذن، والصلماء التي لا أذن لها أصلاً، والصّماء.

(٤) العضية: الإفك والبهتان.

زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ^(١)
 ضَيْفُ قِرَاهِ الْجَوْزِ وَالْأُرْزُ وَالضَّيْفُ فِي أَبْيَانِنَا يُعَزُّ
 تَرَاهُ فِي مَنَاقِرِهَا الْخُلُوقِي كُلُّوْءٍ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
 تَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْنِ كَالْفُصَيْنِ فِي النُّورِ وَالظُّلْمَةِ بَصَاصَيْنِ
 تَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخَضْرَاءِ مِثْلَ الْفَتَاةِ الْغَادَةِ الْعَذْرَاءِ
 خَرِيدَةً خُدُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خَلَاصُ
 نَحْبُسُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَلَئِنَّمَا نَحْبُسُهَا لِلْحُبِّ
 تِلْكَ الَّتِي قَلْبِي بِهَا مَشْغُوفٌ كَنَيْتُ عَنْهَا وَأَسْمُهَا مَعْرُوفٌ
 نُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرَ الزَّمَانِ وَالْكَاتِبَ الْمَعْرُوفَ بِالْيَانِ
 ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي عَادِيَاتِ الدَّهْرِ

فأجابه أبو الفرج بأرجوزة نأخذ منها وصفه للبيغاء استهلها بقوله :

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ حَكَمِ الْكِتَابِ شَمْسِ الْعُلُومِ قَمَرِ الْأَدَابِ

ثم يقول بعد سبعة أبيات منها^(٢) :

وَصَحَّ أَنَّ الْبِغَاءَ مَقْصِدُهُ بِكُلِّ مَا كَانَ قَدِيمًا يُورِدُهُ
 فَلَمْ يَدْعُ لِقَائِلٍ مَقَالًا فِيهَا وَلَا لِخَاطِرٍ مَجَالًا
 أَهْدَى لَهَا مِنْ كُلِّ نَعَةٍ أَحْسَنَهُ وَصَاغَ مِنْ حَلِيِّ الْمَعَانِي أَرْيَنَهُ
 أَحَالَ بِالرِّيشِ الْأَشْيِبِ الْأَخْضَرِ وَبِأَحْمِرَارِ طَوَقِهَا وَالْمُنْسِرِ^(٣)
 عَلَى اخْتِلَاطِ الرُّوضِ بِالشَّقِيقِ وَأَخْضَرِ الْمِينَاءِ بِالْعَقِيقِ
 تَزْهَى بِدُؤَاجٍ مِنَ الزُّمَرْدِ وَمُقَلَّةٍ كَسَبَجٍ فِي عَسَجِدِ^(٤)

(١) القعيدة: المرأة لقعودها في البيت.

(٢) يتيمة الدهر ١/ ٢٧٠.

(٣) الأشيب: المختلط.

(٤) الدّواج: لحاف يلبس. السجج: خرز أسود (فارسي معرب).

وَحُسْنٍ مِنْقَارٍ أَشَمَّ قَانِي
صَيَّرَهَا أَنْفِرَادَهَا فِي الْحَبْسِ
تَمَيَّزَتْ فِي الطَّيْرِ بِالْبَيَانِ
تَحْكِي الَّذِي تَسْمَعُهُ بَلَا كَذِبٍ
غِلَاوُهَا أَزَكَّى طَعَامَ رَغْدَا
ذَاتِ شَغْيٍ تَحْسَبُهُ يَاقُوتَا
كَأَنَّمَا الْحَبَّةُ فِي مِنْقَارِهَا
إِقْدَامُهَا يَبَاسِهَا الشَّدِيدِ
فَهِيَ كَخَوْدٍ فِي لِبَاسٍ أَخْضَرِ
وَوَصَفُهَا الْمُعْجِزُ مَا لَا يُدْرِكُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي لَقَبًا لَمْ أَخْتَصِرْ
وَلَئِنَّمَا تُنْعَتْ بِأَسْتَحْقَاقِ
شَرَفِهَا وَزَادَ فِي تَشْرِيفِهَا
فَكَيْفَ أَجْزِي بِالثَّنَاءِ الْمُنْتَحَبِ

ولما غلب وصيفٌ وبُغَا على أمر المستعين حتى كان لا يصدر إلا عن رأيهما قال في ذلك جنبذ الكاتب^(٤):

خِلَافَةٌ جَائِرَةٌ فَاسِدَةٌ مَا تُبْتَغَى
صَاحِبُهَا مُحْتَاجٌ يَفْرَقُ مِنْ حَرِّ الْوَعَى

(١) الشغى: اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج.
(٢) الخركاة: تطلق بالعموم على المحل الواسع وبالأخص على الخيمة الكبيرة التي يستعملها أمراء الأكراد، ثم أطلقت على سراق المملوك والوزراء (معربة، فارسيها خرگاه بالكاف الفارسية).
(٣) بُردمفوف: مخطوط، أو موشى.
(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / ٤٨٨.

مُقْتَسَمٌ مُعْتَبَدٌ بَيْنَ وَصِيفٍ وَبُغَا
يَقُولُ مَا قَالَا لَهُ كَمَا تَقُولُ الْبُغَا

وكتب أحمد بن يوسف الكاتب إلى بعض اخوانه وقد ماتت له ببغاء، وله
أخ كثير التخلُّف يسمَّى عبد الحميد: (١)

أَنْتَ تَبْقَى وَنَحْنُ طُرّاً فِدَاكَ أَحْسَنَ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ عَزَاكَ
فَلَقَدْ جَلَّ خَطْبُ دَهْرٍ أَتَاكَ بِمَقَادِيرِ أَتْلَفْتَ بَبْغَاكَ
عَجَباً لِمَنْوَنٍ كَيْفَ أَتَتْهَا وَتَخَطَّتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَخَاكَ
كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَصْلَحَ لِلْمَوْتِ مِنَ الْبُغَا وَأَوْلَى بِذَاكَ
شَمَلْتَنَا الْمُصِيبَتَانِ جَمِيعاً فَقَدْ نَا هَذِهِ وَرُؤْيَةُ ذَاكَ
وقال مطيع بن إياس مخاطباً جارية له كانت تُسمى رُوقَ معدداً بعض ما
خَصَّ اللهُ بِهِ بِلَادَ الْهِنْدِ: (٢).

رُوقُ يَا رُوقُ لَوْ تَرِينَ مَحَلِّي بِبِلَادٍ مَعْرُوفُهَا مَجْهُولُ
بِلَادٍ بِهَا تَبْيِضُ الطَّوَاوِي سٌ وَفِيهَا يُزَاوِجُ الزَّنْدَبِيلُ (٣)
وَبِهَا الْبَبْغَاءُ وَالصُّفْرُ وَالْعُو دُ لَهُ فِي ذَرَى الْأَرَاكِ مَقِيلُ (٤)
وَالْحَمُوعُ الْعَرَجَاءُ وَالْأَيْلُ الْأَفْد رَنُ وَاللَيْثُ فِي الْغِيَاضِ النَّسُولُ (٥)
وقال تاج الدين عبد الباقي اليماني فيها ملغزاً: (٦)

يَا سَيِّدُ أَبْدَعَ فِي الْمَقَالِ وَيَا رَئِيسُ فَاقَ فِي الْمَعَالِي

(١) وفيات الأعيان ٢٠٨/٣.

(٢) الحيوان للجاحظ ١٧١/٧.

(٣) الزندبيل : تعريب (زنده) الفارسية، بمعنى ضخم. (وبيل) بمعنى فيل، أي الفيل العظيم.

(٤) الصفر (بالضم): النحاس الأصفر. العود: ضرب من البخور. الأراك: شجر طيب الرائحة يتبخّر ويستاك بقضبه.

(٥) الحُمُوع العرجاء: الضبع. الليث النسول: الأسد المشبل.

(٦) نهاية الأرب للنويري ٢٨١/١٠.

ما حَيَوَانٌ مُشَبَّهٌ الْإِنْسَانِ
 ذُو مَبْسَمٍ صَيْغٍ مِنَ النُّضَارِ
 وَمُخْلَبٍ يُكْسَرُ الصَّلِيبَا
 ذُو حُلَّةٍ بَنَدِيَّةِ الْبُرُودِ
 كَرُوضَةٍ قَدْ أَيْنَعَتْ أَزْهَارَهَا
 قَدْ جُمِعَتْ فِي ذَاتِهِ أَلْوَانُ
 فَذَاتُهُ مِنْ نَاصِعِ الزَّبَرْجَدِ
 وَتَارَةً يُبْصِرُ مِنْ أَقْصَا
 وَغُرْفُهُ مِنْ خَالِصِ الْمَدَادِ
 يَأْكُلُ بِالْكَفِّ خِلَافَ الطَّيْرِ
 إِنْ لَقِطَ الْحَبَّ لَدَى تَفْرِيقِهِ
 يَحْفَظُ بَيْنَ الْمَرَّةِ فِي الْمَغِيبِ
 سَمِيئُهُ فِي أَسْفَلِ الْبَحَارِ
 إِلَيْهِ يُعْزَى الشَّاعِرُ الْمَجِيدُ

مُتَرَّلُ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ
 وَمُقَلَّةٌ قَدْ رُكِبَتْ مِنْ قَارِ
 وَمَنْطِقٍ يُفَاخِرُ الْخَطِيئَا
 مَنْسُوجَةٌ مِنْ أَخْضَرِ الْبُنُودِ
 أَذْهَشَتْهَا بِالْغِنَا أَطْيَارُهَا
 كَأَنَّهُ فِي خَلْقِهِ بُسْتَانُ
 وَنُورُهُ مُرْكَبٌ مِنْ عَسَجِدِ
 خِلَقَتُهُ فِي سَائِرِ النَّوَاحِي
 وَنُطْقُهُ مُسْتَحْكِمُ الْإِيرَادِ
 وَتَغْتَدِي وَهُوَ قَدِيرُ السَّيْرِ
 رَأَيْتَ دُرّاً جَالاً فِي عَفِيقِهِ
 وَيَغْتَدِي كَالْحَارِسِ الْمَرْهُوبِ
 مُسْتَوْدَعٌ فِي آخِرِ التِّيَارِ
 وَالْكَاتِبُ النُّحْرِيرُ وَالْمُجِيدُ

وقال الشريف المرتضى في بغياء قنصها ابن عرس ليلاً^(١)

فَجَعَةً مَا أَحْتَسِبُهَا فِي زَمَانِي
 وَأَشْدُّ الْخُطُوبِ عُنْفًا بِنَفْسٍ
 أَيُّهَا الْأَخْذِي بِشَأْنِ التَّسْلِي
 رُمْتُ عَذْلِي وَأَنْتَ تَجْهَلُ مَا بِي
 خَلَجْتُ فِي بَغْيَاءِ نَبْوَةٍ ذَهَرِ
 بَعَثَ الدَّهْرُ نَحْوَهَا يَدَ شَخْصٍ
 غَالَهَا فُرْصَةٌ وَمَا الْغَافِلُ الْوَسْ

نَادَمْتُ بِي غَرَائِبَ الْأَحْزَانِ
 مَا أَتَى بَغْتَةً بَغِيرِ أَوَانِ
 جَلَّ مَا بِي عَنْ طَاعَةِ السُّلُوَانِ
 وَفُؤَادِي مُسْتَيَقِنٌ مَا عَنَانِي
 مُوَلَعٌ بِالنَّفْسِ مِنْ أَلْمَائِي
 مُزْعَجُ الْكِيدِ ثَائِرُ الْأَضْغَانِ
 نَأْنُ كُفَوًّا لِلرَّاصِدِ الْيَقْظَانِ

(١) ديوان ٣/٣١٦.

لَوْ أَتَى مُعَلِّناً بِيَوْمِ رَدَّهَا
 أَمَكَّتَهُ حُشَاشَةٌ طَالَمَا خَا
 صَدَّهَا الْحَيْنُ عَنْ تَعَاطِي جِدَارِ
 إِنْ تَكُنْ عَوِجَلَتْ فَمَا مُهَلَّةُ الْمُرِّ
 ذَاتُ جِسْمٍ يَحْكِي الزَّبْرَجَدَ قَدْ نِيدِ
 غَضَّةُ اللَّوْنِ تُبْصِرُ الْعَيْنُ مِنْهَا
 وَخَوَافٍ قَدْ فَارَقَتْ لَوْنَهَا الْأُ
 تُرْجِعُ الْقَوْلَ كَالصَّدى فِي أَقَاصِي
 تَمَحَّضَ الصِّدْقَ إِنْ أَجَابَتْ سُؤْلاً
 لَا أَسْتَقَلْتُ مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ وَرَقَا

لَأُثْنِي غَانِماً مِنَ الْجِرْمَانِ
 بَتُّ لَدَيْهَا وَسَائِلُ الْإِمْكَانِ
 مِنْهُ وَالْحَيْنُ عُقْلَةُ الْأُذْهَانِ
 جَا عَلَى سُنَّةِ الرَّدى بِأَمَانِ^(١)
 طُتْ ذُرَاهُ بِمَنْسَرٍ مَرْجَانِي
 رَوْضَةُ أَحْمَلَتْ بِلَا بُسْتَانِ
 (م) ظَهَرَ فِيهَا بِمَنْظَرٍ أَرْجَوَانِي
 دَرَجَاتِ الْإِفْصَاحِ وَالتَّيَّانِ
 وَهِيَ خَلَوُ مِنْ فَهْمِ تِلْكَ الْمَعَانِي
 ٤ تُبْكِي الدُّجَى عَلَى الْأَغْصَانِ

(١) المرجأ: المرجأ. أي المؤخر.

الْبُرْغُوثُ

البرغوث واحد البراغيث، وضمّ بائه أشهر من كسرهما أو فتحها. وقولهم: أكلوني البراغيث لغة طيء وهي لغة ثابتة خرجوا عليها قوله تعالى ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(١) على أحد المذاهب، وقوله عز وجل ﴿خَشَعُوا أَبْصَارَهُمْ﴾^(٢) وأشباهه كثيرة معروفة غير أن سيبويه أنكر ذلك وقال: لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن، واحتج بان الضمير في (أسروا النجوى) فاعل، و (الذين) بدل منه.

ومن أسماء البرغوث (القُدْذ) والجمع القُدْذَان. وكنيته أبو ظافر، وأبو عدي، وأبو الوثّاب. ويقال له طامر بن طامر^(٣)

مما ورد عنه في الأمثال^(٤)

(أظفر من برغوث) يضرب مثلاً للمبالغة والتناهي.

(١) سورة الأنبياء / ٣.

(٢) سورة القمر / ٧.

(٣) طامر بن طامر، فاعل من الطمر وهو الوثوب والاختباء.

(٤) جمهرة الأمثال ١٣/٢، وحياة الحيوان ١٢٣/١.

(أطمر من برغوث)^(١) وهذا المثل كسابقه في المعنى .

مما ورد عنه في القصص^(٢)

زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرًا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدبُّ ديبًا رقيقًا . فمكثت كذلك حينًا حتى استضافها ليلة من الليالي بُرغوث، فقالت له : بت الليلة عندنا في دمٍ طيبٍ وفراشٍ لين . فأقام البرغوث عندها حتى إذا أوى الرجل إلى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغةً أيقظته وأطارت النوم عنه . فقام الرجل وأمر أن يفتش فراشه فنظر فلم يرَ إلا القملة فأخذت فقصعت، وفر البرغوث .

مما ورد في وصفه نثرًا

قال ابن شهيد^(٣) .

أسود زنجيٌّ، وأهليٌّ وحشيٌّ، ليس بوانٍ ولا زُميل^(٤)، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل، أو شونيزة، أو بنتها عزيزة^(٥) أو نقطة مداد، أو سويداء فؤاد^(٦) . شربه عبٌّ، ومشيّه وثبٌ . يكمن نهاره ويسير ليله . يدارك بطعن مؤلم ، ويستحلُّ دم كلِّ كافر ومسلم . مساور للأساورة^(٧) ومجرد له على الجبابة^(٨) . يتكفّن بارفع الثياب، ويهتك كلَّ حجاب، ولا يحفل ببواب . يرد مناهل العيش العذبة،

(١) تقدم تفسير الطمر . .

(٢) كليله ودمنة / ١٦٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٤٦/٢ .

(٤) الزُميل: الضعيف الجبان .

(٥) الشونيزة: الحبة السوداء، والكلمة فارسية الأصل، وهو نبات عشبي فيه رائحة عطرية .

(٦) في يتيمة الدهر (أو سويداء قلب فؤاد) وهو وهم .

(٧) مساور : موائب . الأساورة جمع الإِسوار: قائد الفرس ، والرامي بالسهم، والأساورة أيضاً: قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً كالأحامرة في الكوفة .

(٨) جدد القوم: سألهم فأعطوه كارهين .

ويصل إلى الأحراج الرطبة. لا يمنع منه أمير، ولا ينفع فيه غيره غيور، وهو أحقر حقير. شره مبهوث، وعهده منكوث، وكذلك كل برغوث. كفى بهذا نقصاناً للإنسان ودلالة على قدرة الرحمن.

ووصف أعرابي البراغيث فقال: (١).
ما آذى صغارها وأطفر كبارها، وأخفى أنطمارها (٢)، وأقبح آثارها.
وقال بعضهم: (٣).

دبيبها من تحتي أشد عليّ من عضها. وليس ذلك بدبيب وكيف يمكنه الدبيب وهو ملزق على النطع (٤) بجلد جنب النائم، ولكن البرغوث خبيث فمتى أراد الإنسان أن ينقلب من جنب إلى جنب انقلب البرغوث واستلقى على ظهره ورفع قوائمه فدغدغه بها.

مما ورد عنه في الشعر

قال خلف الأحمر (٥):

يا عَجَباً لِلدَّهْرِ ذِي الإِعْجَابِ لِالأَحَدِ الْبُرْغُوثِ ذِي الأَنْيَابِ
يَلْسَعُ لَسْعَ الْعَقْرَبِ الدَّبَابِ يَقْفِرُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالثِّيَابِ

وقال ابن شهيد الأندلسي في وصفه (٦):

وَمُنْفَرٍ لِلنُّومِ مَسْكُنُهُ إِذَا نَامَ الْمُمَلَّكُ بَيْنَ أَثْنَاءِ الثِّيَابِ

(١) محاضرات الأدباء ٦٨٨/٤.

(٢) الإنطمار: الإختباء.

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٨٤/٥.

(٤) يريد بالنطع: الجلد.

(٥) نور القبس ٧٩.

(٦) ديوان ابن شهيد ٣٨.

يَسْرِي إِلَى الْأَجْسَامِ يَهْتِكُ عَدْوُهُ
وَيَعُضُّ أَرْدَافَ الْجِسَانِ وَمَالَهُ
مُتَحَكِّمٌ فِي كُلِّ جِسْمٍ نَاعِمٍ
فَإِذَا هَمَمْتَ بِزَجْرِهِ وَلَّى وَلَا
وَتَرَى مُوَاضِعَ عَضِّهِ مَخْضُوبَةً
قَرْمٌ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ مُكَوَّرٌ
عَظُمَتْ رَزِيئَتُهُ وَلَكِنْ قَدْرُهُ

وقال أبو الفرج العلاء بن علي بن محمد بن السوادى الواسطى ملغزاً
بالبرغوث (١) :

مَا نَائِمٌ إِذَا وَثَبَ
وَإِنَّمَا رِقَصُتْهُ
مُعَاشِرٌ لَكِنَّهُ
يُؤْخَذُ فِي تُهْمَتِهِ
وَعَيْنُهُ إِذَا أَصْبَا
يُقَدِّمُ وَالشَّمْسُ لَهَا
يَرْحَلُ وَالْكِيَالُ يَهْـ
يَرْقُصُ مِنْ غَيْرِ طَرَبٍ
تُظْهِرُ لِلْغَيْرِ الْحَرَبَ
يَكْثُرُ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الطَّلَبُ
بَ قِرْنُهُ يَنْوِي الْهَرَبَ
صُبَابَةٌ مِنَ اللَّهَبِ
يَدِي وَالْقَفِيزُ يَنْقَلِبُ (٢)

وقال أبو الشمقمق (٣) :

يَا طُولَ يَوْمِي وَطُولَ لَيْلَتِي
قَدْ عَقَدْتُ بَنَدَهَا عَلَى جَسَدِي
فَلْيَهْنِ بُرْغُوئُهُ بِجَذَلَتِي
وَاجْتَهَدْتُ فِي أَقْسَامِ جُمْلَتِي

(١) خريدة القصر - قسم العراق - ٣٨٥/٤ .

(٢) القفيز - بالزاي المعجمة - : مكيال ثمانية مكاكيك، وقيل مكيال تتواضع الناس عليه .

(٣) محاضرات الأدباء ٦٨٧/٤ .

وقال محبوب ابن أبي العِشْطِ النهشلي^(١) :

لرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ أَوْ طَرَفٍ من الْقَرْيَةِ جَرْدٌ غَيْرُ مَحْرُوثٍ
لِلنُّورِ فِيهِ إِذَا مَجَّ النَّدى أَرْجٌ يَشْفِي الصُّدَاعَ وَيَشْفِي كُلَّ مَمْغُوثٍ^(٢)
أَمَلًا وَأَحْلَى لَعِينِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ من كَرْخِ بَغْدَادِ ذِي الرُّمَانِ وَالتُّوتِ^(٣)
الَّيْلُ يَصْفَانِ نِصْفٌ لِلْهَمومِ فَمَا أَقْفِي الرُّقَادَ وَنِصْفٌ لِلْبَرَاغِيثِ
أَبِيتُ حِينَ تُسَامِينِي أَوَائِلُهَا أَنْزُو وَأَخْلِطُ تَسْبِيحاً بِتَغْوِيثِ
سُودٌ مَدَالِيحُ فِي الظُّلُمَاءِ مُؤَذِّنَةٌ وَلَيْسَ مُلْتَمَسٌ مِنْهَا بِمَشْبُوثٍ^(٤)

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني^(٥) :

بَاتَ الْبَرَاغِيثُ فِي الْفِرَاشِ مَعِي تَقْسِمُنِي قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ
أَكَلْتَنِي بَعْدَمَا شَرِبْتُ دَمِي فَمَنْ مُغِيثِي مِنَ الْبَرَاغِيثِ
وقال بعض الأعراب^(٦) :

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ أَعْيَانِي وَأَنْصَبَنِي لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلِ الْبَرَاغِيثِ
كَأَنَّهُنَّ وَجِلْدِي إِذْ خَلَوْنَ بِهِ قُضَاةٌ سُوءٌ أَغَارُوا فِي مَوَارِيثِ
وقال آخر^(٧) :

هَنِيئًا لِأَهْلِ الرَّيِّ طِيبُ بِلَادِهِمْ وَأَنْ أَمِيرَ الرَّيِّ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ

(١) الحيوان للجاحظ ٣٨٦/٥ .

(٢) الممغوث: الممحموم .

(٣) أملا: تسهيل أملا، يقال فلان مالىء العين إذا كان فخمًا حسن المنظر. التوت؛ لغة في التوت (بتاءين) وهو شجر ذو ثمر معروف باسمه .

(٤) المداليح، جمع مدلاج، وهو الذي يكثر السفر في الليل بطوله. المشبوث، مأخوذ من شبت الشيء؛ علقه وأخذه بيده.

(٥) نهاية الأرب للنوري ٣٠٤/١٠ .

(٦) الحيوان للجاحظ ٣٨٥/٥، والأعرابيات ٢٦٢ .

(٧) الحيوان للجاحظ ٣٩٠/٥ .

تَطَاوَلَ فِي بَغْدَادَ لَيْلِي وَمَنْ يَكُنْ
بِلَادَ إِذَا جُنَّ الظَّلَامُ تَقَافَزَتْ
دِيَارِجَةً سُودُ الْجُلُودِ كَأَنَّهَا
بَغْدَادَ يَلْبَثُ لَيْلَهُ غَيْرَ رَاقِدِ
بَرَاغِيْثُهَا مِنْ بَيْنِ مَثْنَى وَوَاحِدِ
يَغَالُ بَرِيدِ أُرْسَلَتْ فِي مَذَاوِدِ^(١)
وقال السري الرفاء^(٢) :

وَلَيْلَةٍ مِنْ نَقَمَاتِ الدَّهْرِ
مُكَلَّمِ الصَّدْرِ جَرِيحِ النَّحْرِ
كُمْتُ إِذَا عَايَتْهَا وَشَقِيرِ
قَطَعْتُهَا نَزَرَ الْكَرَى وَالصَّبْرِ
مَقْسَمًا بَيْنَ أَعَادٍ خُذِرِ
كَأَنَّهَا آثَارُهَا فِي الْأُزْرِ
وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني^(٣) :

إِنَّ الْبَرَاغِيْثَ إِذَا سَاوَرَتْ
وَكُلَّمَا غَنَّتْ بَعُوضٌ لَهَا
تَقْفِزُ مِنْ ثَمَّ إِلَى هَا هُنَا
مَنْ كَنَّا تَرْقُصُ أَوْ تَقْرُصُ
فَهِيَ عَلَى شُرْبِ دَمِي أُحْرَصُ
كَأَنَّهَا زِنَجِيَّةٌ تَرْقُصُ
وقال أبو الحسن أحمد بن أيوب البصري المعروف بالناهي^(٤) :

لَا أَعْدُلُ اللَّيْلَ فِي تَطَاوُلِهِ
لِي فِي الْبَرَاغِيْثِ وَالْبَعُوضِ إِذَا
إِذَا تَغْنَى بَعُوضُهُ طَرَبًا
لَوْ كَانَ يَذْرِي مَا نَحْنُ فِيهِ نَقْصُ
يُلْحِفُنَا حِنْدِسُ الظَّلَامِ قَصْصُ
سَاعَدَ بَرَعُوْثُهُ الْغِنَا فَرَقْصُ
وقال آخر^(٥) :

قَبِيْلَةٌ فِي طُولِهَا وَعَرْضِهَا
لَمْ يُطَبِّقُوا عَيْنًا لَهُمْ يَغْمُضُهَا

(١) ديازجة، جمع الديزج معرّب (ديزه) بالفارسية ومعناه: الدّغم، وقيل الأخضر، المذاود: معالف الدواب.

(٢) ديوان السري الرفاء/١٤٢.

(٣) نهاية الأرب ٣٠٤/١٠.

(٤) نهاية الأرب للنويري ٣٠٤/١٠.

(٥) الحيوان للجاحظ ٣٩٢/٥.

خَوْفَ الْبَرَاغِيثِ وَخَوْفَ عَضِّهَا كَأَنَّ فِي جُلُودِهَا مِنْ مَضِّهَا
عَقَارِبًا تَرْفُضُ مِنْ مُرْفَضِّهَا إِنَّ دَامَ هَذَا هَرَبْتُ مِنْ أَرْضِهَا
يَا رَبِّ فَاقْتُلْ بَعْضَهَا يَبْعُضُهَا

وقال الصنوبري^(١) :

حَمَتْنِي الْبَرَاغِيثُ طِيبَ الْكَرَى فَلَيْسَ يَطُوفُ الْكَرَى بِالْمَاقِي
طَفِقَنَ يَرِدَنَّ رِفَاقاً دَمِي وَمِنْ أَطْوَلِ الْوَرْدِ وَرَدَّ الرِّفَاقِ
تَفُوقُ الْهَمَالِيجَ فِي مَشْيِهَا إِلَيَّ وَتَقْفِيزُ قَفْزِ الْعِتَاقِ^(٢)
ذَوَاتُ شِفَارٍ رِقَاقٍ تَفُوقُ قُ فِي الْقَطْعِ حَدَّ الشِّفَارِ الرِّفَاقِ
وَكَالرُّقَبَاءِ عَلَى الْعَاشِقِينَ فَتُفْسِدُ بِالْقَرْصِ طِيبَ الْعِنَاقِ
تُبَاشِرُ جِلْدَ الْفَتَى كَالْهَبَاءِ وَيَصْدُرْنَ عَنِ جِلْدِهِ الرِّفَاقِ

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي^(٣) :

وَلَيْلَةٌ دَائِمَةٌ الْغُسُوقِ بَعِيدَةٌ الْمَمْسَى عَنِ الشُّرُوقِ
كَلِيلَةٌ الْمُتَيَّمِ الْمَشُوقِ أَطَالَ فِي ظُلُمَائِهَا تَشْرِيقِي^(٤)
أَحَبُّ خَلْقٍ لِأَذَى مَخْلُوقِ يَرَى دَمِي أَشْهَى مِنَ الرِّحْقِ
يَعْبُ فِيهِ غَيْرَ مُسْتَفِيقِ لَا يَتْرُكُ الصَّبُوحَ لِلْغُبُوقِ
لَوْ بَتُّ فَوْقَ قَمَّةِ الْعُيُوقِ مَا عَاقَهُ ذَلِكَ عَنِ طُرُوقِي
كَعَاشِقِي أُسْرَى إِلَى مَعْشُوقِ أَعْلَمُ مِنْ بَقْرَاطٍ بِالْعُرُوقِ

(١) ديوان الصنوبري/ ٤٣٥ .

(٢) الهماليج، جمع الهملاج: البرذون (فارسي معرب) . العتاق، جمع العتيق: الفرس الكريم

الرائع وهو خلاف البرذون .

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٥١١ .

(٤) التشريق: تقديد اللحم .

من أكحل منها وباسليق
من خطمه المدرّب الدليق
يفصدها بمبضع دقيق^(١)
فصد الطيب الحاذق الرقيق^(٢)

وقال أبو الرماح الأسدي^(٣) :

تطاول بالفسطاط ليلى ولم يكن
يؤرقني حذب صغار أدلة
إذا جلت بعض الليل منهن جولة
إذا ما قتلناهن أضعن كثرة
ألا ليت شعري هل أبيت ليلة
يحنو الغضا ليل علي يطول
وإن الذي يؤذيه لذل
تعلقن بي أو جلن حيث أجول
علينا ولا ينعي لهن قتل
وليس لبرغوث علي سئل

وقال أبو المحاسن الكربلائي : محمد الحسن بن حمّادي آل قاطع
الجنّاجي في ليلة أضجرت فيها البراغيث^(٤) :

بث من البرغوث طول الدجى
وراحتني في شغل شاغل
لما غدا فرعون في سطورة
وهو إذا نادمني من دمي
أفر منه خيفة هارباً
مسهّد الجفن بليل السليم
وناظري ساه وجفني كليم
خشيته خشية موسى الكليم
يشرب أظلالاً فيس النديم
وهو على إثري بنهج قويم

(١) الأكحل : عرق في الذراع يفصد ويسمى عرق الحياة . الباسليق ، لم أجدها في معاجم اللغة ، ولكن ورد في المساعد الكرملّي ٢٤٣/١ ما يفيد أن كلمة الباسليق يونانية تعني الملكي . وجاء في تكملة المعاجم ٢٣٢/١ : أن الكمون الكرمانّي يسمى : الباسليقون أي الكمون الملوكي . وإذا أخذنا بهذا التخريج يكون الباسليق في قول الشاعر عرق ملكي - أي رئيسي - في البدن يفصد وله أهمية كبيرة كالأكحل .

(٢) الخطم : منقار الطائر ، وفم الدابة .

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٨٩/٥ .

(٤) ديوان أبي المحاسن/ ٢٣٤ .

فلا تَلُومَنَّ تَمِيماً إِذَا رَأَتْهُ فِي زَحْفٍ فَوَلَّتْ تَمِيمٌ^(١)

وقال مجد الدين أبو الميمون الكناني ملغزاً في البراغيث^(٢) :

وَمَعَشَرَ يَسْتَحِلُّ النَّاسُ قَتْلَهُمْ كَمَا اسْتَحَلُّوا دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ
إِذَا سَفَكْتُ دَمًا مِنْهُمْ فَمَا سَفَكْتُ يَدَايَ مِنْ دَمِهِ الْمَسْفُوكِ غَيْرَ دَمِي

وقال أبو هلال العسكري^(٣) :

وَمِنْ بَرَاغِيثَ تَنْفِي النَّوْمِ عَنْ بَصْرِي كَأَنَّ جَفَنِيَّ عَنْ عَيْنِي قَصِيرَانِ
يَطْلُبُنْ مِنِّي ثَاراً لَسْتُ أَعْرِفُهُ إِلَّا عَدَاوَةً سُودَانِ لِبَيْضَانِ

وقال ابن سكرة الهاشمي في مליح يعرف بابن برغوث^(٤) :

بُلِيْتُ وَلَا أَقُولُ بِمَنْ لَأُنِّي مَتَى مَا قُلْتُ مَنْ هُوَ يَعْشِقُوهُ
حَبِيبٌ قَدْ نَفَى عَنِّي رُقَادِي فَإِنْ أَغْمَضْتُ أَيقَظَنِي أَبُوهُ

وقال أبو الشمقمق^(٥) :

يَا طُولَ يَوْمِي وَطُولَ لَيْلَتِيهِ إِنَّ الْبَرَاغِيثَ قَدْ عَشِنَ بِبَيْهِ
فِيهِنَّ بُرْعُوَّةٌ مُجَوَّعَةٌ قَدْ عَقَدَتْ بَنَدَهَا بِفَقْحَتِيهِ

(١) يشير إلى البيت المشهور:

ولو أن برغوثاً على ظهر قملة يكرّ على صفّي تميم لولّت

(٢) حياة الحيوان للدميري ١/١٢٣ .

(٣) ديوان المعاني ١٥٠/٢ .

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١/١٢٣ .

(٥) الحيوان للجاحظ ٣٩٠/٥ .

البعوض

الْبَعُوضُ، واحدته بعوضة. قال ابن منظور (هو ضرب من الذباب) .
ومنه النَّمُوسُ، والجِرَجِسُ، ويسميه البعض: قِرْقِس. ومنه البَقُّ كما في
الصحاح، وعُرف بعضهم البَقُّ بأنه حيوان عدسيٌّ مفرطح أحمر الجثة أسود
الرأس، خبيث الرائحة للذَّاع، يتولَّد في الخشب والحُصُر، واحدته بَقَّة، وقد
جلب الأتراك كمِّيَّة من هذا الحيوان المؤذي ووزَّعوها على بعض سجون العراق
فتكاثر وكان أشدَّ على السجناء من كلِّ العقوبات .
لم يتعرَّض الأدباء والشعراء العرب لهذا الحيوان، وأينما ورد اسم البَقِّ في
نظمهم ونثرهم فالمقصود به البعوض. لذلك اقتفيت أثرهم فاعتبرت البعوض
والبَقُّ إسمين لمسمَّى واحد .

ما ورد عنه في القرآن الكريم

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ سورة
البقرة/ ٢٦ .

مما ورد عنه في الحديث

قال النبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح

بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء^(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام (إنَّ العبد لينشر له من الشاء ما بين المشرق والمغرب ، ولا يزن عند الله جناح بعوضة)^(٢) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم (ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)^(٣) .

مما ورد عنه في الأمثال^(٤)

(أضعف من بعوضة) يضرب للمبالغة والتناهي .
(كلُّفَتْنِي مَخَّ البَعُوضَةِ) يضرب لمن يكلفك الأمر الشاق ، ومنه قولهم :
كلُّفَتْنِي مَخَّ البَعُوضِ فقد أقصرت لا نُجِحُ ولا عذرُ
مما ورد عنه في القصص^(٥) :

قالت البعوضة للنحلة : استمسكي فإني عنك ناهضة ، فقالت : ما أحسستُ وقوعك فكيف نهوضك .

مما ورد عنه في الكلام المنشور^(٦) :

قال الجاحظ في التأمل في جناح بعوضة :
ولو وقفت على جناح بعوضة وقوف معتبر ، وتأمَّلْتَه تأمُّلاً متفكِّراً بعد أن تكونَ ثاقبَ النَّظَرِ سليم الآلة غَوَّاصاً على المعاني ، لا يعتريك من الخواطر إلَّا

(١) حية الحيوان للدميري ١٢٩/١ .

(٢) و(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ٨٩/١ .

(٤) جمهرة الأمثال ٣/٢ ، وأساس البلاغة للزمخشري مادة (ب ع ض) .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٣٧٦ .

(٦) الحيوان للجاحظ ٢٠٨/١ وبيتيمة الدهر ٤٧/٢ .

على حسب صِحة عقلك، ولا من الشواغل إلا ما زاد في نشاطك، لملأت مما
توجدك العبرة من غرائب الطوامير الطوال، والجلود الواسعة الكبار، ولرايت أن
له من كثرة التصرف في الأعاجيب، ومن تقلبه في طبقات الحكمة، ولرايت له
من الغرر والرّيع، ومن الحلب والدّرّ ولتبجّس عليك من كوامن المعاني
ودفائنّها، ومن خفّيات الحكم وينابيع العلم ما لا يشتدّ معه تعجّبك .

وقال ابن شهيد في صفة بعوضة :

مالكة لا حسّ لها سواها. تحقرها عين من رآها. تمشي إلى الملك
بندبها، وتضرب بحبوحة داره بطلبها. تؤذيه باقبالها، وتعرفه باراقة دمه ما لها،
فتعجز كفه وترغم أنفه، وتضرج خذه، وتفرّي لحمه وجلده. زجرتها تسليمها،
ورمحتها خرطومها. تذلل صعبك إن كنت ذا قوّة وعزم، وتسفك دمك وإن كنت
ذا حلقة وعسكر ضخم. تنقض العزائم وهي منقوضة، وتعجز القوي وهي
بعوضة ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

مما ورد عنه في الشعر

قال أبو هلال العسكري^(١) :

وَيَنْفِي فَرَحَ الْقَلْبِ	غِنَاءٌ يُسَخِّنُ الْعَيْنَ
وَلَا يَجْرِي مَعَ الضُّرْبِ	وَلَا يَأْتِي عَلَى الزُّمْرِ
يُنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ	غِنَاءُ الْبَقِّ بِاللَّيْلِ
جَرَى فِي طَلْقِ الْكَرْبِ	إِذَا مَا طَرَقَ الْمَرْءُ
وَلَكِنْ بَاتَ كَالْوُطْبِ	نَحِيفٌ رَاحَ كَالشَّنِّ
ةٌ أَخْفَى مَوْضِعَ النَّقْبِ	إِذَا مَا نَقَبَ الْجِلْدُ
تُحَاكِي نَقْطَ الْكُتُبِ	سَيَوَى حُمْرَ خَفِيَّاتِ

(١) ديوان المعاني ١٤٨/٢ .

وقال أبو بكر الخوارزمي^(١) :

صَنِيْتُ فَلَوْ أُدْخِلْتُ فِي حَلْقِ بَقَّةٍ خَرِيفِيَّةٍ مِنْ دِقَّتِي لَمْ تَغْصُ بِي
وَأَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْهَمِّ وَاعْتَدْتُ أَمَانِي فِي أَظْفَارِ عَنَقَاءِ مُغْرِبِ

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح^(٢) :

قَدْ مُنِينَا بِهَنَاتٍ	هُنَّ مِنْ شَرِّ الْهَنَاتِ
نَافِرَاتٍ	فَلِيقَاتٍ مُقْلِقَاتٍ
سَافِكَاتٍ لِدِمَاءِ الـ	نَاسٍ مِنْهَا شَارِبَاتٍ
مَعَنَا فِي الْقُرْشِ وَالْقُمِّ	صِرَ عَلَيْنَا وَائِبَاتٍ
تَخْضُبُ الإِصْبَعِ وَالْثَوِّ	بَ دَمًا مِنْ دَامِيَاتٍ
ثُمَّ لَا يُخْرِجُهُ الْعَسْدُ	لُ بِمَاءِ الرَّاحِضَاتِ
وَمُنِينَا بِهَنَاتٍ	وَاقِعَاتٍ طَائِرَاتٍ
جَارِحَاتٍ دَاخِلَاتٍ	مُسْهَرَاتٍ سَاهَرَاتٍ
زَامِرَاتٍ لَكَ بِالنَّسْدِ	يَهِيدُ فِي وَقْتِ السُّبَاتِ
مِنْ لُحُومٍ فِي دِمَاءٍ	وَإِرْدَاتٍ شَارِعَاتٍ
بِخَرَاطِيمٍ مُدَلَّلًا	إِ طُولِ جَارِحَاتٍ
طَعْنُهَا أَنْفَذُ فِي الْأَبْدِ	لِدَانٍ مِنْ طَعْنِ الْكُمَاةِ
كَمْ لَهَا فِي الْجِسْمِ مِنْ آ	ثَارٍ سُوءٍ فَاحِشَاتٍ
وَكُلُومٍ مُؤَلِّمَاتٍ	وُنُذُوبٍ قَرِخَاتٍ
وَلِدِيغٍ لَاطِمٍ وَجْهٍ	هَأْ طُلُوبٍ لِلتُّرَاتِ
فَنَصِيبُ الْفَدِّ مِنْهَا	بَعْدَ أَلْفِ فَائِتَاتٍ
نَازِلَاتٍ صَاعِدَاتٍ	بَادِيَاتٍ عَارِيَاتٍ

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب / ٥٠٥ .

(٢) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق / ١٧١ .

وقال آخر^(١) :

لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مَخَاصِمِهِ
وَفِي الشَّرَارَةِ ضَعْفٌ وَهِيَ مُؤَلَّمَةٌ
إِنَّ الْبُعُوضَةَ تُدْمِي جَبْهَةَ الْأَسَدِ
وَرُبَّمَا أَضْرَمَتْ نَارًا عَلَى بَلَدٍ

وقال ابن أحرر الباهلي^(٢) :

مَا كُنْتُ عَنْ قَوْمِي بِمُهْتَظِمٍ
كَلَّفْتَنِي مَخَّ الْبُعُوضِ فَقَدْ
لَوْ أَنَّ مَعْصِيًا لَهُ أَمْرُ
أَفْصَرَتْ لَا نُجَحُّ وَلَا عُذْرُ

وقال رجل من بني رَحْمَانَ^(٣)

أَنْصُرُ أَهْلَ الشَّامِ مِمَّنْ يَكِيدُهُمْ
بِرَاغِبٍ تُؤْذِنِي إِذَا النَّاسُ نَوْمُوا
وَأَهْلِي بِنَجْدٍ سَاءَ ذَلِكَ مِنْ نَصْرِ
وَبَقُ أَفَاسِيهِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ
فَإِنْ يَكُ فَرَضٌ بَعْدَهَا لَا أَعُدُّ لَهُ
وَإِنْ بَدَلُوا حُمَرَ الدَّنَانِيرِ كَالْجَمْرِ

وقال الأسعد بن مماتي^(٤) :

تَكَادُ بِقَرَصِ الْبَقِّ تَتَلَفُ مُهْجَتِي
وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ فِي الْبَقِّ أَنَّهَا
إِذَا لَمْ أَجِدْ مِنْ ثَوْبٍ جَلْدِي التَّخْلُصَا
عَلَى الْجِسْمِ سُمَاقٌ وَتُنَبِّتُ حِمْمَا

وقال ابن عروس^(٥) :

وَلَوْ أُيْقِنْتُ أَنْ سَيَمُوتُ قَلْبِي
صَغِيرَ السِّنِّ كَالرَّشَاءِ الْغَضِيضِ

(١) المعجم الزوولوجي ١١٠/٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٣١٨/٣ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٤٠٨/٥ .

(٤) خريدة القصر (قسم شعراء مصر) ١٠٢/١ .

(٥) ثمار القلوب / ٥٥٥ .

ابْحَثْكَ • كُلُّ مَا يَخْوِيهِ كَفِّي وَلَوْ كَلَّفْتَنِي مُنْخَ الْبَعُوضِ

وقال ابن حمديس الصقلي^(١):

يا لَيْلُ هَلْ لَصَبَاحِي فِيكَ إِشْرَاقُ
عَسَاكِرُ الْبَقِّ نَحْوِي فِيكَ زَاجِفَةٌ
من كُلِّ طَائِفَةِ الْخُرْطُومِ سَارِيَّةٌ
فَقَدْ نَفَى النَّوْمَ عَن عَيْنِي إِيرَاقُ
كَأَنَّمَا بُتَّ وَسَطَ الْبَيْتِ سُمَاقُ
كَأَنَّ لَسَعَتَهَا بِالنَّارِ إِحْرَاقُ

وقال شاعر في رجل اسمه ليث^(٢):

أَيَا مَنْ إِسْمُهُ لَيْثٌ
لَقَدْ بَاعَدَ رَبُّ النَّاسِ
وَهُوَ أَضْعَفُ مِنْ بَقَّةٍ
سِرِّ بَيْنِ الْإِسْمِ وَالْخَلْقَةِ

وقال أبو اسحاق الصبائي^(٣):

وَلَيْلَةٌ لَمْ أَذُقْ مِنْ حَدِّهَا وَسَنًا
أَحَاطَ بِي عَسْكَرُ الْبَقِّ ذُو لَجَبٍ
من كُلِّ سَائِلَةِ الْخُرْطُومِ طَائِفَةٍ
طَافُوا عَلَيْنَا وَحَرُّ الصَّيْفِ يَطْبِخُنَا
كَأَنَّ مِنْ جَوْهَا النَّيْرَانِ تَشْتَعِلُ
مَا فِيهِ إِلَّا شَجَاعٌ فَاتِكُ بَطْلُ
لَا تَحْجُبُ السُّجْفُ مَسْرَاهَا وَلَا الْكِلْلُ
حَتَّى إِذَا طُبِخَتْ أَجْسَامُنَا أَكَلُوا

وقال أبو الفتح البُستي^(٤):

لَا يَسْتَخْفِنُ الْفَتَى بَعْدُوهُ
إِنَّ الْقَدَى يُؤْذِي الْعُيُونَ قَلِيلُهُ
أَبْدًا وَإِنْ كَانَ الْعَدُوُّ ضَيِيلًا
وَلَرُبَّمَا جَرَحَ الْبَعُوضُ الْفِيلًا

(١) ديوانه / ٣٣٥.

(٢) ثمار القلوب / ٥٠٤.

(٣) يتيمة الدهر ٢ / ٢٦٨.

(٤) يتيمة الدهر ٤ / ٣٣٣.

وقال الزمخشري (١) :

يا مَنْ يَرَى مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَيْلِ
وَيَرَى مَنَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمَخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحْلِ
أَمُنَّ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمُحِرُ بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الأولِ

وقال أبو بكر الخوارزمي (٢) :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ صَيْدٍ صَعُوبٍ بَازِيًّا إِنَّ الأَسُودَ تُصَادُ بِالْخِرْفَانِ (٣)
قَدْ غَرَّقَتْ أَمْلاكُ جَمِيرٍ فَارَةً وَبَعُوضَةٌ قَتَلَتْ بَنِي كَنْعَانَ

وقال فرج بن خلف الأندلسي الملقب بالسَّمِير (٤) :

بَعُوضٌ شَرَبَنَ دَمِي فَهَوَّةٌ وَغَنَيْنِي بِضُرُوبِ الأَغَانِ
كَأَنَّ عُرُوقِي أَوْتَارُهُنَّ وَجِسْمِي الرِّبَابُ وَهَنَّ الْقِيَانِ

وقال راجز (٥) :

إِذَا البَعُوضُ زَجَلَتْ أَصْوَاتُهَا وَأَخَذَ اللَّحْنَ مُغْنِيَاتُهَا
لَمْ تُطْرِبِ السَّامِعَ خَافِضَاتُهَا وَأَرَّقَ الْعَيْنَيْنِ رَافِعَاتُهَا
كُلُّ زَجُولٍ تَتَّقِي شِدَاتُهَا صَغِيرَةٌ عَظِيمَةٌ أَذَاتُهَا (٦)
تَنْقُصُ عَنْ بُغْيَتِهَا بُغَاثُهَا وَلَا تُصِيبُ أَبَدًا رُمَاتُهَا
رَامِحَةٌ خُرْطُومُهَا فَنَاتُهَا

(١) حياة الحيوان ١٢٩/١ ووفيات الأعيان ٢٥٩/٤.

(٢) يتيمة الدهر ٢٣٦/٤.

(٣) الصعو: عصفور صغير.

(٤) نفح الطيب ٣٢٩/٣، ونهاية الأرب ٣٠٢/١٠.

(٥) الحيوان للجاحظ ٤٠٧/٥.

(٦) الشدة: الأذى والشر.

وقال آخر في وصف حاله وحال البعوض (١) :

لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا مُدَقِّطٌ أَطْوَلَ مِنْ لَيْلِي بِنَهْرِ بَطًّا (٢)
كَأَنَّمَا نُجُومُهُ فِي رُبْطٍ أَيْتُ بَيْنَ خِطَّيْ مُشْتَطِّ
مِنَ الْبُعُوضِ وَمِنَ التَّغْطِي إِذَا تَغْنَّيْنَ غِنَاءَ الزُّطِّ
وَهُنَّ مِنِّي بِمَكَانِ الْقُرْطِ فَنِيقُ بَوَقِعٍ مِثْلَ وَقَعِ الشَّرْطِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي (٣) .

وَبُعُوضِي حَطَّتْ عَلَى قَدَمِي وَأَمْهَلْتُهَا حَتَّى ارْتَوَتْ فَهَوَتْ
كُلُّ شَفَى مِنْ جَسْمِ صَاحِبِهِ غَلًّا وَأُطْفَأَ لَوْعَةُ الضَّرَمِ
أَغْنِيْ إِنْكَ كَالْبُعُوضِ دَمِي يَجْرِي بِجَسْمِكَ فَانْتَظِرْ نَقْمِي
وَاعْذُرْ إِذَا عَدَرَ الْبُعُوضُ فَلَمْ أَسْفِكَ دَمًا لَكَ بَلْ سَفَكْتَ دَمِي

وقال عبد الله بن المعتز (٤) :

بُتْ بِجَهْدٍ سَاهَرَ الْأَجْفَانِ تَلْدَعُ جِلْدِي شَرُّ النِّيرَانِ
مِنْ طَائِرٍ يَزْمُرُ فِي الْأَذَانِ مِنْ الدَّمَاءِ مُتْرَعٌ مَلَانِ
كَأَنَّهُ فَرِيدَةُ الْمَرْجَانِ

وقال السيد جعفر الحلِّي معرضاً ببعض الأدباء على طريقة الهزل (٥) :

أَلَا مَنْ يَقْتُلُ الْبَقَّ فَإِنَّ الْبَقَّ آذَانِي

(١) الحيوان للجاحظ ٤٠٦/٥

(٢) نهربط: نهر بالأهواز.

(٣) ديوانه (هواجس) ٤٩.

(٤) ديوانه ٦٤٩/٢.

(٥) ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل) ٤٣١.

لقد طُنُنَ في القلبِ فصُمْتُ مِنْهُ آذَانِي

وقال آخر (١) :

وَلَيْلَةٍ لَمْ أَدْرِ مَا كَرَاهَا أَمَارِسُ الْبُعُوضِ فِي دُجَاهَا
كُلُّ زُجُولٍ خَفِيقٍ حَشَاهَا سِتٌّ لَدَى إِيفَائِهَا شَوَاهَا (٢)

(١) الحيوان للجاحظ ٤٠٥/٥ .

(٢) الشوى: اليدان والرجلان، ويريد بكلمة (إيفائها): إيفاء عدها.

البغال (١)

الذكر بغل، والأنثى بغلة، والجمع بغال، ومبغولاء اسم للجمع،
والبغال: صاحب البغال.

وقيل: البغلة اسم جنس، والهاء فيها للإفراد، وهاء الإفراد تقع على
الذكر والأنثى.

وكنية البغل: أبو الأشحج، وأبو الحرون، وأبو الصقر، وأبو قضاة، وأبو
قموص، وأبو كعب، وأبو مختار، وأبو ملعون. ويقال له: ابن ناهق.

ما ورد عنها في القرآن الكريم

﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ سورة النحل ٨/

مما ورد عنها في الأمثال (٢)

(أعقم من بغلة). يضرب للمبالغة والثناء.

(١) حياة الحيوان للدميري ١/١٣٨.

(٢) جمهرة الأمثال ٣٤/٢ و ١٠٠ والتمثيل والمحاضرة ٣٤٢، والمختصص ٢/٦/٢٠٥.

(قيل للبغل: من أبوك؟ قال: خالي الفرس). يضرب مثلاً للرجل يفخر بشي لغيره خير منه

(البغل نغل وهو لذلك أهل) يضرب لمن لا يرجى خيره لخسة أصله.

(البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل)^(١): يضرب لمن كابد عظام الأمور فلا تزعزعه الصغائر.

(فلان بغلة أبي دلامة) يضرب للكثير العيوب. وقد هجا أبو دلامة بغلته فلم يترك عيباً إلا والصقه بها وسنورد قصيدته في فصل الشعر.
(نكح فيهم فبغلهم) أي هجن أولاده.

مما ورد عنها في القصص^(٢)

قال ابن شهيد: ومشيت يوماً أنا وزهير^(٣) بأرض الجن نتقري^(٤) الفوائد، ونعتمد أندية أهل الآداب منهم إذ أشرفنا على قرارة غناء^(٥) تفتت عن بركة ماء وفيها عانة^(٦) من حمر الجن وبغالهم، قد أصابها أولق^(٧) فهي تصطك بالحوافز، وتنفخ من المناخر، وقد اشتد ضراطها، وعلا شحيجها^(٨) ونهاقها. فلما بصرت بنا أجفلت إلينا وهي تقول: جاءكم على رجلية.

(١) الجلجل: جرس صغير جمعه جلاجل.

(٢) التوابع والزوابع لابن شهيد ١٤٧.

(٣) هو زهير بن نمير من الجن ورفيق ابن شهيد في قري الجن.

(٤) تقري الفوائد: تتبعا.

(٥) القرارة: المطمئن من الأرض. غناء: كثيرة العشب.

(٦) العانة: القطيع من حمر الوحش.

(٧) الأولق: الجنون أو شبهه.

(٨) الشحيج: صوت البغل.

فارتعتُ لذلك، فتبسّم زهير وقد عرف القصد وقال لي: تهيّأ للحُكم.
فلَمّا لحقت بنا بدَأْتُني بالتفدية، وحيّني بالتنكية، فقلتُ: ما الخطبُ حُيّي
جِماك أيتها العانة، وأخصب مرعاك؟ قالت: شِعْران لحمار وبغل من عشاقنا
اختلفنا فيهما، وقد رضىناك حكماً. قلت: حتى أسمع. فتقدمت اليّ بغلة
شهباء، عليها جلُّها وبرقعها، لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة
وسُخف الحركة فقالت: أحد الشعرين لبغل من بغالنا وهو:
على كلِّ صَبٍّ من هواه دَلِيلٌ سَقام على حرِّ الجوى ونُحُولُ
وما زالَ هذا الحبُّ داءً مبرِّحاً إذا ما اعترى بَغْلاً فليس يزُولُ
بِنَفْسِي التي أَمَّا مَلَا حِظُّ طَرْفِها فسُحِرُ وأما خَدُّها فأسِيلُ
تَعِبْتُ بما حُمِلْتُ من ثَقَلِ حُبِّها وإني لَبَغْلٌ لِلثَّقَالِ حَمُولُ
وما نِلْتُ منها نائِلاً غيرَ أنِّي إذا هِيَ بَالَتْ بَلْتُ حيثُ تَبُولُ

والشعر الآخر لِدُكَيْنِ الحمار وهو:
دُهِيتُ بهذا الحبِّ منذُ هَوَيْتُ ورائتُ إِراداتي فَلَسْتُ أَرِيْتُ^(١)
كَلِفْتُ بِأَلْفِي مُنْذُ عِشْرِينَ حِجَّةً يَجُولُ هَواها في الحَشا وَيَعِيْتُ
ومالي مِنْ بَرَجِ الصَّبَابَةِ مَخْلَصُ ولا لي مِنْ فَيْضِ السَّقَامِ مُغِيثُ
وغيرَ منها قَلْبُها لي نَمِيمَةٌ نَمَها أَحْمُ الْخِصْيَتَيْنِ خَبِيثُ
وما نِلْتُ مِنْها نائِلاً غيرَ أنِّي إذا هِيَ رَأَتْ رُثْتُ حيثُ تَرَوْتُ

فضحك زهير، وتماسكتُ وقلت للمنشدة: ماهويّت؟ قالت: هو
(هويّت) بلغة الحمير. فقلت: والله إنّ للروث رائحةً كريهة، وقد كان أنف
الناقة^(٢) أجدر أن يحكم في الشعر. فقالت: فهمت عنك وأشارت إلى العانة -

(١) راءت: أبطأت.

(٢) من شعراء الجنّ في الرسالة.

أَنْ دُكِّنَا مغلوب ثم انصرفت^(١) قاعة راضية .

وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر؟ قلت: لو كانت ثم علامة، فأماطت لثامها، فإذا هي بغلة أبي عيسى، والخال على خدّها، فتباكينا طويلاً، وأخذنا في ذكر أيامنا، فقالت: ما أبقت الأيام منك؟ قلت: ما ترين، قالت: شبّ عمرو عن الطوق، فما فعل الأحبة بعدي، أهم على العهد؟ قلت: شبّ الغلمان، وشاخ الفتيان، وتنكرت الخلّان، ومن إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة. فتنفّست الصّعداء وقالت: سقاها الله سبيل العَهد^(٢) وإنّ حالوا عن العهد ونسوا أيام الودّ. بحرمة الأدب ألاّ ما أقرأتهم مني السلام، قلت: كما تأمرين وأكثر.

مما ورد عنها في الكلام المنثور (٣)

صنّف الجاحظ كتاباً عن البغال مستقلاً عن كتابه (الحيوان) ضمنه الكثير من الأخبار. وطرائف المنظوم والمنثور، وقال في مقدّمته:

نبدأ إن شاء الله بما وصف الأشراف من شأن البغلة في حسن سيرتها وتمام خلقها، والأمور الدالة على السرّ الذي في جواهرها، وعلى وجوه الاتّفاق بها وعلى تصرفها... الخ.

وقال مسلمة بن عبد الملك: ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان قصيرة العذار، سفواء^(٤) العرف، حصّاء الذنب.

وكتب روح بن عبد الملك بن مروان إلى وكيل له: أبغني بغلة حصّاء

(١) الضمير يعود إلى العانة.

(٢) السبل (بفتحين): المطر. العهد: أول مطر الوسمي.

(٣) رسائل الجاحظ ٢/٢١٦، ونهاية الأرب للتويري ١٠/٨٦ و ٨٧.

(٤) سفواء العرف: خفيفة شعر الناصية.

الذئب، عظيمة المحزم، طويلة العنق، سوطها عنانها، وهوها أمامها.

وقيل لعبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: مالك ولمركب البغلة الذي لا يدرك عليه الثأر، ولا ينجيك يوم الفرار؟ فقال: إنها نزلت عن خيلاء الخيل، وأرتفعت عن ذلة العير وخير الأمور أوساؤها.

وقال ابن كتامة: سمعت رجلاً يقول: إذا أشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق، تجده في نجائها، مشرفة الهادي، تجده في طباعها، ضخمة الجوف، تجده في صبرها.

وحكي أن عبد الحميد الكاتب ساير مروان بن محمد المعروف بالجعديّ بالحمار، على بغلة، فقال له: لقد طالت صحبة هذه الدابة لك، فقال: يا أمير المؤمنين، من بركة الدابة طول صحبتها، فقال: صفها، فقال: همها إمامها، وسوطها زمامها، وما ضربت قط إلا ظمأ

وقال بعض الكتاب من رسالة: قد اخترت لسيدي بغلة وثيقة الخلق لطيفة الخرط^(١) رشيقة القد، موصوفة السير، ميمونة الطير، مشرفة العنق، كريمة النجار، حميدة الآثار.

إن أدبرت قلت لا تليل لها أو أقبلت قلت ما لها كف^(٢)

قد جمعت إلى حسن القميص سلامة الفصوص^(٣) فسميت قيد الأوابد وقرّة عين الساهد، تزري في انطلاقها بالبروق في اثلاقها.

(١) الخرط: الجراح، والدابة الخروط: التي تجذب رسنها من يد ممسكها لتستأنف السير.

(٢) التليل: العنق.

(٣) الفصوص من الدابة: مفاصل ركبتها وأرساغها.

مما ورد عنها في الشعر

قال ابن رشيق في هجائها (١) :

فَأَوْصِيكُمْ بِالْبَغْلِ شَرًّا فَإِنَّهُ مِنْ الْعَيْرِ فِي سُوءِ الطَّبَاعِ قَرِيبُ
وَكَيْفَ يَجِيءُ الْبَغْلُ يَوْمًا بِحَاجَةٍ تَسُرُّ فِيهِ لِلْجَمَارِ نَصِيبُ

وقال أبو خنيس يهجو بغلته (٢) :

أُبْعِدَتْ مِنْ بَغْلَةٍ مُوَائِلَةٍ تَرْمَحُنِي تَارَةً وَتَقْصُصُ بِي
تَكَادُ عِنْدَ الْمَسِيرِ تَقْطَعُنِي رَاكِبُهَا رَاكِبٌ عَلَى قَتَبِ
إِنْ قَمْتُ عِنْدَ الْإِسْرَاجِ أَثْفَرُهَا تَطْرِفُ مِنِّي الْعَيْنَيْنِ بِالذُّنْبِ (٣)
وَعِنْدَ شَدِّ الْحِزَامِ تَنْهَشُنِي مَا نِعَةً لِلْجَامِ وَاللَّبِّ (٤)
لَيْسَ لَهَا سِيرَةٌ سِوَى الْوَثْبِ كَرَقَصِ زَنْجٍ يَنْزُونُ لِلطَّرَبِ
وَهِيَ إِذَا مَا عَلَفَتْهَا جَهَدَتْ لَا تَأْتَلِي فِي الْجِهَادِ عَنْ حَرْبِ
قَدْ أَكَلْتُ كُلَّ مَا اشْتَرَيْتُ لَهَا مِنْ رِزْقِ شَعْبَانَ أَمْسٍ فِي رَجَبِ
تَمَرٌ فِيمَا نَمَى لَعَلَفَتْهَا إِنْ لَمْ تُعَلَّلْ بِالشُّوكِ وَالْقَصَبِ (٥)

وقال آخر، وقد جعل ركوب البغلة من وسائل الترف الداعية إلى الاحترام

والتبجيل (٦) :

(١) ديوانه/٣٨.

(٢) رسائل الجاحظ ٢/٣٣٩.

(٣) أثير الدابة: جعل لها ثفراً، وهو سير مربوط في مؤخر السرج من الجانبين ويجعل تحت ذنب الدابة ليمسك السرج عن التحرك إلى الأمام. طَرَفَ عينه: أصابها بشيء فدمعت واحمرّت فهي مطروفة.

(٤) اللبب: ما يشد على صدر الدابة يمنع السرج من الاستئثار.

(٥) لما ينمو: زاد.

(٦) رسائل الجاحظ ٢/٢٥٠.

يا فَتَحْ لَوْ كُنْتُ ذَا خَزْ أَجْرُهُ تَحْتِي سَلِيمُ الشُّظَا مِنْ نَسْلِ حَلَّابٍ^(١)
أَوْ كُنْتُ ذَا بَغْلَةٍ سَفَوَاءٍ نَاجِيَةٍ وشَاكِرِينَ لَمْ أُحِبْسُ عَنْ الْبَابِ^(٢)
أُزْرِي بِنَا أَنَا قَلْتُ دَرَاهِمُنَا وَالْفَقْرُ يُزْرِي بَادَابٍ وَأَحْسَابِ

وقال البحريري من قصيدة استهدى فيها من محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي فرساً أو بغلاً^(٣) :

وَأَقْبَّ نَهْدٍ لِلصَّوَاهِلِ شَطْرُهُ يَوْمَ الْفَخَارِ وَشَطْرُهُ لِلشُّحِّ^(٤)
خِرْقٌ يَتِيهِ عَلَى أَبِيهِ وَيَدْعِي عَصِيَّةً لَبْنِي الضَّبِيبِ وَأَعْوَجَ^(٥)
مِثْلَ الْمَدْرَعِ جَاءَ بَيْنَ عُمُومَةٍ فِي غَافِقٍ وَخَوْلَةٍ فِي الْخَزْرَجِ^(٦)
لَا دِيَزَجُ يَصِفُ الرَّمَادَ وَلَمْ أَجِدْ حَالاً تَحْسُنُ مِنْ رِوَاءِ الدِّيَزَجِ^(٧)
وَعَرِيضُ أَعْلَى الْمَتْنِ لَوْ عَلِيَّتُهُ بِالرُّبْتِ الْمُنْهَالِ لَمْ يَتَرَجَّرِ
خَاصَتْ قَوَائِمُهُ الْوَثِيقُ بِنَاوِهَا أَمْوَاجَ تَحْنِيبٍ بِهِنْ مَدْرَجِ^(٨)

وقال أبو الفرج الوأواء^(٩) من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قَدْ جَاءَتْ الْبَغْلَةُ السَّفَوَاءُ يَجْنُبُهَا لِلْبَرْقِ غَيْثٌ بَدَا يَنْهَلُ مَاطِرُهُ^(١٠)

(١) حلَّاب: فرس لبني تغلب من نتاج أعوج وهو فرس لبني هلال .

(٢) الشاكري: معرب (جاكر) بالفارسية ومعناه المستخدم الأجير .

(٣) ديوانه ٤٠٤/١ .

(٤) الشُّح: البغال .

(٥) الضبيب: فرس حسان بن حنظلة الطائي .

(٦) المدرع: الذي أمه أشرف من أبيه . غافق: قبيلة من الأزد، وهي دون الخزرج شرقاً .

(٧) الديزج: لون بين لونين، معرب (ديزه) بالفارسية .

(٨) التحنيب: احديداب في وضيئي يدي الفرس، ويقال: انه بُعد ما بين الرجلين من غير فجح .

(٩) نهاية الأرب للنويري ٨٨/١٠ .

(١٠) بغلة سفواء: سريعة المر كالريح .

عَرِيقَةٌ نَاسَبَتْ أَحْوَالَهَا فَلَهَا
 مَلَأُ الْحِزَامِ وَمَلَأُ الْعَيْنَ مُسْفِرَةً
 أَهْدَى لَهَا الرُّوضُ أَوْصَافِهِ شَيْئَةً
 لَيْسَتْ بِأَوَّلِ حُمْلَانٍ شَرِيتَ بِهِ
 كَمْ قَدْ تَقَدَّمَهَا مِنْ سَابِحٍ بِيَدِي
 وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِي (٢) فِي ذِمِّ الْبَغْلِ:

أَوْصِيكَ بِالْبَغْلِ شَرًّا فَإِنَّهُ ابْنُ الْحِمَارِ
 لَا يَصْلُحُ الْبَغْلُ إِلَّا لِكَدِّ وَالْأَسْفَارِ

وَقَالَ أَيْضاً (٣) فِي مَدْحِ بَغْلَةٍ:

كَأَنِّي بَعْضُ نُجُومِ السَّمَاءِ تَصَعَّدَ فِي الْجَوِّ ثُمَّ انْحَدَرَ
 عَلَى رِسْلَةٍ مِنْ هِبَاتِ الْمَلُوكِ لِكِ سَفَوَاءِ مَلُومَةٍ كَالْحَجَرِ
 تَعَاوَنَ فِي جَدَلِ أَعْضَائِهَا بَنُو أَخْدَرٍ وَبَنَاتُ الْأَغَرِ (٤)

وَقَالَ سَبْطُ ابْنِ التَّعَاوِيزِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ (٥):

مُجَاهِدَ الدِّينِ عَشْتِ دُخْرًا لِكُلِّ ذِي حَاجَةٍ وَكَنْزًا
 بَعَثْتَ لِي بَغْلَةً وَلَكِنْ قَدْ مُسِخَتْ فِي الطَّرِيقِ عَنْزًا
 وَقَالَ الْبَهَاءُ زَهِيرٌ يَهْجُو بَغْلَةً وَصَاحِبَهَا (٦):

لَكَ يَا صَدِيقِي بَغْلَةٌ لَيْسَتْ تُسَاوِي خِرْدَلَهُ

(١) الحُمْلَانُ: مَا يَحْمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الدَّوَابِّ فِي الْهَبَةِ خَاصَّةً.

(٢) دِيَوَانُهُ ٨١.

(٣) دِيَوَانُهُ أَيْضاً ٨٦.

(٤) الْخَدْرِي: الْحِمَارُ الْأَسْوَدُ، وَالْأَخْدَرِيُّ: الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ. الْأَغَرُ مِنَ الْخَيْلِ: مَا كَانَ بِجَبْهَتِهِ غَرَّةً.

(٥) دِيَوَانُهُ ٢٣٦/.

(٦) دِيَوَانُهُ ٢٩٤.

تَمْشِي فَتَحَسَّبُهَا الْعَيُّو نُ عَلَى الطَّرِيقِ مُشَكَّلَةٌ
وَتُخَالُ مُدْبِرَةً إِذَا مَا أَقْبَلْتَ مُسْتَعْجِلَةً
مِقْدَارُ خَطَوَاتِهَا الطُّوِي لَةً حِينَ تُسْرِعُ أَنْمَلَةً
تَهْتَرُ وَهِيَ مَكَانَهَا فَكَأَنَّمَا هِيَ زَلْزَلَةٌ
أَشْبَهَتْهَا بَلْ أَشْبَهَتْ كَ كَأَنَّ بَيْنَكُمَا صِلَةً
تَحْكِي صِفَاتِكَ فِي الثَّقَا لَةً وَالْمَهَانَةَ وَالْبَلَّةَ

وقال أبو المكارم بن عبد السلام يمدح بغلة له^(١):

كَأَنَّهَا النَّارُ فِي الْحَفَاءِ إِنْ رَكَضَتْ كَأَنَّهَا السَّيْلُ إِنْ وَافَتْكَ مِنْ جَبَلٍ
كَأَنَّهَا الْأَرْضُ إِنْ قَامَتْ لِمُعْتَلِفٍ كَأَنَّهَا الرِّيحُ إِنْ مَرَّتْ عَلَى الْقَلَلِ
مَا يَعْرِفُ الْفِكْرُ مِنْهَا مُنْتَهَى حُضُرٍ مَا صَوَّرَ الْوَهْمُ فِيهَا وَصْمَةَ الْكَسَلِ
إِذَا اقْتَعَدَتْ مَطَاها وَهِيَ مَاشِيَةٌ تَهْلَانُ تُبْصِرُهُ فِي زِيٍّ مُتَّقَلٍ

وقال أبو دلالة يصف بغلته^(٢):

أَبْعَدَ الْخَيْلِ أَرْكُبُهَا وَإِرَاداً وَشُقْرًا فِي الرَّعِيلِ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فِيهَا وَكَالٌ وَخَيْرٌ خِصَالُهَا فَرْطُ الْوِكَالِ^(٤)
رَأَيْتُ عَيْوَبَهَا كَثُرَتْ وَعَالَتْ وَلَوْ أَفْنَيْتُ مُجْتَهِدًا مَقَالِي^(٥)
تَقْوَمُ فَمَا تَرِيمُ إِذَا اسْتُحْتُتْ وَتَرْمَحُ بِالْيَمِينِ وَبِالشُّمَالِ^(٦)

(١) نهاية الأرب للنويري ٨٨/١٠ .

(٢) رسائل الجاحظ ٣٣٢/٢ .

(٣) الورد (بالكسر) جمع الورد (بالفتح) وهو من الخيل بين الكميت والأشقر، أو الأحمر الضارب إلى الصفرة .

(٤) الوكال (بكسر الواو وتفتح) : الفتور .

(٥) عال: من العول، وهو زيادة الفريضة في الموارث .

(٦) ما تريم: ما تبرح .

رياضة جاهلٍ وعُلجٍ سوءٍ
شَتيمٍ الوجهِ هَلْباجٍ هِدَانٍ
فأدَّبها بأخلاقٍ سِماجٍ
فلَمَّا هَدَّنِي ونَفَى رُقَادِي
أتيتُ بها الكُنَاسَةَ مُسْتَيَعاً
لِعهْدَةٍ سِلْعَةٍ رُدَّتْ قَدِيماً
فَبِينَا فِكْرَتِي فِي الْقَوْمِ تَسْرِي
أَتَانِي خَائِبٌ حَمِقٌ شَقِيٌّ
وَرَاوَعَنِي لِيَخْلُو بِي خِدَاعاً
فَقُلْتُ بَارُبَعِينَ فَقَالَ أَحْسِنُ
فَلَمَّا ابْتَاعَهَا مِنِّي وَبُتَّتْ
أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ وَبَرْتُ مِمَّا
بَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَشْشٍ قَدِيمٍ
وَمِنْ فَرَطِ الْجِرَانِ وَمِنْ جِمَاحٍ
وَمِنْ عَقْدِ اللِّسَانِ وَمِنْ بَيَاضٍ
وَعُقَالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ

من الأكرادِ أَحَبَّنَ ذِي سُعالٍ (١)
نَعُوسٍ يَوْمَ حَلٍّ وَارْتِحَالٍ (٢)
جَزَاهُ اللَّهُ شَرّاً عَنْ عِيَالِي
وَطَالَ لَذَاكَ هَمِّي وَاشْتِغَالِي
أَفْكَرُ دَائِباً كَيْفَ احْتِيَالِي (٣)
أَطُمُّ بِهَا عَلَى الدَّاءِ الْعُضَالِ (٤)
إِذَا مَا سِمْتُ أَرْجِصُ أَمْ أَغَالِي (٥)
قَدِيمٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
وَلَا يَدْرِي الشَّقِيُّ بَمَنْ يُخَالِي (٦)
فَإِنَّ الْبَيْعَ مُرْتَخِصٌ وَغَالِي
لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرُ الْمُسْتَقَالِ
أَعْدُ عَلَيْكَ مِنْ شِنَعِ الْخِصَالِ
وَمِنْ جَرَذٍ وَتَخْرِيقِ الْجَلَالِ (٧)
وَمِنْ ضَعْفِ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالِي
بِنَظَرِهَا وَمِنْ حَلِّ الْجِبَالِ (٨)
وَمِنْ هَذَمِ الْمَعَالِفِ وَالرِّكَالِ (٩)

(١) عُلج، تصغير عُلج، وهو القوي الفخم من كَفَّار الأعاجم، ومن العرب من يطلق العُلج على الكافر مطلقاً. الأحن: مَنْ عَظُم بَطْنُهُ، خَلْقَةٌ أَوْ مِنْ دَاءٍ .

(٢) الشَتيم: الكريه الوجه. الهَلْباج: الأحمق. الهِدَان: الجافي الوخم الثقيل.

(٣) الكُنَاسَة: محلة بالكوفة .

(٤) العهدة: العيب. السلعة: الغلَّة، أو شبيه بها .

(٥) قَوْمُ الشَّيْءِ: جعل له قيمة معلومة .

(٦) خَالَاهُ مَخَالَاةً: صارعه، وخادعه .

(٧) المَشْش: ورم في مقدم عظم الوظيف . الجرذ: كل ورم في عروق الدابة .

(٨) العقد (بالتحريك) : الإعوجاج والإلتواء .

(٩) العقَّال (كِرْمَان): انقباض في بعض العضلات .

ومن شدَّ العِضاضِ ومن شباب
تُقَطَّعُ جِلْدُهَا جَرَباً وَحَكاً
وَأَقْطَفُ مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ مَشِياً
وَتَكْسُرُ سَرَجَهَا أَبَداً شِمَاساً
وَيُهْزِلُهَا الْجَمَامُ إِذَا خَصِبْنَا
تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيداً
وَتَضْطَرُّ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا
فَتُخْرِسُ مَنَظِقِي وَتُحَوِّلُ بَيْنِي
وَقَدْ أَعَيْتْ سِيَاسَتُهَا الْمُكَارِي
حَرُونُ حِينَ تَرْكُهَا لِحْضَرٍ
وَذُبُّ حِينَ تُدْنِيهَا لَسَرَجٍ
وَفَسْلٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُوراً
وَأَلْفُ عَصاً وَسَوِطٍ أَصْبَحِيٍّ
وَتُصْعَقُ مِنْ صُقَاعِ الدَّيْكِ شَهْراً
إِذَا اسْتَعْجَلْتَهَا عَثْرَتْ وَبَالَتْ
وَيُثْفَارُ تُقَدِّمُ كُلُّ سَرَجٍ

إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِالزَّيَالِ (١)
إِذَا هُزِلَتْ وَفِي غَيْرِ الْهَزَالِ
وَتَنْحِطُ مِنْ مُتَابَعَةِ السُّعَالِ (٢)
وَتَسْقِطُ فِي الْوُحُولِ وَفِي الرَّمَالِ
وَيُدْبِرُ ظَهْرَهَا مَسَّ الْجَلَالِ
يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطُّحَالِ (٣)
عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّوَالِ
وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ مِمَّا تُوَالِي
وَيَظَارُ يُعْقِلُ بِالشُّكَالِ (٤)
جَمُوحٌ حِينَ تَعِزُّمُ لِلنِّزَالِ
وَلَيْتَ عِنْدَ خَشْخَشَةِ الْمُخَالِي (٥)
خَذُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرُّحَالِ (٦)
أَلَدٌ لَهَا مِنَ الشُّرْبِ الزُّلَالِ (٧)
وَتُدْعَرُ لِلصِّفِيرِ وَلِلخِيَالِ (٨)
وَقَامَتْ سَاعَةً عِنْدَ الْمَبَالِ
تُصَيِّرُ دَفْتِيهِ عَلَى الْقَذَالِ (٩)

-
- (١) الشَّيْبَابُ (بالكسر): من شَبَّ الفرس شباباً: رفع يديه ونشط. الزيال: المفارقة .
(٢) أَقْطَفُ، من القطف، وهو تقارب الخطو البُرِّ: صغار النمل. النحيط: الزفير من الجهد.
(٣) الوقيد: المريض المشرف على الموت .
(٤) الشُّكَالُ (بالكسر): حبل تشدُّ به قوائم الدابة .
(٥) المخالي، جمع المخلاة (بالكسر) وهي ما يوضع فيها الخَلَى: الحشيش الذي يحنُّشُ.
(٦) الفسل (بالفتح): كلُّ مسترذل رديء .
(٧) السوط الأصبحي: منسوب إلى ذي أصبح من أدواء حمير .
(٨) صقع الديك: صاح ورفع صوته .
(٩) المثفار: التي ترمي بسرجهها إلى مؤخرها .

وَتَحْفَى فِي الْوُقُوفِ إِذَا أَقْمَنَا
 وَلَوْ جَمَعْتَ مِنْ هُنَا وَهُنَا
 فَإِنَّكَ لَسْتَ عَالِفَهَا ثَلَاثًا
 وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى
 وَقَدْ قَرِحَتْ وَلُقْمَانُ فَطِيمٌ
 وَقَدْ أَبْلَى بِهَا قَرْنٌ وَقَرْنٌ
 فَأَبْدِلْنِي بِهَا يَا رَبِّ بَغْلًا
 كَرِيمًا حِينَ يُنْسَبُ وَإِلْدَاهُ
 كَمَا تَحْفَى الْبِغَالُ مِنَ الْكَلَالِ
 مِنَ الْأَثْبَانِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
 وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُوْدٌ لِلْخِلَالِ
 وَتَذَكُرُ تَبْعًا قَبْلَ الْفِصَالِ^(١)
 وَذُو الْأَكْتافِ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي^(٢)
 وَأَخْرَ يَوْمَهَا لِهَلَاكِ مَالِي
 يَزِينُ جَمَالَ مَرْكَبِهِ جَمَالِي
 إِلَى كَرَمِ الْمَنَاسِبِ فِي الْبِغَالِ

وقال آخر يمدح البغال، ويفضلها على كل مركوب سواها^(٣) :

عَزَمْتُ عَلَى ذِمِّ الْبَعِيرِ مُوَفَّقًا
 وَأَنْ أَقْتِنَاءَ الْإِبِلِ مُوقٌ وَحُرْفَةٌ
 وَبَيْنَ الْمَنَايَا وَالْبَرَازِينِ نِسْبَةٌ
 وَقُلْتُ وَشَاهَدْتُ الْبَغَالَ وَغَيْرَهَا
 وَلَيْسَ لَهَا بَذْخُ الْخِيُولِ وَكِبَرُهَا
 وَمُؤَنَّتُهُ فِي الصَّيْفِ وَالشَّتَوِ وَاحِدٌ
 وَلَا تُرَكَّبُ الْأَرْمَاطُ وَالْحِجَرُ دُونَهَا
 وَقَدْ فَرَّقَ الرَّحْمَنُ بَيْنَ شُكُولِهَا
 وَفِي الْبَغْلِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَرَافِقٌ
 فَيُرَكَّبُهَا وَالْخَيْلُ مُحْدِقَةٌ بِهِ
 وَأَنْ لَيْسَ فِي الْمَرْكُوبِ أَجْمَعُ مِنْ بَغْلٍ
 يَبِيْتُ عَلَى يُسْرِ وَيَغْدُو عَلَى تُكُلٍ^(٤)
 وَكُلُّ نِتَاجِ النَّاسِ خَيْرٌ مِنَ الْإِبِلِ
 فَأَحْمَدْتُهَا فِي الْعُمْرِ وَالْهَرَمِ الْمُبْلَى
 وَلَا ذِلَّةَ الْعَيْرِ الضَّعِيفِ عَنِ الرَّحْلِ
 وَلَا خَيْرَ فِي الْمُؤَنَاتِ مِنْ حَامِلِ الْكَلِّ^(٥)
 لَدَى الْمِصْرِ وَالْبَغْلَاتُ تُرَكَّبُ كَالْبَغْلِ
 كَمَا بَيَّنَّ عَيْرُ الْوَحْشِ وَالْآخِرِ الْأَهْلِي
 وَمَرْكَبٌ قَاضٍ أَوْ شُيُوخٌ ذَوِي فَضْلِ
 وَيُؤَثِّرُهَا يَوْمَ الْمُبَاهَاةِ وَالْحَفْلِ

(١) القارح: الذي شق نابه وبلغ الخامسة .

(٢) ذو الأكتاف: سابور ملك القرس .

(٣) رسائل الجاحظ ٣٠٥/٢ .

(٤) الموق: الحمق. الحرفة (بالضم) : الحرمان. الكل (بالفتح): الثقل .

وقد جُلُوَزَتْ فِي السُّومِ كُلُّ مُثْمِنٍ مِنَ الرَّائِعِ الْمَسْتُوبِ وَالْجَامِلِ الْبُزْلِ (١)
يُفُوتُ هَمَالِيجَ الْبَرَاذِينِ سَيْرُهَا عَلَى قَحَّةِ الْأَعْيَارِ مِنْ شَبِّهِ النَّجْلِ (٢)
وَقَالَ الْعُكْلِيُّ غَالِبُ بْنُ الْحَارِثِ يَذُمُّ الْبَغْلَةَ (٣):

قَدْ يُلْقِحُ الْبَغْلَةَ غَيْرُ الْبَغْلِ لَكِنَّهَا تَعَجَّلُ قَبْلَ الْمَهْلِ
..... مَشْغُولَةٌ بِالْحَمْلِ عَنْ مَرْفَقِ الطُّحْنِ وَحَمْلِ الرَّجْلِ (٤)
وَتَقْلِبُ السُّفَرِ وَمَيْرِ الْأَهْلِ وَلَا تُسَاوِي حَفْنَةً مِنْ زَبْلِ
مَا كَانَ فِيهَا مِنْ كِرَامِ الْفَحْلِ دُودَةً خَلَّ خُلِقَتْ مِنْ نَحْلِ
وَكُلُّ أُنْثَى غَيْرِهَا فِي الْحَمْلِ تَزْدَادُ فِي الْقِيَمَةِ عِنْدَ السُّحْلِ (٥)
مَلْعُونَةٌ بِنْتُ لَعِينٍ نَذَلِ قَسَّالَةً لِلْفَارِسِ الْإِبْلِ (٦)
لَمْ يَغْتَدِلْ مَنَصِبُهَا فِي الْأَصْلِ مِنْ غَيْرِ شَكْلٍ خُلِقَتْ وَشَكْلِ
فِي آدَبِ الْخِنْزِيرِ يَوْمَ الْحَفْلِ وَمَوْقُهَا مُوقٌ رَضِيعِ طِفْلِ (٧)
أَوْ عَقْلٌ أَفْعَى وَهَجَفَ هَقْلِ أَوْ حَوْتُ بَحْرِ قُذِفَتْ فِي سَهْلِ (٨)
أَوْ جَيْالٍ يَكْتِفُهَا بِحَبْلِ كُلُّ حُمِيمٍي وَكُلُّ فَسْلِ (٩)
وَكُلُّ غَرٍّ جَاهِلٍ وَغُفْلِ لَيْسَ لَهَا فِي الْكَيْسِ رَفْقُ النَّمْلِ (١٠)

-
- (١) الجامل: القطيع من الإبل. البزل جمع البازل: البعير في السنة الثامنة .
(٢) القحّة: صلابة الحافر، النجل: النسل .
(٣) رسائل الجاحظ ٣٤٨/٢ .
(٤) (.....) كذا ورد في المصدر المذكور .
(٥) السحل: النقد من الدراهم، يقال: سحله مائة درهم سحلاً .
(٦) الإبل: الذي لا يستحي والشديد الخصومة .
(٧) الموق: الحمق والغباوة .
(٨) الهجف من النعام: الجافي الثقيل . والهقل: الظليم وهو ذكر النعام . الحوت: السمكة، وهو مذكّر، وقد أنث ضميره لمعناه .
(٩) جيال: إسم للضيع . الفسل: الضعيف الرذل .
(١٠) الرفق: لطافة الفعل .

أَوْ ذَنْبٌ قَفَرٌ مُجْمَعٌ لِلْحَتْلِ
أَوْ خُزْزٌ وَثْبٌ خَوْفٌ الْقَتْلِ
أَمَّا تَرَاهَا غَايَةً فِي الْجَهْلِ (٢)
وَالشُّؤْمُ مِنْهَا فِي ذَوَاتِ الْحَجْلِ
وَعُرَّةٌ تَصْدَعُ جَمْعَ الشُّمْلِ
فَهِئَ خِلَافَ الْفَرَسِ الْهَبْلُ
وَكُلُّ طَرْفٍ ذَائِلٌ رِفْلٌ (٣)
وَعَدُّوا كُلَّ قَتِيلٍ بَغْلٍ
قَدْ حَذَرَ النَّاسُ أَذَاهَا قَبْلِي

فَقَالَ أَخُوهُ نَاقِضاً عَلَيْهِ، وَمَقْدِّماً الْبَغْلَةَ عَلَى الْبَغْلِ (٤) :

عَلَيْكَ بِالْبَغْلَةِ دُونَ الْبَغْلِ
مَرْكَبُ قَاضٍ وَإِمَامٌ عَدْلٍ
وَهَاشِمِيٌّ ذِي بَهَاءٍ وَفَضْلٍ
وَالسَّقِي وَالطُّحْنِ وَحَمْلِ الرَّجْلِ
أَوْطَا وَأَنْجَى مِنْ مَطَايَا الْإِبْلِ
وَطُولُ عُمْرٍ غَيْرَ قِيلِ الْبُطْلِ
وَالْخَيْلِ وَالْإِبْلِ وَكُلِّ فَحْلٍ
وَلَوْ دَرَى كَانَ قَلِيلَ الشُّغْلِ
فَدَعُ مَدِيحِي وَهَجَاءَ بَغْلِي
وَجَدْتَ فِيهِ بَعْضَ مَا قَدْ يَقْلِي (٥)
فَإِنَّهَا جَامِعَةٌ لِلشُّمْلِ
وَتَاجِرٍ وَسَيِّدٍ وَكَهْلٍ
تَصْلُحُ فِي الْوَحْلِ وَغَيْرِ الْوَحْلِ
وَهِيَ فِي الْمَشْيِ وَتَحْتَ الرَّجْلِ
وَكُلُّ جَمَّازٍ وَذَاتِ رَحْلِ (٦)
تَقْدُمُ فِي ذَلِكَ غَيْرَ الْأَهْلِ
قَدْ قَتَلَ الْعُصْفُورَ فَرَطُ الْجَهْلِ
بِلَذَّةٍ تُسَلِّمُهُ لِلْقَتْلِ (٧)
فَلَوْ ذَمَمْتَ الْقَمَرَ الْمُجَلِّيَّ
وَجَدْتَ فِيهِ بَعْضَ مَا قَدْ يَقْلِي (٧)

(١) السَّفْلُ: بضم التاء الأولى والفاء، وفتحهما وكسرهما، ويفتح التاء مع ضم الفاء، وبكسرهما مع فتح الفاء: الثعلب.

(٢) الخُزْزُ: الذكر من الأرناب.

(٣) الطرف (بالكسر): الفرس الكريم الأبوين. الذائل الرفل: الطويل الذليل.

(٤) رسائل الجاحظ ٢/٣٥٠.

(٥) جمز البعير: عدا وأسرع فهو جمَّاز.

(٦) يعني كثرة سفاده لأنثاه، وذلك سبب لقصر عمره.

(٧) أي بعض ما قد يقلبه القمر.

وقال محمد بن حازم بن عمرو الباهلي^(١) يضرب المثل في ذم أخلاق البغال :

ما لي رأيتك لا تدو م على المودّة للرجال
متبرماً أبداً بمن آخيت وذك في سفال
خلق جديد كل يو م مثل أخلاق البغال

وكان الفيّاض عكرمة بن ربيعي التميمي يعجب ببغلة عنده ويمدحها، وكان لا يأتي الحجاج - وهو صاحب شرطته - إلا عليها، فكتب إليه بعض بني عمه يخوفه بالحجاج إن ارتفع إليه في الخبر، أن صاحب أشرطه يأتي بابه في فرسان أهل العراق والشام ووجوههم على بغل، وقال في كلمة له^(٢) :

متى كان ذو الأشرط يركب بغلة
عذيري من الحجاج إن ذاكر نعي
فما لك تجتاب الهويني مهمليجا
أعيدك بالرحمن من زي تاجر
وأنت امرؤ تندي بنائك باللهي
إذا ساء ظن الناس في الزمن المحل^(٣)

وقال الشاعر المعاصر خاشع الراوي على طريقة الرمز ينعي على البغل تنكره لنسبه^(٤) :

قيل للبغل من أبوك فأبدى
وأبى أن يقول إن أباه
مُنكراً أصله وليس عجيباً
حين ينسى ما أصله الحيوان

(١) رسائل الجاحظ ٢/٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ٢/٣١٠ .

(٣) اللهي (بالضم) جمع لهوة وهي أفضل العطايا وأجزلها .

(٤) ديوانه ٤١ .

رَئَيْتُ رَأْسَهُ - وقد راح يَزْهُو - رَشْمَةٌ من قِطِيفَةٍ وعنان^(١)

فَعَلَى الظَّهِيرِ مِنْهُ سَرْجٌ أَيْقُ وَحَبْوُهُ بِمَعْلَفٍ وَسَطَ رَوْضٍ وَأَقَامُوا لَهُ عَلَى الشُّطِّ دَاراً وَازْدَهَاهُ الْغُرُورُ فَاحْتَالَ تَيْهاً فَتَرَاهُ طَوَّراً مَعَ الرِّيحِ يَجْرِي نَاشِراً ذَيْلَهُ وَطَوَّراً تَرَاهُ وَهُوَ فِي مَعْرِضِ الْجَمَالِ رَشِيقٌ لَا تَلْمُهُ إِذَا تَنَاسَى أَبَاهُ إِنَّ هَذَا مِنَ الْبَنِينَ عُقُوقٌ

أَيْنَ مِنْهُ الدَّمْقُسُ وَالْأَرْجَوَانُ^(٢) تَتَشَنَّى بِهِ الْقُدُودُ الْحِسَانُ عَنْ مَدَاهَا بِالْوَصْفِ يَغْيَا الْبَيَانُ فِي غُرُورٍ كَأَنَّهُ السُّلْطَانُ بِحُبُورٍ وَخَلْفَهُ الرُّكْبَانُ نَاهِقاً مِنْهُ تَرْقُصُ الْأَذَانُ^(٣) لَيْسَ يَزْهُو إِلَّا بِهِ (الْمَيْدَانُ) إِنَّ دَابَّ الْبَهَائِمِ النَّسِيَانُ وَهُوَ مِمَّا جَنَاهُ هَذَا الزَّمَانُ

وقال محمد بن يسير الرياشي طالباً من مُوَيْس بن عمران بغلة لِرَحْلَةٍ^(٤) :

أَضْمَمْتُ عَلَيَّ مَآرِباً قَدْ أَصْبَحَتْ شَتَّى بَدَادٍ شَتِيَّةٍ الْأَوْطَانِ^(٥) بِزُفُوفٍ سَاعَاتِ الْكَلَالِ ذَلِيقَةٍ سَفَوَاءٍ أَبْدَعَ خَلْقَهَا أَبْوَانِ^(٦) لَمْ يَعْتَدِلْ فِي الْمَنْصِبَيْنِ كِلَاهُمَا عِنْدَ التَّنَاسُبِ مِنْهُمَا الْجِنْسَانِ إِلَّا تَكُنْ لِأَبٍ أَغْرُ فَإِنَّهَا تَنْمِي إِلَى خَالٍ أَغْرُ هِجَانِ

(١) الرشمة، قال صاحب تاج العروس: ما يوضع على فم الفرس، عامي، ولم يذكر مأخذها، والرشمة على ما هو معروف في العراق: زنجير من حديد مربوط الطرفين يوضع فوق أنف الدابة، أما الشاعر فقد وصف الرشمة بأنها من قطيفة، فهو إذن يريد العذار.

(٢) الدmqس: الإبرسيم، وقيل الحرير الأبيض. الأرجوان (فارسي معرب): ثياب حمرة.

(٣) ناهقاً، كذا ورد في الديوان، والصواب، شاحجاً لأن الناهق الحمار، أما البغل فشاحج.

(٤) رسائل الجاحظ ٢/٢٩٦.

(٥) المآرب: الحاجات. بداد (بالبناء على الكسر) أي متبددة، متفرقة.

(٦) الزفوف (بالفتح): السريعة السير، الدليقة: الشديدة الدفعة. السفواء: السريعة.

نَزَعَتْ عَنِ الْخَيْلِ الْعِتَاقِ نَجَاءَهَا مِنْهَا وَعِتَقَ سَوَالِفَ وَلَبَانٍ (١)
وَلَهَا مِنَ الْأَعْيَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا جِدٌّ وَطُولٌ صَبَازَةٌ وَمِرَانُ

وأهدى أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل الى بعض إخوانه بغلة
معها هذه الأبيات على طريق المجون لأنه يعرف بابن أبي البغل: (٢)

تَخَيَّرْتُهَا لَكَ مِنْ نَسْلِنَا وَكُنْتُ لَهَا وَإِلِيَّ كَافِيَا
فَهَيَّيْتُهَا رَاكِبًا فِي الْمَلَا وَمُتَّعْتُ خَلْوَتَهَا خَالِيَا
لَعَلَّكَ تُرَزِّقُ مِنْهَا فَتَى يَكُونُ لَنَا سَيِّدًا كَالِيَا
فَيُكْسِبُ أَعْمَامَهُ مَفْخَرًا وَأُخْوَالَهُ شَرْفًا عَالِيَا

(١) النجاء: السرعة. السوالف، جمع سالف، وهي ما تقدم من العنق، اللبان (بالفتح): الصدر من
ذي الحافر.

(٢) التحف والهدايا / ٣٩.

البَقَرُ الأَهْلِيّ والوَحْشِيّ (١)

البقرة: إسم جنس يقع على الذكر والأنثى، وأنما دخلته الهاء على أنه واحد من جنس، وإذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر، وهذه بقرة للأنثى. والجمع بَقَرَات وبَقَر، وجمع البقر أَبَقَر. أمّا بواقر، وبَقِير، وبيقور، وباقور فأسماء للجمع. وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة. وكتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الصدقة لأهل اليمن (في ثلاثين باقورة بقرة).

والباقر: جماعة البقر مع رعاتها، وفاعل من بقر الشيء: شقّه، والتبقر: التوسّع في العلم، ومنه قيل للإمام محمد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط عليهم السلام: الباقر، لأنه بقر العلم، أي شقّه ودخل إليه مدخلاً بليغاً، فعرف أصله، واستنبط فرعه، وقال صاحب تاج العروس: ورد في بعض الآثار عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له (يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين يقال له محمد يبقر العلم بقرًا، فإذا لقيتَه فاقِرْهُ مِنِّي السلام) خرّجه أئمة النسب.

ويسمى ذكر البقر ثورًا، والجمع أثوار وثيران، وثورة وثيرة.

(١) المخصص ٣٢/٨/٢ - ٤٢، وحياة الحيوان الكبرى ١/١٤٧، والعديد من معاجم اللغة.

ومن أسماء البقر :

الأُرْخُ ، والإِرْخُ : الذكر ، والأُرْخِيُّ : الفتى منه ، والأنثى : أُرْخَة ، وإِرْخَة ، والجمع إِرَاخ وآرَاخ .
الأَطُوم : البقر ، وكذلك الحَوْر ، والحَيْرَم ، الواحدة حيرمة .
الخَزُومَة : البقرة ، وجمعها خَزُم ، وخُزُم .
الخنساء : البقرة الوحشية ، والثور أخنس .
الغَيْطَلَة : البقرة ، وجمعها غياطل .
المهاة : البقرة الوحشية ، وجمعها مها ، وقالوا : مَهَيَات .
نعاج الرمل : بقر الوحش خاصة ، واحدها نعجة ، ولا يقال للبقرة الأهلية نعجة .

من صفات البقر وألوانها :

الأَبْرَد : ثور فيه لُمعٌ سواد وبياض .
الأَبْلَق : الأبيض .
الأسْفَع : الثور الأسود ، والثور الوحشي الذي في وجهه خطوط سود .
الأَغْصَن : الثور الذي في ذنبه بياض .
الجلحاء ، والجماء : بقرة لم يكن لها قرنان .
حَضَارٍ (معرفة مبنية على الكسر) : الثور الأبيض .
الرايح : ثور ذو قرنين طويلين .
الرَّمَل : خطوط في يدي البقرة ورجليها .
الضَّاعِف : البقرة الحامل .
العَوَان : النصف من البقر وغيرها . وقيل : هي التي نتجت بعد بطنها البكر ، والجمع عُون .
العين : اسم جامع لإناث بقر الوحش خاصة ، كالعيس للإبل ، الواحدة

سيناء ، والثور أعين .
 العَوْهَقُ : ثورٌ لونه إلى السواد .
 العَيْسُ : بياض مشرَّب في ظلمة خفيفة .
 الغَضْبُ : الثور الأبيض .
 الفَارِضُ : البقرة العظيمة الصحيحة ، والمسنة .
 القَرْهَبُ : الثور المسنُّ الضخم .
 القَهْبُ : الأبيض من أولاد البقر ويوصف به المعز ، وألوان الناس .
 اللِّهْقُ ، واللِّهْقُ ، واللِّهْقُ : الثور الأبيض .
 المذْرَعُ : الثور الملمَّع الذراع بلُمع سود .
 المؤلَّعةُ : البقرة التي فيها لُمع ألوان من غير بَلَق ، وتوصف به أيضاً :
 الخيل والشاء والظباء .
 النُّوارُ : البقرة التي تنفر من الفحل ، وتوصف به المرأة النفورة من الريبة .
 أسنان أولاد البقر :
 الطَّلَا : ولد البقرة حين تلقيه ، والجمع أطلاء ، ويطلق أيضاً على ولد الغنم
 والظباء .
 التَّبِيع والتَّبِيع : ولد البقرة في السنة الأولى ، والجمع أَتْبِعة وأتباع وجمع
 الجمع أتباع ، والأنثى تبعة ، والبقرة متبع ، ثم : الجَدَّع ، وهو ما قبل الثاني .
 وجمعه جدَّاع ، وجدَّعان (بضم الجيم وكسرهما) والأنثى جَدَّعة وجمعها
 جَدَّعات . ثم :
 الثُّنْي ، وهو الذي يلقي ثنَّيته في السنة الثالثة ، ثم :
 الرَّبَاع : في السنة الخامسة للذكر ، والأنثى رباعيَّة ، ثم :
 السَّدَس (محرَّكة) : السنُّ قبل الصالغ للبقر ، وقبل البازل للابل ثم بعده :
 الصالغ ، وهو أقصى أسنانه ، وليس بعد الصالغ في ذي الظلف سنٌّ ،

ولكن يقال: صالغ سنة، وصالغ سنتين وكذلك ما زاد. وقال ابن السكيت: ويقال له إذا تَمَّتْ أسنانه: شَبَّ، ومَشَبَّ، وشَبَّوب.

الكُحْكُح، والكِخْكِخ: المسنُّ، والذي تَكَسَّرَتْ أسنانه وتَحَاتَّتْ. العِجَل: ولد البقرة، والأنثى عجلة، والجمع عجول وعِجَلَة، ويقال: بقرة مُعِجِل: ذات عجل.

الحَسِيل: ولد البقرة، والأنثى حسيلة، والجمع حَسِيل أيضاً. أصوات البقر:

ثَاَجَتِ البقرة تَثَاج، وتَثُوجُ ثُؤَاجاً: صاحت. جَاَرَتِ البقرة تَجَارُ جُؤَاراً: صاحت، ومنه جَارُ فلان إلى الله بالدعاء، أي تَضَرَّعَ وَاسْتَعَاثَ.

خَارَتِ البقرة خُوراً: صاحت. صَعَقَ الثور يصعق صُعاقاً: خار خوراً شديداً. طَغَتِ البقرة تَطغي: صاحت. الغمغمة: أصوات الثيران عند الذعر.

أسماء أقاطيع البقر:

الأَجَل: جماعة البقر، والجمع آجال، ويطلق على جماعة الظباء أيضاً. الحَنْظَلَة: قطعة من البقر، وتطلق أيضاً على الخيل والغنم والإبل. الرَبْرَب: جماعة بقر الوحش.

السَّرْب: القطيع من البقر، والظباء، والطير، والنساء والجمع أسراب. الصُّوَار، والصُّوَار: جماعة البقر، والجمع صيران وصيار.

القَطِيع: الطائفة من البقر، والغنم والإبل، جمعه أقطاع وقطعان وأقاطيع.

الكَّوْر: القطيع من البقر.

أَسْمَاءُ مَا فِي أَجْسَامِ الْبَقَرِ مِنَ الطَّوَائِفِ^(١):

الثُّعْلُ، والثُّعْلُ: الشَّيْءُ الزَّائِدُ فِي ضَرْعِ الْبَقْرَةِ.

الْحِمْلَاجُ: قَرْنُ الثَّوْرِ.

الْأُزْلَامُ: أَظْلَافُ الْبَقْرَةِ وَاحِدُهَا زَلَمٌ.

غَبَّغَبَ الْبَقْرَةَ، وَغَبَّيُّهَا: مَا تَنَشَّى مِنْ لَحْمٍ ذَقْنَهَا مِنْ أَسْفَلٍ، وَالْجَمْعُ أَغْبَابٌ.
النُّغْنُغُ: الْغَبْغَبُ.

مَوَاضِعُ الْبَقَرِ وَمَرَابِضُهَا:

الْبُهْوُ: كِنَاسٌ وَاسِعٌ يَتَّخِذُهُ الثَّوْرُ، وَالْجَمْعُ أَبْهَاءٌ وَبُهْيٌ وَبُهْوٌ.

إِجْتَاتَفَ الثَّوْرُ الْكِنَاسَ: دَخَلَ فِي جَوْفِهِ.

الرُّبْضُ: مَرَابِضُ الْبَقَرِ، وَاحِدُهَا: مَرَبِضٌ.

الْمَكْنِيسُ، وَالْكِنَاسُ: مَوْلِجُ الْبَقْرَةِ، وَالظَّبَاءُ وَالْجَمْعُ أَكْنَسَةٌ وَكُنُسٌ.
هَكَعَتِ الْبَقْرَةُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ تَهَكَّعَ فَهِيَ هَكُوعٌ: اسْتَظَلَّتْ تَحْتَهُ مِنْ شِدَّةِ
الْحَرِّ.

إِرَادَةُ الْبَقْرَةِ وَحَمْلُهَا:

اسْتَحَرَمَتِ الْبَقْرَةُ، وَكُلُّ ذَاتٍ ظَلَفٍ: أَرَادَتِ الْفَحْلَ.

بَقْرَةٌ ضَاعِفٌ: حَامِلٌ.

أَغَزَّتِ الْبَقْرَةُ وَهِيَ مُغَزٌّ: عَسَرَ حَمْلُهَا.

اسْتَقَرَّعَتِ الْبَقْرَةُ: إِذَا أَرَادَتِ الْفَحْلَ. وَقَدْ مَرَّ أَنَّ الْاسْتِحْرَامَ لَهَا وَلِكُلِّ

ذَاتٍ ظَلَفٍ إِذَا أَرَادَتِ الْفَحْلَ، وَقَدْ يَكُونُ الْاسْتِحْرَامُ لِلْمَخْلَبِ.

الْقَفْخَةُ: الْبَقْرَةُ الْمُسْتَقْرِعَةُ أَيِ الَّتِي تَطْلُبُ الْفَحْلَ، وَيُقَالُ: أَقْفَخَتْ

الْبَقْرَةَ.

(١) الطَّوَائِفُ جَمْعُ الطَّائِفَةِ، وَهِيَ هُنَا: الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ.

ما ورد في القرآن الكريم

﴿ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون﴾ (سورة البقرة / ٥١ و ٩٣).
 ﴿يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ (سورة البقرة / ٥٤).
 ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقره﴾ (سورة البقرة / ٦٧).

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ (سورة البقرة / ٦٨).

﴿قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين﴾ (سورة البقرة / ٦٩).

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا﴾ (سورة البقرة / ٧٠).

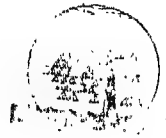
﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقى الحرث﴾ (سورة البقرة / ٧١).

﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ (سورة البقرة / ٩٣).
 ﴿ثم اتخذتم العجل من بعد ما جئتهم بالبينات﴾ (سورة النساء / ١٥٣).
 ومن البقرة اثنين (سورة الأنعام / ١٤٤).

﴿ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما﴾ (سورة الأنعام / ١٤٦).

﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (سورة الأعراف / ١٤٨).

﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم نصب من ربهم﴾ (سورة الأعراف / ١٥٢).



﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ (سورة هود / ٦٩).
 ﴿وقال الملك إنِّي أرى سبع بقرات سمان﴾ (سورة يوسف / ٤٣).
 ﴿يوسف أيُّها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبع عجاف﴾
 (سورة يوسف / ٤٦).

﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ (سورة طه / ٨٨).
 ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ (سورة الذاريات / ٢٦).

مما ورد في الحديث الشريف: (١)

عن أبي هريرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذنان البقر يضربون بها الناس».

وفي حديث أنه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر يشبه بعضها بعضاً.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة». قال الترمذي: هو الذي يتشلق في الكلام ويفخم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلاء بلسانها لفاً.

عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ١٤٧/١ و ١٤٨، والنهاية في غريب الحديث ٧٣/٢.

مِمَّا ورد في الأمثال^(١)

(أبلد من الثور).

(باءت عَرَارٍ بكحل) يضرب لكلّ مستويين يقع أحدهما بازاء الآخر.
وعرار وكحل بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً، وقال كثير بن شهاب الحارثي:
باءت عرارٍ بكحلٍ فيما بيننا والحقُّ يعرفهُ أولو الألباب
(بقرة بني إسرائيل) يضرب بها المثل في الشيء يأمر به السيد فيجرح فيه
المسود، ويسدُّ الأمر فيه على نفسه.

(كعب البقر). كان داود بن عيسى بن موسى يلقَّب بآترجة، وعبد السميع
ابن محمد يلقَّب بشحم الحزين، ومحمد بن أحمد بن عيسى الهاشمي يلقَّب
بكعب البقر، وكانوا كلُّهم مع المستعين العباسي. فلما صاروا إلى المعتز قال
المعتز:

أَتَانِي أَتْرَجَةٌ فِي الْأَمَانِ وَشَحْمُ الْحَزِينِ وَكَعْبُ الْبَقْرِ
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بَمَنْ جَاءَنَا وَيَالَيْتَ مَنْ لَمْ يَجِيءْ فِي سَقَرٍ

(الكلاب على البقر) يضرب عند قلة المبالاة بالشيء. ونصب الكلاب
على تقدير: أرسل الكلاب:

(السان الثور) يشبّه به اللسان الطويل العريض،

(ليس لاثارة الأرض كالثيران).

(من طلى نفسه بالنخالة أكلته البقر).

(نادى عليه كما ينادي على لحم البقر).

(١) التمثيل والمحاضرة / ٣٤٦، وثمار القلوب / ٣٧٤، والأمثال للميداني ٩١/١، وجمهرة الامثال
٢٢٦/١ و ٢٥٠، والمعجم الزوولوجي ١٣٢/٢.

(وجدت البقرة ظلفها) يضرب لمن وجد ما يوافقه.

(وما عليّ إذا لم تفهم البقر).

مما ورد في الكلام المثنور:

تعزية في ثور: (١)

كتب أبو إسحاق الصابي (عن ابن بنية في أيام وزارته) إلى أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور أبيض جلس للعزاء عليه تراقعاً وتحامقاً: التعزية على المفقود أطال الله بقاء القاضي إنما يكون بحسب محلّه من فاقده، من غير أن تُراعى قيمته ولا قدره، ولا ذاته ولا عينه، إذ كان الغرض فيها تبريد الغلّة، وإخماد اللوعة، وتسكين الزفرة وتنفيس الكربة، فربّ ولدٍ عاق، وشقيق مشاق، وذو رحم أصبح لها قاطعاً، ولأهله فاجعاً، وقريب قوم قد قلّدهم عاراً، وناط بهم شناراً، فلا لوم على ترك التعزية عنه، وأحرّ بها أن تستحيل تهنئة بالراحة منه، وربّ مال صامت غير ناطق قد كان صاحبه به مُستظهِراً، وله مستثمراً، فالفجعة به إذا فُقد موضوعة موضعها، والتعزية عنه واقعة منه موقعها.

وقد بلغني أن القاضي أصيب بثور كان له، فجلس للعزاء عنه شاكياً، وأجْهَشَ عليه باكياً، والتدّم عليه ولهاً، وحُكِيت عنه حكايات في التآبين له، وإقامة الندبة عليه، وتعدد ما كان فيه من فضائل البقر التي تفرّقت في غيره، اجتمعت فيه وحده، فصار كما قال أبو نواس في مثله من الناس.

ليس على الله بمُستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ

لأنه يكرّب الأرض مغمورة^(٢) ويثيرها مزروعة، ويرقص في الدواليب

(١) زهر الآداب / ٩٦٢ - ٩٦٤.

(٢) الكرب: اثاره الأرض للزروع، الأرض المغمورة: الخراب.

ساقياً^(١) وفي الأرحاء طاحناً، ويحمل الغلات مستقلاً، والأثقال مستخففاً، فلا يؤوده عظيم، ولا يعجزه جسيم، ولا يجري في الحائط^(٢) مع شقيقه، ولا في الطريق مع رفيقه إلا كان جلدأ لا يسبق، ومبرزاً لا يلحق، وفاتناً لا ينال شأوه وغايته، ولا يبلغ مداه ونهايته، ويشهد الله أن ما ساءه سائني، وما آلمه آلمي، ولم يجزْ عندي في حقِّ وده استصغار خطب جلَّ عنده فأرقه وأمضه وأقلقه، ولا تهوين صعب بلغ منه وأزمضه وشفَّه وأمرضه، فكتب هذه الرقعة قاضياً بها من الحق في مصابه هذا بقدر ما أظهر من إكباره إيَّاه، وأبان من إعظامه له، وأسأل الله تعالى أن يخصَّه من المعوضة بأفضل ما خصَّ به البشر عن البقر، وأن يفرد هذه البهيمة العجماء بأثرة من الثواب، يضيفها الى المكلفين من أهل الألباب، فإنها وإن لم تكن منهم فقد استحقَّت ألا تُفرد عنهم، بأن مسَّ القاضي سببها، وصار إليه مُنتسبها، حتَّى إذا أنجز الله ما وعدَّ به عباده المؤمنين من تمحيص سيئاتهم، وتضعيف حسناتهم، والإفضاء بهم إلى الجنة التي رَضِيها لهم داراً، وجعلها لجماعتهم قراراً، وأورد القاضي - أيده الله تعالى - موارد أهل النعيم مع أهل الصراط المستقيم، جاء وثوره هذا مجنوبٌ معه، مسموحٌ له به، وكما أن الجنة لا يدخلها الخبث، ولا يكون من أهلها الحدث، ولكنه عرق يجري من أعراضهم، كذلك يجعل الله ثور القاضي مركباً من العنبر الشَّحري^(٣)، وماء الورد الجوري، فيصير ثوراً له جونة عطر ونوراً، وليس ذلك بِمُستبعدٍ ولا مستنكر، ولا مستصعب ولا متعذر، إذ كانت قدرة الله بذلك محيطه، ومواعيده لأمثاله ضامنة بما أعدَّه الله في الجنة لعباده الصادقين وأوليائه الصالحين من شهوات أنفسهم وملأذ أعينهم، وما هو سبحانه مع غامر فضله وفائض كرمه، بمانعه ذلك مع مصالح مساعيه ومحمود شيمه، وقلبي متعلِّق بمعرفة خبره أدام الله عزَّه فيما

(١) يرقص: يخبُّ في مشيه، والرقص لا يكون إلا للابل، ولعل أصل الكلمة (يدور) مكان (يرقص).

(٢) الحائط - هنا - : البستان.

(٣) الشحر صقع على ساحل اليمن وإليه ينسب العنبر. جور : مدينة ينسب إليها نوع من الورد.

أدّرعه من شعار الصبر، واحتفظ به من إيثار الأجر، ورفع إليه من السكون لأمر الله تعالى في الذي طرّقه، والشكر له فيما أزعجه وأقلّقه، فليعرّفني القاضي من ذلك ما أكون ضارباً معه بسّهم المساعدة عليه، وآخذاً بقسط المشاركة فيه.

(ردُّ التعزية)

وهذا فصل من جواب أبي بكر بن قريعة يرُدُّ فيه على التعزية في الثور: وصل توقيع سيدنا الوزير أطل الله بقاءه، وأدام تأييده ونعماه، وأكمل رفعة وعلاه، وحرس مهجته ووقاه، بالتعزية عن الثور الأبيض الذي كان للحرث مثيراً، وللدواليب مديراً، وبالسَّبَق إلى سائر المنافع شهيراً، وعلى شدائد الزمان مساعداً وظهيراً.

لعمرك لقد كان بعمله ناهضاً، ولحماقات البقر رافضاً، وأنى لنا بمثله وشرواه ولا شروى^(١) له، فإنه كان من أعيان البقر، وأنفع أجناسه للبشر، مضاف ذلك إلى خَلَّاتٍ لولا خوفاً من تجدد الحزن عليه وتهيج الجزع وأنصرافه إليه لعدّدتها، ليعلم - أدام الله عزّه - أن الحزين عليه غير ملوم. وكيف يلام أمرؤ فقد من ماله قطعة يجب في مثلها الزكاة ومن خدم معيشتة بهيمة تُعين على الصوم والصلاة، وقد آحتذيت ما مثله الوزير من جميل الإحتساب والصبر على المصاب، فقلت: إنا لله وأنا إليه راجعون، قول من علم أنه أملك لنفسه وماله وأهله، وأنه لا يملك شيئاً دونه، وإذ كان جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه، هو الملك الوهاب، المُرْتَجِع ما ارتجع ممّا يعوض عليه نفيس الثواب، وقد وجدت - أيّد الله الوزير - للبقر خاصّة فضيلة على سائر بهيمة الأنعام تشهد بها العقول والأفهام... (وذكر جملة من فضائل البقر)^(١).

(١) كذا في زهر الآداب، وياليت المؤلف قد استرسل فذكر باقي الرسالة. الشروى: المثل.

مما ورد في الشعر

قال أحمد بن علويه الأصبهاني يصف بقرة (١):

يا حبذا مَحْضُهَا ورَائِبُهَا وَحَبْذا فِي الرِّجَالِ صَاحِبُهَا
عَجُولَةٌ سَمُحَةٌ مُبَارَكَةٌ مَيْمُونَةٌ طَفَّحٌ مَحَالِبُهَا (٢)
تَقْبَلُ لِلْحَلَبِ كُلِّمَا دُعِيَتْ وَرَامَهَا لِلْجِلَابِ حَالِبُهَا
فَتِيَّةٌ سِنُهَا مُهَذَّبَةٌ مُعَنَفٌ فِي النَّدِيِّ عَائِبُهَا
كَأَنَّهَا لُعْبَةٌ مُزَيَّنَةٌ يَطِيرُ عَجْباً بِهَا مُلَاعِبُهَا
كَأَنَّ أَلْبَانَهَا جَنَى عَسَلٍ يَلْدُهَا فِي الْإِنَاءِ شَارِبُهَا
عَرُوسٌ بِأَقْوَرَةٍ إِذَا بَرَزَتْ مِنْ بَيْنِ أَحْبَالِهَا تَرَائِبُهَا (٣)
كَأَنَّهَا هَضْبَةٌ إِذَا انْتَسَبَتْ أَوْ بَكْرَةٌ قَدْ أَنْفَ غَارِبُهَا
تُزْهِى بِرَوْقَيْنِ كَاللَّجَيْنِ إِذَا مَسَّهَا بِالْبَنَانِ طَالِبُهَا (٤)
لَوْ أَنَّهَا مُهَرَّةٌ لَمَا عَدِمَتْ مِنْ أَنْ يَضُمَّ السُّرُورَ رَاكِبُهَا

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري) (٥):

حَامِلَ النِّيرِ مِنْذُ بَدَأَ الْوُجُودَ خَاضِعاً صَابِراً وَدِيْعاً كَرِيماً (٦)
تَقْبَلُ الْوَحْدَ وَالْعَذَابَ الْإِلِيْمَا
غَيْرَ شَاكٍ ظُلْماً وَغَيْرَ حَقُودٍ
ثَارَتْ الْأَرْضُ تَحْتَ رَجْلِكَ ثَوْرًا وَقَلْبَتِ الْحُقُوقَ بُطْنًا لَظْهَرِ

(١) نهاية الأرب للنويري ١٢٢/١٠.

(٢) عَجُولَةٌ: انثى العَجُول: ولد البقرة كالعجل.

(٣) الباقورة والباقر: اسم جمع للبقر، وقد مرَّ أيضاً أن أهل اليمن يسمون البقرة باقورة. الترائب: عظام الصدر.

(٤) الروقان، تشنيه الروق: القرن.

(٥) ديوانه ٢٠٨/.

(٦) النير: الخشبة المعترضة عنقي الثورين بأداتها

فَعَلَى كَفِّ عَزْمِكَ الرَّزْقُ يَجْرِي
وَأَنَا بِالْخُشُوعِ أَدْعُوكَ ثَوْرًا
عَبَدَتِكَ الْوَرَى عُصُورًا طَوَالًا وَأَقَامُوا لَكَ التَّمَائِيلَ تَتَرَى
يَنْحَرُونَ الدِّمَى بِبَابِكَ نَحْرًا
وَيُصَلُّونَ رَهْبَةً وَجَلَالًا
أَيُّهَا الثَّوْرُ كَيْفَ حَالُكَ أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّمَجِيدِ وَالْإِكْرَامِ
سَرَقَ الْمَجْدَ مِنْكَ بَعْضُ الْأَنَامِ
فَهُوَ ثَوْرٌ لَكِنْ لَهُ النَّاسُ تَفْلِيحُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي من قصيدة في رثاء أولاده (١).
والدهرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ شَبَبُ أَفْرَتِهِ الْكَلَابُ مُرُوعٌ (٢)
شَغَبُ الْكَلَابِ الضَّارِيَاتُ فَوَادُهُ فَإِذَا يَرَى الصُّبْحَ الْمَصْدُقَ يَفْزَعُ (٣)
وَيَعُودُ بِالْأَرْضَى إِذَا مَا شَفُهُ قَطَرٌ وَرَاحَتُهُ بَلِيلٌ زَعَزَعُ (٤)
يَرْمِي بَعَيْنِيهِ الْغُيُوبَ وَطَرَفُهُ مُغْضٍ يُصَدِّقُ طَرَفُهُ مَا يَسْمَعُ (٥)
فَعَدَا يُشْرِقُ مَتْنَهُ فَبَدَا لَهُ أُولَى سَوَابِقِهَا قَرِيبًا تَوَزَعُ (٦)
فَأَهْتَاخَ مِنْ فَزَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غُبْرُ ضَوَارٍ وَافِيَانٍ وَأَجْدَعُ (٧)

- (١) ديوان الهذليين ١٠/١، ورسالة الصاهل والشاحج ١٣٢
(٢) الشبب: الثور الوحشي. أفرتة: أفزعتة وطرذته.
(٣) الشغب تهيج الشر، وقيل كثرة الجلبة واللغط المؤدي إلى الشر. الصبح المصدق: المضيء.
(٤) الأرضى: شجر ينبت بالرمال، راحته: أصابته ريح. بليل: شمال باردة تنضح الماء. زعزع: شديدة تحرك كل شيء.
(٥) قيل في تعليل أن نظر الثور يصدق سمعه: أن سمع الحيوانات الوحشية أقوى من بصرها.
(٦) شرّق الثور مثته: أبداه للشمس المشرقة ليحجف ما عليه من الندى. الوزع: الطرد.
(٧) الفروج: ما بين القوائم. الغبر: كلاب الصيد تضرب إلى الغبرة. وافيان: لم تقطع آذانهما. أجدع: قطعت أذنه، وهي علامة تعلّم بها الكلاب.

يَنْهَشْنَهُ وَيَذْبُهْنَ وَيَحْتَمِي
فَنَحَالَهَا بِمَذْ لَقَيْنِ كَأَنَّمَا
فَكَأَنَّ سَفُودَيْنِ لَمَّا يُقْتَرَا
فَصَرَعْنَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ وَجَنَّبَهُ
حَتَّى إِذَا آرْتَدَتْ وَأَقْصَدَ عُصْبَةً
فَبَدَا لَهُ رَبُّ الْكِلَابِ بِكُفِّهِ
فَرَمَى لِيَنْقِذَ فَرَّهَا فَهَوَى لَهُ
فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقُ تَارِزُ

عَبْلُ الشَّوَى بِالطَّرْتَيْنِ مُوَلِّعٌ (١)
بِهِمَا مِنَ النَّضْحِ الْمُجْدَحِ أَيْدَعُ (٢)
عَجَلًا لَهُ بِشَوَاءِ شَرْبٍ يُنْزَعُ (٣)
مَتَّزِبٌ وَلَكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
مِنْهَا وَقَامَ شَرِيدُهَا يَتَضَرَّعُ
بِضُرِّ رِهَافٍ رِيْشُهُنَّ مُقْرَعُ (٤)
سَهْمٌ فَأَنْفَذَ طَرَّتِيهِ الْمَنْزَعُ (٥)
بِالْخَبْتِ إِلَّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ (٦)

وقال الكميت بن زيد الأسدي يصف بقرة وحشية (٧):

تَعَاطَى فِرَاحَ الْمَكْرِ طَوْرًا وَتَارَةً
كَعُذْرَاءٍ فِي مَجْنَى السَّيَالِ تَخَيَّرَتْ

تُثِيرُ رُخَامَاهَا وَتَعْلُقُ ضَالَهَا (٨)
أَنَايِبَ رَخَصَاتِ الْفُرُوعِ سَيَالَهَا (٩)

(١) عبِل الشوى: غليظ القوائم. الطرطان. خططان يفصلان بين الجنب والبطن. موَّلِّع: فيه ألوان مختلفة.

(٢) نحا الثور للكلاب: تحرّف ليطعنها. يريد بمذلقين: بقرتين محددين. النضح المجدح: الدم الذي حركه الثور بقرنه في أجواف الكلاب كما يجدح السوق. الأيدع: دم الأخوين، وقيل: الزعفران.

(٣) السفود: حديدة معقفة يشوى بها اللحم. يُقْتَرَا، من القتر، وهو ريح الشواء.

(٤) يريد بالبيض الرهاف: السهام. المقزع: المحذّف وهو الذي قد حذف ما فيه من الفضول.

(٥) فرّها: فرارها، أي ما فرّ من الكلاب، المنزع: السهم.

(٦) الفنيق: فحل الإبل. تارز: يابس، أي ميت. يريد أن الفنيق أعظم من الثور.

(٧) ديوانه ٨٢/٢.

(٨) المكّر: شجر نبتته غبراء لها ورق وليس لها زهر كأن فيها حمضاً حين تمضغ. فراخ المكّر: ثمره.

الرخامي: نبت تجذبه السائمة، وهي حلوة شبيهة بشجر الضال.

(٩) السّيال: نبات له شوك، وقيل هو ما طال من السّم. الفروع الرخصة: الناعمة اللينة.

عَلَى رِسْلَةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكْمُشُ بِهَاتِيكَ أَنْ هَاجَ الرُّوَاعُ امْتِلَآهَا^(١)
وَأَنَّ اخْتِلَافاً مِنْهُمَا وَتَفَرُّقاً لَمَّا خَالَفَتْ مِنْهَا الْحِمَاشُ خِدَالَهَا^(٢)
وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ ثَوْرًا^(٣) :
فَمَا بِهِ غَيْرُ مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ إِذَا أَحَسَّ بِشَخْصٍ نَابِيٍّ مَثَلًا^(٤)
كَأَنَّ عَطَارَةً بَاتَتْ تُطِيفُ بِهِ حَتَّى تَسْرُبَلَ مَاءَ الْوَرَسِ وَانْتَعَلَا^(٥)
كَأَنَّهُ سَاجِدٌ مِنْ نَضْخِ دِيمَتِهِ مُسَبِّحٌ قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ فَابْتَهَلَا^(٦)
يَنْفِي الرُّابَّ بِرَوْقِيهِ وَكَلْكَلِهِ كَمَا اسْتَمَازَ رَئِيسُ الْمُقَنْبِ النَّفْلَا^(٧)
وَقَالَ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ دَانِيَالٍ^(٨) يَصِفُ عِجْلَةً :

لِلَّهِ عِجْلَةٌ خَيْسٍ صَفَرَاءُ ذَاتُ دَلَالٍ^(٩)
تُرِيكَ عَيْنِي مَهَاةً مِنْ تَحْتِ قَرْنِي غَزَالٍ
قَدْ سُرِبَلْتُ بِأَصِيلٍ وَتَوَجَّتُ بِهَيْلَالٍ
وَقَالَ الْأَعَشَى مِمُونُ بْنُ قَيْسٍ يَصِفُ ثَوْرًا وَحْشِيًّا^(١٠) :
كَأَنَّهَا طَاوٍ تَضِيفُهُ ضَرْبُ قِطَارٍ تَحْتَهُ شَمَالٌ^(١١)

(١) الرُّسْلَةُ: الترسل، أي الترفق والتَّمَهَّل. من هذه: يريد الجارية العذراء في البيت السابق.
والتكْمُشُ: يريد الإنكماش من البقرة. الرواع: الفزع.
(٢) الحماش: دقة القوائم ويريد قوائم البقرة، والخذال: الغلاظ، ويريد قوائم الجارية العذراء،
وذلك موضع اختلافهما.

(٣) ديوانه / ١٣٨.

(٤) نابيء: فاعل من نبأ على القوم: طلع عليهم.
(٥) يصف ربح بعير هذا الثور لأنه رعى الشَّيْحَ والقيصوم. قوله: تسربل ماء الورس، لأنه قد اصفّر مما
رعى من هذا الزهر، وقد اختضبت به قوائمه فكأنه متعل.

(٦) الديمة: المطر الدائم السح.

(٧) استماز: تميز عن غيره. النفل: الغنيمة. المقنب من الخيل: دون المائة.

(٨) نهاية الارب ١٠/ ١٢٣.

(٩) الخيس: موضع تنسب إليه البقر الخيسية.

(١٠) ديوانه / ٢٧٩.

(١١) كأنها: يريد ناقته التي شبهها في نشاطها وصلابتها بثور وحشي قاسي ألوان المتاعب والمشاق. =

بَاتَ يَقُولُ بِالْكَثِيبِ مِنْ أَلِ
مُنْكَرِساً تَحْتَ الْغُصُونِ كَمَا
حَتَّى إِذَا انْجَلَى الصُّبْحُ وَمَا
أُطْلَسَ طَلَّاعَ النَّجَادِ عَلَى أَلِ
فِي إِثْرِهِ غُضْفٌ مُقْلَدَةٌ
كَالسَّيِّدِ لَا يَنْمِي طَرِيدَتُهُ
هَجْنٌ بِهِ فَانْصَاعٌ مُنْصَلِتاً
حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَاسَلِيّاً
لَا طَائِشٌ عِنْدَ الْهِيَاجِ وَلَا
يَطْعُنُهَا شَزْرًا عَلَى حَنْقٍ

غَبِيَّةٌ: أَصْبَحَ لَيْلٌ لَوْ يَفْعَلُ (١)
أَحْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلُ (٢)
إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلُ
وَحَشْرَ غَبًا مِثْلَ الْقَنَاةِ أَزْلُ (٣)
يَسْعَى بِهَا مُغَاوِرٌ أَطْحَلُ (٤)
لَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَانُ حَوْلُ (٥)
كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ الْكَثِيبَ أَبْلُ (٦)
وَقَدْ عَلَتْهُ رَوْعَةٌ وَوَهْلُ (٧)
رَثُ السَّلَاحِ مُغَادِرٌ أَعَزْلُ (٨)
ذُو جُرْأَةٍ فِي الْوَجْهِ مِنْهُ بَسْلُ (٩)

٣ تضيُّفه: نزل به ضيف. القطار: المطر.

(١) الغيبة (بالفتح): الدفعة الشديدة من المطر.

(٢) منكراً: منكرساً، أحنى: انحنى. يلي هذا البيت في الديوان بيت سقط عجزه، ويظهر من باقيه ان الشاعر يقول: ما كاد الليل ينجلي الأ وصبح الثور صياد.

(٣) أطلس: في لونه غبرة إلى السواد، ويعني به الصياد الذي فجأ الثور في الصباح الباكر. غباً: مصدر غبي (كعلم) أي خفي عن الوحوش وجاء يدب إليها خفية. الأزل: الخفيف لحم الوركين، وقيل: هو الأرسح، أي الذي قل لحم عجزه.

(٤) كلاب غضف: مسترخية الأذان. مقلدة: في أعناقها أطواق. الأطحل: الأغبر في مثل لون الرماد.

(٥) السيد (بالكسر): الذئب. أنمى الصيد: رماه فأصابه، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح فمات بعيداً. أحانه: أهلكه.

(٦) هجن، أي الكلاب. به، الضمير يعود إلى الثور. انصاع: مرّ سريعاً. انصلت في عدوه: مضى جاداً. كالنجم، أي كالشهاب المنقض. الأبل: المصمم، والممتنع، والجديل الألد.

(٧) ثور سلب: خفيف الطعن بقرنه. الروعة: الخوف. الوهل: الفرع.

(٨) الطائش: الذي لا يصيب إذا رمى. مغادر: يفرّ من المعركة.

(٩). طعنه شزراً، أي عن اليمين والشمال طعنًا متلاحقًا. البسل (بالتحريك): العبوس.

البُّبْلُ (١)

البُّبْلُ من فصيلة العصفائر، ويقال له: الكُميت، والجُميل - مصغّران - وهو من الطيور المغردة الحسنة الصوت، ومن شأنه إذا كان غير حاذق أن يطارحه إنسان قادر على تقليد صوت الببل فيتدرب ويحسن صوته. ومن أسمائه الشائعة: العندليب، ويسمى على طريقة القلب: العندليل، والعندبيل وكل صواب. جمعها عنادل، والعرب تقول: الببل يعندل إذا صوّت.

الهازار: تهريب هزارستان بالفارسية، أي يتكلم بألف حكاية من باب المبالغة، واقتصروا في التعريب على لفظه هزار، وأدخلوا عليها الألف واللام فقالوا (الهازار).

الشحورور: جمعه شحارير، قيل: إن له أنواعاً عديدة تختلف ألوانها وأحجامها من تأثير المناطق التي تعيش فيها.
الكناري: نسبة إلى جزر الكناري، ويسمى نُغْر الكناري وأهل الحجاز

(١) الحيوان للمحافظ ٢٨٩/٥ و ٧٨/٧. نهاية الارب ٢٥٢/١٠. حياة الحيوان ١٥٥/١. لسان العرب، ومعجم متن اللغة.

يطلقون على البلبل اسم (نُغْر).

البلبل في الأمثال ^(١)

(تَظَلُّ الطَّيْرُ تَصْفَرُ آمَنَاتٌ وَلِلتَّغْرِيدِ مَا حُسِّسَ الْهَزَارُ)

(يصيد ما بين الكركي إلى العندليب) يضرب لمن يقول بالصغار والكبار.

مِمَّا وَرَدَ عَنْهُ فِي الْقِصَصِ ^(٢)

(قصة النسر والبلبل)

للمهذب الدمشقي محمد بن حسان بن أحمد:

طار طائرٌ عن بعض الشجر، وقد هبَّ نسيم السَّحَر، وانفلق عمود الفَلَق،
وانخرق قميص الغَسَق، مشهور بالقَسَر، موسوم بالنُّسْر واللَّيْل قد شابت ذَوَابَّتُهُ
وابيضَّت قَمَّتُهُ، وانهمز زنج الظلماء من صَوْلَةٍ روم الضياء.
والفجرُ مثلُ عِذارٍ مَن صَارَتْ لَهُ سُنُونُ عاماً بعد حُسْنِ سَوَادِهِ
أو تُغَرِّ محبوبٍ تَبَسَّمَ فِي الدُّجَى إِذْ زَارَ مَنْ يَهْوَاهُ بَعْدَ بَعَادِهِ

وعَلا حَتَّى صَارَ رَوْحاً لِأَجْسَادِ السُّحُبِ، وَنَدِيمَ لِدَرَارِي الشُّهْبِ وَعَدِيلاً
لِلْأَفْلَاكِ، وَنَزِيلاً لِلْأَمْلَاكِ.

فَكَأَنَّهُ لِلشَّمْسِ جِسْمٌ وَالسُّهَى عَيْنٌ لِلْمَرِيخِ قَلْبٌ يَخْفِقُ
وَلِكُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ شَرَارَةٌ تُرْدِي شَيَاطِينَ الرُّجُومِ وَتَحْرِقُ
غَابُوا لِمُطْلَعِهِ إِلَهُمُ وَآخَتَفُوا وَرَأَوْهُ يَجْمَعُ نَفْسَهُ وَيُفَرِّقُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٧٣/ ٢٧٤.

(٢) خريدة القصر قسم الشام ١/ ٣٤٠.

منفرداً في طريق طلبه آنفراد البدر مُتوَحِّداً في مضيق أَرَبه توحد ليلة
القدر، كأنه سهم رُشِق عن قوس القضاء، أو نجمٌ أشرق في أفق السماء.
والأرض تحته دُخَانِيَّة اللَّوْن، مائيَّة الكون، مُستبَحرة الأكناف، متموجةُ
الأطراف، كأنه صرح مُمرَّد من قوارير، أو سطحُ الفلك الكُرِّي في التدوير.

أو لُجَّة البَحْر إثر عاصِفةٍ صافَحَتِ المتنَ منه فاصْطَفَقا
فطارَ عقلُ النَوْتِي من فَرَقٍ وخَرَّ مُوسَى جَنَانه صَعِقَا

يقبض أجنحته وَيَسْطُ، ويصعد إلى السَّمَاءِ تَارَةً وَيَهْبِطُ، يجرح بأسنَّة
قوادمه أعطاف القَبُول وأطراف الصَّبَا، ويقدُّ الشَّمَال بخوالفَ كأنها غروبُ
الطُّبَى، ويفتق بخوافيه جيوب الجنوب، ويخرق بصدرة صدر الرياح في
الهبوب.

فكَأَنَّ لَمَعَ البرقِ خَطَفُ هُوِيَّهْ وكَأَنَّ رَشَقَ السَّهْمِ نَفْضُ سُمُوْهْ
وكَأَنَّمَا جَعَلَ الرِّيحَ خَوَافِيَا لَجَنَاحِهِ فِي خَفْضِهِ وَعُلُوْهْ

حتَّى أَشْرَفَ من شُرْفِ مدائنِ الهواء، وأَطْلَعَ من رواشن أبراج السماء على
روضٍ أَرِيضٍ، وظلٍ عَرِيضٍ، وأنهارٍ مُتَدَفِّقَةٍ، وأشجارٍ مُوَنِّقَةٍ وظلٍ مُشَوَّرٍ،
ووردٍ مُشَوَّرٍ، ومكنٍ بَهْجٍ، وزَهْرٍ أَرَجٍ، وحديقة نديَّة النبات، وبقعةٍ مُسْكِيَّةٍ
النَّفْحَاتِ، عنبريَّة الأَرْجَاءِ. كافوريَّة الهواء، قد صقلت بمصاقل القَطَرِ مَرَايا
أزهارها، وعُقدت لرؤوس أغصانها تيجانُ نُوَارِها، وأكاليلُ جُلُنَارِها، ونشرت
النسائم مطويات حُلِيِّها من أسفاطها، ورقصت حورُ نباتها على سَعة بساطها.

كَلْيَالِي الوِصَالِ بَعْدَ صُدُودٍ من حَبِيبِ كَالْبَدْرِ بَلْ هُوَ أَبْهَى
إِنْ رَأَيْتَ الْغِنَى وَنِيلَ الْمُنَى جَمًّا عَاً وَقَابَلْتَهُ بِهَا فَهِيَ أَشْهَى
ذاتِ نَبَاتٍ خَضِرٍ وَمَاءٍ خَصِيرٍ، ضاحكة القرار، مُشرقه الأنوار، وكَأَنَّ

شَجَرَاتُهَا عَرَائِسُ أُبْرِزَتْ لِلجَلَاءِ، أَوْ قِبَابُ زَبَرْجَدٍ نُصِبَتْ فِي الرُّوضَةِ الْخَضِرَاءِ.
وَكَأَنَّ الْفَلَكَ دَنَا إِلَيْهَا فَتَنَاثَرَتْ نَجْوَاهُ عَلَيْهَا.

رَوْضٌ أَرِيضٌ وَصَوْبٌ صَائِبٌ وَحَيًّا مُحْيٍ وَغَيْثٌ مُغِيثٌ دَائِمٌ الدَّيْمِ.
تَبَارَكَ اللَّهُ ذُو الْأَلَاءِ كَمْ سَفَرْتُ وَجُوهَ أَحْكَامِهِ لِلخَلْقِ عَنْ حِكْمِ

فَمِنْ وَرْدٍ فَضِيٍّ الْأَوْرَاقِ، ذَهَبِيٍّ الْأَحْدَاقِ، كَافُورِيٍّ الصَّبْغَةِ، مِسْكِيٍّ
الصَّيْفَةِ، مَائِيٍّ الْجِسْمِ، هَوَائِيٍّ الرَّسْمِ، حَاكَتْ الصَّبَا أَهَابَهُ، وَخَاطَتْ الشَّمَالَ
أَثْوَابَهُ، وَفَتَحَتْ الْجَنُوبَ أَكْمَامَهُ، وَحَسَّرَتْ الدُّبُورَ عَنْ وَجْهِ جَمَالِهِ لثَامَهُ، فَظَهَرَتْ
فِي أَفْقِ الشَّجَرِ، كَأَنَّهُ شُهْبُ السَّحَرِ، أَوْ خُدُودُ الْحُورِ فِي الْقُصُورِ، ظَهَرَتْ فِي
غُلَائِلٍ مِنَ الْكَافُورِ، أَوْ أَعْشَارِ الْمَصَاحِفِ ذُهِبَتْ أَوْسَاطُهَا، أَوْ غَرَرِ الْوَصَائِفِ
عَظُمَ اغْتِطَاطُهَا.

أَوْ وَجَنَةِ الْحَبِّ قَرَّتْ فِي مَلَاَحَتِهَا عَيْنُ الْمُحِبِّ فَأَبْذَتْ حُمَرَةَ الْخَجَلِ
رَقَّتْ فَائِسَرُ وَهَمِ الْفِكْرِ يَجْرَحُهَا فَكَيْفَ إِنْ لَمَسَتْهَا رَاحَةُ الْقُبْلِ

وَمِنْ آسٍ زَمُرْدِيٍّ الْإِهَابِ، زَبَرْجَدِيٍّ الْجِلْبَابِ ذِي وَرَقٍ كَأَسْنَةِ الصُّعَادِ،
أَوْ كَالصَّفَاحِ جَرَّدَتْ لِلجِلَادِ مِنَ الْأَعْمَادِ، قَدْ أَخَذَ خَضِرَةُ الْفَلَكَ لَوْنًا، وَحَلَّةَ جَبَلِ
قَاقٍ كَوْنًا، أَشْبَهَ فِي أَخْضِرَارِهِ مَرَاتِرَ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ عُقْيَبَ الْإِنْشِقَاقِ، لِرُوعَةِ يَوْمِ
الْفِرَاقِ.

كَأَنَّهُ وَدٌّ مِنْ تَمَّتْ مَوَدَّتُهُ بَاقٍ مَعَ الدَّهْرِ لَا يَيْلَى مَدَى الْأَمَدِ
يُهْدَى إِلَى مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَضُنُّ بِهِ أَيْ قَدْ غَسَلْتُ بِمَاءِ الْيَأْسِ مِنْكَ يَدَيَّ
وَمِنْ نَرَجِسٍ كَأَجْفَانِ الْمِلَاحِ، أَوْ كَأَشْرَاقِ تَبْلُجِ الصَّبَاحِ، مِنْكَسِّ الْأَعْرَاقِ،
مَطَرِ الْأَحْدَاقِ، قَائِمٌ عَلَى سَاقِ خَضِرَةٍ، أَلْفَيَّةٍ نَضِرَةٍ كَأَنَّهُ مَدَافَاتُ فَضَّةٍ قَدْ
رُصِّعَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفِطَارِ، بِمَسَامِيرٍ مِنْ نُضَارِ.

مَتَشَوِّفٌ كَالصَّبِّ خَوْفَ رَقِيْبِهِ إِذْ حَانَ وَقْتُ زِيَارَةِ لِحْيَتِهِ
فَلَهُ إِلَى جَانِبِهِ نَظْرَةٌ خَائِفٍ مِنْهُ وَشُكْوَى مُدْنِفٍ لَطِيْبِهِ

ومن بِنَفْسِج استُعِيرَ لَوْنُهُ من زرق اليواقيت، وأخذ من أَوَائِلِ النارِ في أطرافِ الكبريت، أو ثاكلات الأولاد، أظهرن الحزنَ في ثياب الجداد، أو بقايا قَرَصٍ في خَدَّ ورديٍّ، أو أثرَ عَضٍ في عَضْدٍ فُضِّيٍّ، ذي أوراقِ خمريةٍ، وأعراقِ عِطْرِيَّةٍ، صاغت الأنداء من الزمرد قوامه، ونسجت الأهواء من الطلِّ أكامه، وأخذت من نسَمات المسك نسَمته، ومن أنفاس العنبر رائحته.

وَكَمْ في الرُّؤُص من بَدَعٍ وَصُنْعٍ وآياتٍ تَدُلُّ على القَدِيمِ وأَسْرارٍ يَحَارُّ العَقْلُ فيها فليس تكونُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ

ومن غصون تجتمع وتفترق، وتترنح وتعتنق، والنسائم تحلُّ عقد أزار الزهر، والأهوية تفتح أقفال أبواب الحصر، والشمس تسُفِّر وتنتقب، وحاجب الغزالة يبدو ويحتجب، والعهاد يتعاهد بالقطار أكنافها، والسحب تطرز بالبروق عَدْبَها وأطرافها، وهي آية من آيات الربيع أظهرها للعيان، ومُعْجَزة من مُعْجَرات القدير أقامها على الزمان .

تُجَلَّى عرائسُها بكلِّ مُصَبَّغٍ وَتَمِيسُ تحتَ غَلَائِلِ الأزهارِ
فكأنما فتقَّ الرِّبيعُ لأرضها بيدَ النَّسيمِ نَوَافِجَ العَطَارِ

فوقف (١) في الهواء حين رآها، وقال: هذه غاية النفس ومناها، هاهنا ويُلقِي المسافر عصاه، وتستقرُّ بالغريب نواه، وفي قرار هذا الوادي يثبت سيلي، ولمثله شَمَرْتُ عن ساق الجَدِّ ذيلي، أين المذهب، وقد حصل المطلب، وأين الرواح وقد أسفر الصباح. ومن بلغ غاية مُرادِه، لم يلتفت إلى حُسَايدِه، ومن نال الأمانِي، لم يُبالِ بالمباني، ماءٌ مُصْطَحِبُ الأوتار، وظلٌّ ممدود الإزار، وروضٌ يمرح فيه الطُّرف، ولا يقطعه الطُّرف، وأزهار كقراضة الذهب، تناثرت من حرارة اللهب، أو كالفضة أخلصها سَبْكُ الكير، ونُثِرَتْ في زوايا المقاصير، أو مُصَبَّغات أصناف الحُلل، نشرت للناظرين بعد اتقان العمل. وخلوة من واشٍ

(١) الواقف: النسر.

ورقيب، وبعيد يُخشى أو قريب.

عَلَى مِثْلِهَا ظَلْتُ فَرْدًا أَهِي سَمُ وَجَدًا وَأَمَعُنْ وَحْدِي الْمَطَارَا
فَأَسْتَخِيرُ الشُّهْبَ النَّيِّرَا تِ عَنْهَا وَأَقْطَعُ دَارًا فَدَارَا

فبينما هو صافٍ الأجنحة عليها، ينظر من الأفق بعين التعجب إليها، إذ
سمع صوتاً من بلبلٍ سحريٍّ، على وكرٍ شجريٍّ، يناغي النسائم بنغمة مزمارة،
ورنة أوتاره، ودساتين^(١) حناجر كالخناجر، وألحانٍ أعذب من نقرات المزهار،
ينثر دراً من عقود ألحانه، ولؤلؤاً من أصداف افتنانه بين أفنانه، ويرجع قراءة
مكتوبٍ غرامه، ويتلو آيات حزنه من مصحف آلامه .

ويَهْتَفُ طَوْرًا بِذِكْرِ الْفِرَاقِ وَطَوْرًا بِذِكْرِ بَعَادِ الْحَبِيبِ
وَيَغْتَنِمُ الْوَقْتَ وَقْتَ الْوَصَا لَ حِينَ خَلَا مِنْ حُضُورِ الرَّقِيبِ

فقال هذه غريبة أخرى من غرائب القدر، وعجبية ثانية لم ترها العين ولا
هجست في الفكر، وكاسات خمرٍ تدار في الخمر^(٢). وعقود سحرٍ تُحلُّ في
السحر، ونغمة لم أسمعها من ذي منقار، وألحان ما رُئيَ مثلها لساٍ ولا قار،
كأنها ما قيل عن مزامير آل داوود، وتسابيحهم في الركوع والسجود، أو معبدٌ
والغريض يتباريان في الطويل والعريض، أو إسحاق الفريد، يعدل عوده عند
الرشيد أو هزج شدة العجم، أو رجة حداة العرب في الظلم، أو أصوات رهبان
الصوامع، أو تلاوة مَنْ تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

نَغْمَةٌ تَجْلُبُّ السُّرُورَ وَتُحْيِي مَيِّتَ الْقَلْبِ مِنْ ثَرَى الْأَحْزَانِ
وَتَرُدُّ الشَّبَابَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ سَنٍ وَتُزْرِي بِرَنَةِ الْعِيدَانِ

(١) دساتين، جمع دستان، وهي من اصطلاحات أصحاب الموسيقى، ومعناها بالفارسية : النغمة
(الألفاظ الفارسية المعربة/٦٤) .

(٢) الخمر (محرّكة) : ما وارك من شجر وغيره .

ما أُدِيرَتْ إِلَّا وَقِيلَ اسْمَعُوا دَا وَودَ يَتْلُو زُبُورَهُ فِي الْجَنَانِ
ثم هوى إلى القرار لينظرَ مَنْ النافخ في المزمار، فرأس البلبل يتلو سُورَ
بلباله في محراب وبَّالِهِ، ويرجع سَجْعَ أَلحانه في ربع أحزانه .

فكَانَهُ نَكَلَى عَلَى وَلَدٍ فَقَدَّتْهُ بَعْدَ الضَّعْفِ وَالْكَبَرِ
فَلَهَا انْتِحَابٌ حِينَ تَذْكُرُهُ يُنْسِيكَ لَذَّةَ نَعْمَةِ الْوَتْرِ

فقال : السلام عليك من طائر صغير حقير، يظهر في صورة كبير خطير،
وشادٍ ظريف طريف، بغير أليف ولا حليف، ذي جسم كأنه سواد خالٍ في
بياض خدِّ الحبيب، أو ظلمة حال المحبِّ شاهد وجه الرقيب، أنت صاحب هذا
اللحن المطرب، والصوت المعجب ؟ ما أراك إِلَّا صغير الحَبَّة، بادي المحبَّة،
ضئيل الجسم، نحيل الرسم، ليلي الإهاب، ظلمائي الجلباب، تقتحمك العين
لحقاتك، وتنبو عنك لصغرك ودمامتك، وقد آصفر منقارك لأحزانك، ولبست
حداد أشجانك، وصوتك والمسرة فرسا رهان، ونغمتك والطرب رضيعا لبان .

يُثِيرُ صَوْتُكَ فِي الْقَلْبِ بِ إِنْ تَرْنَمْتَ حُزْنَا
وَتُخْجِلُ النَّايَ حُسْنًا وَتَعِجُّزُ الْعُودَ لَحْنًا

وأنا مع عِظَمِ صورتِي التي حازتْ خِلالَ الكمال، وأحرزت خصال
الجمال، صُبْحِي الریش، لا أَتَغَذَّى بالحشيش، ذوالعمر الذي أفنى لُبْد،
واستنفد الأبد، وقد تعجَّب منه لقمان، واحتاج إليه فرعون وهامان، ليس للطيور
مطاري، عند طاريء أو طاري . أنا ملك الطيور، وسلطان ذوات الأجنحة على
مرِّ الدهور، وما لي حلاوة هذه النغمات، ولا لَذَاذَةُ هذه الأصوات .

وَلَعَمْرِي كَذَلِكَ الدَّهْرُ لَا يَرُ فَعُ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْخَفْضِ أَوَّلَى
يَنْظُرُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ بَعَيْنٍ هِيَ لَا شَكَّ حِينَ تَنْظُرُ حَوْلَى
وَيُحْكُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذِهِ الْمُلْحُ الْمِسْكِيَّةُ النَّشْرُ، وَالْمِنْحُ الْعَبْرِيَّةُ الْعَطْرُ ؟

جِئْتِكَ عنصر هذه الفضائل، أم استملت طُرف أخبارها مِنْ قائل ؟ فقال له
البلبل :

يا من سَبَحَ في بحر التَّخْلِيط وعام، وظَنَّ أَنَّ القدر يعطي ويمنع
بالأجسام، فيعرض عن الصُّغار ويقبل على العِظام، أَمَا صِغري فلا أقدر على
تغييره ، والأمر للصانع الحكيم في تدبيره، أما علمت أن الأرواح لطائف، وهي
أشرف من الأجسام، والأجسام كثائف والمعتبر فيها جودة الأفهام، وإنسان العين
صغير ويدرك الأكوان والألوان، والإنسان عظيم والمعتبر منه الأصغران : القلب
واللسان، ما يكون الدر بقدر الصدف، وشَتَّان ما بينهما في القيمة والشرف، ولا
الآدميُّ كالفيل، وبينهما بَوْنٌ في التفضيل، واللؤلؤ قطر يقع في أعماق البحور،
ويعلَّقُ بعد ذلك على الترائب والنحور، وليس الاختصاص بظواهر المباني،
وإنما هو بلطائف المعاني، وكم من صغير وهو في عين ذي النُّهى كبير، وفي
فكر اللبيب أخى الفضل خطير .

وما نَطَقَ الفِيلُ الكبيرُ بِعُظْمِهِ وَقَدْ نَطَقَتْ قِدَمًا مُقَدَّمَةُ النَّمْلِ
كَذَلِكَ مَا أَوْحَى إِلَى النَّسْرِ رَبُّنَا وَإِنْ كَانَ ذَا عُظْمٍ وَأَوْحَى إِلَى النَّحْلِ
وَأَمَّا النعمة التي قرع طرف سمعك سوط لذتها، ورشق هدف قلبك نَبْلُ
طيبتها، فَإِنِّي رَصَعْتُ شَذْرَهَا فِي عِقْدِ الْحَانِي، على نغم بعض الأغاني . وذلك
أَنَّ هَذِهِ الرُّوضَةَ فَجَرَتْ أَنْهَارُهَا، وَغُرَسَتْ أَشْجَارُهَا، وَفُتِّقَتْ نَوَافِجُ عِطْرُهَا،
وَأَشْرَقَتْ مَبَاهِجُ زَهْرُهَا، وَأَقِيمَتْ عَمَدُ قِبَابِهَا، وَعُلِّقَتْ أَسْتَارُ أَبْوَابِهَا، وَهَيَّئْتُ عَلَى
أَمْرِ مُقَدَّرٍ لِبَعْضِ مَلُوكِ الْبَشَرِ، فَهُوَ يَأْتِيهَا كُلُّ لَيْلَةٍ إِذَا وَلَّى النَّهَارَ، وَأَظْلَمَتْ
الْأَقْطَارُ، وَصَبَغَ اللَّيْلُ ثُوبَ الْكُونِ بِظِلْمَتِهِ، فَأَشْبَهَ لِبَاسَ الْعَبَّاسِيِّ فِي خِلَافَتِهِ، مَعَ
مَنْ يَخْتَارُ مِنْ نَدَمَائِهِ، وَيُؤَثِّرُ مِنْ أَصْفِيَائِهِ، وَقَدْ أَشْعَلَتْ لَهُ فِيهَا الشُّمُوعُ، وَاتَّقَدَتْ
بِأَشْعَتِهَا الرُّبُوعُ، وَنُصِبَتْ سَتَائِرُ الْقِيَانِ، وَاصْطَفَّتْ صُنُوفُ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ،
وَأُفْرِغَتْ شُمُوسُ الْخَنْدَرِيسِ فِي أَفْلَاكِ الْكُؤُوسِ، بِأَيْدِيْ بَدُورِ الرِّهْبَانِ وَنَجُومِ

القُسُوس، وعُقدت الزنانير على الخصور، وأُسبِلت طرر الشعور على غرر
البدور، ورُجِّع، أناجيل الألحان، وقُبِلت صُلبان الصور بأفواه الأشجان،
ونُقِرَت أوتار المثلث والمثاني، وقامت العقول ترقص في قصور الصور
والمباني .

وينقضي ليلهم في لهو وطرب، وجدّ ولعب، وهزج ورمل، واعتناق
وقبل، وأحاديث كقطع الرياض، ومحادثات كبلوغ الأغراض، حتى يخرج الليل
من إهابه، ويعرّج على ذهابه، ويسفر الصباح، وقد هزّ عظمي ذلك الإرتياح،
وأنا خبير بشدّ دساتين عيدان الألحان، بصير بحلّ غرى النغمات الحسان،
فمنهم تعلّمت طرّفها، وشدت وسطها وطرّفها، وصرت فيها إلى ما ترى، وعند
الصباح يَحْمَدُ القومُ السرى .

فقال النسر: إنك سقيتني بحديثك أسكر شراب، وفتحت لي بأخبارك
أغرب باب، كيف السبيل إلى المبيت لتعلّم هذه النغم الشهية، والفوز بحفظ
هذه الأصوات الأرغنية^(١) .

فقال البلبل: بالجدّ والاجتهاد تُدرك غاية المراد، وبالعزومات الصباح
يشرق صباح الصلاح، وما حصلت الأمانى بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطن
فراش الكسل، وأُمّ العجز أبداً عقيم، والخمول لا يرضى به إلاّ مُليم،
وبالحركات تكون البركات، وثمار السعود لا تطلع في أغصان القعود، وبالهزّ
تسقط الثمار، وبالقدح توجد النار، والحياء توأم الحرمان، والهيبة والخيبة
أخوان .

وَمَنْ هَابَ أَمْرًا ثُمَّ لَمْ يَكُ مُقَدِّمًا عَلَيْهِ بِصَدَقِ الْعَزْمِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ

(١) الأرغن من آلات الطرب (اعجمية) . في خريدة القصر (الأرغلية) وهو من تحريف النساخ،
وقد تنبّه له المحقق ونوّه عنه .

يَفُوتَ وَلَا يُعْطِيهِ مِنْهُ مُرَادَهُ الْـ زَمَانُ وَيَعْدُ الْمَقْرُ يُجْنَى جَنَى النَّحْلِ^(١)

إِذَا تَقَوَّسَتْ قَامَةُ النَّهَارِ، وَجُعِلَتْ رِجْلُ الشَّمْسِ فِي قَيْدِ الْإِصْفَرَارِ، وَوَلَّتْ
مَوَاكِبُ النُّورِ لِقَدُومِ سُلْطَانِ الدِّيَجُورِ، وَأَنَارَتْ رَوْضَةَ السَّمَاءِ بِزَهْرِ الْكَوَاكِبِ
وَطَلَعَتْ الشُّهُبُ فِيهَا مِنْ كُلِّ أَفَقٍ وَجَانِبٍ، فَأَتَتْ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ عَسَى أَنْ تَسْعِدَكَ
بِمَطْلُوبِكَ عَنَايَةُ الزَّمَانِ؛ وَأَخْتَفِ عَنْ رَامِقِي يَرَاكِ، فَإِنَّهُ عَوْنٌ عَلَى مَبْتَغَاكِ، وَإِيَّاكِ
أَنْ تَقُولِ: إِنَّ قَدْرَ شَيْءٍ وَصَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي الْغَيْبِ مَقْضِيٌّ حَصَلَ، فَكَمْ قَدْ غَرَّ
سَرَابُ هَذَا الْمَقَالِ مِنَ الْعُقَالِ، وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْآمَالِ .

وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ مُنْتَظِرٍ بِكَثْرَةِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا
فَانْهَضَ إِذَا ضَيَّقَتْ دَرْعاً بِالْأُمُورِ وَلَا تَقْعُدْ وَقُمْ مُسْتَشِيرًا وَانْتَظِرْ فَرَجًا

فَلَمَّا سَمِعَ النَّسْرُ مَقَالَهُ وَدَّعَهُ وَطَارَ، وَقَالَ: لَعَلَّ فِي الْإِنْتَظَارِ بُلُوغُ الْأَوْطَارِ،
وَأُثْبِتَ فِي نَفْسِهِ الرَّجُوعَ، وَقَالَ: أَمْنَعُ عَيْنِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَذَّةِ الْهَجْرِ، وَقَالَ: أَصْبِرْ
عَلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَمَنْ طَلَبَ عَظِيمًا خَاطَرَ بِعَظِيمٍ، وَبِالصَّبْرِ يَحْلُو صَابِ
الْمَصَابِ، وَبِالْجَلْدِ تَصَابُ أَغْرَاضُ الصَّوَابِ، وَمَنْ لَمْ يَتَحَمَّلْ أَعْيَاءَ الْأَثْقَالِ، وَلَمْ
يَصْبِرْ لَصَعَابِ الْأَهْوَالِ، تَكَثَّرَ صَفَاءُ مَسْرَّتِهِ، وَقَعَدَ قَائِمُ سَعَادَتِهِ، وَخَذَلَهُ الزَّمَانُ،
وَقَتْلَهُ الْحَرَمَانُ .

ثُمَّ سَقَطَ عَلَى بَعْضِ الْأَشْجَارِ مَتَوَخِّيًا بِزَعْمِهِ مَضِيَّ النَّهَارِ، وَأَدْرَكَهُ اللَّيْلُ
فَنَامَ، وَغَرِقَ فِي بَحْرِ الْكُرَى وَعَامَ، وَكَلَّمَا حَرَّكَتْ سَوَاكِنَهُ دَاعِيَاتُ الطَّلَبِ،
وَأَقَامَتْ قَاعِدَهُ مَزَعِجَاتُ الْأَرْبِ. قَالَ: اللَّيْلُ بَعْدُ فِي إِبَّانِ شَبَابِهِ وَلَعَلَّهُ مَا جَاءَ
الْمَلِكُ مَعَ أَصْحَابِهِ، وَسَاعَةَ تَكْفِي الْعَاقِلِ، وَلَمَحَّةِ تَشْفِي الْفَاضِلِ، وَكَثْرَةِ
الْحَرَصِ تَسَبُّبِ الْحَرَمَانِ، وَرَبِّمَا أَفْضَتْ فَوَارِطُ الطَّلَبِ إِلَى الْهَوَانِ، وَاغْتَنَامِ رَاحَةِ
سَاعَةِ مِنَ الْعُمَرِ، فَرَصَةِ جَادَ بِهَا بِخَيْلِ الدَّهْرِ، وَكَمْ نَائِمٌ حَصَلَ مُرَادُهُ، وَسَاهِرٌ

(١) الْمَقْرُ، وَالْمَقَرُّ: الْحَامِضُ، أَوْ الْمَرَّ .

أخطاه إيساعده .

ولم يزل في رؤيا أحلام الأباطيل، وإقامة المعاريض الفاسدة التأويل، حتى وَصَحَ فَلَقَ الصُّبْحَ من مَشْرِقه، وتمزَّقت عنه جلايب غسقهِ، وبدا حاجب أمَّ النجوم، وامتدَّت أشعَّتُها على التُّخوم، فتنَّبه من رقدة غفلته، وطار من وَكْرِ جَهَنَّمِ، ولمَّ رَوْضَةُ البَلْبَلِ طائراً، ونزل عليها دَهْشاً حائراً، وقد تفرَّق جمع المَلِكِ في السَّككِ تفرَّق الشَّهْب في الفلك، وغُلِّقت أبوابها، وتفرَّقت أصحابها .

فقال له البلبل: يا هذا، ما الذي شغلك حتَّى أشغلك، وما الذي مَنَّكَ حتى عدمت مَنَّكَ؟ أما علمت أنَّ من استلذَّ المنام، واستطاب الأحلام، عَدِم المرام، ووجَّه عليه الملام، وأنَّ من شدَّ وسط اجتهداه، وصل إلى بلوغ مراده، وبصدق الطلب، تدرك قاصية الأرب، ومن ركن إلى إطالة البطالة، استحالت منه صورة الحالة. والليل مطايا الأحرار إلى بلوغ الأوطار، ونجائب ذوي الألباب إلى بلوغ المحاب .

فلما أكثر البلبل على النسر العتاب، وانغلقت عنه أبواب الصواب، ودَّعه وطار، وقد عدم الأوطار، وكذلك حال ذوي الأحوال، ومن له دعوى الصُّدق في المقال، والعُقَّال يؤاخذون بخطراتهم، ويطالبون بعثراتهم... (١) .

مما جاء في الكلام المنشور (٢)

من رسالة لبعض فضلاء أصفهان. ذكر فيها وصف الرياض ومفاخرة الرياحين، وفضل فيها الورد، وانتهى بعد ذلك إلى وصف البلبل فقال: فلما ارتفع صدرُ النهار، وانقطع جدال الأزهار، سُمِع من خلل الحديقة

(١) أقول كما قال العماد في خريدته: وأتمَّ الرسالة بفصل وعظي ليس من شرط الكتاب .

(٢) نهاية الأرب للنويري ٢٥٢/١٠ .

زقزقة عندليب، قد اتخذ وكراً على حاشية قليب، كان ستر به عن الجمع،
ويجعله دريعة لا شقاق السمع، وحين أتقن ما وعاء، وأودعه سمعه وأزعا،
انتحي غصناً رطيباً، فأوفى عليه خطيباً، ثم قال :

يا فتنة الخليفة، لقد جئت بالشنعاء الفليقة^(١)، وربّ بسم استحال
أحتداما، ولن تعدم الحسناء ذاما، إلام ترفل في دلال زهوك وتغفل عن ردائل
مهوك، وحتام تتيه على الأكفاء والأقران كأنك أنت صاحب القرآن، ألسنت من
عجبك بنفسك، واسترابتك بأبناء جنسك، لا تزال مشتملاً شوك الغصون،
معتمصاً منها بأشباه المعازل والحصون، لكنك متى انقضى مهب الشمال،
وعدل عن اليمين إلى الشمال خيف عليك نفخ الإحراق، وتعرّيت من حلل
الأوراق، وأصبحت للأرض فراشا وتلعب بك الهواء فعدت فراشا. ثم ما قدر
جورتك حتى تجور، وهل ينتج حضورك إلا الفجور؟ هذا إذا كنتم على الأصل
الثابت، وعرفتم في أكرم المغارس والمنابت، فكيف وأنتم بين رملٍ وجبلي،
ونهبوري أو تيهوري^(٢)، وهب أنك ورهطك تفرّدتُم بممايلة القدود، وتوحّدتُم
بمشابهة الخدود، وصيرتم درر البحور، وعُلّقتُم على الجباه والنحور، وتحولتم
جُمَاناً ومَرَجَاناً وحُلّيتُم مناطق وتيجانا، أقدرتم على، مباراة الشحارير، ومجاراة
القماري النحارير؟ أم ملكتم تهيج البلابل^(٣) قبل أصوات البلابل، أم وجدتم
سبيلاً إلى ولوج القلوب والأسماع، واتخاذ الطرب والسّماع؟ هيهات هيهات،
بعد عنكم ما فات، بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الغصون والأوراق، إنما
يكمل صيتكم بنغمات أصواتنا، وتزهو غناؤكم بصحّة غنائنا، ويحسن تمايل

(١) الفليقة: الأمر العجب، والداهية.

(٢) النهور: ما أشرف من الأرض والرمل، وقيل: الحفرة بين الأكام، والجمع نهابير. التيهور من
الرمل: ما له جرف، وقيل: ما اطمأن من الأرض.

(٣) البلابل: الأشجان.

دوحكم بترنمنا ونوحنا، و يروق غدیرکم بهدیرنا، و يشوق تهذلكم بهدیلنا، لم
تزالوا حَمَلَة أثقالنا، ومهود أطفالنا، وجیاد شُجعاننا، ومنابر خطبائنا، فروعُكم
محطُّ أزلحنا، ورؤوسكم مساقط أرجلنا. إذا أوفى مُطربنا على عُوده، وعبث
بِمَلَوَى عُوده، وشدَّ المثلث والمثاني، شدَّ الثقيلين الأول والثاني، فقد أحيا
باللحن الأيكي، وبذَّ يحيى المهكي^(١) وأعاد إبراهيم^(٢)، كحاطب الليل البهيم،
وخرق له الأثواب مَخارق^(٣) طرباً وحسداً، ولم يسلم منه سليم^(٤) غيظاً وكمداً،
وأخذ قلب ابن جامع^(٥) بمجامعه، وطوّقه من الاقرار غلاً بمجامعه، حتى كأنه
بصحة ضربه وإتقان أوتاره، يطلب عندهم قديم أحقاده وأوتاره .

مما قيل فيه شعراً

قال شاعر يصف الشحور^(٦) :

ورَوْضَةٌ ظَهَرَتْ أَغْصَانُهَا وَشَدَتْ أَطْيَارُهَا وَتَوَلَّتْ سَقِيهَا السُّحْبُ
وَوَلَّ شَحْرُورُهَا الْغَرِيْدُ تَحْسَبُهُ أَسْوَدًا زَاِمِرًا مِزْمَارُهُ ذَهَبُ
وقال ابن النقيب عبد الرحمن بن محمد الحسيني^(٧) :

لهفي لشُحْرُورٍ أَلِفْتُ بِسُحْرَةٍ تَرْنَامُهُ هَزَجًا بِصَوْتٍ جَارِحٍ
حَوْ قَوَائِمُهُ دَجُوجِي الْكِسَا حُمِرٍ مَلَأْتُهُ طُرُوبٍ فَادِحٍ^(٨)

(١) هو يحيى بن مرزوق المغني . انظر ترجمته في الأغاني ١٦٣/٦ .

(٢) هو إبراهيم الموصلي المغني العالم . ترجمته في الأغاني ١٤٢/٥ .

(٣) هو مخارق بن يحيى المغني المشهور وكانت له عند هارون الرشيد منزلة عظيمة . ترجمته في
الاعلام للزركلي ٦٨/٨ .

(٤) هو سليم بن سلام الكوفي تلميذ إبراهيم الموصلي في الغناء . ترجمته في الأغاني ١٥٤/٦ .

(٥) هو إسماعيل بن جامع القرشي، ترجمته في الأغاني ٢٧٣/٦ .

(٦) حياة الحيوان للدميري ٥١/٢ .

(٧) ديوانه ٦٩ .

(٨) الحوة: سواد إلى الخضرة. دجوجي الكسا: أسود الريش.

يُشْجِي الْقُلُوبَ بَرْنَةً تُذَكِّي الْجَوَى
يَرْتَادُ كُلَّ حَدِيقَةٍ غَنَاءً قَدْ
فِيحُلُ فِي فَنٍّ وَيَعْلُو آخِرًا
مُتَنَقِّلًا فِي الدَّوْحِ فَوْقَ غُصُونِهِ
يَنْدَى بِمُتَحَلِّ الرِّذَاذِ جَنَاحُهُ
عَاهِدْتُهُ أَنْ لَا يَزَالَ مُسَاجِلِي
يَشْكُو فَاسْمَعُ مَا يَقُولُ وَأَنْثِي
وقال أحمد الصافي النجفي (٢) :

أَلَا يَا بُلْبَلًا فِي الصُّبْحِ يَشْدُو
تُصَلِّي فِي غِنَائِكَ كُلَّ صُبْحٍ
أَتَيْتَ لُطْرِبَ الدُّنْيَا بِلَحْنٍ
رَأَيْتَكَ شَاعِرَ الدُّنْيَا جَمِيعًا
نَظَرْتَ الْكَوْنَ فِي هَمٍّ وَغَمٍّ
حَرِيٌّ بِالطُّيُورِ غَدَاةً تَشْدُو
أَلَسْتَ خَطِيئَهَا الْفَدَى الْمُجَلِّي
فَلَيْتَ النَّاسَ مِثْلَ الطَّيْرِ صُبْحًا
وله أيضاً (٣) :

لَحْنَكَ يَا صَدَّاحُ يَا غَرِيدُ
رَدَّدَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَ التَّرْدِيدُ
وَيَسْتَفِيقُ أَهْلُهُ الْهَجُودُ
فَأَنْتَ أَنْتَ الْعَاقِلُ الْوَحِيدُ
عَسَى يُفِيقُ النَّائِمُ الْوُجُودُ
نَاسٌ عَلَى شَوْكِ الْأَسَى رُقُودُ

(١) العقابيل: الشدائد، وبقايا العلة، والعشق.

(٢) ديوانه الموسوم بـ (شرر) ١٦.

(٣) ديوانه (شرر) ١١٧.

هُم بُلْدَاءُ عَيْشُهُمْ بَلِيدُ
غَرْدُ فَرُوحِي مِنْكَ تَسْتَزِيدُ
فِي الصُّبْحِ تَأْتِي وَالْوَرَى هُمُودُ
لَوْ نَالَ مِنْهُمْ دَرْسُكَ الْمُفِيدُ
يَا طِيبَ مَا تُبْدِي وَمَا تُعِيدُ
قَدِيمُهُ فِي سَمْعِنَا جَدِيدُ
مُعَلِّمٌ وَدَرْسُهُ مَحِيدُ
تَقُولُ فِيهِمُ الْهَمُّ وَالتَّنْكِيدُ
عَنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ لَكُمْ ظَمْحِيدُ
وَأَنْتُمْ وَالْهَمُّ وَالْقِيُودُ

وقال ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي (أحمد بن علي) في البلبل (١) :

وَوَرْدِيَّةِ الْجَلْبَابِ أَعْجَبَهَا الْوَرْدُ
تُرِيكَ اضْطِرَابَ الرَّاقِصَاتِ إِذَا انْثَنَتْ
أَتَتْ وَبِطَاحِ الْأَرْضِ تُجَلَّى عَرَائِصُ
وَقَدْ أَبَدَتْ الدُّنْيَا مَحَاسِنَ وَجْهَهَا
وَسَاعَدَهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَفَضْلُهُ
فَعَنَّتْ غِنَاءَ الشَّرْبِ أَنْشَتَهُمُ الطَّلَا
أَكْلًا يَثِيرُ الْوَجْدُ كَامِنَ حُزْنِهِ

وقال بعض فضلاء أصبهان (٢)

أَعْجَمِيُ اللِّسَانِ مُسْتَعْرِبُ اللَّحْ
نِ يُعِيدُ الْخَلِيَّ مَسْبَأً عَمِيدَا

(١) ديوان ابن خاتمة الأنصاري/ ٩٨ .

(٢) نهاية الأرب ٢٥٥/١٠ .

كُلُّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ فَرْطِ شَجْوٍ مُظْهِراً فِي الْغِنَاءِ لَحْناً جَدِيداً
تَارَةً يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطاً وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوَراً نَشِيداً
مَعْبُودٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا وَلَيْدٌ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيداً^(١)
ظَلٌّ عَنِ الْإِلْفِ وَأَقْلَقُهُ الْوَجْدُ لَدُ فَاْمْسَى بُكَاءُهُ تَغْرِيداً

وقال جميل صدقي الزهاوي^(٢) :

لَقَدْ سَمِعْتُ هَزَاراً فِي الرُّوضِ يَدْعُو هَزَاراً
تَجَاوَبَا فَوْقَ غُصْنِي مِنْ سَاعَةٍ ثُمَّ طَارَا

وقال السيد أحمد الصافي النجفي^(٣) :

مَاذَا تُثْرِثُرُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ يَا خَيْرَ فَنَانٍ وَأَبْلَغَ شَاعِرِ
غَرَّدَ فَدَيْتُكَ بِالْغِنَاءِ السَّاجِرِ فَلَأَنْتَ قُدْوَةٌ نَاطِمٌ أَوْ نَائِرِ
لِلطَّيْرِ أَسْمَعُ جَوْقَةً لَكِنْ بِهَا أَنْتَ الْمُعَلِّمُ رَغَمَ كُلِّ مُكَابِرِ^(٤)
أَبْدَأُ تُخَاطِبُهَا بِلَحْنٍ نَائِرِ فَتُجِيبُ فَاتِرَةً بِلَحْنٍ فَاتِرِ
مَاذَا تَعْلَمُ غَيْرُ جَنْسِكَ جَاهِدًا عَلَّمَ صِغَارَكَ لَا صِغَارَ أَكَابِرِ
هَيْهَاتَ يُجِدِي الطَّيْرَ تَعْلِيمُ الْغِنَا إِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ خَلْقَ حَنَاجِرِ
كَرَّرَ غِنَاكَ فَلَيْسَ غَيْرِي سَامِعًا فَالْعَبَقْرِيُّ مُخَاطَبٌ لِعَبَاقِرِ
أَسَفًا يَضِيعُ غِنَاكَ دُونَ مُسَجِّلِ يَا لَيْتَ لِحْنِكَ مُثَبَّتٌ فِي الْخَاطِرِ

(١) هو معبد بن وهب نابغة الغناء في العصر العباسي . ترجمته في الأغاني ٤٧/١ ، لبید، هولید بن ربیعة من فحول الشعراء المخضرمين، ومن أصحاب المعلقات السبع . ترجمته ومصادرہا فی أنوار الربیع ٧٦/٢ .

(٢) دیوانہ ١٨٤/١ .

(٣) دیوانہ (شرر) / ٣١ .

(٤) الجوقة: الجماعة من الناس، قيل هي دخيلة أو معربة، ثم استعملت في الجماعة الواحدة لمسارح الغناء والتمثيل المسرحي ونحو ذلك .

بَكَ أَثْمَرَتْ هَذِي الْغُصُونُ فَجَعَلَتْنا
هَلْ فِي زُهُورِ الْأَرْضِ مِثْلُ بَلَابِلٍ
بِثْمَارِ أَسْمَاعِ لَنَا وَمَشَاعِرِ
هَلْ فِي الْوُجُودِ سِوَى وَجُودِ الشَّاعِرِ
وَقَالَ أَيْضاً مَفَاضِلاً بَيْنَ الْبَلْبَلِ وَالْعَصْفُورِ^(١) :

أَيَا بُلْبُلًا هَزَّ الْمَحَافِلَ شَدْوُهُ
لِعَصْفُورِي الدُّورِيِّ فَوْقَكَ لِي هَوَى
وَعَصْفُورِي الدُّورِيِّ لِلشَّعْبِ يَنْتَمِي
وَأَنْتَ مَغْرُورٌ بِلَحْنِكَ صَاحِبُ
وَلَمْ يَنْغِ عَصْفُورِي سَمَاعاً لِلْحَنِيهِ
وَذَاكَ يُغْنِي بَعْضَ حِينٍ وَيَنْتَهِي
وَذَاكَ بَارِضٍ الدَّارِ يَقْفُزُ سَاكِتاً
يُرْقِزُ عَصْفُورِي وَيَذْهَبُ سَاعِياً
وَأَنْتَ عَلَى أَغْصَانِ رَوْحِكَ هَاتِفُ
أَرَى فِيكَ أَخْلَاقَ الْمُغْنِيِّ وَطَبْعَهُ
وَأَنْتَ مُغْنِي الْمُتَرْفِينَ بِدُورِهِمْ
وَتَحْيَى بِدُورِ الْأَغْنِيَاءِ كَشَاعِرِ
وَأَنْتَ كَأَصْحَابِ الْحُظُوظِ مُنْعَمٌ
وَأَنْتَ كَالْجِنْسِ اللَّطِيفِ مُدَلِّلُ
فَإِنْ لَمْ يَثُرْ يَوْماً عَلَيْكَ لِحَقُّهُ
وَأَصْبَحَ يَلْهُو لَحْنُهُ بِالشَّاعِرِ
لَأَنَّكَ مُخْتَصَّ بِدُورِ الْأَكَابِرِ
وَأَنْتَ بِمَغْنَى لِلْعُرُوشِ مُجَاوِرِ
لِفَنِّكَ تَدْعُونَا بِصَوْتِ مُفَاجِرِ
وَتُقْلِقُنَا مِنْ لَحْنِكَ الْمُتَوَاتِرِ
وَأَنْتَ كَثَرْتَارِ النِّسَاءِ الْهَوَازِرِ
وَتُسَكِّنُنَا مِنْ سَجْعِكَ الْمُتَكَاثِرِ
لِرِزْقٍ وَيَمْضِي مِنْ مَكَانٍ لِآخِرِ
كَأَنَّكَ مَخْلُوقُ خَطِيبٍ مَنَابِرِ
وَأُبْصِرُ فِي الْعَصْفُورِ أَخْلَاقَ طَائِرِ
وَذَاكَ مُغْنِي كَادِحٍ أَوْ مُسَافِرِ
وَذَلِكَ مِثْلِي لَمْ يَعْشَ عَيْشَ شَاعِرِ
وَذَاكَ كَأَصْحَابِ الْجُدُودِ الْعَوَاتِرِ
وَذَاكَ لَصَيْدٍ أَوْ لِسَكِّينٍ جَازِرِ
فَإِنَّ دِفَاعِي عَنْهُ ثَوْرَةٌ ثَائِرِ

وَقَالَ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَاجِي (مِنْ الدُّوَيْتِ)^(٢) :

بِالْبَلْبَلِ وَالْهَزَارِ وَالشَّحْرُورِ
يُكْسَى طَرَباً قَلْبُ الشَّجِيِّ الْمَغْرُورِ

(١) دِيوانه (الشَّالال) / ٦٢ .

(٢) حَيَاة الْحَيَوَان ٥١/٢ .

نَهَضَ عَجَلًا وَأَنْهَبَ مِنَ اللَّذَّةِ مَا جَادَتْ كَرَمًا بِهِ يَدُ الْمَقْدُورِ

وقال إيليا أبو ماضي تحت عنوان الكنار الصامت^(١) :

نَسِيَ الْكَنَارُ نَشِيدَهُ فَتَعَالَ كَيِّ نَنَسَى الْكَنَارُ
وَلَيَقْذِفَنَّ بِهِ الْمَلَالُ مِنَ الْقُصُورِ إِلَى الْقِفَارِ
وَلتَرْمِيَنَّ بِرِيشِهِ لِلْأَرْضِ عَاصِفَةُ النَّفَارِ
وَلنَسْتَعْضِرَ عَنْهُ بِطَيْرٍ مِنْ لُجَيْنٍ أَوْ نُضَارِ
لَا لَا فَإِنْ سَكَتَ الْكِنَا رُ فَلَمْ يَزَلْ ذَاكَ الْكَنَارُ
أَوْ كَانَ فَارَقَهُ الصُّدَا حُ فَلَمْ يُفَارِقْهُ الْوَقَارُ
صَمْتُ الْكَنَارِ وَإِنْ قَسَا خَيْرٌ مِنَ النِّغَمِ الْمُعَارِ
صَبْرًا فَسَوْفَ يَعُودُ لِلدِّ تَغْرِيدِ إِنْ عَادَ النَّهَارُ

وقال آخر يصف البلبل^(٢) :

كَيْفَ الْحَيِّ وَقَدْ خَلَعْتُ عَلَى اللَّهِ وَتَعَشَّقْتُ بُلْبُلًا أَنَا مِنْهُ
أَنَا مِنْ رِيشِهِ الْمُذْبِجِ فِي زَهْدٍ وَ عِذَارِي وَقَدْ هَتَكْتُ قِنَاعِي
فِي أَنْزِعَاجٍ إِلَى الصَّبَا وَالتِّيَاعِ مِنْ شَجْوِ صَوْتِهِ فِي سَمَاعِ

وقال السيد أحمد الصافي النجفي مخاطباً البلبل^(٣) :

يَا بُلْبُلًا أَطْرَبْنِي سَجْعُهُ مَا أَرْوَعَ السَّجْعَ وَمَا أَرْوَعَكَ
هَبْ لِي مِنْ رُوحِكَ بَعْضَ الْهَنَاءِ لِأَنْعِشَ الرُّوحَ وَأَشْدُو مَعَكَ
هَبْ لِي مِنْ عَيْشِكَ جُزْءًا عَسَى أَقْنَعُ بِالْعَيْشِ الَّذِي أَقْنَعُكَ
تَرْجِعْ لِي فِي كُلِّ صُبْحٍ لَكِي تُعْطِينِي الدَّرْسَ فَمَنْ أَرْجَعُكَ

(١) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/ ٤٧٥ .

(٢) نهاية الأرب ١٠/ ٢٥٢ .

(٣) ديوانه (الشلال)/ ٣٠ .

تُوقِظُنِي مِنْ نَوْمَتِي مُبَكِّرًا
تَرُومُ رَفْعِي لِلسَّما شادِيًا
طَرُنَا وَلَكِنْ بِغَلَا ظائِنَا
تَعَجُّبُ مِنْ طَيْرٍ غَرِيبٍ أَتَى
هَيْهَاتَ أَنْ تَأْلَفَهُ طَائِرًا
طَيْرٌ بَلَا رُوحٍ وَلَا رَاحَةٍ
وقال أيضاً^(١):

غَرَّدَ وَنَاجِ الغُصْنِ وَالوَرَقَا
تَقْضِي حَيَاتَكَ كُلَّهَا مَرَحًا
وَنَطَقْتَ بِالْأَلْحَانِ صَادِقَةً
لَسْتَ الْمُلَجِّنَ فِي تَجَارِيهِهِ
إِنَّ الْمُعَلِّمَ فِي وَسْوَيسِهِ
لَيْسَ الْمُعَلِّمُ غَيْرَ خَالِقِنَا
لِلَّهِ دِينُكَ مَا أَلْيَظْفَهُ
وله أيضاً^(٢):

نَفَدَ الْقَوْلُ لِي فَجَدَّدُ غِنَاكَ
أَنَا أَذْكَى أَمْ أَنْتَ بَنِي أَذْكَى
وَأَنَا حَائِرٌ كَجِيزَةِ عَقْلِي
إِنْ سَجَنَّاكَ دُونَ ذَنْبٍ فَعُدْرًا
سُخْنُنَا قَدْ جَنَى غَلِينَا وَلَمَّا
إِنَّ دَرَسِي نَسِيْتُهُ فِي نَوَاكَ
أَنْتَ تَجْرِي كَمَا الْإِلَهُ بَرَاكَ
فَلَكَ السَّعْدُ مُطْلَقًا مِنْ جِجَاكَ
مِنْ جِجَانَا بَلَاؤُنَا وَبِلَاكَ
فَاضَ عَنَّا طَغَى لِأَعْلَى ذُرَاكَ

(١) ديوانه (شعر) ٣٧.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧.

وله أيضاً^(١) :

يا يُبْلِلُ الصُّبْحَ أَقْتَرِبُ
لَوْ كُنْتُ تَعْرِفُ صَبَوَتِي
إِنِّي أَخُوكَ وَإِنْ حُرِمْتُ
رُوحِي كَرُوحِكَ طَاهِرٌ
وَأُطِيرُ مِثْلَكَ فِي الْفُضَا

وله أيضاً^(٢) :

تَلَأَفَى بِرَوْضِ بُلْبُلَانٍ فَوَاحِدُ
لَهُ حَوْلُهُ مَا يَشْتَهِي مِنْ فَوَاكِهٍ
وِثَانٍ طَلِيقٌ بَاحِثٌ عَنْ غَذَائِهِ
فَنَادَاهُ ذُو الْعَيْشِ الرُّغِيدِ أَلَا ابْتَدِرْ
إِلَامَ طَوَافٍ مُزْمَنٍ وَتَشْرُدُ
وَأَرْقُدُ مِلءَ الْعَيْنِ لَمْ أَخْشَ صَائِدًا
أَقْضِي نَهَارِي بَيْنَ رَقْصٍ إِلَى غِنَا
هَلُمَّ لَعَيْشِي الْحُلُوِّ قَالَ رَفِيقُهُ

وقال أبو الفضل علي بن المظفر الآمدي قاضي واسط^(٣) :

وَأَهَالَهُ ذِكْرُ الْجَمَى فَتَأَوَّاهَا
هَاجَتْ بَلَابِلُهُ الْبَلَابِلُ فَاثْنَتَتْ
فَشَكَا جَوَى وَبَكَى أَسَى وَتَنَبَّهَ أَلْ
وَدَعَا بِهِ الصَّبَا فَتَوَلَّاهَا
أَشْجَانُهُ تَثْنِي عَنْ الْجِلْمِ النَّهْيُ
وَوَجَدُ الْقَدِيمِ وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَبِّهًا

(١) ديوانه (شعر) ١١٨ .

(٢) نفس المصدر/ ١١٩ .

(٣) حياة الحيوان للدميري ١/ ١٥٥ .

لا تُكْرِهُهُ 'عَلَى السُّلُو فَطَالَمَا حَمَلَ الْغَرَامَ فَكَيْفَ يَسْلُو مُكْرَهَا

وقال السيد أحمد الصافي النجفي وقد سمع في رياض (مضايا) من المصائف السورية بلبلاً يغرد فذكره بالبلبل الذي كان يوقظه عند الصباح في صيدا - بلبنان - والذي نظم فيه معظم أشعاره في البلبل^(١):

تُغَرِّدُ كَالْبُلْبُلِ الْأَوَّلِ	أَنْتَ أَخُو ذَلِكَ الْبُلْبُلِ
لَقَدْ شَطَّطِ الدَّارُ مَا بَيْنَنَا	فَجِئْتَ تُجَدِّدُ ذِكْرَهُ لِي
لَقَدْ كَانَ ذَاكَ أَخِي بُرْهَةً	فَأَنْتَ أَخِي فِي اللَّقَا الْأَوَّلِ
فَغَرَّدَ فَأَنْتَ بِهِذَا الْغِنَا	ءِ تُصِيبُ هُمُومِي فِي الْمَقْتَلِ
أَتَعْرِفُنِي مُصْغِياً مِثْلَمَا	عَرَفْتِكَ يَا شَادِي الْجَدُولِ
سَمِعْتُكَ تَشْدُو فَقُلْ أَيْنَ أَنْتَ	فَرْتُلْ لِكِي أَهْتَدِي رَتْلِ
تَخَذْتُ غِنَاكَ دَلِيلِي إِلَيْكَ	وَسِرْتُ عَلَى وَحْيِكَ الْمُنْزِلِ
فَلَا تَقْطَعْ اللَّحْنَ لِي أَنْقَطِعْ	عَنِ الْقَوْلِ يَا هَادِياً مِقُولِي
أُرَدِّدُ مَا قُلْتَ لِي لِإِلْأَامِ	خُطِيبَيْنِ فِي الرُّوضِ وَالْمَحْفَلِ
فَمِنْكَ اسْتَقَيْتُ نَمِيرَ الْبَيَانِ	وَتُسْقَى مِنَ الْخَالِقِ الْمُفْضِلِ
وَهَا قَدْ سَكَتُ لَدُنْ أَنْ سَكَتَ	وَسَافَرْتَ عَنْ رَوْضِكَ الْمُخْضِلِ
فَطِرْ هَائِثاً وَغَدَاً نَلْتَقِي	وَمَوْعِدُنَا ضِفَّةُ الْجَدُولِ

وقام أيضاً^(٢):

يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ الْأَرِيضِ تَرَنَّمْ	وَارَوْ الْحَقِيقَةَ فِي بَيَانِكَ وَأَسْلَمْ
فَلَأَنْتَ حِينَ تَقُولُ مَا لَمْ تَفْهَمْ	طِفْلٌ يَكْلُمُنَا بِلَفْظِ مُبْهَمْ
أُرَوِّحُنَا فَهَمَّتْ كَلَامُكَ لَا الْحِجَى	لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَصِيحٍ أَعْجَمِي

(١) ديوانه (شرر) / ٤٨ .

(٢) ديوانه (شرر) / ٣٠ .

لُغَةَ النُّفُوسِ مَلَكَتْهَا فَنَطَقَتْهَا وَالنَّفْسُ لَيْسَ بِحَاجَةٍ لِمُتَرْجِمٍ
كَرَّرْتَ قَوْلَكَ شَارِحاً فَفَهَّمْتُهُ مَهْلاً لِأَشْرَحَهُ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْ
هَيْهَاتَ لَا أَسْتَطِيعُ تَفْهِيمَ الْوَرَى فَاصْدَحْ كِلَانَا نَاطِقٌ كَالْأَبْكُمْ
مُتَفَاهِمَانِ مَعاً وَإِنْ لَمْ يَفْهَمُوا مَا قَالَهُ فَمَكَ الْمُحِبُّ أَوْ فَمِي
فَالنَّاسُ كَالْبَيْغَاءِ لَيْسَ لِنُطْقِهَا غَرَضٌ تُؤَدِّيهِ وَإِنْ تَتَكَلَّمُ
فِي الطَّيْرِ بَيْغَاءٌ تُمَثِّلُ مَعْشَرِي وَأَنَا بِهِمْ كَالطَّائِرِ الْمُتَرَنِّمِ

وقال أبو هلال العسكري في وصف بلابل (١) :

مَرَرْتُ بِذِكْنِ الْقُمْصِ سُودِ الْعَمَائِمِ تُغْنِي عَلَى (أعراف) غَيْدِ نَوَائِمِ (٢)
زُهَيْنَ بِأَصْدَاغٍ تَرُوقُ كَأَنَّهَا نُجُومٌ عَلَى أَعْضَادِ أَسُودٍ فَاحِمِ
تَرَى ذَهَباً أَلْفَتْهُ تَحْتَ مَاخِرٍ لَهَا وَلَجِيناً بَطْنُهُ بِالْمَقَادِمِ
فِيَا حُسْنَ خَلْقٍ مِنْ نُضَارٍ وَفَضَّةٍ وَخَزٍّ وَدِيْبَاجٍ أَحْمَ وَقَاتِمِ

وقال إبراهيم منيب الباجه جي يرثي بلبل (٣) :

بُلْبُلٌ هَاجَهُ الْغَرَامُ فَغَنَّى فَوْقَ أَغْصَانٍ بَانَةٍ تَتَشَنَّى
قَابِلُ الصُّبْحِ هَائِماً وَهُوَ يَشْدُو يَنْشِيدُ يُشْجِي فَوَادَ الْمُعْنَى
قُرْبَ جُورِيَّةٍ أَمَاطَتْ لِثَاماً عَنْ مَحِيَا زَهَا جَمَالاً وَحُسْنَا
هَامٌ وَجُوداً بِجَبْهَا وَحَرِيٍّ يَهَوَاهَا إِنْ هَامَ وَجُوداً وَجُنَا
مَنْحَتْهَا قُوَى الطَّبِيعَةِ حُسْنًا وَجَمَالاً لَغَيْرِهَا مَا تَسْنَى
لَوْعَةُ الْحُبِّ لَمْ تَدْعَ فِيهِ صَبْرًا كُلُّ آيٍ تَرَاهُ يُبْدِلُ غُصْنَا

(١) ديوان المعاني ١٤٢/٢ .

(٢) (أعراف) ، كذا ورد ، وهو جمع العُرف (بالضم) ، وللعرف معان كثيرة أقربها مثلاً : شجر الأترج ، وإخال الكلمة محرفة ، صوابها (أطراف غيد نواعم) . يريد بالغيد النواعم : الأغصان الغضة الناعمة .

(٣) شعراء بغداد ١٠/١ .

كَلَّمَا هَمَّ أَنْ يَطِيرَ إِلَيْهَا ثَبَطَ الْوَهْمَ عَزَمَهُ فَتَأَنَّى
يَتَغَنَّى أَنَا وَيَسْكُتُ أَنَا مُشْرِئاً لغيرِ طَيْرٍ تَغْنَى
نَعْمَاتٍ تُثِيرُهَا نَعْمَاتٍ مِنْ طُيُورٍ تُجِيدُ ثَمَّةَ لَحْنَا
هَاجَهَا الْوَجْدُ وَالْغَرَامُ فَغَنَّتْ بِقَوَافٍ رَقَّتْ أَدَاءً وَمَعْنَى

* * *

بَيْنَمَا كُنْتُ فِي مَرَاتِعِ أَنْبِي ثُمَّ أَرَعَى أَثْمَارَ عَيْشِي الْمُهْنَى
فَاجَأَتْنِي بَارُودَةٌ بِدَوِيٍّ أَسْكَنْتُ كُلَّ طَائِرٍ قَدْ تَغْنَى
أَطْلَقْتُهَا يَدُ الْقَضَاءِ لِتَقْضِي عُمَرَ ذَا الْبُلْبُلِ الشَّجِي الْمَعْنَى
لَا تَسَلْ كَيْفَ فَارَقَ الرُّوحَ قَسْراً بَعْدَمَا حَرَكَ الْجَنَاحَ وَأَنَا
وَأَنَا نَاطِرٌ إِلَيْهِ بَعَيْنَ ذَرَفْتُ دَمْعَهَا فُرَادَى وَمَشْنَى
وَلِمَثْلِي يَشْجُو لِكُلِّ شَجِيٍّ وَلِمَثْلِي يَيْكِي عَلَى كُلِّ مُضْنَى

وقال الشيخ مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن الظهير
الأربلي الحنفي أبو عبد الله^(١) مُلغزاً في بلبل :

وَمَا إِسْمٌ ثُنَائِي رُبَاعِيٍّ بِلَامَيْنِ
كَلَا شَطْرِيهِ إِنْ ضُوعِدَ فَفِغْلَانِ بِلَامَيْنِ
وَإِنْ خَاطَبْتُ مَأْمُوراً بِهِ عَادَ كَلَامَيْنِ
وَإِنْ حَرَفْتُ حَرْفَيْنِ غَدَا فِعْلاً وَحَرْفَيْنِ

وقال رياض المعلوف تحت عنوان (الهزار المنتحر)^(٢) :

كُنْتُ طَلَقَ الْجَنَاحِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ يَا هَزَارِي تَخْتَالُ بَيْنَ الْغُصُونِ

(١) الوافي بالوفيات ١٢٧/٢ .

(٢) الشعر العربي في المهجر/٣٢٢ .

أَسْرَتَكَ الْأَقْفَاصُ كَمْ تَتَنَهَّدُ فِي جَوَارِي بَحْرِقَةٍ وَشُجُونِ
أَيْنَ تِلْكَ الْأَعْصَانِ مِنْ قُضْبَانِكَ وَالْجَدَاوِلِ وَقَهْقَهَاتِ الْأَزَاهِرِ
أَيْنَ تِلْكَ الْآيَاتِ مِنَ أُلْحَانِكَ فِي الْخَمَائِلِ وَحُسْنِ صَوْتِكَ سَاجِرِ

* * *

كُنْتُ فِي الدُّوْحِ آمِنًا بِصُدَاحِكَ مُتَضَاحِكَ مِنَ الْوَرَى مُتَشَائِمِ
غَيْرَ اللَّحْنِ بَعْدَ قَصِّ جَنَاحِكَ بِنَوَاحِكَ فَصُرْتُ بِالْهَمِّ وَاجِمِ
بِجَنَاحِ جَرَبَتْ فَكَ سَرَاحِكَ فَتَكَسَّرَ بِكَرَّةٍ وَبِفِرَّةٍ
خَضِبَ الرِّيشُ مِنْ دِمَاءِ جِرَاحِكَ وَتَحَيَّرَ فَبِتَ لِلنَّاسِ عِبْرَةُ

* * *

مِتَّ أَسْرًا فَكَفَنْتَكَ وَرُودُكَ وَالزَّنَابِقُ بِمَوَكِبِ يَتَهَادَى
وَرَيْتَكَ الْأَطْيَارُ وَهِيَ جُنُودُكَ وَالشَّقَائِقُ مُقْطَبَاتُ حِدَادَا
إِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْجَمَالِ بِصَوْتِكَ فِي إِسَارِكَ يَا فِتْنَةَ لِلنَّوَاطِرِ
سَبَبَ الْحُسْنِ شَتَمَهُ عِنْدَ مَوْتِكَ وَأَنْتِ حَارِكُ فَمِتْ مِيتَةَ شَاعِرِ

وقال معروف الرصافي تحت عنوان (البلبل والورد) (١) :

إِنَّ بَلِيلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ لَمَّا جَرَى فِي الْمَرْبَعِ الْمُخِيلِ
أَخْبَرَ رِيَاهُ أَصْحَ الْخَبَرِ عَمَّا جَرَى فِي الرُّوضِ لِلْبُلْبُلِ

* * *

إِذْ هُوَ مُدُّ أَلْقَى بِهِ نَاطِرَةً مِنْ بَعْدِ مَا ثَغَرَ الصَّبَاحُ ابْتَسَمَ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةٌ زَاهِرَةٌ وَالطَّلُّ كَاللُّؤْلُؤِ فِيهَا انْتَضَمَ
مَضْمُومَةٌ أَوْرَاقُهَا النَّاصِرَةُ مِثْلُ فَمٍ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمٍ

(١) ديوانه ٢٠٨/٤ .

فَظَلَّ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ رُنُو ظَمَانٍ إِلَى مَنْهَلٍ
وَهِيَ غَدَتْ مِمَّا بِهَا مِنْ خَفَرٍ مُحَمَّرَةً مِنْ نَظَرٍ مُخْجَلٍ

* * *

ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا يُعَلِّنُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
يَنْطِقُ بِالْحُبِّ لَهَا بَائِحًا وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِنِّطَاقَهُ
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِحًا كَأَنَّهَا تَقْصِدُ إِنِّشَاقَهُ
حَتَّى غَدَا الْبُلْبُلُ مِنْذُ الصَّغَرِ فِي حُبِّهَا مُنْطَلِقَ الْمَقُولِ
يُنْشِدُ فِيهَا شِعْرَهُ الْمُبْتَكَّرَ وَلَا يَنِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي^(١)

* * *

أَمَّا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ آغْتَدَتْ لَهَا جَنَاحَ هِيَ مِنْهُ أَكْتَسَتْ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ أَرْسَلَهَا الْبُلْبُلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
تَحْمِلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهْرِ رَسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبُلْبُلِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرُ وَأَسْتَوْجَبَ الْعَطْفَ عَلَى الْمُرْسِلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَأَنْقَضَى وَعَادَتْ الرُّوضَةُ كَالْبُلْقَعَةِ
مَسَّتْ حَشَا الْبُلْبُلِ نَارَ الْغَضَا مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
لَا تَسْأَلِ الْبُلْبُلَ عَمَّا مَضَى فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَا
وَلَكِنْ اسْأَلْ فِي السَّمَاءِ الْقَمَرَ عَنْ خَبَرِ الْوَرْدِ مَعَ الْبُلْبُلِ
إِذْ كَانَ يُصْغِي مِنْهُمَا لِلسَّمَرِ وَهُوَ مُطَلٌّ نَاطِرٌ مِنْ عَلٍ

* * *

(١) إئتلى، وائلى: قصّر وأبطأ.

فَرَّاشَةُ الرَّوْضَةِ ظَلَّتْ إِذَا تَحُومُ وَالْأَزْهَارُ مِنْ تَحْتِهَا
تُقَبِّلُ الزَّهْرَةَ ذَاتِ الشُّدَا طَائِرَةً مِنْهَا إِلَى أُخْتِهَا
وَتَسْأَلُ الْأَزْهَارَ عَمَّا إِذَا مَرَّ فَقِيدُ الْوَرْدِ مِنْ سَمَتِهَا^(١)
لَتُخَيِّرَ الْبُلْبُلَ بَعْضَ الْخَبَرِ لَعَلَّهُ غُمَّتَهُ تَنْجَلِي
فَإِنَّهُ بَاتَ حَلِيفُ السَّهَرِ مُدْنَزَحَ الْوَرْدِ عَنِ الْمَنْزِلِ

وقال إيليا أبو ماضي من موشحة عنوانها البلبل السجين^(٢) :

يَا سَيِّدَ الْمُنْشِدِينَ طُرّاً وَصَاحِبَ الْمَنْطِقِ الْمُبِينِ
لَوْ كُنْتُ بُومًا أَوْ كُنْتُ نَسْرًا مَا بَتَّ فِي أَسْرِكَ الْمَهِينِ
خُلِقْتُ لَمَّا خُلِقْتَ، حُرّاً فَزَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السُّجُونِ
وَأَطْلَقَ الْبُومَ فِي الْفَضَاءِ زَعَمُ الْوَرَى أَنَّهُ دَمِمْ
وَأَنَّهُ غَيْرُ ذِي رِوَاءٍ وَلَا لَهُ صَوْتُكَ الرَّجِيمُ

تَيَّمَكَ الرَّوْضُ فِيهِ حَتَّى تَخَذْتَ بِأَحَاتِهِ مَقَامًا
رَأَيْتَ فِيهِ النَّعِيمَ بَحْتًا وَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ الْأَنَامَا
مَدُّوا الْأَحَابِيلَ فِيهِ شَتَّى أَقْلُهَا يَجْلِبُ الْحَمَامَا
لَوْ كُنْتُ كَالْبُومِ فِي الْجَفَاءِ مَا صَادَكَ الْمَنْظَرُ الْوَسِيمُ
أَصْبَحْتَ تَبْكِي مِنَ الشَّقَاءِ لِيَضْحَكَ الْأَسِيرُ الْمُضِيمُ

وَالْمَرْءُ وَخَشْ فَإِنْ تَرَقَّى أَصْبَحَ شَرًّا مِنَ الْوُحُوشِ
فَخَفُّهُ حُرّاً وَخَفُّهُ رِقًّا وَخَفُّهُ مَلَكًا عَلَى الْعُرُوشِ

(١) فقيد الورد، أي الورد المفقود .

(٢) إيليا أبو ماضي شاعر المهجر/٦٥٣ .

فالشَّرُّ فِي النَّاسِ خَلَقَا وَأَيُّ طَيْرٍ بَغِيرِ رِيشٍ ؟
مَا قَامَ فِيهِمْ أَخُو وَفَاءٍ يَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا رَحِيمُ
فَكُلُّ مُسْتَضْعَفٍ مَرَائِي وَكُلُّ ذِي قُوَّةٍ عَشُومُ

* * *

إِنْ كَانَ لِلْوَحْشِ مِنْ نُيُوبٍ فَالنَّاسُ أَنْيَابُهُمْ حَدِيدُ
مَا كَانَ وَاللَّهِ لِلْحُرُوبِ لَوْلَا بَنُوا آدَمَ وَجُودُ
لَوْ أَمَحَى عَالَمُ الْخُطُوبِ لِقَامَ مِنْهُمْ لَهَا مُعِيدُ
قَدْ نَسَبُوا الظُّلْمَ لِلسَّمَاءِ وَكُلُّهُمْ جَائِرٌ ظَلُومُ
لَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَخُو الثَّرَاءِ وَلَا الْفَتَى الْبَائِسُ الْعَدِيمُ

وقال الشاعر القروي (رشيد سليم خوري) (١) - :

تَائِبُهَا فِي الْمَسَاءِ يَطْلُبُ مَلْجَا وَالْغُيُومُ السَّوْدَاءُ تَهْطُلُ ثُلْجَا
هَجَرَ الْحَقْلِ وَالرُّبَى وَالْمَرْجَا إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الشَّدَائِدِ يُرْجَى
حِينَ يُمِيسِي رَوْضُ الطَّبِيعَةِ قَفْرَا

بُلْبُلُ الرُّوضِ وَالْجَنَاحُ مُبْلَلُ خَافِتُ الصَّوْتِ سَاكِتُ فَتَأْمَلُ
نَبَذَتْهُ رِيَاضُهُ فَتَعَلَّلُ بِحِمَانَا عَنِ الرِّيَاضِ وَأَمَلُ
أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ أَهْوَنَ شَرًّا

وَلَجَّ الْبَيْتَ خَائِفًا مُتَرَدِّدُ يَنْشُدُ الْقُوَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُنْشِدُ
جَاءَ مُسْتَنْجِدًا فَكُنْتُ الْمُنْجِدُ وَمَسَكْتُ الْعُصْفُورَ لَا لِأَقِيدُ

بَلْ حَنَانًا عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَدْرَى

بُلْبُلُ الرُّوضِ هَاكَ دِفْئًا وَقُوتَا بُلْبُلُ الرُّوضِ لَا تَخَفُ أَنْ تَمُوتَا

(١) ديوانه / ٦٦ .

بُلْبُلُ الرُّوضِ مَا خُلِقَتْ صَمُوتَا بُلْبُلُ الرُّوضِ قَدْ أَطْلَتْ السُّكُوتَا
عُدَّ فَعْرَدٌ لَا تَخْشَ يَا طَيْرُ ضُرًّا

أَمِنْ الْبُلْبُلِ الْفَصِيحُ فَعَنَى بَعْدَ أَنْ كَانَ سَاكِئًا وَأَطْمَأَنَّ
وَلَكُمْ سَاكِتٍ فَصِيحٌ تَمَنَّى لَوْ يُتِيحُ الزَّمَانُ كَيْ يَتَغَنَّى
وَيُنَاغِي الْأَطْيَارَ نَثْرًا وَشِعْرًا

هَبَّتِ الرِّيحُ فِي الظَّلَامِ قَوْلِي عَسْكَرُ الْغَيْمِ وَالصَّبَاحُ تَجَلَّى
فَلْتَمْتُ الْعُصْفُورَ بَعْضًا وَكُلًّا ثُمَّ كَلَّمْتُهُ كَلَامًا جَلًّا
عَنْ مَثِيلٍ غَنَى لَهُ الطَّيْرُ شُكْرًا

يَا كَرِيمًا عَامَلْتُهُ بِالْكَرَامَةِ صُنْ عَهْدَ الرِّشِيدِ وَارْعَ ذِمَامَهُ
هَذَا الطَّبْعُ رَافَقْتِكَ السَّلَامَةَ حَبِذَا لَوْ رَغِبْتَ مَعَنَا الْإِقَامَةَ
إِنَّمَا الْحَرْ لَ لَا يُقِيدُ حُرًّا .

وقال الشيخ علي الشرقي في رباعياته (مع البلبل السجين) (١) :

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْنِ سَلَامٌ هَاكَ الْحَدِيثَ وَهَاتِ
فِي طَوَايَا نَفُوسِنَا مُبْهَمَاتٌ لَمْ تَغْبِرْ عَنْهَا سِوَى النِّعَمَاتِ
مِنْ وَرَاءِ الْمِرَاةِ صَوْتُ يُنَاغِي بَبْغَاءَ تُوحِي عَنْ الْمِرَاةِ
لَا تَسْلُنِي كَشْفًا عَنِ اللَّحْنِ فِي الْقَوْلِ فَإِنِّي حَاجِبُهُ عَنْ ذَاتِي

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْنِ سَلَامٌ وَهَكَذَا لِي رُوحٌ
إِنْ تَكُنْ ذِكْرِيَا تُكَ الْوَرْدَ وَالْأَطْ سَارَ تَشْدُو فَذِكْرِيَا تِي جُرُوحٌ
كُلَّ يَوْمٍ يَلُوحُ فَجَرٌ لِعَيْنِي كَ فَهَلَّا يَوْمًا لِعَيْنِي يَلُوحُ

(١) ديوانه (عواطف وعواصف/ ٨ - ٤١) .

أَصْرِيحْ وَكُلُّ دُنْيَاكَ رَمَزُ وَمَتَى صَادَفَ النَّجَاحَ الصَّرِيحُ ؟

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ كَمْ يُوسُفُ فِي السُّجُونِ (١)
بُلْبُلِي هَلْ رَغَبْتَ فِي الرُّبُطَةِ السَّوِّ دَاءٍ أَمْ تِلْكَ شَارَةُ الْمَحْزُونِ ؟
إِنِّي قَدْ عَدَوْتُ أَنْعَمَ فِي الشُّكِّ لِأَنِّي مُنْعَصُ بِالْيَقِينِ
لَمْ أَجِدْ فِي الْعِرَاقِ لَيْلَى وَلَكِنْ كُلَّ آتٍ أَمْرٌ فِي مَجْنُونِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ مُحَبَّبُ التَّرْجِيحِ
الْحَيِّسَانِ أَنْتَ وَالْقَلْبُ يَا بُدْ بُلْ بَعْضُتُمَا إِلَيَّ ضُلُوعِي
لَا تُقَطِّعْ بِصَوْتِكَ الْعَذْبَ لَحْنًا كَيْدِي تَشْتَكِي مِنَ التَّقْطِيعِ
أَنَا أَشْكُو وَأَنْتَ تَشْكُو وَكُلُّ الْ- نَاسِ تَشْكُو وَالْبَعْضُ شَكَايَ الْجَمِيعِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ لَعَلَّ حَالِكَ حَالِي
فَجَنَاحَاكَ مِثْلَ قَلْبِي يَا بُدْ بُلْ قَدْ رَفَرْنَا لِضَيْقِ الْمَجَالِ
لَعَبَ التَّافِهِ الرَّخِيصُ مِنَ النَّأِ سِ مَعَ الدَّهْرِ بِالنَّفِيسِ الْغَالِي
وَإِذَا الْوَرْدُ فِي الْحَوَانِيتِ وَالطَّيِّ رُ وَرَاءَ الْأَبْوَابِ وَالْأَقْفَالِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ هَذَا جَزَاءُ الْمَوَاهِبِ
زِينَةً فِي قُصُورِهِمْ حَجَزُونَا أَنْتَ فِي جَانِبٍ وَإِنِّي بِجَانِبِ
إِسْأَلِي الْوَرْدَ يَا بَلَابِلُ وَالْعُشَّ هَلِ النَّاسُ غَيْرُ جَانٍ وَغَاصِبِ

(١) يشير إلى نبي الله يوسف بن يعقوب (ع) .

لا يُنِيلُ الْخَلَاصَ مِنْ بَطْرِ الْإِنْ سَانِ إِلَّا بُعْدُ كَبْعِدِ الْكَوَائِبِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجِّ نِ سَلَامٌ وَلَيْسَ حَالِي أَفْضَلُ
إِعْتِزَالاً هَذَا التَّمَكُّثُ فِي السَّجِّ نِ وَقَدْ كُنْتُ دَائِماً تَتَقَلُّ
وَيَكَادُ الْأَسَى يُعْطِلُ قَلْبِي عِنْدَمَا أُبْصِرُ الْجَنَاحَ الْمُعْطَلُ
بُلْبُلِي قَدْ تَفَتَّحَ الْوَرْدُ وَالْأَطَّيَارُ قَدْ حَوَّصَلَتْ وَبَابُكَ مُقْفَلُ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجِّ نِ سَلَامٌ عَلَى الزَّمَانِ الْمُوَاتِي
عَبَثاً تُكْثِرُ التَّلَفُّتَ فِي السَّجِّ نِ سَوَاءٌ لِمَا مَضَى أَوْ لِاتِي
أَيُّ نَفْعٍ - وَنَحْنُ فِي قَبْضَةِ الصَّيِّ نِ تَرْجُو مِنْ سُرْعَةِ الْإِثْفَاتِ
نِعْمَاتُ جَاءَتْ بِسَجْنِكَ هَذَا وَتُرِيدُ الْخَلَاصَ، بِالنَّعْمَاتِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجِّ نِ سَلَامٌ حَيَّا الصَّدِيقَ صَدِيقَهُ
بَلَدْتَنَا صِنَاعَةُ اللَّحْنِ فِي الْقَوِّ لِ فَغَرَّدَ لَنَا بِلَحْنِ السَّلِيلَةِ
قَدْ رَأَى الْكِنَارُ فِي قَفْصِ السَّجِّ نِ فَغَنَى بُسْتَانَهُ وَشَقِيقَهُ
جَرْنَا قَوْلَنَا الْحَقِيقَةَ لِلْسَّجِّ نِ فَهَلَّا نَخَافُ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجِّ نِ سَلَامٌ وَلَيْسَ حَالِي أَسْعَدُ
كُنْتُ تَعْلُو عَلَى الْغُصُونِ فَتَهْوِي وَتَرَى اللَّطْفَ فِي الْفَضَاءِ فَتَصْعَدُ
كُنْتُ لَا تَرْضِي الْبَقَاءَ عَلَى حَا لِي وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ تَتَرَدَّدُ
فَلِمَاذَا خَلَدْتَ فِي قَفْصِ السَّجِّ نِ وَقَدْ كُنْتُ فِي النِّعَمِ الْمُخْلَدُ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ وَكُلِّ حَالٍ تَحُولُ
رُبَّمَا ضَرَبْتَ النَّبَاهَةَ لَكِنْ أَيُّ نَفْعٍ يَجِيءُ فِيهِ الْخُمُولُ
ذَهَبْتَ قَبْلَنَا الْبَلَابِلُ أَسْرَا بَأُ وَوَلَّى بَعْدَ الْخَمِيلِ خَمِيلُ
وَسَتَاتِي بَلَابِلُ وَرِيَاضُ وَتُوفِي مَعَ الْفُضُولِ فُضُولُ

* * *

أَيُّهَا الْبُلْبُلُ الْمُعَلَّقُ فِي السَّجْدِ مِنْ سَلَامٍ لَقَدْ ذَهَبْنَا ضِيَاعَا
لَسْتُ أَدْرِي فَهَلْ نَعَاتِبُ قَوْمًا بَطَرُوا أَمْ نُعَاتِبُ الْأَوْضَاعَا
لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ قَاسٍ أَثِيمٍ إِشْتَرَى الْبُلْبُلُ الْأَسِيرَ وَبَاعَا
إِنِّي بُلْبُلٌ بِغَيْرِ جَنَاحٍ قَالَ لِلْبُلْبُلِ الْأَسِيرِ وَدَاعَا

وقال أيضاً ، وهي من رباعياته (مع البلبل الطليق) (١) :

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ تَصَدَّرَ مَجْلِسَ الْوَرْدِ
بِمَا عِنْدَكَ طَارِحَنِي أَطَارِحَكَ بِمَا عِنْدِي
خَضَضْنَا رَغْوَةَ الْعُمَرِ لِكَيْ تُفْصِحَ عَنْ زُبْدِ
فَلَمْ نَلْقَ سِوَى الْخَضِّ (م) مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ تَسَنَّمُ تَلْعَةً الْوَادِي ..
نُحْيِي صُبْحَ سَامِرًا وَنُطْرِي لَيْلَ بَغْدَادِ
وَحَلَّ الْأُبْلَةَ الرَّائِحَ يُغْرِي الْأَحْمَقَ الْغَادِي
فَمَاذَا يَلْقُطُ الطَّائِرُ مِنْ دُكَّانٍ حَدَادِ

* * *

(١) ديوانه (عواطف وعواصف) / ٤٣ - ٥١ .

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ مِنَ الْعُنُقُودِ لِلْعَذَقِ
تَذَوَّقْ طَعْمَهَا إِنِّي أَرَى الدُّنْيَا بِلا ذَوْقِ
أَعِزَّنِي مَنَاطِقَ الطَّيْرِ فَقَدْ حُلْتُ عَنْ نُطْقِي^(١)
حَوَالِي 'مَخَالِيقُ' وَلَكِنْ تَدْعِي خَلْقِي

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ إِلَى النَّرْجِسِ وَالْأَسْرِ
لِضَمِّ الْوَرْدِ لِلْوَرْدِ وَقَرَعَ الْكَاسِ بِالْكَاسِ
وَبِالْفَحْمِ نَبِيحُ النَّاسِ أَكْدَاساً بِأَكْدَاسِ
وَجَدْنَا الْمَاسَ فِي الْفَحْمِ فَمَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ إِلَى الْعُزْلَةِ فِي الْغَابَةِ
سَيِّمْنَا النَّصَبَ الْمُضْنِي وَكُلَّ النَّاسِ نَصَابَةً
أَيَا قَيْثَارَةَ الْوَادِي نَسِينَا صَوْتَ حَبَابَةِ^(٢)
وَهَذَا قَلْبِي الْمُغْلَقُ مَنْ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرُّوضِ نَادٍ مِنْ نَادٍ إِلَى نَادٍ
مِنَ الْغَابَةِ لِلْحَقْلِ إِلَى السَّفْحِ إِلَى الْوَادِي
سَتَلْقَى عَالَمَ الْأَحْيَا صَيَّاداً . لَصَيَّادِ

(١) حَلَّاهُ، وَحَلَّاهُ: مَنَعَهُ، وَطَرَدَهُ.

(٢) حَبَّابَةٌ: جَارِيَةٌ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، مِنْ أَشْهُرِ الْمَغْنِيَّاتِ فِي عَصْرِهَا. تَرَاجَعَ تَرْجُمَتُهَا وَمَصَادِرُهَا فِي أَعْلَامِ النِّسَاءِ ٢٣٢/١.

وَتَلْقَى الْوَتَرَ الْحَسَّاسَ (م) مُحْتَاجاً لِعَوَادٍ

* * *

مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْعُرَى مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْعُرَى
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْحَسَنَاءَ مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْحَسَنَاءَ
مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْإِنْصَافَ مَعِيَ حَتَّى تَرَى الْإِنْصَافَ

* * *

مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ
عَسَى أَنْ نَنْقُلَ الْبَذَرَ عَسَى أَنْ نَنْقُلَ الْبَذَرَ
فَقَالَ الْبُيُوتُ الشَّاعِرُ فَقَالَ الْبُيُوتُ الشَّاعِرُ
فَهَلْ يُوجَدُ فِي الْفَخِّ فَهَلْ يُوجَدُ فِي الْفَخِّ

* * *

مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ
مَعِيَ نَنْزِلُ لِلْأَرْضِ مَعِيَ نَنْزِلُ لِلْأَرْضِ
تَرَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا تَرَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا
قَدِيمًا رَقَصَ النَّاسُ قَدِيمًا رَقَصَ النَّاسُ

* * *

مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ مَعِيَ يَا بُبْلَلُ الرُّوَضِ
وَلَا تَبْحَثْ عَنِ الْجِنْسِ وَلَا تَبْحَثْ عَنِ الْجِنْسِ
فَمِنْ سُنْبُلَةِ الْحَقْلِ فَمِنْ سُنْبُلَةِ الْحَقْلِ
أَنَا مِنْ أَسْرَةِ الرُّوَضِ أَنَا مِنْ أَسْرَةِ الرُّوَضِ

* * *

مَعِيَ يَا بُلْبُلَ الرَّوْضِ مِمَّنْ عَالٍ إِلَى عَالٍ
فَلَا نَعْرِضُ لِلشُّوْكِ وَلَا نَمْشِي بِأَوْحَالٍ
وَدَعْنَا الْمَوَازِينَ بِقِنطَارٍ وَمِثْقَالٍ
فَإِنَّ اللَّطْفَ فَيُضِلُّ بِمِيزَانٍ وَمِكَيَالٍ

وقال معروف الرصافي المزدوجة الآتية بعنوان (أغرودة العنديل) نظمها
في القدس لتكون نشيداً لطلاب المدارس^(١) :

سَمِعْتُ شَعْرًا لِلْعَنْدَلِي تَلَاهُ فَوْقَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
إِذْ قَالَ نَفْسِي نَفْسُ رَفِيعَةٍ لَمْ تَهَوَّ إِلَّا حُسْنَ الطَّبِيعَةِ
عَشَقْتُ مِنْهَا حُسْنَ الرَّبِيعِ أَحْسَنَ بِذَلِكَ الْحُسْنَ الْبَدِيعِ

* * *

فَالْعَيْشُ عِنْدِي فَوْقَ الْغُصُونِ لَا فِي قُصُورٍ وَلَا حُصُونٍ
أَطِيرُ فِيهَا لِفَرْطِ وَجْدِي مِنْ غُصْنٍ وَرَدٍ لَغُصْنٍ وَرَدٍ
وَفِي فُرُوعِ الْأَشْجَارِ بَيْتِي فَالظِّلُّ فَوْقِي وَالزَّهْرُ تَحْتِي

* * *

فَسَلِّ نَسِيمَ الْأَسْحَارِ عَنِّي كَمْ هَزَّ عِطْفَ الْأَغْصَانِ لَحْنِي
وَسَلِّ بِشَدْوِي زَهَرَ الرِّيَاضِ إِنِّي بِحُكْمِ الْأَزْهَارِ رَاضٍ
فَكَمْ زَهْوٍ لِمَا أَفُوهُ أَصْنَعْتُ وَقَالَتْ: لَا فَضْ فُوهُ

* * *

يَا قَوْمُ إِنِّي خُلِقْتُ حُرًّا لَمْ أَرْضَ إِلَّا الْفَضَا مَقَرًّا
فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُؤْنِسُونِي فَفِي الْمَبَانِي لَا تَحْسُبُونِي

(١) ديوانه ٢١٢/٤ .

وإن أردتُم أن تُنطِقوني فاطلقوني فاطلقوني

وقال الشيخ قاسم بن محمد الكستي البيروتي يرثي بلبلاً من نوع الكنار
مات لأحد أصحابه (١) :

يا صَاحِبِي عَزَّيْتَ بِالْكِنَارِ
قَدْ صَدَحْتَ بِمَدْحِهِ الْأَنْبَارُ
وَلَمْ تُقْصِرْ فِي أَدَاءِ مَا وَجَبَ
مِنْ أُمِّهِ كُنْتُ عَلَيْهِ أَشْفَقَا
مَا مَاتَ بَيْنَ جُوعٍ وَلَا مِنْ قِلَّةٍ
لَا يُرْتَجَى لِذَائِهِ شِفَاءُ
عَلَيْهِ لَا تَحْزَنُ وَكُنْ صَبُورَا
لَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنَّفِيسِ الْغَالِي
لَكِنْ إِذَا مَا حَادِثَ الْمَوْتِ نَزَلَ
عَوَضَكَ الرَّحْمَنُ عَنْهُ طَيْرَا
فَمَا رَأَيْنَا قَبْلَهُ مِنْ طَائِرٍ
يُغْنِي عَنْ الْمُدَامِ وَالنَّدِيمِ
فِيَالَهُ مِنْ طَائِرٍ صَدُوحٍ
ذُو ذَنْبٍ فَاقَ وَلِلَّهِ الْعَجَبُ
مُزَيْنٌ بِالتَّاجِ كَالطَّائِفِ
لِلَّهِ حُسْنُ ذَلِكَ الْمِنْقَارِ
قَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الزُّهَادِ
وَعَاشَ مَحْبُوساً وَلَمْ يَشْكِ الضَّجَرُ
فَإِنِّي أَهْدِي إِلَيْهِ الْفَاتِحَةَ

فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَطْيَارِ
وَحُمِدَتْ لِذَائِهِ الْأَنْبَارُ
مِنْ حَقِّهِ وَقُمْتُ بِالَّذِي طَلَبُ
وَمِنْ أَبِيهِ يَا رَفِيقِي أَرْفَقَا
لَكِنْ رَمَاهُ رِيْشُهُ بِعِلَّةٍ
وَالْمَوْتُ إِنَّ حُلَّ فَمَا الدَّوَاءُ
وَالْتَزِمِ الشُّكْرَ تَكُنْ مَاجُورَا
فَدَيْتُهُ مِنْ طَارِقِ اللَّيَالِي
لَا يَنْفَعُ الْحَزْمُ وَلَا تُغْنِي الْحِيلُ
يَكُونُ بِالتَّغْرِيدِ مِنْهُ خَيْرَا
يُسَنِّفُ الْأَسْمَاعَ بِالْجَوَاهِرِ
إِذَا شَدَا بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ
يَدْعُو إِلَى الْعَبُوقِ وَالصَّبُوحِ
عَلَى اللَّجَيْنِ وَهُوَ بِالْحُسْنِ ذَهَبُ
مُلَوَّنُ الرَّدَاءِ كَالْعَرُوسِ
مِنْ ذَهَبٍ قَدْ صَبِغَ لَا مِنْ قَارِ
مُتَلَزِمُ الْخَلْوَةِ بِأَنْفِرَادِ
حَتَّى أَبَادَهُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ
وَإِنْ يَكُنْ مِنَ الطُّيُورِ الصَّادِحَةِ

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٨١/٢ .

البومة، والبوم^(١)

البومة، والبوم: طائر من كواسر الليل، جمعه أبوام للذكر والأنثى، والهاء في بومة للواحد لا للتأنيث، وقيل: بومة للمفرد، وجمعه بوم، فإذا قلت (فيَّاد) أو (صدى) فيختص عندئذ بالذكر، ومن أنواعه:

- البُوْهَة، والبُوْه، يقال أيضاً: البوْة والبوْء .
- الشَّيْج، والجمع ثَبْجان، يصبح طول اللَّيْلِ، وكأنَّه يثْنُ .
- الخَبْل (بالتحريك) يصبح طول الليل، وكأنَّه يقول: ماتت خبل، ماتت خبل .

- الضُّوْع، والضُّوْع (كضُرْد، وعَنَب) جمعه أضْواع، وضَّيعان .
- النُّهَام، وجمعه نُهْم .

- الهامة، وهي العظيمة الرأس، والجمع الهامات، والهام . وكان بعض أهل الجاهلية يقولون: إنَّها هام الناس، إذا مات الإنسان خرجت من رأسه هامة تصيح عند قبره، وإذا قُتل تظلُّ تصيح مطالبة بثأره .

(١) المخصص ٦١/٨/٢، وحياة الحيوان ١٦٠/١، ومعجم اللغة.

مما ورد في الأمثال :

(عداوة البوم للغراب)^(١) يضرب مثلاً للعداوة الشديدة المستحكمة وإخاله مأخوذاً من قصة البوم والغراب في كليلة ودمنة، وسُوردها بعد قليل .
(من كان دليله البوم كان مأواه الخراب)^(٢) .

مما ورد في القصص :

١ - المصاهرة بين بومة من الموصل، وبومة من البصرة^(٣) .

أرق المأمون ذات ليلة فاستدعى سميراً يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين، كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة انتهت لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أنكحك ابنتي إلا أن تجعلني في صداقتها مائة ضيعة خراب، فقالت بومة الموصل: لا أقدر عليها الآن، ولكن إن دام والينا - سلمه الله - علينا سنة واحدة فعلت ذلك لك .

فاستيقظ المأمون وجلس للمظالم، وتفقد أمور الولاة .

٢ - قصة البوم والغراب^(٤):

زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدَّوح فيها وكر ألف غراب وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ، وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهنَّ والٍ منهنَّ. فخرج ملك البوم لعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغراب، وفي نفس الغراب وملكها مثل ذلك للبوم. فأغار ملك البوم في

(١) الحيوان للجاحظ ٩٧/٧ .

(٢) محاضرات الأدباء/ ٧٠٩ .

(٣) سراج الملوك للطروشني/ ٢٢٩ .

(٤) كليلة ودمنة/ ٢٦٤ - ٢٨٠ وقد حذفت منها الأقاصيص الفرعية .

أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً، وكانت الغارة ليلاً .

فلما أصبحت الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم ، وما منّا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح أو منتوف الريش أو ملهوب الذنب^(١) . وأشد ما أصابنا ضرراً جرأتهم علينا وعلمهم بمكاننا وهم عائدات إلينا غير منقطعات عنا لعلمهم بمكاننا . فإنما نحن لك أيها الملك فانظر لنا ولنفسك ، وكان في الغربان خمسة مُعترف لهم بحسن الرأي ، يُسند إليهم في الأمور ، وتلقى إليهم مقاليد الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهم في الأمور ويأخذ آراءهم في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأيي قد سبقتنا إليه العلماء وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحق الذي لا طاقة لك به إلا الهرب منه .

قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : ما رأي هذا من الهرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً أن نرحل عن أوطاننا ونخليها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغي لنا ذلك فنكون به لهم عوناً علينا ، ولكن نجتمع أمرنا ونستعد لعدونا ، ونذكي نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ، ونحترس من الغرة إذا أقبل إلينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالاً غير مراجعين فيه ولا حاميين منه^(٢) وتلقى أطرافنا أطراف العدو ، ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة ، وبالجلاد أخرى حيث نصيب فرصتنا وبُغيثنا وقد ثبينا عدونا عنا .

ثم قال الملك للثالث : ما رأيك أنت ؟ قال : لا أرى ما قالاً رأياً ولكن نبث

(١) ملهوب الذنب : مشتعل حرارة من كثرة الضرب والتنف ، وفي رواية (أو مقطوف الذنب) .

(٢) حمي من الشيء : كره أن يفعله .

العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم هل يريد صلحنا، أم يريد الفدية؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في مالٍ لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا، ونطمئن في أوطاننا، فإن من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الأموال جنة البلاد والملك والرعية.

قال الملك للرابع: فما رأيك في هذا الصلح؟ قال: لا أراه رأياً بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه، مع أن اليوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضى منّا إلا بالشطط. ويقال في الأمثال: قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك ويضعف جندك وتذل نفسك. ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس إذا أملت قليلاً زاد ظلها. وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها نقص الظل. وليس عدونا راضياً منا بالدون في المقاربة، فالرأي لنا ولك المحاربة.

قال الملك للخامس: ما تقول أنت وماذا ترى؟ القتال، أم الصلح، أم الجلاء عن الوطن؟ قال: أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه، وقد يقال: إنه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها، مع أن العاقل لا يستصغر عدواً، فإن من استصغر عدوه أغتر به، ومن أغتر بعدوه لم يسلم منه، وأنا لليوم شديد الهيبة وإن أضربن عن قتالنا، وقد كنت أهابها قبل ذلك، فإن الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته، وإن كان مكثباً^(١) لم يأمن وثبته، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره، وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه، فإن ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل. والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان، وربما

(١) المكثب: المقارب، وهو من الكثب: القرب.

اكتفي عنه بالنفقة اليسرة والكلام اللين. فلا يكون القتال للبوم من رأيك أيها الملك، فإن من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه. فإذا كان الملك مُحَصِّنًا للأسرار متخيراً للوزراء، مهيباً في أعين الناس، بعيداً من أن يُقدر عليه كان خليفاً أن لا يسلب صحيح ما أوتي من الخير. وأنت أيها الملك كذلك، والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاورِهِ من الأنهار، وقد استشرتني في أمر جوابك مني عنه في بعضه عَلَنِيَّ وقد أجبتك به، وفي بعضه سِرِّيَّ وللأسرار منازل، منها ما يدخل فيها الرهط، ومنها ما يستعان فيه بالقوم، ومنها ما يدخل فيه الرُّجُلان، ولست أرى لهذا السرّ - على قدر منزلته - أن يشارك فيه إلا أربعة آذانٍ ولسانان .

فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره، فكان أوّل ما سأله عنه الملك أنه قال : هل تعلم ابتداء العداوة ما بيننا وبين البوم ؟ قال : نعم . قال الملك : كيف كان ذلك ؟

قال الغراب : زعموا أنّ جماعة من الكراكي^(١) لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على أن تملك عليها ملك البوم . فبينما هي في مجمعها إذ وقع لها غراب ، فقالت : لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا . فلم يلبثنّ دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه ، فقال : لو أنّ الطير بادت من الأقاليم ، وفُقد الطاووس والبُطُ والنعام والحمام من العالم لما اضْطُرُّرُنَّ إلى أن تملُكُنَّ عليكنّ البوم التي هي أقبح الطير منظراً، وأسوأها خلقاً، وأقلّها عقلاً، وأشدّها غضباً وأبعدّها من كلّ رحمة، مع عماها في النهار، وتنن راثحتها حتّى لا يطيق طائر أن يتقرّب منها، وأشدّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها، وسوء أخلاقها، إلّا أن ترين أن تُملُكُنّها وتُكُنّ أنتنّ تدبرنّ الأمور دونها برأيكنّ وعقولكنّ، فإنّ وزراء الملك إذا كانوا صالحين، وكان يطيعهم في آرائهم لم يضرّ في ملكه كونه جاهلاً واستقام

(١) الكراكي: ضرب من الطيور المائية. واحدها كركي .

أمره . . . ومع ما ذكرتُ من أمر اليوم فإنَّ فيها الخُبَّ^(١) والمكر والخديعة، وشرُّ
الملوك المخادع . . . واليوم تَجْمَع - مع ما وصِفْتُ - لكنَّ من الشُّوم سائر
العيوب فلا يكوننَّ تملكك اليوم من رأيكنَّ .

فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تملكك اليوم، وكان
هناك يوم حاضر قد سمع، فقال للغراب: لقد وترتني أعظم التَّرة، ولا أعلم أنَّه
سلف مني إليك سوءٌ أوجب هذا .

وبعدُ فاعلم أن الفأس يُقَطع بها الشجر فيعود ينبت، والسيف يقطع اللحم
ثم يرجع فيندمل. واللسان لا يندمل جرحه، ولا تؤسَى مقاطعه، والنصل من
السهم يغيب في اللحم ثم يُنزع فيخرج. وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت
إلى القلب لم تَنزَع ولم تُسْتَخرج. ولكلُّ حريق مُطْفِئ، وللنار الماء، وللشَّم
الدواء، وللعشق الفرقة، ونار الحقد لا تخبو أبداً. وقد غرستم معاشر الغربان
بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء .

فلما قضى اليوم مقالته ولى مُغضباً فأخبر ملك اليوم بما جرى وبكلِّ ما
كان من قول الغراب. ثمَّ إنَّ الغراب ندم على ما فرط منه وقال: والله لقد
خَرِقْتُ^(٢) في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي، وليتني
لم أخبر الكراكي بهذه الحال، ولم أعلمها بهذا الأمر. ولعلَّ أكثرَ الطير قد رأى
أكثر مما رأيتُ، وعلم أضعاف ما علمت فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت إئتقاء
ما لم أتق، والنظر فيما لم أنظر فيه من جِدارِ العواقب، ولا سيما إذا كان الكلام
أفطع كلام يلقي منه سامعه وقائله للمكروه ممَّا يورث الحقد والضغينة. فلا
ينبغي أن تُسمَّى أشباه هذا الكلام كلاماً ولكن سهاماً. وإنَّ الكلام الرديء هو
الذي يرمي صاحبه في الحقد والعداوة، والعاقل إنَّ كان واثقاً بقوَّته وفضله لا

(١) الخُبَّ (بالكسر): الخداع والخبث والسعي بالفساد .

(٢) الخُرُق: الجهل والحمق .

ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة، كما أنه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده. وصاحب العمل وإن قصر به القول في مستقبل الأمر كان فضله. بينا واضحا في العاقبة والاختيار، وصاحب حسن القول وإن أعجب الناس منه حسن صفته للأمر لم تحمد مغبة أمره، وأنا صاحب القول الذي لا عاقبة له محمود، أو ليس من سفهي اجترائي على التكلم في أمر لم أستشر فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا؟ ومن لم يستشر النصحاء والأولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه. فما كان أغناني عما كسبت يومي. هذا وما وقعت فيه من الهمم. وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب.

هذا ما سألتني عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين اليوم، وأما القتال فقد علمت رأيي فيه وكراحتي له، ولكن عندي من الرأي والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى. فإنه رب قوم قد احتالوا بأرائهم حتى ظفروا بما أرادوا. . . وأرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة، وإنني أريد من الملك أن ينقري على رؤوس الأشهاد، وينتف ريشي وذنبني ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك وجنوده إلى مكان كذا، فإنني أرجو أني أصبر وأطلع على أحوالهم ومواقع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وأتي إليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا إن شاء الله تعالى. قال الملك: أتطيب نفسك لذلك؟ قال: نعم وكيف لا تطيب نفسي لذلك وفيه أعظم الراحة للملك وجنوده؟ ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم إرتحل عنه.

فلما جن الليل أقبل ملك اليوم وجنده ليوقع بالغربان فلم يجدهن، وهمن بالإنصراف. فجعل الغراب يثن ويهمس حتى سمعته اليوم ورأينه يثن فأخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان، فلما دنا منه أمر بوما أن يسأله فقال له: من أنت وأين الغربان؟ فقال: أما أسمي ففلان، وأما ما سألتني عنه فإنني أحسبك ترى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار.

فقيل لملك البوم: هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأيّ ذنب صنع به ما صنع، فسُئِلَ الغراب عن أمره فقال: إِنَّ ملكنا استشار جماعتنا فيكُنَّ وكنت يومئذٍ بمحضر من الأمر فقال: أيُّها الغربان ما ترون في ذلك؟ فقلت: أيُّها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنَّه أشدُّ بطشاً وأحدُّ قلباً منا. ولكن أرى أن نلتمسَ الصلح ثم نبدل الفدية في ذلك، فإنَّ قبلت البوم ذلك منا فبها، وإلاَّ هربنا في البلاد، وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهنَّ وشرّاً لنا. فالصلح أفضل من الخصومة. وأمرتَهن بالرجوع عن الحرب، وضربت لهنَّ الأمثال في ذلك وقلت لهن: إِنَّ العدوَّ الشديد لا يرد بأسه مثل الخضوع له، ألا ترين الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميِّله معها حيث مالت، والشجر العاتي يكسر بها ويُحطَّم، فعصينني في ذلك وزعمن أنَّهنَّ يردن القتال وأتَّهمنني فيما قلْتُ وقلن: إِنَّك قد مالأت البوم علينا، ورددن قولي ونصيحتي وعدَّبنني بهذا العذاب، وتركني الملك وجنوده وارتحل، ولا علم لي بهنَّ بعد ذلك.

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه: ما تقول في الغراب، وما ترى فيه؟ قال: ما أرى إلاَّ المعاجلة له بالقتل فإنَّ هذا أفضلُ عُدَدِ الغربان، وفي قتله لنا راحة من مكروه وفقدُه على الغربان شديد. فإذا قتل ثلُّ مُلكهم وتقوَّض، وما أراه إلاَّ فتحاً قد أرسله الله إليك. ويقال: من طلب الأمر الجسيم فأغفله فاتَّه الأمر، وهو خليف ألاَّ تعود الفرصة ثانية، ومن وجد عدوَّه ضعيفاً ولم يُنجز قتله ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه.

قال الملك لوزير آخر: ما ترى أنت في هذا الغراب؟ قال: أرى أن لا تقتله، لأنَّه قد لقي من أصحابه ما تراه، فهو خليف أن يكون دليلاً على عوراتهم، ومعيناً لك على ما فيه هلاكهم، وإن العدوَّ الدليل الذي لا ناصر له أهلٌ لأنَّ يؤمَّن سِيما المستجر الخائف، والعدو إذا صدرت منه المنفعة ولو كان غير متعمَّد لها أهل لأنَّ يُصَفَّح عنه بسببها...

قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه: ما تقول في أمر الغراب؟ قال: أرى أن تستبقه وتحسن إليه فإنه خليك أن ينصحك، والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً، ويرى اشتغال بعض أعدائه ببعضٍ خلاصاً لنفسه منهم ونجاة... .

فقال الوزير الأوّل الذي أشار بقتل الغراب: أظنّ أن الغراب قد خدعكنّ ووقع كلامه في نفس الغبيّ منكنّ موقعه فتردنّ أن تضعن الرأي غير موضعه. فمهلاً مهلاً أيّها الملك عن هذا الرأي، ولا تكوننّ لما تسمع أشدّ تصديقاً منك لما ترى... . فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل البوم ويكرم ويستوصي به خيراً. ثم إن الغراب قال للملك يوماً وعنده جماعة من البوم وفيهنّ الوزير الذي أشار بقتله: أيّها الملك قد علمت ما جرى عليّ من الغراب، وإنّه لا يستريح قلبي دون الأخذ بثأري منهن. وأنّي قد نظرت في ذلك فإذا بي لا أقدر على ما رميت لأني غراب، وقد رويّ عن العلماء أنّهم قالوا: من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرّب لله أعظم القربان، ولا يدعو عند ذلك بدعوة إلاّ استجيب له. فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي وأدعوربيّ أن يحولني يوماً فأكون أشدّ عداوة للغراب، وأقوى بأساً عليهن، ولعليّ أنتقم منهنّ. فقال الوزير الذي أشار بقتله: ما أشبهك في خير ما تُظهر وشرّ ما تُصير بالخمرة الطيّبة الطعم فيها السمّ. أرايت لو أحرقنا جسمك بالنار، أنّ جوهرك وطبعك متغيّر؟ أو ليست أخلاقك تدور معك حيث دُرت، وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك... . أيّها المخادع.

فلم يلتفت ملك البوم إلى ذلك القول، ورفق بالغراب ولم يزد له إلاّ إكراماً، حتّى إذا طاب عيشه ونبت ريشه وأطلع على ما أراد أن يُطلع عليه راغ روعة فأتى أصحابه بما رأى وسمع، فقال للملك: إنّي قد فرغت ممّا كنت أريد ولم يبق إلاّ أن تسمع وتطيع. قال له: أنا والجند تحت أمرك فأحتكم كيف شئت. قال الغراب: ان البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب، وفي ذلك

الموضع قطع من الغنم مع رجل راعٍ ، ونحن مصبيون هناك ناراً نلقيها في أثقاب البوم^(١) ونقذف عليها من يابس الحطب ونتروّج عليها ضرباً بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب، فمن خرج منهم احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه. ففعل الغربان ذلك فأهلكن اليوم قاطبة ورجعن إلى منازلهنّ سالمات آمّنات.

ثم إنّ ملك الغربان قال لذلك الغراب: كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للأخيار على صحته الأشرار؟ قال الغراب: إنّ ما قلته أيّها الملك لكذلك، فإنّه يقال: لدغ النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم، ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفضيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمّله الجائحة^(٢) على نفسه وقومه لم يجزع من شدّة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير، فلم يجد لذلك ألماً ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتّى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره، وعاقبة صبره.

قال الملك: أخبرني عن عقول البوم. قال الغراب: لم أجدهن عاقلات إلاّ الذي كان يحثهنّ على قتلي، وكان حرّضهنّ على ذلك مراراً فكنّ أضعف شيء رأياً فلم ينظرن في أمري ويذكرن أنّي قد كنت ذا منزلة في الغربان، وأنّي أعدّ من ذوي الرأي ولم يتخوّنن مكري وحيلتي، ولا قبلن من الناصح الشفيق، ولا أخفينّ دوني أسرارهنّ.

مما ورد في الشعر:

قال مجنون ليلي (قيس بن الملوّح)^(٣):

فَلَوْ تَلَقَّيْ أَرْوَاحُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ مَنِكِبُ

(١) أثقاب جمع ثقب وهو من جموع القلّة كأكلب وأفحل.

(٢) الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة.

(٣) ديوانه / ٤٦.

لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِئَةً
لَوْ أَنَّ عَيْنًا طَاوَعْتَنِي لَمْ تَزَلْ
لِصَوْتِ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرُبُ
تَرَفَّرُ دَمْعًا أَوْ دَمًا حِينَ تَسْكُبُ

وقال امرؤ القيس: (١)

يَا هِنْدُ لَا تَنَكِّجِي بُوْهَةً
مُرْسَعَةً بَيْنَ أَرْسَاغِهِ
عَلَيْهِ عَقِيْقَتُهُ إِحْسَبَا (٢)
بِهِ عَسَمٌ يُبْتَغِي أَرْزَبَا (٣)
لِيَجْعَلَ فِي كَفِّهِ كَعْبَهَا
حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

وقال توبة بن الحمير الخفاجي صاحب ليلي الأخيلية: (٤)

لَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ سَلَّمَتْ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا
عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ (٥)
إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ (٦)
وقال مُغَلِّسُ الْفَقْعَسِيِّ: (٧)

وَإِنْ أَحَاكُمُ قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَهُ
لَهُ هَامَةٌ تَدْعُو إِذَا اللَّيْلُ جَنَّا
بَسَفَحُ قُبَا تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعَاصِرُ (٨)
بَنِي عَامِرٍ هَلْ لِلْهَلَالِيِّ ثَائِرُ (٩)

(١) ديوانه / ١٢٨.

(٢) البوهة: البومة. الأحسب الأصهب الذي يضرب لون شعره الى الحمرة.

(٣) المرسعة، والمرصعة: سير تعقد عليه عوذة تحمي حاملها في زعمهم من البلاء. العسم (محركة): ييس في الرسغ واعوجاج.

(٤) ديوانه / ٤٨.

(٥) الصفائح: الحجارة العراض تكون على القبور.

(٦) الصدى: البوم. زقا: صاح.

(٧) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣١٢/٢.

(٨) قُبا (بالضم): قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد الى مكة المكرمة فيها مسجد التقوى.

(٩) الهامة: البومة.

وقال سُويد بن أبي كاهل: (١)

يُسْ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابَنِي مَطْعَمٌ وَنَحْمٌ وَدَاءٌ يُدْرَعُ (٢)
لَمْ يَضِرْنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسَدَنِي فَهَوَ يَزُقُّوا مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ (٣)

وقال الدميري (٤): رأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء
الأكابر، أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة وهو
يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون البعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل
وانظر ما يكتب وأتني به، فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه وتأمل ما
كتبه فإذا هو:

يَا قَصْرُ جُمِّعْ فِيهِ الشُّومُ وَاللُّومُ مَتَى يُعَشَّشُ فِي أُرْكَانِكَ الْبُومُ
يَوْمٌ يُعَشَّشُ فِيكَ الْبُومُ مِنْ فَرَحِي أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَنْعِيكَ مَرْغُومٌ

فقال الخادم: أجب أمير المؤمنين، فلما مثل بين يدي المأمون أعلمه
الخادم، بما كتب، فقال له المأمون: ويلك ما حملك على هذا؟ قال: مررت
على هذا القصر العامر وأنا جائع فقلت في نفسي: لو كان خراباً لم أعدم منه
رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمره. فأمر له المأمون بآلف دينار وقال
له: هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله.

وقال ذو الأصبع العدواني من قصيدة طويلة مطلعها (٥):

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مَحْزُونٍ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا أَمْ هَارُونٍ

(١) المفضليات ١٦٣.

(٢) يُدْرَعُ: يُكْتَسَى.

(٣) يزقو: يصيح. الضوع: من أسماء البوم.

(٤) حياة الحيوان الكبرى ١/١٦٠.

(٥) المفضليات ١٥٩ - ١٦٣.

يقول فيها :

ولي ابن عمّ لو أنّ الناس في كبدٍ لظللّ مُحْتَجِزاً بالنَّبلِ يرُميني
يا عمّ إلاّ تدع شتمي ومنقّصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني^(١)

(١) الهامة : الرأس، والبومة، ومن معتقدات بعض الجاهليين أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثاره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني، اسقوني حتى يقتل قاتله.

التَّمْسَاحُ^(١)

التَّمْسَحُ والتَّمْسَاح (بكسر التاء): حيوان مائي مفترس على صورة الضب، وقد يبلغ طوله أكثر من سبعين قدماً. جمعه تماسيح.

والتَّمْسَح والتَّمْسَاح في اللغة: المارد الخبيث والكذاب من الرجال، والتَّمْسَاح (بفتح التاء): الكذب، وأنشد ابن الأعرابي:

قد غلبَ الناسَ بنو الطَّمَّاحِ بِالإِفْكِ والتَّكْذَابِ والتَّمْسَاحِ
وجاء في الأمثال:

(أظلم من تماسح)^(٢)

(جازه مجازاة التماسح)^(٣)، ويحكى في سببه أن التماسح يأكل اللحم فيدخل في خلال أسنانه، فيفتح فاه، فيجيء طائر فيسقط عليها فيخللها ويأكل

(١) لسان العرب، وتاج العروس مادة (م س ح) ونهاية الأرب ٣١٤/١٠ وحياة الحيوان ١٦٣/١.

(٢) حياة الحيوان ١٦٤/١.

(٣) جمهرة الأمثال ٣٠٦/١.

اللحم، فيكون طعاماً للطائر، وراحة للتمساح. وربما ضمّ التمساح فاه على الطائر فيقتله.

مما قيل فيه شعراً:

قال أثير الدين أبو حيّان الأندلسي (محمد بن يوسف بن علي) يصف التمساح: (١)

وَحَلَقٍ غَرِيبِ الشَّكْلِ فِي مِصْرَ نَاشِيءٍ
وَمَا هُوَ فِي أَرْضٍ سِوَى مِصْرَ يُوجَدُ
هُوَ السَّبْعُ الْعَادِي بِنِيلٍ صَعِيدِهَا
يُقَافِضُ مَنْ لِمَاءِ فِي النَّيْلِ يَقْصِدُ (٢)
وَيَخْطِفُهُ خَطَفَ الْعُقَابِ لِصَيْدِهَا
وَيَفْصِلُهُ عَضُوءاً فَعُضُوءاً وَيَزْرُدُ
وَمَا مِنْ شَخْصٍ النَّيْلِ خَلَقَ لَهُ يَدٌ
وَرَجُلٌ سِوَاهُ وَهُوَ فِي الْبَرِّ يَضَعُدُ
وَرُبُّمَا يَلْقَى لَدَى الْبَرِّ كَاسِراً وَيَجْرِي كَمِثْلِ الطَّرْفِ أَوْ هُوَ أَزِيدُ
لَهُ ذَنْبٌ مُرْخِي طَوِيلٌ يُقِيمُهُ
وَأَسْنَانُهُ أَكْثَى عَلَى ذِكْرِ أَتَتْ
وَيَحْفَرُ فِي رَمْلٍ وَيَدْفُنُ بَيْضَهُ
وَلَا تَعْمَلُ الْأَسِيفَاتُ فِيهِ كَأَنَّمَا
وَلَكِنْ تَحْتَ الْإِبْطِ لَيِّنَ جِلْدُهُ
وَلَيْسَ لَهُ دُبُرٌ فَيُخْرِجُ نَجْوَهُ
يُلْفُ بِهِ مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ يَفْقَدُ
لَكَسْرِ الْعِظَامِ الصُّلْبِ مِنْهَا تَفْقَدُ (كَذَا)
يُعَاهِدُهَا غِبّاً إِلَى حِينَ تُوَلِّدُ
عَلَى جِلْدِهِ مِنْهُ صَفِيحٌ مُسَرَّدُ
فَمِنْهَا الْمَنَايَا دُونَهُ تَتَّصِعُدُ
وَلَكِنْ إِلَى حُلُقُومِهِ يَتَرَدَّدُ

(١) ديوان / ١٥٠.

(٢) يقافض: يواظب.

فَيُفْتَحُ فَاهُ ثُمَّ يَدْخُلُ طَائِرٌ
فَإِنْ رَامَ إِطْبَاقاً عَلَيْهِ فَأَنَّهُ
وَيَقْتُلُهُ الْجَامُوسُ فَهُوَ إِذَا ذَرَى
وَيَخْدَعُهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى يَصِيدَهُ
رَأَيْنَاهُ مَحْمُولاً عَلَى جَمَلٍ وَقَدْ
وَلِلْعَقْلِ فِي صَيْدِ التَّمَايِيحِ صَنْعَةٌ
وَذُو الْعَقْلِ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ وَقَادِرٌ
فَلَا الطَّيْرُ فِي جَوْ وَلَا الْوَحْشُ فِي الْفَلَا
فَيَقْهَرُهُ قِتَالاً وَذَبْحاً وَخِدْمَةً

فَيَلْفِظُ مَا قَدْ كَانَ فِيهِ تَدْوُدُ
يَكُونُ لِسَقْفِ الْحَلْقِ بِالرِّيشِ يَفْصُدُ
بِهِ فَرٌّ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّبْحِ يُجْهَدُ
وَيَرْبُطُهُ كَالْعَنْزِ بِالْحَبْلِ تُصَفَّدُ
أَتَتْ طَرْفَاهُ الْأَرْضَ فِيهَا يُخَدَّدُ
يُرْتَبُّهَا الْفِكْرُ الْمُصِيبُ فَتُحَمَّرُ
عَلَى كُلِّ ذِي رُوحٍ رَقِيبٌ مُؤَيَّدُ
وَلَا سَابِغٌ إِلَّا لَهُ مُتَرَدَّدُ
وَفِي آخِرِ ذُو الْعَقْلِ فِي الرُّمْسِ يُلْحَدُ

ووصفه غيره فقال: (١)

وَذِي هَامَةٍ كَالثُّرْسِ يَفْغَرُ عَنْ فَمٍ
يُضْمُّ عَلَى مِثْلِ الْحُسَامِ الْمُثَلَّمِ
وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الْمَنَاشِيرِ رُكْبَتِ
عَلَى مِشْفَرٍ مِيلِ الْقَلْبِ الْمُهَدَّمِ
مَشَى فِي شَوَاةٍ مِنْ فَقَارَةٍ غَيْلِمَ وَسَقْفَ لَحْيَا مِنْ مَنَاقِبِ شَيْهَمِ (٢)

(١) نهاية الأرب للنويري ٣١٥/١٠.

(٢) الشوأة، واحدة الشوى، وهي اليدان والرجلان والأطراف وقحف الرأس، والشوأة: جلدة الرأس؛ كأنها هي من الشوى، الغيلم: السلحفاة الذكر. سَقْف: طول. الشيهم: ذكر القنافذ، أو ما عظم شوكه من ذكورها.

الثَّعْلَبُ (١)

الذكر، ثعلب وثعلبان، والجمع ثعالب وثُعُل. ومن أسمائه الصَّيْدَن،
وَحَبْر، والدَّرَّان، والعَسَلُوق، وتُثْفَل (٢)

والأنثى ثُعْلَبَة، وثُعَالَة، وثُعَال، وتسمَّى ثُرْمَلَة.

ويقال لولد الثعلب الهَجْرَس، والكُتْع.

وللثعلب كنى عديدة منها: أبو الحَنْبَص، وأبو النِّجَم، وأبو نَوْفَل وأبو
الوُثَّاب، وأشهرها أبو الحُصَيْن. وتكنى الثعلبة بأمّ عَوِيل.

يقال: أرض مُثْعَلَبَة، ومُثْعَلَة، أي كثيرة الثعالب وثُعْلَب الرجلُ وتَثْعَلَب،
أي جبن وراغ. والثعلب: طرف الرمح الداخِل في جُبة السنان، و: الحجر
الذي يسيل منه ماء المطر، و: مخرج الماء من الحوض، و: أصل الراكوب في
جذع النخلة، أو هو الفسيل إذا قطع من أمّه. والثعلبة: العصعص، والأُسْت.
وداء الثعلب: عِلَّة يتناثر منها الشعر.

(١) المخصص ٧٥/٨/٢، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ث ع ل ب) وحياة الحيوان ١٧٤/١.

(٢) تَفْل كَقَنْفَذ، ودرهم وجعفر، وزبرج، وجُنْدَب.

ويقال: ضَبَحَ الثعلب ضُبَاحاً، وضَغَا ضُغَاءً: إذا صاح، والثعلبية،
والسُمسِمَة: ضربات من ضروب العدو للثعلب.

من الأمثال الواردة في الثعلب:

- (أُخْتَل من ثُعَالَة) (١).
- (أُرُوغ من ثعلب) (٢).
- (بالت بينهم الثعالب) (٣) يضرب مثلاً للقوم يقع بينهم الفساد.
- (ذلٌّ من بالت عليه الثعالب) (٤) يضرب مثلاً للرجل المهين.
- (ومتى كانت الثعالبُ أَسَدًا ومتى كانت النساءُ رجالاً) (٥).

مما جاء عنه في القصص:

١ - (الثعلب والكركي) (٦).
يُحكى أنَّ ثعلباً ابتلع عظماً فبقي في حلقه فطلب من يعالجه ويخرجه
فجاء إلى كركي فجعل له أجراً على أن يخرج العظم من حلقه؛ فادخل رأسه في
فم الثعلب، وأخرج العظم بمنقاره ثم قال للثعلب: هات الأجر، فقال الثعلب:
أنت أدخلت رأسك في فمي وأخرجته صحيحاً. ألا ترضي بذلك حتى تطلب
أجراً زيادة؟

٢ - (كراء وافي ومهمة خطيرة) (٧)

قيل لثعلب: أتحمل كتاباً إلى الكلب وتأخذ مائة؟ قال: أما الكراء فوافي

(١) و (٢) جمهرة الأمثال ١٦٧/١ و ٤٣٩.

(٣) جمهرة الامثال ٢٢١/١.

(٤) جمهرة الامثال ٤٦٥/١.

(٥) التمثيل والمحاضرة للثعالي ٣٥٨.

(٦) البصائر والذخائر ٧٠٤/٢.

(٧) المصدر السابق ٧٠٥/٢.

ولكنَّ الخطر عظيم.

٣ - (اللقاء عند الوَبَّار)^(١).

وقع ثعلبان في شرك صيَّاد، فقال أحدهما : يا أخي أين نلتقي؟ فقال:
في دُكَّان الوَبَّار^(٢).

٤ - (جور السلطان)^(٣).

نظر ثعلب إلى جمل يعدو فقال: ما وراءك؟ قال: جعلت فداك، سُخِّرَت
الحمير والبغال، فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ فقال: أخاف جور السلطان.

٥ - (الأسد والثعلب)^(٤).

اشتكى الأسد علةً شديدة فعاده جميع السباع إلَّا الثعلب، فدخل عليه
الذئب فقال: أصلح الله الملك إنَّ السباع كلُّها قد زارتك وعادتك ما خلا الثعلب
فإنه مستخفُّ بك، وبلغ الثعلب ذلك فاغتمَّ لذلك. فلما جاءه قال الأسد: مالي
لم أرك يا أبا الحُصَيْن؟ فقال: أصلح الله الملك، بلغني وجعك فلم أزل أطوف
في البلدان أطلب دواءً لك حتَّى وجدته، فقال: أي شيء هو؟ قال: مرارة
الذئب. فأرسل إليه والثعلب عنده فلما دخل وثب الأسد عليه فهرب الذئب،
وناشه الأسد فسلخ جلد آسته. فتبعه الثعلب وهو يصيح به: يا صاحب السروال
الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج منك فإن المجالس بالأمانات.

٦ - (قاض يغضب من صلح الخصمين)^(٥).

لقي ثعلبٌ عراقيُّ ثعلباً شامياً فقال له: عرَّفني ما عندك من حيلٍ ثعالب

(١) المصدر السابق ٧٠٥/٢.

(٢) الوَبَّار: الذي يستخلص الوبر من جلد الحيوان.

(٣) البصائر والذخائر ٧١٩/٢.

(٤) البصائر والذخائر ٧٢٧/٢، وحياة الحيوان ١٧٨/١، والمستطرف ١٠٤/٢.

(٥) البصائر والذخائر ٧٢٧/٢.

الشام، فقال: عندي مائة حيلة. فقال العراقي: والله لأصحبته حتى أستفيد منه. فلزمه. فبينما هما كذلك إذ طلع الأسد عليهما، فقال العراقي للشامي: خذ في الحيلة، قال: والله كما عندي حيلة في هذا الوقت، قال: ولم خاطرت بنفسك، وغررت بأخيك؟.

فلما دنا الأسد قال لهما من أين أقبلتما؟ قال العراقي: إليك أردنا، وإليك قصدنا. قال: فبماذا؟ قال: إن أخي هذا بالشام، وأنا بالعراق، وإن أبانا مات وورثنا شويهاً. فجاء أخي هذا يريد أن يذهب بها، فقلت له: هلم إلى سيد السباع ليحكم بيننا فمهما قال التزمنا. قال: أين الشاء؟ قال: في هذا البستان - وأشارا إلى بستان حصين - وقال العراقي: أنا أرسل أخي حتى يخرج الغنم فيقسمها الملك، فقال: نعم ثم قال للشامي: ادخل وأخرج الغنم وعجل.

فدخل الشامي وأقبل يأكل من الثمار، فلما أبطأ قال العراقي: قد قلت للملك: إنه ظالم، فأذن لي حتى أدخل خلفه وأخرجه إليك مع الشاة قمياً ذليلاً. قال ادخل وعجل، فدخل الثعلب البستان وأقبل يأكل من الثمار حتى شبع، ثم أشرف من الحائط على الأسد وقال له: يا أبا الحارث، أعلم إنا قد اصطلحنا فامض في دعة الله، فجعل الأسد يضرب بذنيه الأرض ويستشيط غضباً، فقال له الثعلب: أنما أنت قاضٍ، وما رأيت قاضياً يغضب من الصلح غيرك.

٧ - (الثعلب والطبل)^(١)

زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبلٌ معلق على شجرة، وكلما هبت الرياح على قضبان تلك الشجرة حثها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم باهر، فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته؛ فلما أتاه وجده ضحكاً،

(١) كلبلة ودمنة ١٣٢/.

فايقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم، فعالجه حتى شقّه، قلماً رآه أجوف لا شيء فيه قال: لا أدري لعل أفشل^(١) الأشياء أجهرها^(٢) صوتاً، وأعظمها جثّة.

٨ - (الحق بنظر القوي)^(٣)

زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً أصطحبوا فخرجوا يتصيدون فصادوا حمار وحش، وظبياً، وأرنباً. فقال الأسد للذئب اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك، الحمار لك، والأرنب للثعلب، والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح برأسه ثم أقبل على الثعلب وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة، هات أنت يا أبا الحُصَيْن، فقال الثعلب: يا أبا الحارث الأمر أوضح من ذلك. فالحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك. من علمك هذه الأقضية؟ قال رأس الذئب الطائح عن جثته.

٩ - (الثعلب يدعو الديك للصلاة)^(٤)

وحكي أن الثعلب مرّ في السحر بشجرة فأرى فوقها ديكاً، فقال له: أما تنزل نصلي جماعة؟ فقال: إن الإمام نائم خلف الشجرة فأيقظه. فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولّى هارباً. فناداه الديك: أما تأتي لنصلي؟ فقال: قد انتقض وضوئي فاصبر حتى أجدد الوضوء وأرجع.

مما قيل في وصف الثعلب نثراً^(٥)

قال الوزير ابن شهيد الأندلسي (احمد بن عبد الملك) يصف الثعلب:

(١) أفشل الأشياء: أضعفها.

(٢) أجهر الأصوات: أعلاها.

(٣) حياة الحيوان ١٧٦/١، المستطرف ١٠٤/٢.

(٤) المستطرف ١٠٤/٢.

(٥) التوابع والزوابع ١٢٦، وبيمة الدهر ٤٧/٢.

أَذْهَى مِنْ عَمْرُو (١)، وَأَفْتَك مِنْ قَاتِل حَذِيفَةَ بْنِ بَدْر (٢)، كَثِيرِ الْوَقَائِعِ فِي الْمُسْلِمِينَ، مُغْرَى بِإِرَاقَةِ دِمَاءِ الْمُؤَذِّنِينَ (٣)، إِذَا رَأَى الْفُرْصَةَ انْتَهَظَهَا، وَإِذَا طَلَبَتْهُ الْكِمَاةُ أَعْجَزَهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بُقْرَاطُ فِي إِدَامِهِ (٤) وَجَالِينُوسُ (٥) فِي اعْتِدَالِ طَعَامِهِ. غَدَاؤُهُ حَمَامٌ أَوْ دَجَاجٌ، وَعَشَاؤُهُ تَدْرُجٌ أَوْ دُرَّاجٌ (٦).

مِمَّا قِيلَ فِيهِ شِعْرًا

قَالَتْ أُمُّ سَالِمٍ لِابْنِهَا مَعْمَرٍ (٧):
أَرَى مَعْمَرًا لَا زَيْنَ اللَّهِ مَعْمَرًا وَلَا زَانَهُ مِنْ زَائِرٍ يَتَقَرَّبُ
أَعَادَيْتُنَا عَادَاكَ عِزٌّ وَذِلَّةٌ كَأَنَّكَ فِي السَّرْبَالِ إِذْ جِئْتَ ثُعْلَبُ (٨)
فَلَمْ تَرَعْنِي زَائِرًا مِثْلَ مَعْمَرٍ أَحَقُّ بِأَنْ يُجْنَى عَلَيْهِ وَيُضْرَبُ

وَقَالَ آخِرُ (٩):

خَيْرُ الصَّدِيقِ هُوَ الصَّدُوقُ مَقَالَةً وَكَذَلِكَ شَرُّهُمْ الْمَيُّونُ الْأَكْذَبُ (١٠)
فَإِذَا غَدَوْتَ لَهُ تُرِيدُ نَجَازَهُ بِالْوَعْدِ رَاغٌ كَمَا يَرُوعُ الثُّعْلَبُ

(١) يريد عمرو بن العاص.

(٢) حذيفة بن بدر من سادات فزارة قتله ربيبه قرواش بن هُتَيَّ في حرب داحس والغبراء (أيام العرب في الجاهلية / ٢٦٤).

(٣) يريد بالمؤذنين هنا: الديكة لأنها تصبح عند طلوع الفجر.

(٤) بقراط: من أشهر أطباء اليونان في القديم.

(٥) جالينوس: طبيب يوناني قديم اشتهر بالتشريح.

(٦) التدرج: طائر جميل يغرد بالبساتين شبيه بالدراج إلا أنه أفضل منه لحماً.

(٧) الحيوان للجاحظ ٣٠٨/٦.

(٨) الظاهر أنها تدعو عليه بالموت فلا يكون له عز ولا ذلة.

(٩) الحيوان للجاحظ ٣١٠/٦.

(١٠) الميون، فعول من المين وهو الكذب.

وقال راشد بن عبد الله ^(١) يخاطب صنماً بال عليه الثعلب:
لَقَدْ خَابَ يَوْمَ أَمْلُوكَ لِشِدَّةٍ أَرَادُوا نِزَالاً أَنْ تَكُونَ تُحَارِبُ
فَلَا أَنْتَ تُغْنِي عَنْ أُمُورٍ تَوَاتَرَتْ وَلَا أَنْتَ دَفَاعٌ إِذَا حَلَّ نَائِبُ
أَرْبٍ يَيُولُ الثُّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ ^(٢)

وقال عمرو بن الأهتم ^(٣):
أَلَمْ تَرَ مَا بَيَّنِّي وَبَيَّنَّ ابْنِ عَامِرٍ مِنْ الْوُدِّ قَدْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ
وَأَصْبَحَ بَاقِي الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالذَّهْرُ فِيهِ الْعَجَائِبُ

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ^(٤):
تَمَنِّيَنِي قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ سَفَاهَةً وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تَحْتَوِيكَ الْمَقَانِبُ ^(٥)
وَأَنْتَ امْرُؤٌ جَعَدَا الْقَفَا مُتَعَكِّسٌ مِنْ الْأَيْطِ الْحَوْلِيِّ شَبْعَانُ كَانِبُ ^(٦)
إِذَا انْتَسَبُوا لَمْ يَعْرِفُوا غَيْرَ ثَعْلَبٍ إِلَيْهِمْ وَمِنْ شَرِّ السَّبَاعِ الثُّعَالِبُ

(١) كان راشد هذا سادناً لأحد الأصنام، فجاء ذات يوم ثعلب يعدو فلما صار قرب الصنم رفع رجله وبال عليه، فقام راشد إلى الصنم فكسره، وقال الأبيات الآتية، ثم جاء إلى النبي ﷺ وأسلم، فقال له النبي: ما اسمك؟ قال: غاوي بن ظالم، قال: لا بل أنت راشد بن عبد الله، وفي رواية (ابن عبد ربه). انظر حياة الحيوان ١٧٤/١ و١٧٥.

(٢) الثعلبان (بضم الثاء واللام): الثعلب، ويروى بصيغة التثنية (بفتح الثاء واللام)، والبيت في لسان العرب منسوب إلى غاوي بن ظالم، أولأبي ذر الغفاري، أو العباس بن مرداس السلمي.
(٣) جمهرة الأمثال ٤٦٦/١ وعزاهما الهميري في حياة الحيوان ١٧٩/١ إلى حميد بن ثور، ولم أجدهما في ديوانه.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣٠٤/٦.
(٥) المقانِب، جمع مقنَب (بالكسر) وهو جماعة الخيل والفرسان.
(٦) الجعد: القصير. المتعكس: المثنى غُضُونُ الْقَفَا. الأقط: لبن مجفف يابس متحجر. الحولي: الذي مضى عليه الحول. الكانِب: الغليظ.

وقال مزرد بن ضرار^(١) :

وإن كَنَزَ اللَّحْمِ مِن بَكَرَاتِكُمْ
وَلَيْتَ الَّذِي أَلْقَى فَنَاؤُكَ رَحْلَهُ
تَهَرَّ عَلَيْهَا أُمُّكُمْ وَتُكَالِبُ
لِتَقْرِيهُ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

وقال حسان بن ثابت^(٢) :

أَبُوكَ أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ مَوْدُونَةٌ
يَسِيتُ أَبُوكَ بِهَا مُعْرَساً
فَيْسَ الْبُنَيَّ وَيُسَّ الْأَبُ
كَأَنَّ أُنَامِلَهَا الْحُنْطُبُ^(٣)
كَمَا سَاوَرَ الْهَرَّةَ الثَّعْلَبُ^(٤)

وقال زهير بن أبي سُلمى^(٥) :

وَبِلْدَةٍ لَا تُرَامُ خَائِفَةٌ
تَسْمَعُ لِلْجَنِّ عَازِفِينَ بِهَا
زُورَاءَ مُغْبَرَةٍ جَوَانِبُهَا
تَضْبَحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا

وقال آخر^(٦) :

مَا أَعْجَبَ الدَّهْرَ فِي تَصْرِفِهِ
يَبْسُطُ آمَالَنَا فَنَبْسُطُهَا
وَكَمْ رَأَيْنَا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَسَدٍ
وَالدَّهْرُ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ
وَدُونَ آمَالِنَا نَسَائِبُهُ
بَالَتْ عَلَى رَأْسِهِ ثَعَالِبُهُ

(١) الحيوان للجاحظ ٣٥٣/١.

(٢) ديوانه ٣٦.

(٣) المودونة: القصيرة العنق، الصغيرة الجثة. الخنطب: ذكر الجراد، وذكر الخنافس.

(٤) في الديوان (الهوة) مكان (الهرة) والتصويب من الحيوان للجاحظ ١٤٥/١.

(٥) ديوانه ٢٦٥.

(٦) الحيوان للجاحظ ٣٠٤/٦.

وقال طرفة بن العبد (١) :

أُسَلِّمَنِي قَوْمِي وَلَمْ يَغْضَبُوا لِسَوْءَةٍ حَلَّتْ بِهِمْ فَادِحَهُ
كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَئُهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَهُ (٢)
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال الناشئ الأكبر (عبد الله بن محمد الأنباري المعروف بابن شرشير) (٣)

يصف الثعلب واعتصامه بوجاره، ثم يصف طريقة صيدا بن عرس له :

لو أن حَيًّا واثِقًا لِعُمُرِهِ أو عَائِذَا مِنْ نَكَبَاتِ دَهْرِهِ
بِمَقْصِلٍ يُحْصِنُهُ مِنْ غَدْرِهِ أَفَلَتَ مِنْ خُتْلِ الرَّدَى وَخْتَرِهِ (٤)
أَبُو الْحَصِينِ كَامِنًا فِي جُحْرِهِ مُبَقِّدَرًا فِي ظَنِّهِ وَفِكْرِهِ
أَنْ الْوَجَارَ ضَامِنٌ لِنَصْرِهِ وَحِفْظُهُ مِنْ قَانِصٍ وَسْتَرِهِ (٥)
عَنْ حِيلَةٍ يُعْمِلُهَا بِفِكْرِهِ إِذَا غَدَا بِكَلْبِهِ وَصَقْرِهِ
وَلَيْسَ يَجْرِي فِي بَنَاتِ صَدْرِهِ أَنْ ابْنَ عَرَسٍ قَاصِمٌ لِظَهْرِهِ
وَهَاجِمٌ عَلَيْهِ فِي مَقَرِّهِ أَعْجَبَ بِهِ مُقْتَحِمًا فِي وَكْرِهِ
وَحَيْطُهُ مُعَلَّقٌ فِي نَحْرِهِ حَتَّى إِذَا أَمَرْتَهُمْ بِجَرِّهِ
جَرُّوهُ فَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ قَعْرِهِ اللَّهُ مَا أَعْظَمَهُ بِهِضْرِهِ
وَقَدَّهُ أَوْ قَطَعَهُ مِنْ خَصْرِهِ وَذَبَحَهُ بِنَائِهِ أَوْ ظَفْرِهِ
لَكِنَّهُ بِعَصْرِهِ وَقَسْرِهِ أَحْسَنُ فِي اسْتِحْيَائِهِ وَأَسْرِهِ (٦)

(١) ديوانه / ١٥.

(٢) يريد بالواضحة: الأسنان التي تظهر عند الضحك.

(٣) المصائد والمطارد / ٢٢٧.

(٤) المقصل: السيف القاطع. الختر: الغدر.

(٥) الوجار (بالكسر): جحر الثعلب وغيره من الوحش.

(٦) استحيائه: استبقائه حياً.

ولبعضهم في عجز الثعلب عن تناول العنقود (١):

أَيُّهَا الْعَائِبُ سَلَّمِي أَنْتَ عِنْدِي كُثْعَالَهُ
رَامَ عُنُقُودًا فَلَمَّا أَبْصَرَ الْعُنُقُودَ طَالَه
وَقَالَ هَذَا حَامِضٌ لَمَّا رَأَى الْأَ يَنَالَهُ

وقال أمية بن أبي عائذ لإياس بن سهم (٢) .

فَأَبْلَغَ إِيَّاسًا إِنَّ عِرْضَ ابْنِ أَخِيكُمْ
فَإِنْ تَكُ ذَا طَوْلٍ فَإِنِّي ابْنُ أَخِيكُمْ
فَكُنْ أَسَدًا أَوْ ثَعْلَبًا أَوْ شَيْبَهَهُ
فَمَا ثَعْلَبٌ إِلَّا ابْنُ أَخِي ثُعَالَةٍ
وَلَنْ تَجِدَ الْأَسَادَ أَخْوَالَ ثَعْلَبٍ
رَدَاؤُكَ فَاصْطَنْ حُسْنَهُ أَوْ تَبَدَّلِ (٣)
وَكُلُّ ابْنِ أَخِي مِنْ نَدَى الْخَالِ مُعْتَلِي (٤)
فَهُمَا تَكُنْ أَنْسَبُ إِلَيْكَ وَأَشْكَلُ (٥)
وَإِنَّ ابْنَ أَخِي اللَّيْثِ رِثْبَالُ أَشْبَلِ
إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَا تَلُودُ بِمَدْخَلِ

وقال الطغرائي (الحسين بن علي) (٦) .

إِذَا كُنْتَ لِلْمُلْطَانِ خِدْنًا فَلَا تُشِيرْ
فَقَدْ جَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّ ثَعْلَبًا
أَضَرَّ بِهِ جُوعٌ طَوِيلٌ فَشَقَّه
فَفَارَّ لَدَيْهِ الذَّبُّ يَوْمًا بِخَلْوَةٍ
فَكُلُّهُ وَأَطْعَمَهُ فَمَا هُوَ شَكْلُنَا
عَلَيْهِ بِمَا يُؤْذِي بِهِ الدَّهْرُ مُسْلِمًا
وَذِئْبًا أَصَابَا عِنْدَ لَيْثٍ تَقْدُمَا
وَأَبْقَى لَهُ جِلْدًا رَقِيقًا وَأَعْظُمًا
فَقَالَ كَفَاكَ الثَّعْلَبُ الْيَوْمَ مَطْعَمًا
وَلَسْتُ أَرَى فِي أَكْلِهِ لَكَ، مَاثِمًا

(١) جمهرة الأمثال ٧٦/٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٣٥٣/١ .

(٣) إصطن، فعل أمر من اصطن وهو الافتعال من صان الشيء: حفظه. تبدل: امتن.

(٤) معتلي، وقيل (معتلي بالغين المعجمة) وكلاهما بمعنى مرتفع.

(٥) أشكل، من الشكل والشاكلة أي الشبه.

(٦) ديوانه ٣٥٥/ .

فَلَمَّا أَحَسَّ الثُّعْلَبَانُ بِكَيْدِهِ تَطَبَّبَ عِنْدَ اللَّيْثِ وَاحْتَالَ مُقْدِمًا
وَقَالَ أَرَى بِالْمَلِكِ دَاءً مُمَاطِلًا تَهْدَمُ مِنْهُ جِسْمُهُ وَتَحْطُمَا
وَفِي كَيْدِ الذُّبِّ الشِّفَاءُ لِذَائِهِ فَإِنْ نَالَ مِنْهَا يَنْجُ مِنْهُ مُسَلِّمًا
فَصَادَفَ ذَا مِنْهُ قَبُولًا فَعِنْدَهَا أَحَالَ عَلَى الذُّبِّ الْخَيْثَ فَصَمَّمَا
فَأَقْلَتَ مَمْسُوحَ الْإِهَابِ مُرَمَّلًا فَلَمَّا رَأَى الثُّعْلَبَانُ تَبَسُّمًا^(١)
وَصَاحَ بِهِ يَا لَا يَسَّ الثُّوبِ قَانِيًا مَتَى تَخْلُ بِالسُّلْطَانِ فَاسْكُتْ لَتُسَلِّمَا

وقال أبو الفرج الببغاء يصف الثعلب: (٢)

وَأَعْفَرَ الْمَسْكِ تَلْقَاهُ فَتَحَسَّبَهُ مِنْ أَدَكَنِ الْخَزِّ مَخْبِوءٍ بِخَيْفَانِ^(٣)
كَأَنَّ أَذْنِيهِ فِي حُسْنٍ انْتَصَابِهِمَا إِذَا هُمَا انْتَصَبَا لِلْحِسِّ رُجَّانِ^(٤)
يَسْرِي وَيَتَّبِعُهُ مِنْ خَلْفِهِ ذَنْبٌ كَأَنَّهُ حِينَ يَيْدُو ثَعْلَبٌ ثَانِي
فَلَا يَشْكُ الَّذِي بِالْبُعْدِ يُبْصِرُهُ فَرْدًا بَأْنُهُمَا فِي الْخِلْقَةِ اثْنَانِ

(١) المرمل: الملتطخ بالدم.

(٢) نهاية الأرب ٢٨١/٩.

(٣) الأعفر: ما يعلو بياضه حمرة. المسك (بفتح الميم واسكان السين): الجلد، وسمي بذلك لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم. خيفان: نوع من الحشيش الجبلي يبلغ ارتفاعه أكثر من ذراع.

(٤) الحس: الصوت الخفي. الرجآن، تشبیه زج وهو الحديد المدببة التي في أسفل الرمح.

الجَرَادُ (١)

الجراد (بالفتح) معروف. الواحدة جرادة، الذكر والأنثى فيه سواء. يقال: هذا جرادة ذكر، وهذه جرادة أنثى. قال الجوهري (وليس الجراد بذكر للجرادة، وإنما سمي للجنس كالبقرة والبقرة، والتمر والتمرة، والحمام والحمامة وما أشبه ذلك، فحقّ مذكّره أن لا يكون مؤنّثه من لفظه لئلا يلتبس الواحد المذكّر بالجمع). وكنية الجرادة أم عوف.

مراتب نشأته

الجراد أوّل ما يكون

(سِرْوَة)

وهي دودة - وأصلها الهمز - فإذا تحرّك فهو

(دَبَا)

الواحدة دبابة، وهو يخرج أصهب إلى البياض، وقيل: أوّل ما يخرج

(١) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥١، والمخصّص ٢/٨/١٧٢، ونهاية الأرب ١٠/٢٩٢، والصحاح للجوهري، ولسان العرب (مادة ج رد) ومعجم لغوية أخرى.

(قَمَص)

الواحدة قَمَصَةٌ، وذلك حين يكون كالْعُثِّ صِغَرًا، فإذا نظرت إليه الشمسُ صار كالنمل سواداً فيسمَّى عند ذلك:
(الحُبْشَان)

الواحدة حُبْشِيَّةٌ، ثم تسليخ فتصير فيها طريقة سوداء، وطريقة صفراء فتسمَّى:

(بُرْقَانًا)

الواحدة بُرْقَانَةٌ، وتسمَّى أيضاً:
(المُسِيح)

ومعنى المسيح: المُخْطَطُ بِالْوَانِ شَيْءٌ. وذلك حين يزحف ، ويسليخ
البُرْقَانُ:

(كُتْفَانًا)

وَأَمَّا سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ خَرَجَتْ أَوَائِلُ أَجْنَحَتِهِ فَكَتَفَتُهُ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَكْتَفِ الْمَشْيَ، أَيْ إِذَا مَشَى حَرَّكَ كَتْفَيْهِ. الواحدة كُتْفَانَةٌ، وكَاتِفٌ، وكَاتِفَةٌ. فإذا ظهرت أَجْنَحَتُهُ فَاسْتَقْلَ فَهُوَ.

(الْغَوْغَاءُ)

الواحدة غَوْغَاءَةٌ، وذلك حين يستقلُّ فيموج بعضه في بعض ولا يتوجَّه إلى جهة، ولذلك قيل لرعاع الناس: غَوْغَاءٌ. فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة، وبقي بعض الحمرة واختلف في ألوانه فهو،

(الخَيْفَان)

الواحدة خيفانة، وتلك أسرع الجراد طيراناً، ومن ثمَّ قيل للفرس: خيفانة وهي الفرس الخفيفة المتوثبة. فإذا اصفرَّت الذكور واسودَّت الإناث سقطت عنه تلك الأسماء وسمِّي جراداً.
إِستطراد لغوي

- أرض مَجْرُودة، وجَرْدَة: أصابها الجراد. وجَرَدَها الجراد: لم يُبقَ فيها شيئاً.

- الجَرْدُ: أن يَشْرَى جِلْد الإنسان من أكل الجراد.

- رجل جَرِد: إذا مرض من أكل الجراد.

- جراد سَرُو: إذا امتلأ، وإذا ألقى بيضه قيل: سرأ ببيضه، وسرأت، وأسرات الجراد: أَلْقَتْ ببيضها.

- أنقف الجراد ببيضه: ألقاه.

- غرَّز الجراد: إذا أثبت أذنا به في الأرض ليبيض.

- أمكنت الجراداة جمعت البيض في جوفها، وهي مَكُون ما دام ذلك في جوفها.

- أخنى الجراد: كثر ببيضه.

- السُّلْفَة: الجراداة التي أَلْقَتْ ببيضها.

- العِظال: ركوب الجراد بعضه على بعض، والجراد عند ذلك العِظالي.

وقد اعتَظَلَ الجراد وتعاضل.

- المرادفة ركوب الذكر والأنثى.

- إِرْتَهَس الجراد، وَاِرْتَهَسَ (في المهملة والمعجمة): ركب بعضه بعضاً

حتى لا يُرى معه تراب.

- سَامَ الجراد سَوَمًا: دخل بعضه في بعض.
- هَمَشَ الجراد: تحرَّك ليثور.
- الأثناء: عقدة في رأس الذنب كالمخلبين، ويقال لهما: الأشرتان، وبهما تَرَزُّ.
- المشاران: المخلبان اللذان تحت الساقين.
- الظُّهران: الجناحان الغليظان من أجنحة الجراد الأربعة.
- القِشران: الجناحان الرقيقان.
- الجَوْشَن: صدر الجراد وفيه ستُّ أيدٍ.
- البُصاق: لعاب الجراد كما يقال للإنسان.
- الثَّوَالَة من الجراد: القطعة الكثيرة.
- الرُّجْل، والرَّجْلَة: الطائفة الكبيرة من الجراد، وقيل: إنها قطعة من جراد بمكان قدر ميل، والجمع أرْجال، وإذا كان أكثر من ذلك فهو زَحَف.
- السُّد من الجراد: ما سدَّ الأفق.
- العُنْطَب، والعُنْطَاب، والعُنْطُوب: الذكر من الجراد والجمع العُنْطَاء.
- العُصْفُور: الذكر من الجراد.
- الجُنْدَب، والجُنْدَب، والجُنْدَب: الصغير من الجراد، وقيل الذكر.
- العُنْطَوَانَة: الأنثى من الجراد.
- الحَرَشَف: صغار الجراد.
- المَعَيْن: الذي يسلخ فيكون أبيض، أو أحمر.
- المَرَجَل: الذي تُرى آثار أجنحته.
- القُمَّل: صغار الجراد، أو صغار الدُّبَا الذي لا أجنحة له.

ذكره في القرآن الكريم

قال الله تعالى في سورة الأعراف / ١٣٣ في معرض ما أصاب فرعون

وقومه من العذاب ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدَّمَ آيات مفصَّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ .

وقال عز من قال في سورة القمر/٧ واصفاً حشر الناس يوم القيامة ﴿خشعاً
أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ .
ذكره في الأمثال:

(أجرَد من جراد) (١)

يضرب مثلاً للرجل المشؤوم الذي يقتلع الأصول بشؤمه، لأن الجراد إذا
وقع في زرع جرده حتى لا يُبقي منه شيئاً .

(أحطم من جراد) (٢)

وأصل الحطم: الكسر .

(أسرى من الجراد) (٣)

قيل هو من السرى، أي سير الليل، وقيل من السرو وهو بيض الجراد،
ومن ثم قيل: أكثر بيضاً من الجراد .

(أصرد من جراد) (٤)

الصرد: البرد، وذلك لأن الجراد لا تُرى في الشتاء أبداً لقلة الصبر على
البرد .

(١) جمهرة الأمثال ٣٣٥/١ .

(٢) المصدر السابق ٤٠٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٥٣٥/١ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٤١٣/١ .

(أطير من جرادة) (١)

(أفسد من الجراد) (٢)

لأنه يجرد الشجر والنبات، وبهذا سمي جراداً .

(أنزى من جراد) (٣)

من النزوان، وهو الوثوب .

(علقت معالقتها وصرت الجندب) (٤)

يضرِب مثلاً للشيء يثبت ويتأكد أمره .

(كالجراد لا يبقي ولا بذر) (٥)

(لا تكن كالجراد يأكل ما وجده) (٦)

(أيرجى بالجراد صلاح أمير وقد جبل الجراد على الفساد) (٧)

مما قيل في وصف الجرادة نثراً (٨) :

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أن وصف النملة :

(وإن شئت قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها

(١) جمهرة الأمثال ١٣/٢ .

(٢) المصدر السابق ١٠٤/٢ .

(٣) المصدر السابق ٣٢٣/٢ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ١٥/٢ .

(٥) النمثيل والمحاضرة ٣٧٤/ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق أيضاً .

(٨) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد ٦٥/١٣ .

حدقتين قَمَراوين^(١)، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السيئ، وجعل لها الحسَّ القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين^(٢) بهما تقبض. يرهبا الزَّراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذُبَّها ولو أجلبوا بجمعهم حتى تردَّ الحرث في نزواتها^(٣)، وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكونُ إصبعاً مستدقةً .

فتبارك الذي يسجد له مَنْ في السماوات والأرض طَوْعاً وكرهاً، ويعفُّ له خذاً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سِلماً وُضعفاً، ويعطي له القياد رهبةً وخوفاً .
مما قيل فيها شعراً :

قال أبو زيد الطائي^(٤) :

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوَازُ^(٥)
وَاسْتَكْنُ الْعُصْفُورُ كَرَّهَا مَعَ الضَّبِّ — وَأَوْفَى فِي عُوْدِهِ الْجِرَاءُ
وَنَفَى الْجَنْدُبُ الْحَصَى بِكَرَاعِهِ — وَادَّكَّتْ نِيرَانَهَا الْمَعْزَاءُ^(٦)
وقال آخر^(٧) :

جَرَادَةٌ حَنَّتِ الْقُلُوبَ لَهَا حِينَ أَشَارَتْ بِنَاطِرِي رَبِّرَبِّ
صَفْرَاءُ جِسْمٍ يَشُوبُهَا رَقْطٌ فِي نُقْطٍ مِنْ عَيْرِهَا الْأَشْهَبِ
كَأَنَّهَا وَالْجَنَاحُ حُلَّتْهَا رَاقِصَةٌ فِي مُمَسِّكِ مُذْهَبِ

(١) أسرج لها حدقتين، أي جعلهما مضيئتين كالسراج، ويقال: حدقة قمرء، أي منيرة .
(٢) المنجل (كمنبل) آلة معروفة يحصد بها الزرع وأراد بالمنجلين رجلي الجرادة لاعوجاجهما وخشونتهما .

(٣) النزوات: الوثبات .

(٤) ديوانه / ٢٤، والحيوان للجاحظ ٢٣١/٥ .

(٥) الشرب (بالكسر) : النصيب من الماء. الصابح، من صبح الابل أي سقاها أول النهار.
الجوزاء: أحد بروج السماء .

(٦) الجندب: الذكر من الجراد كراعا الجندب: رجلاه. المعزاء (بالفتح) : الأرض الخزنة الخليجية ذات الحجارة .

(٧) نهاية الارب للنويري ٢٩٥/١٠ .

وقال أبو هلال العسكري^(١) :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا أَرْدِيَةٌ مِنْ قَصَبٍ
لَكِنَّهَا مَنْقُوطَةٌ مِثْلُ صُدُورِ الْكُثْبِ
وَأَرْجُلٌ كَأَنَّهَا مَنَاشِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقال قيس بن الخطيم^(٢) :

فَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ لَبَسْتُ مَعَ الْبُرْدَيْنِ ثَوْبَ الْمُحَارِبِ
مُضَاعَفَةً يَغْشَى الْأَنَامِلَ فَضْلُهَا كَأَنَّ قَتِيرَهَا عُيُونُ الْجَنَادِ^(٣)

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شُبث بن ربعي^(٤) :

لَمَّا سَمِعْتُ الدَّيْكَ صَاحَ بِسُحْرَةٍ وَتَوَسَّطَ النَّسْرَانِ بَطْنَ الْعَقْرِ
وَبَدَا سُهَيْلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ وَعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِ^(٥)
نَبَّهْتُ نَذْمَانِي وَقُلْتُ لَهُ اصْطَبِخْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ
صَفْرَاءَ تَبْدُو فِي الزُّجَاجِ كَأَنَّهَا حَذَقُ الْجَرَادَةِ أَوْ لُعَابُ الْجُنْدِ

وقال أعرابيٌّ أَكَلَ الْجَرَادُ زَرْعَهُ^(٦) :

مَرَّ الْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ إِزْمَ طَرِيقَكَ لَا تُوَلِّعْ بِأَفْسَادِ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ
إِنَّا جُنُودُ لَرَبِّ الْعَرْشِ مُرْسَلَةٌ مَنَا حَصِيدٌ وَمَنَا غَيْرُ حَصَادِ

(١) ديوان المعاني ١٥١/٢ .

(٢) ديوانه ٣٢/ .

(٣) المضاعفة: درع تنسج حلقتين حلقتين، فضلها: زيادتها. القتير: رؤوس المسامير في الدرع .

(٤) الأغاني ٢٩٢/٢٠ . والحيوان للجاحظ ٥٦٩/٥ .

(٥) الهجان: البيض. الربرب: القطيع من بقر الوحش .

(٦) التمثيل والمحاضرة/٣٧٤ .

وقال أبو هلال العسكري^(١) :

وأعْرَابِيَّة تَرْتَادُ زَادًا
عَدَتْ تَمْشِي بِمِنْشَارٍ كَلِيلٍ
وَتَنْشُرُ فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرْبٍ
وَتَلْبَسُ تَحْتَ ذَاكَ عِطَافَ لَازٍ
فَتَمْرُقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
تَبْوُعُ بِهِ قَرَارَةَ كُلِّ وَادٍ^(٢)
عَلَى أَرْجَائِهِ نُقْطُ الْمِدَادِ
عَلَى أَكْنَافِهِ رَدْعُ الْجِسَادِ^(٣)

وقال عمرو بن معد يكرب^(٤) :

تَمْنَانِي لِيَلْقَانِي أَبِي
تَمْنَانِي وَسَابِغَتِي دِلَاصٌ
مُضَاعَفَةٌ تَخِيرَهَا سُلَيْمٌ
وَدِدْتُ وَأَيْنَ مَا مَنِي وَدَادِي^(٥)
خَرُوسُ الْجِسِّ مُحْكَمَةُ السَّرَادِ^(٦)
كَأَنَّ سِكَائَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ^(٧)

وقال المتلمس (جري بن عبد العزى) وقيل : ابن عبد المسيح^(٨) :

كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا
عُقَارًا عُتِقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى
وَحْتُ بِهِمْ وَرَاءَ الْبَيْدِ حَادِي^(٩)
كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ

(١) ديوان المعاني ١٥١/٢ .

(٢) تبوع ، من باعت الشيء : امتدّت فيه . وأدركت غايته .

(٣) العطاف (بالكسر) : الرداء اللّاذ : ضرب من الحرير صيني ، واحده لاذة ، الردع : أثر الطيب .

الجساد (بالكسر) : الزعفران .

(٤) الحيوان للجاحظ ٥٦٠/٥ .

(٥) يريد (وددت وأين مني ما أودّه) .

(٦) السابغة : الدرع الفضفاضة . الدلاص : الملساء اللينة .

(٧) يريد بقوله سليم : أبا سليمان ، وهو نبي الله داود عليه السلام الذي تنسب إليه الدروع الداوية ، فاضطره وزن الشعر الى هذا التغيير ، وهو شائع عند شعراء العرب الأوائل كقول النابغة الذبياني :

وَكُلَّ صَمَوٍ ثَلَاثَةُ تُبْعِيَّةٍ وَنَسَجَ سُلَيْمٌ كُلَّ قَضَاءٍ ذَائِلٍ

(٨) الحيوان للجاحظ ٥٦١/٥ .

(٩) استبدوا : انفردوا بالسفر دوني ، ولعلّ الأصل (استقلوا) أي ذهبوا وارتحلوا .

وقال بشر بن أبي حازم^(١) مشبهاً فرسه بالجرادة :

بُكِّلَ قِيَادِ مُسْنِفَةٍ عُنُودٍ أَضَرَّ بِهَا الْمَسَالِحُ وَالْعَوَارُ^(٢)
مُهَارِشَةَ الْعِنَانِ كَأَنَّ فِيهَا جَرَادَةً هَبْوَةً فِيهَا أَصْفِرَارُ^(٣)
وقال السري الرفاء^(٤) :

وَجُنْدَبَةٌ تَمْشِي بِسَاقٍ كَأَنَّهُ عَلَى فَيْخِ كَالْعُودِ مِنْشَارُ عَرَعَرٍ^(٥)
مُكْتَبَةٌ تَجْلُو الْجَنَاحَ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي عِطَافٍ مُعْبَرٍ^(٦)
وقال يعلى بن إبراهيم الأندلسي(*) :

وَحَيْفَانَةٌ صَفْرَاءُ مَسُودَّةُ الْقَرَا أَتَتْكَ بَلَوْنِ أَسُودٍ فَوْقَ أَصْفَرٍ^(٧)
وَأُجْنِحَةٍ قَدْ أَحْفَتُهَا كَرْدِيَّةٌ تَقَاصَّرُ عَنْ أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُجَبَّرٍ^(٨)
وقال جمال الإسلام عمر بن الحسن بن أحمد الباسيسي من أهل

-
- (١) الحيوان للجاحظ ٥٥٩/٥ ، والمفضليات/٣٤٣ .
(٢) المسنفة (بكسر النون) : المتقدمة ، وبفتحها : التي شُدَّ عليها السناف وهو لبب يُشَدُّ من وراء السرج الى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . العنود : التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . المسالِح : المراقب والثغور . العوار (بالكسر) مصدر عاور ، والمعاورة : المداولة ، ويريد معاورة الضرب والطعن . وفي رواية (الغوار) بالغين المعجمة وهو مصدر (غاور) كالمغاورة .
(٣) المهارشة : المقاتلة ، أي تجاذب العنان من شدة المرح . الهبوة : الغبار ، وخصَّ جرادة الهبوة لأنها أشدُّ طيراناً .
(٤) ديوانه ٢٩٥/٢ .
(٥) الجندبة : الجرادة . العرعر : شجر السرو .
(٦) المكتبة : المحزومة ، وفي نهاية الأرب للنويري ١٥٤/١٠ (ممسكة) مكان (مكتبة) أي المطيَّبة بالمسك وليس بشيء . العطاف (بالكسر) : الرداء .
(*) نهاية الأرب ٢٩٥/١٠ .
(٧) الخيفانة : الجرادة . القرا : الظهر .
(٨) ألحفثها : ألبستها اللحف . الردية (بكسر الراء) اسم من الارتداء .

الغَرَاف^(١) ملغزاً في الجرادة :

وطائِرةٌ من الشَّجَرِ تُرى في البَدْوِ والحَضَرِ
لها ذَكَرٌ وَتَفْضُلُهُ وليسَ البِنْتُ كالذَّكَرِ
إذا ما رَجُلُها انْقَطَعَتْ أَنتَ رَجُلٌ على الأثرِ^(٢)
وإنَّ وَرَدَتْ إلى بَلَدٍ فما لِلوَرْدِ من صَدَرِ^(٣)

وقال الأفوه^(٤) :

بمناقبٍ بيضٍ كأنَّ وجُوهَهُم زَهْرٌ قُيِّلَ تَرَجُلِ الشَّمْسِ^(٥)
دَبُّوا كَمُتَشِيرِ الجَرَادِ هَوَتْ بالبَطْنِ في دِرْعٍ وفي تُرسٍ^(٦)

وقال أبو الهندي غالب بن عبد القدوس^(٧) :

فإنَّ هذا الوَطْبَ لي ضائرٌ في ظاهِرِ الأمرِ وفي الغامِضِ^(٨)
إنَّ كُنْتُ تَسْقِينِي مِن قَهْوَةٍ صَفراءَ مثلِ المَهْرَةِ النَّاهِضِ
تَنزُّو الفَقَاقِيعُ إذا شُعِشِعَتْ نَزَّو جَرَادِ البَلَدِ الرَّامِضِ^(٩)

وقال آخر مشبهاً الفرس بالجرادة^(١٠) :

فاذا أَتَيْتَ أبَاكَ فاشْتَرِ مِثْلَهَا إنَّ الرِّدافَ عَنِ الأَحْبَةِ يَشْغَلُ

(١) خريدة القصر- شعراء العراق- القسم الثاني من الجزء الرابع/٥٩٥.

(٢) الرجل (بكسر الراء) : الطائفة العظيمة من الجراد.

(٣) الصدر (بالتحريك) : الاسم من صدر، أي رجع.

(٤) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦٩.

(٥) المناقب: الأفعال الكريمة. تَرَجَّلَت الشمس: ارتفعت.

(٦) البطن: بطن الوادي.

(٧) الحيوان للجاحظ ٥/٥٦٩.

(٨) الوطْب: سقاء اللبن.

(٩) شُعِشِعَت الخمرة: مُزِجَت بالماء. الرامض: الشديد الحر.

(١٠) الحيوان للجاحظ ٥/٥٥٩.

فَإِذَا رَفَعْتَ عِنَانَهَا فَجَرَادَةٌ وَإِذَا وَضَعْتَ عِنَانَهَا لَا تَفْشَلُ
وقال القاضي محيي الدين الشهرزوري^(١) معدداً ما في الجراد من شبه
بالحيوانات الأخرى:

لَهَا فَخْذَا بَكْرٌ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤُجُؤُ ضَيْغَمٍ
حَبَّتْهَا أَفَاعِي الْأَرْضِ بَطْنًا وَأُنْعَمَتْ عَلَيْهَا جِيَادُ الْخَيْلِ بِالرَّأْسِ وَالْقَمِ
كانت في أبي العطاء السندي (اسمه أفلح بن يسار) الشاعر المعروف
لكنة أعجمية شديدة، ولشعة شنيعة، فنظم له حماد الرواية أسئلة تكثر فيها
الحروف التي لا يحسن التلُّفُظ بها ليجب عنها فيضحك منه. ومع أن الذي
يهمُّنا منها بيت واحد عن الجراد فلا بأس من إيرادها جميعاً لطرافتها، قال
حماد^(٢):

أَبِنْ لِي إِنْ سُئِلْتَ أَبَا عَطَاءٍ يَقِينًا كَيْفَ عِلْمُكَ بِالْمَعَانِي
فقال أبو عطاء:

خَبِيرٌ عَالِمٌ فَاسْأَلْ تَجِدْنِي بِهَا طَبًّا، وَآيَاتِ الْمَثَانِي
قال حماد:

فَمَا اسْمُ حَدِيدَةٍ فِي رَأْسِ رُمَحٍ دُوَيْنَ الْكَعْبِ لَيْسَتْ بِالسَّنَانِ
فقال أبو عطاء:

هُوَ الزُّرُّ الَّذِي إِنْ بَاتَ ضَيْفًا لَصَدْرِكَ لَمْ تَزَلْ لَكَ عَوَلَتَانِ^(٣)

(١) حياة الحيوان ١/١٨٨.

(٢) الأغاني لأبي الفرج ٢٤٩/١٧

(٣) يريد بالزُّرُّ: الرَّجُلُ.

قال حمّاد:

فَمَا صَفَرَاءُ تُدْعَى أُمَّ عَوْفٍ كَأَنَّ رُجَيْلَتَيْهَا مِنْجَلَانِ
فَأَجَابَ أَبُو عَطَاءٍ :

أَرَدْتُ زَرَادَةً وَأَزُنُّ زَنّاً بِأَنَّكَ مَا أَرَدْتَ سِوَى لِسَانِي^(١)

وقال عوف بن ذروة يصف الجراد^(٢) :

قَدْ خِيفْتُ أَنْ يَحْدُرَنَا لِلْمُضَرِّينِ وَنَتْرُكُ الدِّينَ عَلَيْنَا وَالدِّينَ^(٣)
زَحْفُ مِنَ الْخَيْفَانِ بَعْدَ الزُّحْفَيْنِ مِنْ كُلِّ سَفْعَاءِ الْقَفَا وَالْحَدَّيْنِ^(٤)
مَلْعُونَةٍ تَسْلُخُ لَوْنًا عَنْ لَوْنٍ كَأَنَّهَا مُلْتَفَّةٌ فِي بُرْدَيْنِ
تُنْحِي عَلَى الشُّمْرَاخِ مِثْلَ الْفَاسِّينِ أَوْ مِثْلَ مِشَارٍ حَدِيدِ الْحَرْفَيْنِ^(٥)
أَنْصَبُهُ مُنْصَبُهُ فِي قِخْفَيْنِ

(١) يريد (أردت جراداً وأظنُّ ظناً) .

(٢) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري/ ٤٨ .

(٣) أراد بقوله (الدين والدين) : الديون الكثيرة .

(٤) الخيفان: الجراد. السفعاء من السُّفْعَة، وهي من اللُّون: سواد أشرب حمرة .

(٥) الشُّمْرَاخ، أحد شُمارِخِ العذق، وهو ما عليه البسر أو العنب من عيدان الكباشَة، ولعل الشاعر توسّع فجعل السنبلة شُمْرَاخاً أيضاً .

الحُبَارَى (١)

الحُبَارَى (بالضم) طائر بَرِّي أكبر من الدجاجة، طويل العنق رمادي اللون على شكل الإوزة، وفي منقاره طول .

يقع الاسم على الذكر والأنثى، والواحد والجمع . قال الجوهري في الصحاح (وإن شئت قلت في الجمع : حباريات، وألفه ليست للتأنيث، ولا للإلحاق، وإنما بُني الاسم لها فصارت كأنها من نفس الكلمة، لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، أي لا تنون) .

وقال الفيروز آبادي في القاموس (وألفه للتأنيث، وغلط الجوهري، إذ لو لم تكن للتأنيث لانصرفت . جمعها حباريات) .

وعقّب الزبيدي في تاج العروس بقوله (هذا غريب - يعني قول الجوهري - قال شيخنا: ودعواه أنها صارت [الألف] كأنها من الكلمة من غرائب التعبير، والجواب عنه عسير) .

(١) الصحاح للجوهري، والقاموس، ولسان العرب، وتاج العروس، ومعجم أخرى (مادتي ح ب ر) و(خ ر ب) وحياة الحيوان ٢٢٥/١ و٢٩٠ .

وقال ابن منظور في لسان العرب (تجمع الحبارى على حباريات، وقيل تجمع على حباير أيضاً) .

ومن أسماء الحبارى:

- الخَرْب (بفتح الخاء والراء) وهو ذكر الحبارى، والجمع أخراب
وخراب وخربان .

- الحَبَارِج، والجَبْرِج، واليَحْبُور: من أسماء الذكر أيضاً .
ويسمى فرخ الحبارى :

الحارص، والحَبْرَبَر، والحَبْرَبُور، والحَبْرُور، والحَبْرِير، والنَّهَار،
واليَحْبُور .

مما ورد في الأمثال

- (أذْرَقُ من حبارى)، و (أَسْلَحَ من حبارى)^(١) .
لأنها ترمي الصقر بسلاحها إذا أراغها ليصيدها فتلوث ريشه بلثق
سلاحها .

- (أطيّر من حبارى)^(٢)

قال الجاحظ: والحبارى من أشدّ الطير طيراناً، وأبعدها مسقطاً، وأطولها
شوطاً، وأقلها عُرجة^(٣) وذلك أنها تصطاد بظهر البصرة عندنا فيُشَقُّ عن حواصلها
فيوجد فيها الحبة الخضراء غضة لم تتغيّر ولم تفسد . وأشجار الحبة الخضراء
بعيدة المنابت منّا وهي علوية أو ثغرية أو جبلية .

(١) لسان العرب مادة (ح ب ر) .

(٢) ثمار القلوب/٤٨٤، والحيوان للجاحظ ٤٥٢/٥ .

(٣) العرجة (بالضم والفتح) : أن تعرّج على المنزل

- أكمَد من حبارى) ، وفلان ميّت كمد الحبارى^(١) .
لأنّها تُلقِي في التحسير عشرين ريشة دفعة واحدة فتقعد عن الطيران ثم
تبطيء ، فإذا رأت الطير تطير كَمَدَتْ ، وربّما ماتت كمدّاً .

- (أمّوق^(٢) من الحبارى)^(٣)

ذلك أنّ الحبارى تأخذ فرخها قبل نبات جناحه فتطير معارضة له ليتعلم
منها الطيران . فتعرّضه لخطر السقوط .

- (إنّ الحبارى لتموت هزلاً بذنب بني آدم)^(٤)

جاء ذلك في حديث أنس ، ويعني أنّ الله يحبس عنها المطر بشؤم
ذنوبهم ، وإنّما خصّها بالذكر لأنّها أبعد الطير نجعة .

- (سلاح الحبارى)^(٥)

يضرب مثلاً للضعيف يستعين بالآلة اللّثيمة على مقاومة من أقوى منه ،
وذلك أن الحبارى سلاّمها سلاّحها ، فإذا أراد الصقر أن يصيدها ترميه بذرقها
فيدبق جناحه . ويعطل طيرانه حتى تجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة
طاقة فيموت .

- (كلّ شيء يحبُّ ولده حتّى الحبارى ويدفُّ عنده)^(٦) .

مثل سائر عند العرب ، وورد في حديث لعثمان رضي الله عنه . ومعنى

(١) ثمار القلوب/٤٨٤ وجمهرة الأمثال ١٧٦/٢ ، ولسان العرب .

(٢) الموق (بالضم) : الحمو في غباوة .

(٣) لسان العرب .

(٤) النهاية لابن الأثير ٣٣٨/١ ولسان العرب .

(٥) ثمار القلوب ٤٨٣/

(٦) النهاية لابن الأثير ٣٢٨/١ ، ولسان العرب .

قولهم: يذفّ عنده، أي تعارضه بالطيران ولا طيران له لضعف خوافيه وقوادمه.
وقال ابن الأثير: خص الحبارى، بالذكر في قوله: حتى الحبارى، لأنها يضرب
بها المثل في الحمق، فهي على حمقها تحب ولذا فتطعمه وتعلمه الطيران
كغيرها من الحيوان.

- (وعيد الحبارى) (١)

يضرب مثلاً للضعيف يتوعد القوي. ومن أمثال العرب تقول: وعيد
الحبارى الصقر، قال الشاعر:

أقلّ عناءً عنك إيعاد بارقٍ وعيدُ الحُبارى الصَّقْرُ من شدّة الرُّعبِ
مما ورد في الشعر

قال الراعي النميري (عبيد بن حصين) (٢):

حَلَفْتُ لَهُمْ لَا تَحْسُبُون شَيْئِي بِعَيْنِي حُبَارَى فِي حِبَالَةِ مُعْزِبٍ (٣)
رَأَتْ رَجُلًا يَسْعَى إِلَيْهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ بِمَا قِي عَيْنُهَا الْمُثَقَّلُ

وقال المتنبي (٤):

فَلَا تَنَلِّكَ اللَّيَالِي إِنَّ أَيْدِيَهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْغَرْبِ (٥)
وَلَا يُعِنُّ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ فَانْهَنِّ يَصِدُنَّ الصَّقْرَ بِالْخَرْبِ (٦)

(١) ثمار القلوب / ٤٨٣.

(٢) ديوانه / ٢٥.

(٣) المعزب: البعيد عن أهله ويريد الصائد.

(٤) ديوانه (شرح اليازجي / ٤٦٥).

(٥) النبع: شجر صلب. الغرب: شجر ضعيف.

(٦) الخرب (بفتحين): ذكر الحبارى.

وقال أبو نواس (١) :

يا رَبِّ غَيْثِ آمِنِ السُّرُوبِ حُبَارِيَاتِ جَلْهَتِي مَلْحُوبِ (٢)
فَالْقَطِيبَاتِ إِلَى الذَّنُوبِ يَرْفُلْنَ فِي بَرَانِسِ قُشُوبِ (٣)
مَنْ جَبَرِ عُولِينَ بِالتَّهْذِيبِ فَهِنَّ أَمْثَالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ (٤)
فِي يَوْمِ عِيدِ مُبَرَزِ الصَّلِيبِ دَعَرْتُهَا بِمُلْهَبِ الشُّؤُوبِ (٥)

وقال قيس بن زهير (٦) صاحب داحس :

مَتَى تَتَحَزَّمُ بِالْمَنَاطِقِ ظَالِمًا لِتَجْرِي إِلَى شَأٍ بَعِيدٍ وَتَسْبَحِ (٧)
تَكُنْ كَالْحُبَارَى إِنْ أَصِيبَتْ فَمِثْلُهَا أَصِيبَ وَإِنْ تُفْلِتَ مِنَ الصَّقْرِ تَسْلَحِ

جمع هارون الرشيد بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه، فسأل اليزيدي الكسائي عن إعراب قول الشاعر (٨).

مَا رَأَيْنَا خَرَبًا نَقْدَ رَ عَنهُ الْبَيْضَ صَقْرُ (٩)
لَا يَكُونُ الْعَيْرُ مُهْرًا لَا يَكُونُ الْمَهْرُ مُهْرًا (١٠)

(١) ديوانه ٦٦٦/.

(٢) يريد بالغيث: العشب على سبيل المجاز لأن الغيث يبتبه.

السروب جمع سرب: الجماعة من الطير وغيرها. الحباريات جمع حبارى. الجلهة: ناحية الوادي. ملحوب: واد لبني أسد.

(٣) القَطِيبَات، والذنوب: من ديار بني أسد. قشوب: بيضاء نقيّة.

(٤) الحبر جمع حبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) يريد بملهب الشؤبوب: الصقر.

(٦) الحيوان ٤٤٨/٥.

(٧) تسبح: تجري بسرعة.

(٨) وفيات الأعيان ٢٣٤/٥، وحياة الحيوان ٢٩٠/١.

(٩) الخرب: ذكر الحبارى.

(١٠) العير: الذكر من حمر الوحش.

فقال الكسائي : يجب أن يكون (مهر) منصوباً على أنه خبر كان . ففي البيت على هذا التقدير إقواء ، فقال اليزيدي : الشعر صواب ، لأنَّ الكلام قد تمَّ عند قوله (لا يكون) الثانية وهي مؤكدة للأولى ، ثمَّ استأنف الكلام فقال (المهرُ مهرٌ) وضرب بقنلسوته الأرض وقال : أنا أبو محمد ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : أتكتني بحضرة أمير المؤمنين؟ والله إنَّ خطأ الكسائي مع حسن أدبه لأحسن من صوابك مع سوء أدبك ، فقال اليزيدي : إنَّ حلاوة الظفر أذهبت عنيَّ التحفظ .

وقال ابن ابي فنن (احمد بن صالح) يصف ناساً من الكتاب في قصيدة ذكر فيها خيانتهم فقال (١) :

رَأَوْا مَالَ الْإِمَامِ لَهُمْ حَلَالًا وَقَالُوا الدِّينُ دِينُ بَنِي صَهَارَى
وَلَوْ كَانُوا يُحَاسِبُهُمْ أَمِينٌ لَقَدْ سَلَحُوا كَمَا سَلَحَ الْحُبَارَى
وقال ديك الجن (أبو محمد عبد السلام بن رغبان) (٢) :

وَسِرْبِ حُبَارِيَاتٍ فَوْقَ طَرْدٍ أَشْبَهَهَا بِمَشِيخَةٍ جُلُوسٍ

وقال متمم بن نويرة من قصيدة يرثي بها أخاه مالكا (٣) :

وَلِلشَّرْبِ فَابِكِي مَالِكًا وَلِبُهِمَةٍ شَدِيدٍ نَوَاجِيهِ عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا (٤)
وَضَيْفٍ إِذَا أَرغَى طُرُوقًا بَعِيرُهُ وَعَانِ ثَوَى فِي الْقَدِّ حَتَّى تَكْنَعَا (٥)
وَأَرْمَلَةٍ تَمْشِي بِأَشْعَثَ مُحْتَلٍ كَفَرَّخِ الْحُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعَا (٦)

(١) الحيوان للجاحظ ٤٤٩/٥ .

(٢) ديوانه ١٧٤/ .

(٣) المفضليات ٢٦٦/ .

(٤) البهمة : الشجاع .

(٥) أَرغى بغيره : حمله على الرغاء لتجيبه الابل برغائها ، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحي .

تَكْنَعُ : تَقْبُضُ ، يعني حتى يبس القَدُّ - وهو سير من الجلد - على جسمه .

(٦) المحتل : الذي أساء غذاؤه . تَضَوَّعَ : تَفَرَّقَ ، والمراد شعر رأسه .

وقال زهير بن أبي سُلمى من قصيدة (١):

تَرَاخَى بِهِ حُبُّ الضَّحَاءِ وَقَدْ رَأَى سَمَاوَةَ قَشْرَاءِ الْوُظَيْفَيْنِ عَوْهَقِ (٢)
تَحَنُّ إِلَى مِثْلِ الْحَبَابِيرِ جُثْمٍ لَدَى سَكَنِ مِنْ قِيضِهَا الْمُتَفَلِّقِ (٣)

وقال أبو الأسود الدؤلي (٤):

وَزَيْدٌ مَائِتٌ كَمَدَ الْحَبَارَى إِذَا ظَلَعَنْتَ لَطِيفَةً أَوْ مُلِمٌ
تَبَنَّتُهُ فَقَالَ وَأَنْتِ أُمِّي فَأَلَى بَعْدَهَا لَكَ زَيْدٌ أَمْ
تَرُمُ مَتَاعَهُ وَتَزِيدُ فِيهِ وَصَاحِبُهَا لَمَّا يَحْوِي مِضْمٌ
سَتَلْقَى بَعْدَهَا شَرًّا وَضَرًّا وَتُقْصَى إِنْ قُرِبْتَ فَلَا تُضْمُ
وَتَلْقَاكَ الْمَلَامَةُ كُلَّ وَجْهِ سَلَكْتَ وَيَتَّحِي حَالِيكَ ذَمٌ

وقال أوس بن غلفاء الهجيمي (٥) من قصيدة يرد بها على يزيد بن عمرو بن خويلد ما هجا به قومه:

وَإِنَّكَ مِنْ هِجَاءِ بَنِي تَمِيمٍ كَمْزُودٍ الْغَرَامِ إِلَى الْغَرَامِ (٦)
هُمْ مَنُوا عَلَيْكَ فَلَمْ تُبَيِّهِمْ فَيَلًا غَيْرَ شَتْمٍ أَوْ خِصَامٍ
وَهُمْ تَرَكَوكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى
رَأَتْ صَقْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ

(١) ديوانه ٢٤٩/.

(٢) تراخى: تناول، وتباعد. الضحاء للابل: مثل الغداء للناس. سماوة الشيء: أعلى شخصه.

قشراء: نعامة منقشرة الساق لا ريش عليها. الوظيف: عظم الساق. عوهق: طويلة العنق.

(٣) تحن، أي النعامة. الحبابير جمع حبارى، وقد شبه فراخ النعامة بها. القيص: قشرة البيض.

(٤) ديوانه ٨١/ والأغاني ٣٣٥/١٢ وفيهما أن لأبي الأسود مولاة اسمها لطيفة، وكان لها عبد تاجر

يقال له مُلَمٌ، فابتاعت له أمة وأنكحته إياها فجاءت بغلام فسمته زيدا، وكانت تؤثره على كل

أحد، وتجد فيه وجد الأم بولدها، وجعلته على ضيعتها، فقال فيه أبو الأسود هذه الأبيات عندما

مرضت لطيفة.

(٥) المفضليات ٣٨٨/.

(٦) العزم (هنا): الشر الدائم.

الحَجَلُ (١)

الحَجَلَة (بالتحريك) واحدة الحجل: طائر بريٌّ على قدر الحمام .
جمعها حِجْلَان ، وَحِجْلَى ، ولم يَجِء الجمع على وزن فِعْلَى (بكسر الفاء) إلاَّ
(حِجْلَى وَظُرْبَى) .

والحجل صنفان: نجدي وتهامي . فالنجديُّ أخضر أحمر الرجلين ،
والتهاميُّ فيه بياض وخضرة . ومن أسمائه :

- (القبج) فارسي معرَّب (كَبَج أو كَبَك) لأنَّ القاف والجيم لا يجتمعان
في كلمة واحدة من كلام العرب . وقد شاع استعماله بحيث أنَّ بعض الأئمة نقله
كأنَّه عربي ، واستعمله القدماء في أشعارهم . والقبجة تقع على الذكر والأنثى
حتى تقول :

- (يعقوب) فيختص بالذكر ، لأنَّ الهاء إنما دخلته على أنه للواحد من

(١) الصحاح للجوهري ، والمعرَّب للجواليقي ، ولسان العرب ، وتاج العروس ، وأقرب الموارد في
حدود المواد التي مرَّ ذكرها . المصايد والمطارِد / ٢٦٨ . نهاية الأرب للنويري ٢٣٣/١٠ . حياة
الحيوان ٢٢٧/١ و ٢٣٩/٢ . صبح الأعشى ٧٤/٢ .

الجنس، واليعقوب: ذكر القبج مصروف لأنه عربيٌّ صحيح، أما اسم يعقوب نبيّ الله فهو أعجميٌّ لا ينصرف. وقال الأزهري: الحجل إناث اليعاقب، واليعاقب ذكورها، وخالفه ابن منظور فقال: الحجل الذكور من القبج. انتهى. ويقال لفرخ الحجل:

﴿السُّلْكُ﴾ بضمّ ففتح، والأنثى السُّلْكَةُ، ويقال أيضاً - (السُّلْفُ) والسُّلْفَةُ، والجمع سلكان وسلفان.

مما ورد في الحديث الشريف

(اللَّهُمَّ إِنَّ أَدْعُو قَرِيشاً وَقَدْ جَعَلُوا طَعَامِي كَطَعَامِ الْحَجَلِ). يريد أن الحجل يأكل الحَبَّةَ بعد الحَبَّةِ لا يجدُّ في الأكل. وقال الأزهري: أراد أنهم غير جادِّين في إجابتي ولا يدخل منهم في دين الله إلا النادر القليل (١).
(حاذوا المناكب في الصلاة فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَخَلَّلُ الصَّفُوفَ كَمَا يَتَخَلَّلُ الْحَجَلُ) (٢).

مما ورد في القصص

- زعموا أن غراباً رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلّمها، فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها وأيس منها، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها، فإذا هو قد اختلط مشيه وتخلّع فيه وصار أقبح الطير شيئاً (٣) ومن هذه القصة أخذ الشاعر قوله (٤):

(١) النهاية لابن الأثير ٣٤٦/١.

(٢) حياة الحيوان ٢٢٨/١.

(٣) كلیلة ودمنة/٣٨٧.

(٤) ثمار القلوب /٤٨٩.

وكم عَقَقِيْ قَد رَامَ مِشْيَةَ قَبْجَةٍ فَأُنْسِيْ مَمْشَاهُ وَلَمْ يَمْشِرْ كَالْحَجَلِ

- قال الأزهري: سمعت بعض العرب يقول:

قالت القطا للحجل: حجل حجل، تفر في الجبل، من خشية الوجَل،
فقالت الحجل للقطا: قطاقطا، بيضك ثنتا، وبيضي مائتا (١)

مما ورد في الشعر

قال ابن طَبَّاطْبا في وصف قبج في مجلس (٢):
وَمُسْجِنٌ يَهْوَى الْقِتَالَ مُنْعٍ عَنْ قِرْنِهِ ذِي صَرْخَةٍ وَدُعَاءٍ
بَادِي التَّمْلُلِ خَلْفَ حَائِطٍ سَجْنِهِ حُبُّ الْبِرَازِ مُجِيبُ كُلِّ نِدَاءٍ
فِي مَجْلِسٍ ضَبْنِكَ يَوْدُ لَوْ أَنَّهُ لَأَقَى مُبَارَزَهُ بِجَنْبِ فُضَاءٍ
فَقَدَ السَّلَاحَ فَجَالَ أَغْزَلَ جَوْلَةٍ وَمَضَى إِلَى الْهَيْجَاءِ ذَا خُيَلَاءٍ
فِي حُلَّةٍ ذَكْنَاءٍ قَدْ رُفِعَتْ لَهُ مِنْ جَانِبَيْهِ بِيَمْنَةِ السَّيْرَاءِ (٣)
مُتَشَمِّرًا مُتَبَخِّرًا مُتَكَبِّرًا مُتَطَوِّقًا بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءٍ

وقال آخر متمثلاً بشدة عدو اليعقوب (٤):

أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التُّعَاجِيْبِ
أَوْدَى وَذَلِكَ شَأْوَ غَيْرِ مَطْلُوبِ
وَلَى حَثِيئاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (حجل).

(٢) محاضرات الأدباء ٦٧٥/٢ وقد مر أن القبج هو الحجل.

(٣) السيرة: نوع من البرود فيه خطوط.

(٤) حياة الحيوان ٤٠٩/٢، وقد مر أن اليعقوب ذكر القبج أي الحجل.

وقال أبو إسحاق الصابي في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج البغاء^(١)
 أَنْعَتْ طَارُونِيَّةَ الثِّيَابِ لَا بَسَةً خَزّاً عَلَى الْإِهَابِ^(٢)
 تَصَبَّغَتْ تَصْبُغَ التَّصَابِي وَأَبْرَزَتْ وَجْهاً بِلا نِقَابِ
 رِيَانٍ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّبَابِ مَكْحُولَةُ الْعَيْنَيْنِ كَالْكَعَابِ
 مَغْمُوسَةٌ الْحَاجِبِ بِالْخِضَابِ مِنْقَارُهَا أَحْمَرُ كَالْعُنَابِ
 كَأَنَّمَا تُسْقَى دَمَ الرُّقَابِ مَحْذُورَةٌ مَحْمِيَّةُ الْجَنَابِ
 لَهَا عَلَى الْأَرْجُلِ وَالْأَعْقَابِ حَمَلَاتُ لَيْثٍ مِنْ لِيُوثِ الْغَابِ
 أَقْفَاصُهَا كَمَحْبَسِ الْحُجَابِ مُدَوَّرَاتُ الشَّكْلِ كَالْقَبَابِ
 تُسْمِعُنَا مِنْهَا وَرَاءَ الْبَابِ تَمْتَمَةُ بِالْقَافِ فِي الْخِطَابِ
 كَأَنَّمَا تَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ مَكْرُورَةٌ زَادَتْ عَلَى الْحِسَابِ
 فَهَقَّةَ الْأَبْرِيقِ بِالشَّرَابِ مَلَأْنَ مُنْكَباً عَلَى الْأَكْوَابِ
 أَهْلاً بِضِيَادِ لَهَا جَلَابِ جَاءَ بِهَا كَرِيمَةَ النَّصَابِ
 رَيْبَةَ الْجِبَالِ وَالْهَضَابِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ وَالْأَنْسَابِ
 لَمْ تَذِرْ مَا بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ غَرِيبَةً صَارَتْ مِنَ الْأَحْبَابِ
 دُونِكَ يَا ذَا الْمَفْخَرِ اللَّبَابِ أَرْجُوزَةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ
 بَاكُورَةٌ مِنْ ثَمَرِ الْأَلْبَابِ وَتُحَفَّةٌ مِنْ تُحَفِ الْآدَابِ
 هَدِيَّةُ الْأَثَرَابِ لِلْأَثَرَابِ قُلْ مَا تَرَى فِيهَا وَلَا تُحَابِي
 هَلْ خَلَصَتْ مِنْ هُجْنَةٍ وَعَابِ وَسَلَمَتْ مِنْ عَيْبَةِ الْعِيَابِ
 أَمْ خِلَتْهَا أَشْبَهُ بِالصُّوَابِ فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ مِنْ جَوَابِ

وقال آخر مشبهاً مشية محبوبه بمشية القبج^(٣) :
 لِقَاؤُكَ يَحْكِي قَضَاءَ الْحَوَائِجِ وَوَجْهُكَ لِلْغَمِّ وَالْهَمِّ فَارِجِ

(١) يتمة الدهر ٢/ ٢٦٧.

(٢) الطارونية نسبة إلى الطاروني وهو ضرب من الخز. الإهاب: الجلد.

(٣) ثمار القلوب / ٤٩٠.

وَفَيْكَ لَنَا فِتْنٌ أَرْبَعٌ تَسْلُ عَلَيْنَا سُيُوفَ الْخَوَارِجِ
لِحَاطِطِ الطَّبَّاءِ وَمَشْيِ الْقَبَاجِ وَطَوُّقِ الْحَمَامِ وَزِيِّ النَّدَارِجِ^(١)

وقال أبو عليّ البصير في وصفه (٢) :

وَلَا يَسَّةٌ ثَوْباً مِنَ الْخَزِّ أَذْكَنَّا وَمَنْ أَخْضَرَ الدِّيَابِجَ رَاناً وَمِعْجَراً^(٣)
مُقْلَدَةً فِي النَّحْرِ سُبْحَةً عَنَبٍ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَلْتَوِسْ أَنْ تُعْطَرَا
لَهَا مُقْلَتَا جَزَعٍ يَمَانٍ تَحَمَّلَتْ جُفُونُهُمَا مِنْ مَوْضِعِ الْكُحْلِ عُصْفُراً
مَطْرَزَةً الْكُمَيْنِ طُرْزاً تَخَالُهَا بَتَقْوِيمِهَا مِنْ حُلْكِةِ اللَّيْلِ أُسْطُراً

وقال أبو هلال العسكري (٤) يصف قبجة أهديت إليه :

أَهْدَيْتُهَا كَالْهَدْيِ آيَسَةً وَهِيَ سَلِيلُ النَّوَاشِزِ النَّفْرِ^(٥)
تَلِسُ سُمُورَةً مُشْمَرَةً تَصُونُ أَطْرَافَهَا مِنَ الْعَفْرِ^(٦)
وَقَدْ جَرَى الْمِسْكُ مِنْ مَحَاجِرِهَا فَضَمَّ لِبَاتَهَا مَعَ الثَّغْرِ^(٧)
تَخْطُرُ فِي حُلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّ أَكْمَامَهَا مِنْ الْحَبْرِ
وَاحْمَرَّ مِنْقَارُهَا وَمِنْخَرُهَا تَفْتَحُ الْوَرْدَ فِي نَدَى السَّحْرِ
كَأَنَّهَا حِينَ [لَقَطَ] قِرْطَمَهَا تَضْرِبُ يَاقُوتَةً عَلَى دُرِّ^(٨)

(١) التدارج جمع التدرج: طائر غرد جميل المنظر يكثر في بلاد فارس.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٦٧٥/٢.

(٣) الران: حذاء كالخف إلا أنه أطول ولا قدم له. المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها، وعمامة يعتجر بها الرجل.

(٤) ديوان المعاني ١٣٨/٢.

(٥) الهدى: الاسير.

(٦) السُمُورَة: لباس يتخذ من جلد السمور وهو حيوان برّي يشبه السمور. العفر (محرّكة): وجه الأرض، ويطلق على التراب.

(٧) اللبّات جمع اللبّة: المنحر، وموضع القلادة من الصدر، وهزّات التراقي وهي النقر التي في الصدر.

(٨) القرطم: حبّ العصفور.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبي من قصيدة خاطب بها عبد الملك بن مروان معتذراً إليه عن مبايعة عبد الله بن الزبير ^(١)
 فَأَرْحَمُ أَصْبَيْتِي الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ حِجْلِي تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ وَقَعُ ^(٢)
 أَذْنُو لَتَرْحَمَنِي وَتَقْبَلَ تَوْبَتِي وَأَرَاكَ تَذْفَعُنِي فَأَيْنَ الْمَدْفَعُ
 وقال أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني يصف الحجل ^(٣) :

مَا أَغْرَبَتْ فِي زِيَّهَا	إِلَّا يَعْاقِبُ الْحَجَلُ
وَتَخَالُهَا قَدْ وُكِّلَتْ	بِالْقُوتِ وَالصَّوْتِ الزَّجَلُ ^(٤)
صُغْرَى أَنْيَابٍ مِنْ أَلْ	مَرْجَانٍ مُحْكَمَةُ الْعَمَلِ
جَاءَتْكَ مُثْقَلَةً التَّرَائِبِ	بِالْحَلِيِّ وَبِالْحُلَلِ
صَفَرُ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا	بَاتَتْ بِتَبْرِ تَكْتَجِلُ
مَشْقُوقَةٌ شَقُّ الزُّجَا	جَ لِمَنْ تَأْمَلُ أَوْ عَقْلُ
وَصَلَتْ مَذَابِجُهَا الرُّوْ	سَ بِحُمْرَةٍ فِيهَا شُعْلُ
لَوْ لَا اخْتِلَافُ الْجِنْسِ وَالتَّر	كِيبِ جَاءَتْ فِي الْمَثَلِ
كَلَحَى الثَّمَانِينَ الَّتِي	خُضِبَتْ وَمِنْهَا مَا نَصَلُ
أَوْ كَاللُّثَامِ أَزَالَهُ	فَرَطُ التَّلْفَتِ وَالْعَجَلُ
وَتَخَالُهَا جَوَارِيَا	لَا يُزْدَرَيْنِ مِنَ الْعَطَلِ
رَمَتْ الثِّيَابَ إِلَى وَرَا	ءَ عَنِ الْمَنَاكِبِ تَنْجِدِلُ
وَبَدَتْ سَرَاوِيلُهَا	يَسْحَبْنَ وَشَيْئاً مِنْ قُبُلِ

(١) لسان العرب ١٤٣/١١ مادة (ح ج ل) والقصيدة بتمامها مع الخبر المتعلق به في الأغاني ١٦٠/١٣ - ١٦٣.

(٢) حجلي (بالكسر) جمع الحجل. الشربة (كجربة) ولا ثالث لهما: الأرض المعشبة لا شجر فيها، وموضع بنجد بديار بني عيس.

(٣) ديوانه ١٥٨/، ونهاية الأرب ٢٣٣/١٠.

(٤) ورد هذا البيت والذي بعده في حاشية نهاية الأرب ولا وجود لهما في الديوان

حُمْرٌ مِنَ الرُّكَبَاتِ فِي لَوْنِ الشَّقَائِقِ أَوْ أَجَلُ
 عَقْدَنَهَا فَوْقَ الصُّدُورِ مُخَالِسَاتٍ لِلْقُبُلِ
 وَشَدَدَنَ بِالْأَعْضَاءِ مِنْ حَذِرٍ عَلَيْهَا أَنْ تُحَلَّ
 وَكَأَنَّمَا بَاتَتْ أَصَا بِعُهَا بِحِجْنَاءٍ تُعَلَّ
 مَنْ يَسْتَحِلُّ لِصَيْدِهَا فَأَنَا أَمْرُؤُ لَا أَسْتَحِلُّ

الحِرْبَاءُ (١)

الحرباء (بكسر الحاء) دويبة من الزحافات أكبر من العظاءة، أغبر ما دام فرخاً ثم يصفر. حياته الحر، فإذا بدت الشمس لجأ بظهره إلى ساق شجرة وقابل الشمس يدور معها حيث دارت، شاحاً بيديه كهيئة المصلوب، وكلما حميت الشمس اخضر جلده، فإذا غربت الشمس غادر محله ساعياً وراء قوته. يقال عنه إنه قادر على أن يتلون بلون ما يحيط به من شجر أو مدر فلا يميزه الرائي. ومن أقدم العصور ضرب الناس به المثل في التلون والتقلب. كنيته: أبو حذر. وأبو جخادب، وأبو الزنديق، وأبو الشقيق، وأبو قادم. الحرباء: الذكر، وقيل هو ذكر أم حبين، والأنثى حرباءة، والجمع حرابي. ومن أسمائه:

السرمان (بالكسر)، والشقذ (بفتحتين) جمعه شقذان (بالكسر)، ومنه: المضهب، وهو الذي يخضر بعضه ويحمر بعضه.

(١) الحيوان للجاحظ ٣٦٣/٦، وحياة الحيوان للدميري ٢٣١/١، والمخصص لابن سيده ١٠٢/٨/٢، ولسان العرب، وتاج العروس مادة (ح ر ب).

يقال: جِرْبَاءٌ تَنْضُبُ، كما يقال: ذُئِبَ غُضِيٌّ، والتَنْضُبُ: شَجَرٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ السَّهَامُ، ويقال: أَرْضٌ مُحَرَّبَةٌ، أي كثيرة الحرباء.

مَّا جَاءَ فِي الْأَمْثَالِ

- (أَحْزَمَ مِنَ الْحَرْبَاءِ) (١) لَأَنَّهَا لَا تَخْلِي سَاقَ شَجَرَةٍ حَتَّى تَمْسُكَ بِأُخْرَى .
- (أَصْرَدَ مِنْ عَيْنِ الْحَرْبَاءِ) (٢) لِأَنَّ الْحَرْبَاءَ تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ بِعَيْنَيْهَا دَائِمًا لِتَسْتَجْلِبَ الدَّفْعَ إِلَيْهَا .
- (يَتَلَوَّنَ تَلَوُّنَ الْحَرْبَاءِ) (٣) يَضْرِبُ مِثْلًا لِمَنْ لَا يَثْبِتُ عَلَى حَالَةٍ.

كَلِمَةٌ لِبَعْضِ الْفَضَلَاءِ فِي وَصْفِ الْحَرْبَاءِ (٤)

أَعَجَزَتْ فِي الْإِبَاءِ عَنْ خُلُقِ الْحَرْبَاءِ، أَذْلَى لِسَانًا كَالرِّشَاءِ (٥) يَبْلُغُ بِهِ مَا يَشَاءُ، وَنَاطَ هَمَّتَهُ بِالشَّمْسِ مَعَ بَعْدِهَا عَنِ اللَّئِيسِ، وَأَنْفَ مِنْ ضَيْقِ الْوَجَارِ (٦) فَفَرَّخَ فِي الْأَشْجَارِ، وَسَمَّ الْعَيْشَ الْمَسْخُوطَ فَاسْتَبَدَلَ خُوطًا بِخُوطِ (٧) فَهُوَ كَالْخَطِيبِ عَلَى الْغُصْنِ الرَّطِيبِ.

مَّا وَرَدَ فِي الشَّعْرِ

قال أبو زيد الطائي (حرملة بن المنذر) (٨):

-
- (١) جمهرة الأمثال ٤٠٨/١ .
 - (٢) أقرب الموارد مادة (ح ر ب) .
 - (٣) حياة الحيوان ٢٣٢/١ .
 - (٤) نهاية الأرب للنويري ١٦٠/١٠ .
 - (٥) الرشاء: الحبل، وقيل حبل الدلو، يقال إن للحرباء لساناً بطول ثلاثة أشبار يصطاد به على هذه المسافة، فهو يخرجها ويخطف به الذباب وغيره بأسرع من لمح البصر ويعود إلى حاله.
 - (٦) الوجار: جحر الضبع وغيره.
 - (٧) الخوط (بالضم): الغصن الناعم، وقيل: كل قضيبي.
 - (٨) ديوانه ٢٤/ .

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شَرْبِي حِينَ لَاحَتْ لِلصَّاحِ الْجُوزَاءُ^(١)
وَأَسْتَظِلُّ الْعُصْفُورُ كَرْهًا مَعَ الضَّبِّ وَأَوْفَى فِي عُودِهِ الْحِرْبَاءُ

وقال ابن الرومي (علي بن العباس)^(٢) في قينة ورقبيها:

مَا بِأَلْهَا قَدْ حُسِّنَتْ وَرَقِيُّهَا أَبْدَأُ قَبِيحُ قُبْحِ الرُّقْبَاءِ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شَمْسُ الضَّحَى أَبْدَأُ تَكُونُ رَقِيُّهَا الْحِرْبَاءُ

وقال ذو الرِّمَّة (غيلان بن عقبة)^(٣):

وَقَدْ جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَبْيِضُ لَوْنُهُ وَيَخْضَرُ مِنْ لَفْحِ الْهَجِيرِ عَبَاغِيَّةُ^(٤)
وَيَشْبَحُ بِالْكَفَيْنِ شَبْحًا كَأَنَّهُ أَخُو فَجْرَةٍ عَالَى بِهِ الْجَذَعِ صَالِبُهُ
عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ طَوَالٍ وَكَاهِلٍ أَنْفَتُ أَعَالِيهِ وَمَارَتْ مَنَاكِبُهُ^(٥)

وقال أيضاً:^(٦)

وَدَاوِيَّةٌ جَرْدَاءُ جَدَاءُ جَثِمَتْ سَبَارِيْتُ يَخْلُو سَمْعٌ مُجْتَازٍ خَرْقِهَا
كَأَنَّ يَدَيَّ حِرْبَائِهَا مُتَشَمِّسًا مِنْ الصَّوْتِ إِلَّا مِنْ ضُبَّاحِ الثُّعَالِبِ^(٨)
بِهَا هَبَوَاتُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يَدَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَائِبٍ

(١) الصَّاحِ: من سقى إبله في أول النهار.

(٢) ديوانه ٦٣/١.

(٣) ديوانه ٤٧/.

(٤) الغباغب جمع غبغب: اللحم المتدلّي تحت حنك بعض الحيوانات كالديك والثور .

(٥) مارت: تحركت واضطربت.

(٦) ديوانه ٥٨/ و ٥٩.

(٧) دَاوِيَّة: فلاة جرداء. جَدَاء: لا ماء فيها.

(٨) سباريت: لا نبت بها. ضُبَّاح الثعلب: صاح.

وقال آخر^(١)

قَدْ لَاحَهَا يَوْمٌ شَمُوسٌ وَلَهَابٌ أَبْلَجُ مَا لِشَمْسِهِ مِنْ جِلْبَابٍ

شَالَ الْحَرَابِيُّ لَهُ بِالْأَذْنَابِ^(٢)

وقال ذو الرِّمَّة: ^(٣)

وَهَاجِرَةٌ مِنْ دُونِ مَيَّةٍ لَمْ تَقِلْ وَبَيْدَاءٌ مِقْفَارٍ يَكَادُ ارْتِكَاضُهَا
إِذَا جَعَلَ الْحَرَبَاءُ مِمَّا أَصَابَهُ قُلُوصِي بِهَا وَالْجُنْدُبُ الْجَوْنُ يَرْمَحُ^(٤)
بِالِ الضُّحَى وَالْهَجْرِ بِالْطَّرْفِ يَمْصَعُ^(٥) مِنَ الْحَرِّ يَلْوِي رَأْسَهُ وَيُرْنَحُ

وله أيضاً: ^(٦)

يَظَلُّ بِهَا الْحَرَبَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلاً عَلَى الْجَذَلِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ^(٧)
إِذَا حَوَّلَ الظِّلُّ الْعَيْشِيَّ رَأَيْتَهُ حَنِيفاً وَفِي قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ^(٨)
غدا أَكْهَبَ الْأَعْلَى وَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الضُّحَى وَاسْتَقْبَلَهُ الشَّمْسُ أَخْضَرُ^(٩)

(١) الحيوان ٣٦٦/٦.

(٢) الحرابي جمع الحرباء .

(٣) ديوانه ٨٦/ ٨٧.

(٤) لم تقل: من القيلولة. القلوص: الناقة الفتية. الجندب: صغار الجراد. الجون هنا: الأبيض وهو من الأضداد. يرمح: يضرب برجله الأرض من شدة الحر.

(٥) الهجر- هنا- الهاجرة وهي شدة الحر. مصحح بالشيء: ذهب به .

(٦) ديوانه ٢٢٩/.

(٧) الجذل (بكسر الجيم): أصل الشجرة بعد ذهاب الفرع، والجذل أيضاً: عود ينصب للابل الجربي لتحتك به. وفي نهاية الارب للنويري ١٠/١٦١ (يصلي بها الحرباء) وهو أجود بدليل قوله (لا يكبر).

(٨) يقول: إذا تحوّل الشمس إلى الزوال استقبل الحرباء القبلة كانه حنيف مسلم، وفي أول النهار يستقبل المشرق كانه نصراني.

(٩) الأكهب: الأغبر يميل إلى السواد.

وقال ابن المعتز: (١)

بِمَهْمِهِ فِيهِ بَيَّضَاتُ الْقَطَا كِسْرًا
كَأَنَّ حِرْبَاءَهَا وَالشَّمْسُ تَصْهَرُهُ
كَأَنَّهَا فِي الْأَفَاحِيصِ الْقَوَارِيرُ (٢)
صَالٍ دَنَا مِنْ لَهَيْبِ النَّارِ مَقْرُورُ

وقال ذو الرمة: (٣)

وَحَوْمَانِيَّةٍ وَرَقَاءٍ يَجْرِي شَرَابُهَا
تُطِيلُ الْوَحَافُ الصَّدَا فِيهَا كَأَنَّهَا
تُجَاوِزُنَ وَالْعَصْفُورُ فِي الْجُحْرِ لَا حِيَاءَ
وقال العباس بن مرداس: (٧)

عَلَى قُلُوصٍ يَعْلُو بِهَا كُلُّ سَبَسَبٍ
تَخَالُ بِهَا الْحِرْبَاءُ أَنْشَطَ جَالِسًا
وقال أبو دواد الإيادي: (٨)

رَمَوْا بَلِيلَ جِمَالِ الْحَيِّ فَانْجَدَبُوا
يَحْتُمُّهُمْ نَطْسُ ذُو نَجْدَةٍ شَرِسٍ
لَمْ يَنْظُرُوا بِاحْتِمَالِ الْحَيِّ إِشْرَاقًا
أَوْصَى لِيُزَعِّجَهُمْ بِالظُّعْنِ سَوَاقًا
لَا يَرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا (٩)

(١) ديوانه ٢/٢٢٥.

(٢) الأفاحيص جمع الأفحوص: مجثم القطاء وهو الموضع الذي تفحص التراب عنه لتبييض فيه.
القوارير: الزجاج.

(٣) ديوانه ٣٠٨/.

(٤) الحومانية: القطعة الغليظة من الأرض. ورقاء: غبراء تضرب إلى سواد.

(٥) الوحاف: ما وصل بين الأرضين. القراقير: السفن، يريد: الإبل في السراب كالسفن في الماء.

(٦) الشقذان جمع الشقذ: الحرباء.

(٧) الحيوان للجاحظ ٦/٣٦٦.

(٨) جمهرة الأمثال ٢/٣٨٨، والشريشي ٣/٢١٥.

(٩) يعجب الشاعر كيف أتيج للظعن هذا السائق المجدد الحازم كأنه الحرباء الذي لا يترك ساق شجرة تعلق بها حتى يمسك بساق أخرى. تنضبة: شجرة تصنع منها السهام، وقد مر أن الحرباء تنسب إليها فيقال (حرباء تنضبة) كما يقال (ذئب غضي).

الحُسُون (١)

الحُسُون طائر صغير كالعصفور حسن الصوت ذو ألوان جميلة بحمرة
وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة. جمعه حساسين.

يسميه أهل الأندلس (أبا الحسن، وأمّ الحسن) والمصريون (الزقايه،
والسقاية، وأبا زقاق) وأهل الشام وحلب ونواحيها والجزيرة (الحُسُون،
والشوبكي، والزقيّة).

وهو ذو فطنة قابل للتعليم. قال النويري في نهاية الأرب في سبب
التسمية: لأنه إذا كان في القفص استقى الماء من إناء بآلة لطيفة يوضع له فيها
خييط، فتراه يرفع الخييط باحدى رجليه ويضعه تحت رجله الأخرى حتى يصل
إليه ذلك الإناء فشرب منه.

(١) حياة الحيوان ١/٢٣٤، وصبح الأعشى ٢/٧٨، ونهاية الأرب ١٠/٢٥١، ومعجم متن اللغة مادة
(ح س ن).

مِمَّا قِيلَ فِيهِ شِعْرًا

قال يوسف بن هارون^(١)

وَحَرَسَاءَ إِلَّا فِي الرَّبِيعِ فَإِنَّهَا نَضِيرَةٌ قُسٌّ فِي الْعَصُورِ الذَّوَاهِبِ
أَتَتْ تَمْدُحُ النُّوَارِ فَوْقَ غُصُونِهَا كَمَا يَمْدَحُ الْعُشَّاقُ حَسْنَ الْجَبَائِبِ
تَبَدَّلُ أَلْحَانًا إِذَا قِيلَ بَدَلِي كَمَا بَدَّلَتْ ضَرْبًا أَكْفُ الضُّوَارِبِ
تُغْنِي عَلَيْنَا فِي عَرُوضَيْنِ شِعْرَهَا وَلَكِنَّ شِعْرًا فِي قَوَافٍ غَرَائِبِ

إِذَا ابْتَدَأْتَ تُنْشِئُكَ رَجْزًا وَإِنْ تَقُلْ
لَهَا بَدَلِي تُنْشِئُكَ فِي الْمُتَقَارِبِ
وَلَيْسَ لَهَا يَتِيهُ الطَّرَاءُ بِصَوْتِهَا وَلَكِنْ تُغْنِي كُلَّ صَاحٍ وَشَارِبِ^(٢)

وقال أبو هلال العسكري^(٣):

وَمُقْتَنَّةٌ الْأَلْوَانِ بِيضٌ وَجُوهُهَا وَنَمْرٌ تَرَاقِيهَا وَصَفْرُ جُنُوبِهَا
كَأَنَّ دَرَارِيعًا عَلَيْهَا قَصِيرَةً مَرْقَعَةٌ أَعْطَافُهَا وَجُيُوبُهَا
تَعْدِلُ أَلْوَانَ الْأَغَانِي كَأَنَّمَا تَعْدِلُ أَوْزَانَ الْأَغَانِي غُرَيْبُهَا^(٤)
تَسَامُ اسْتِيقَاءً فِي الْعِشَاءِ إِذَا عَرَى وَعُطِّلَ أَيَّامَ الْمَصِيفِ ذُنُوبُهَا^(٥)

وقال يوسف بن هارون^(٦)

مُسْمِعةٌ مِنْ غَيْرِ أَوْتَارٍ إِلَّا ارْتَجَالًا فَوْقَ أَشْجَارٍ

(١) التشبيهات / ٥٥.

(٢) الطَّرَاءُ: الطَارُؤُن، والغُرْبَاءُ.

(٣) ديوان المعاني ١٤١/٢.

(٤) غُرَيْب اسم امرأة كانت من أشهر المغنيات في عصر المأمون العباسي.

(٥) الذُّنُوب (بالفتح): الدُّلُوب.

(٦) التشبيهات / ٥٥.

يَقْتَرِحُ النَّاسُ عَلَيْهَا وَمَا
تُبْدِلُ إِنْ قِيلَ لَهَا بَدَلِي
كَأَنَّهَا فِي حِينِ تَبْدِيلِهَا
عَاشِقَةُ النُّوَارِ مَا أَقْبَلَتْ
يَقْتَرِحُ النَّاسُ عَلَى الطَّارِي
طَائِعَةً مِنْ غَيْرِ إِصْغَارِ
تَأْخِذٍ فِي أَهْزَاجِ أَشْعَارِ
إِلَّا بِهَا آثَارُ نُوَارِ

وقال ابن خاتمة الأنصاري: (١)

وَحَرَسَاءَ إِلَّا زَمَانَ الرَّبِيعِ
أَتَتْ تَمْدَحُ النَّوْرَ فَوْقَ الْغُصُونِ
تُقِيمُ لَهُ عُرْسًا فِي الرَّيَا
تُغْنِي مَدِيدًا وَمَهْمَا يُقْلُ
وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ تَسْجِيعَهَا
فَفِي سَجْعِهَا طَرْبُ لِلْخَلِيعِ
كَمَا يَشْكُرُ الْحُرُّ حُسْنَ الصَّنِيعِ
ضِرْ عِنْدَ الْغُرُوبِ وَعِنْدَ الطُّلُوعِ
لَهَا بَدَلِي وَقَعَتْ فِي السَّرِيعِ
بَدِيعٌ وَلَمْ تَدْرِ سَجْعَ الْبَدِيعِ (٢)

وقال أيضاً: (٣)

أَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أَمْ الْحَسَنُ
مُحِبًّا عَجِيبٌ وَشَخْصٌ طَرُوبُ
أَلَا بَدُّ لِي يَا ابْنَةَ الْحُسَيْنِ
وَهَاكَ فَوَادِي خَلْعًا وَمَا
فَدَيْتُكَ مِنْ بُلْبُلٍ هَاجٍ مِنْ
لَقَدْ جِئْتِ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ فَنٍ
وَسَجْعُ أَدِيبٍ وَصَوْتُ حَسَنٍ
فَصَلِّ الرَّبِيعِ وَوَجْهَ الزَّمَنِ
أَرَاهُ يُؤَفِّي بَعْضَ الثَّمَنِ
بَلَابِلِ وَجْدِي مَا قَدْ سَكَنُ

(١) ديوانه / ٩٨.

(٢) في عجز البيت تورية بسجع بديع الزمان الهمداني.

(٣) ديوانه / ٩٩.

الْحَمَارُ^(١)

الحمار (بالكسر): النُّهاق، من ذوات الأربع ، أهلياً كان أو وحشياً، جمعه أحِمرة ، وَحْمَر (بضمّتين) وَحْمَر (بضمّ فسكون) وَحْمَر على وزن (أمير) وَحُمور (بالضم) وَحُمَرَات (بضمّتين) جمع الجميع (كطُرُقَات) وتصغيره حُمَيْر (بضم ففتح وكسر الياء والمشددة).

كنيته : أبو صابر؛ وأبو زياد، قال الشاعر:

زِيَادٌ لَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَبُوهُ وَلَكِنَّ الْحَمَارَ أَبُو زِيَادٍ

واسم الأنثى : أتان، والجمع أْتَن (بضمّتين)، ورَبَّما قالوا : حَمارة، وكنيتها: أُمُّ محمود، وأُمُّ تُولُب، وأُمُّ جَحْش، وأُمُّ نافع، وأُمُّ وَهَب، وأُمُّ الهَنْبَر.

والْحَمَّار: راكب الحمار، ومن يبيع الحُمُر، أو يعمل عليها.

وتسمّى جماعة الحمير: النُّخّة، والسُّجّة، والكُسّة، والعانة.

(١) حياة الحيوان ٢٣٨/١، و٢٥٣، والمخصّص ٢٠٥/٦/٢ و٤٣/٨/٢ - ٥١، ولسان العرب، وتاج العروس، وأقرب الموارد.

حَمْلُ الحُمُر:

وسَقَّت الأتان: حملت ، فإذا مكثت سبعة أيام بعد حَمْلها فهي فَرِيش والجمع فرائش.

ويقال لها عند أول حملها: جامع ، فإذا استبان الحمل وصار في ضرعها لُمَعَ من سواد فهي مُلْمِع.

من أسماء الحُمُر ونعوتها:

الجحش: ولد الأتان من حين تضعه أمُّه إلى أن يفصل من الرضاع والجمع جِحاَش، وجِحْشان، وجِحْشَة، وجِحاَش، والأنثى جَحْشَة.

التَّلُو: الجحش الذي يتلو أمُّه ، والجمع أتلاء.

التَّوَلَّب: الجحش الذي استكمل الحَوْل، والجمع توالب.

الدَّوْبَل: الحمار الصغير، والجمع دوابل.

العَفُو: الجحش، والأنثى عَفْوَة، والجمع أعفاء وعِفَاء.

اللُّكَع: الجحش، والأنثى لُكَعَة.

الهَنْبَر: الجحش، ومنه قيل للأتان: أمُّ الهنبر.

العَيْر: الحمار وحشيًّا كان أو أهليًّا.

الفَرا ، والفَراء (مقصور ومهموز): حمار الوحش، جمعه فِراء، ومن

أسمائه: العَضْرَس، والنُّوص، و المِصْكُ، والمِسْحَل.

الأخدرى: من حمر العراق من نسل حمار يقال له الأخدر.

الأَعْرُ: السمين الصدر والعُنُق.

البُهْضَل: الحمار الغليظ.

الجَّاب: الحمار الغليظ .

الجَلْعَد: الحمار الشديد .

الدَّفَر : الحمار الصلب الشديد .
 الزامل : الحمار الذي كأنه يضلّع من نشاطه .
 الزَّهْلِق : السمين المستوي الظهر من الشحم .
 السَّحَاج : الحمار العَضَّاض .
 الصَّنَادِل : الحمار الصلب .
 العَكْسُوم : اسم الحمار (جَمِيرِيَّة) .
 القَلْو : الحمار الفتِيّ الخفيف والشديد السوق لأتته والأنثى قِلْوَة .
 القَلُخ : الحمار المسنُّ .
 القَيَادِل : الحمار الصُّلب .
 الكَسُوم : اسم الحمار (جَمِيرِيَّة) وقد تقدّم (العَكْسُوم) .
 الكَعْسَم : الحمار الوحشي (يمانيّة) .
 الكُنْدَر والكُنَادِر : الحمار العظيم والصُّلب الشديد . وفي أقرب الموارد :
 الكُنْدِير .

المُهْضَل : الحمار الغليظ .
 الجَلَنَفَق : الأتان السمين .
 الحَذُوف : الأتان السريعة ، والسمينة .
 السَّمْعَج : الأتان الطويلة الظهر ، وتسمّى الصَّعْدَة أيضاً .
 الضَّمْعَج : الأتان الضخمة .
 العُلْجُوم : الأتان الكثيرة اللحم .
 القُنْفُج : الأتان القصيرة العريضة .
 القَهْبَسَة : الأتان الغليظة .
 المَرَاغَة : الأتان التي لا تمتنع عن الفحولة .
 النُّجُود : الأتان التي لا تحمل ، وهي أيضاً الطويلة العنق .
 النُّحُوص : الأتان الوحشيّة الحائل .

ألوان الحمير :

الأحْقَب : الأبيض ، والأثان حقباء .
 الأخطَب : الذي في لونه خُضرة ، والذي له خطُّ أسود على متنه ، والأثان
 خطباء ، والإسم : الخطَب .
 الأذخن : الذي في لونه غُبرة ، والأثان دَخْناء .
 الأقَمَر : الذي يضرب . لونه إلى الحُمرة أو الكُدرة ، والأثان قَمراء ،
 والإسم : القُمرة .

أصوات الحمير :

حَشْرَج الحمار : نهق .
 شَخَر الحمار : صَوْت ، وحمار شَخِير .
 شَهَق الحمار شَهيقاً وشُهاقاً : نهق .
 صَحَل الحمار : بُحَّ وتشقق صوته .
 حمار صَخِب الشَّوَارِب : يردّد نهاقه في شواربه ، والشوارب - هنا - :
 مجاري الماء في الحلق .
 صَدَح الحمار : اشتدَّ صوته .
 حمار صَبِق : شديد الصوت .
 صَلَّصَل الحمار : صَوْت ، وحمار صَلَّصِل : شديد النُّهاق .
 عَرَّش الحمار بعانته : حمل عليها فاتحاً فمه رافعاً صوته .
 عَشَّر الحمار : نهق عَشراً في طَلْق واحد .
 نَهَق الحمار ، ينهق نهيقاً ونُهاقاً : صَوْت ، والاسم التَّهَاق .
 هَمَّهَم الحمار : رَدَّد التَّهيق في صدره .
 وَهَوَّ الحمار : صَوْت حول أُنْته شَفَقَة ، وهو وَهَواه .

ذكره في القرآن الكريم :

- ﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس﴾ (البقرة / ٢٥٩).
- ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ (النحل / ٨).
- ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان / ١٩).
- ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ (الجمعة / ٥).
- ﴿كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾ (المدثر / ٥٠).

مما ورد في الحديث الشريف:

- كل الصيد في جوف الفراء^(١).
- إذا أراد الله بعبد شراً أمسك عليه بذنوبه حتى يوافيه. يوم القيامة كأنه عَيْر^(٢).
- أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أو قال: أن يجعل الله صورته صورة حمار^(٣).
- وأُتيتُ بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار - البراق^(٤).
- يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه^(٥).
- إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا^(٦).

(١) النهاية لابن الأثير ٤٢٢/٣. والفرا (مقصور ومهموز): حمار الوحش.

(٢) المصدر السابق ٣٢٨/٣. العير (بالفتح): الحمار أهلياً كان أو و.

(٣) صحيح البخاري ١٧٧/١.

(٤) المصدر السابق ١٣٣/٤.

(٥) المصدر السابق ١٤٧/٤. الاقتاب جمع القتب (بالكسر): البتير.

(٦) المصدر السابق ١٥٥/٤.

مما ورد في الأمثال:

- (أجهل من حمار) (١). مأخوذ من قول الناس للجاهل يا حمار، ومن بديع ما جاء في هذا الباب قول ابن المعتز (هذا الحمار من الحمير حماراً).
- (أخلى من جوف حمار) (٢). لأنه إذا صيد حمار الوحش لم ينتفع بما في جوفه، ولكن يرمى به.
- (أدنى حماريك أزجري) (٣). أي عليك بأدنى أمرك ثم تناولي الأبعد.
- (إذا عجز الحمار عن حمل برذعته كان عن وقره أعجز) (٤).
- (أصبر من حمار) (٥). لأنه يحمل الحمل الثقيل على الدبر. قيل لبرزجمهر: (٦) بم أدركت ما أدركت؟ قال: ببيكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار.
- (أوحش من حمار أعمى على معلف خال) (٧).
- (بال حمار فاستبال أحمرة) (٨) يضرب للوضع يأتي أمراً وضعياً فيقتدي به أقرانه، أو في تعاون القوم على عمل غير محمود.
- (الجحش لما بذك الاعيار) (٩). التمعنى: خذ القليل إذا فاتك الكثير.

-
- (١) جمهرة الأمثال ٣٣٤/١.
 - (٢) جمهرة الأمثال ٤٣٥/١.
 - (٣) المصدر السابق ١٩٨/١.
 - (٤) التمثيل والمحاضرة ٣٤٤/١. البرذعة (بالذال المعجمة، والمهملة لغة فيها): الجلس يلقى تحت الرجل. الوقر: الحمل الثقيل.
 - (٥) جمهرة الأمثال ٥٨٨/١.
 - (٦) ثمار القلوب ٣٧١/.
 - (٧) التمثيل والمحاضرة ٣٤٤/.
 - (٨) المصدر السابق ٣٤٥/ ومجمع الأمثال للميداني ٩٨/١.
 - (٩) جمهرة الأمثال ٣٠٥/١. نصب الجحش بفعل مضمر تقديره (اطلب) الجحش.

- (حمار أبي سيارة)^(١). يضرب مثلاً للرجل الصحيح في بدنه. وأبو سيارة رجل من عدوان اسمه عميلة بن خالد. وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة.

- (حمار أبي الهذيل)^(٢). يضرب مثلاً في الأمر الصغير يتكلم فيه الرجل الخطير، ومن قصته أن أبي الهذيل دخل على المأمون فاحتبسه ليأكل معه. فلما وضعت المائدة وأخذوا في الأكل قال أبو العذيل: يا أمير المؤمنين أن الله لا يستحي من الحق. غلامي وحماري بالباب، فقال: صدقت يا أبا الهذيل، وقال لحاجبه: أخرج إلى غلام أبي الهذيل وحماره فتقدم بما يصلحهما.

- (حمار الحوائج)^(٣). يضرب مثلاً لمن يمتهن.

- (حمار طيَّاب)^(٤). يضرب مثلاً في الضعف وكثرة العيب، وطيَّاب سقاء طالت صحبته لحماره الضعيف الهزيل، يسقي عليه ويرتزق منه مدة مديدة من الدهر، ولما مات الحمار مات طيَّاب على أثره بأسبوع، وكان هذا الحمار عرضة لشعر أبي غلالة المخزومي فنظم في وصفه نيفاً وعشرين مقطوعة، ومن عجيب الإتيافات موت أبي غلالة على أثر موت حمار أبي طيَّاب أيضاً.

- (كحماري العبادي)^(٥) يضرب مثلاً للشيشين المتساوين في الرداءة، وقد سئل العبادي: أيُّ حماريك شرٌّ؟ فقال: ذا ثمَّ ذا.

- (حمار العزيز)^(٦). يضرب لمن ينتهي أمره ويخمل ذكره ثم يعود

(١) ثمار القلوب / ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق / ٣٦٥.

(٣ و ٤ و ٥) ثمار القلوب / ٣٦٦.

(٦) المصدر السابق / ٥٩.

فَيَنْتَعِشُ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَاهُ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ مِنْ مَوْتِهِ . قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عِبَادٍ فِي أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَزِيرٍ لَمَّا اسْتَوَزَرَ بَعْدَ النُّكْبَةِ (حِمَارُ عَزِيرٍ ذَاكَ لَا ابْنَ عَزِيرٍ) .

- (دُونُ ذَا وَيَنْفُقُ الْحِمَارُ)^(١) يَضْرِبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَبَالِغُ فِي مَدْحِ الشَّيْءِ فَيُقَالُ لَهُ : اقْتَصِدْ فَبَدُونُ هَذَا الْمَدِيحِ تَبْلُغُ حَاجَتَكَ .

- (ذَكَّرَنِي فُوكُ حِمَارِي أَهْلِي)^(٢) . يَضْرِبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَبْصُرُ الشَّيْءَ فَيَذْكُرُ بِهِ حَاجَةً كَانَ قَدْ نَسِيَهَا . وَأَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ يَطْلُبُ حِمَارَيْنِ لِأَهْلِهِ أَضْلُهُمَا ، فَمَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ الْمُنْتَقَبِ فَقَعَدَ يَحَادِثُهَا وَنَسِيَ حِمَارِيَهُ لَشُغْلِ قَلْبِهِ بِهَا ، ثُمَّ أُسْفِرَتْ فَإِذَا لَهَا أَسْنَانُ مَنْكَرَةٌ ، فَتَذَكَّرَ بِهَا أَسْنَانُ الْحِمَارِ فَانْصَرَفَ عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ : ذَكَّرَنِي فُوكُ حِمَارِي أَهْلِي .

- (قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمَكْوَاةَ فِي النَّارِ)^(٣) . يَضْرِبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يَخَافُ الْأَمْرَ فَيَجْزَعُ قَبْلَ وَقُوعِهِ فِيهِ .

- (قَبَّ الْحِمَارُ عَلَى الرِّدْهَةِ وَلَا تَقُلْ لَهُ سَاءً)^(٤) . مَعْنَاهُ إِذَا أَرَيْتَ الرَّجُلَ رُشْدَهُ فَلَا تَكْرَهُهُ عَلَيْهِ فَقَدْ فَعَلْتَ مَا وَجِبَ عَلَيْكَ ، كَالْحِمَارِ إِذَا وَقَفَتْهُ عَلَى الرِّدْهَةِ .

- وَهِيَ نَقْرَةٌ يَجْتَمِعُ فِيهَا مَاءُ الْمَطَرِ - فَإِنَّهُ يَشْرَبُ إِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ إِلَى الشَّرْبِ مِنْ غَيْرِ زَجَرٍ ، وَسَاءُ زَجَرٌ مَعْرُوفٌ لِلْحِمَارِ .

- (كَانَ حِمَارًا فَاسْتَأْتَنَ)^(٥) . يَضْرِبُ لِلْعَزِيزِ يَذِلُّ .

(١) و (٢) جمهرة الأمثال، ١٠/٤٥٠ و ٤٦٣ .

(٣) مجمع الأمثال للسيداني ٩٥/٢ .

(٤) جمهرة الأمثال ١٢٥/٢ .

(٥) التمثيل والمحاضرة: ٣٩٣/٣ .

- (كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا)^(١). الْفَرَا: الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ، يَضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ يُفْضَلُ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَالْمِثْلُ قَدِيمٌ وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

- (لَا يَأْتِي الْكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارٌ)^(٢). يَضْرَبُ لِمَنْ يُكْرَمُ فَيَأْتِي الْكَرَامَةَ. .
- (مَا بِالْغَيْرِ مِنْ قِمَاصٍ)^(٣). يَضْرَبُ لِمَنْ ذَلَّ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ. وَالْقِمَاصُ (بِالْكَسْرِ وَيُضْمُ): الْوُثْبُ.
- وَهَذِهِ بَعْضُ الْأَمْثَالِ الْمَنْظُومَةِ^(٤):

رُبَّ غَيْرٍ يَرَعَى وَيَعْلَفُ مَاشَاً وَلَيْثٌ يَجُوعُ فِي الصَّحَرَاءِ
* * *

إِذَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأَمٍّ عَمَرُو فَلَ رَجَعَتْ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ
* * *

سَوْفَ تَرَى إِذَا انْجَلَى الْغُبَارُ أَفْرَسُ تَحْتَكَ أُمَّ حِمَارُ
* * *

أَتَرَكْنِي وَدَارُكَ عِنْدَ دَارِي وَتَطْلُبُنِي بِمَصْرٍ عَلَى حِمَارٍ
كَمْ مِنْ حِمَارٍ عَلَى جَوَادٍ وَمِنْ جَوَادٍ عَلَى حِمَارٍ
* * *

وَلَوْ لَبَسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَالِكَ مِنْ حِمَارٍ
* * *

(١) جمهرة الأمثال ١٦٢/٢.

(٢) الفاخر ٢٩٠/.

(٣) و (٤) التمثيل والمحاضرة ٢٤٣/ و ٢٤٥.

كحمار السوء إنْ أَشْبَعَتْهُ رَمَحَ النَّاسِ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ

* * *

ما المرأُ إِلَّا كَعَيْرِ السَّوءِ يَضْرِبُهُ سَوَطُ الزَّمَانِ وَلَا يَجْرِي عَلَى السَّنَنِ

مِمَّا جَاءَ عَنْهُ فِي الْقِصَصِ^(١)

قِيلَ إِنَّ جَمَلًا وَحِمَارًا تَوَحَّشًا فَوَجَدَا مَرْعَى خَالِيًا يَرْتَعَانِ فِيهِ ، فَقَالَ الْحِمَارُ
يَوْمًا وَقَدْ بَطَرَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَغْنِي ، فَقَالَ الْجَمَلُ : أَتَقُ اللَّهَ فِينَا فَأَنِّي أَخْشَى أَنْ
يَنْذِرَ رَبَّنَا فَنُؤْخَذَ . قَالَ : لَا بَدَّ مِنَ الْغَنَاءِ ثُمَّ نَهَقَ ، فَسَمِعَتْهُ قَافِلَةٌ مَارَّةٌ فَاخْذَوْهُمَا ،
فَأَبَى الْحِمَارُ أَنْ يَمْشِيَ فَحُمِلَ عَلَى الْجَمَلِ فَمَرُّوا بِهِ فِي عَقْبَةٍ ، فَقَالَ الْجَمَلُ :
إِنِّي طَرَبْتُ لَغَنَائِكَ الْمُتَقَدِّمَ وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقِصَ رَقِصَةً . فَقَالَ الْحِمَارُ : اتَّقِ اللَّهَ إِنِّي
أَسْقُطُ فَلَا تَفْعَلْ . فَرَقِصَ فَاسْقُطَ الْحِمَارُ فَوَقَّصَهُ^(٢) .

مِمَّا جَاءَ عَنْهُ فِي الْكَلَامِ الْمَنْثُورِ :

١ - دخل خالد بن صفوان على علي بن الجهم بن أبي حذيفة^(٣) والي
البصرة ، فألفاه يريد الركوب ، فقترب إليه حمار ليركبه فقال خالد :

أما علمت أن العير عار ، والحمار شنار ، منكر الصوت ، قبيح الفت ،
متزليج في الضحل ، مرتطم في الوحل ، ليس بركوبة فحل ، ولا بمطية رجل ،
راكبه مقرف ، ومسايره مشرف .

فاستوحش ابن أبي حذيفة من ركوب الحمار ونزل عنه وركب فرساً ودفع
الحمار إلى خالد فركبه ، فقال له : ويحك يا خالد أنتهي عن شيء وتأتي مثله ؟
فقال :

(١) محاضرات الأدباء ٧٠٨/٢ .

(٢) سبق أن أوردت في فصل (ابن آوى) قصة الأسد وابن آوى والحمار .

(٣) كذا في زهر الآداب ٩١٣/٢ ، وفي محاضرات الأدباء ٦٣٤/٢ أبو الجهم والي البصرة .

أصلحك الله، عَيرَ من بنات الكربال^(١)، واضح السربال، مختلح القوائم
يحمل الرجل، ويبلغ العقبة، ويمنعني أن أكون جبَّاراً عنيداً، ان لم أعترف
بمكاني فقد ضللت إذاً وما أنا من المهتمدين.

٢ - وقال أبو الفرج البغاء من رسالة وصف فيها أتاناً معمّدة ببياض وسواد
كانت قد أهديت لعزّ الدين بن بختيار بن بويه من جهة صاحب اليمن، قال^(٢).

كأنما وسمها الكمال بنهايته ، أو لَحَظَها الفلُكُ بعنايته ، فصاغها من ليله
ونهاره ، وحلّأها بنجومه وأقماره ، ونقشها ببدايع آثاره ، ورَمَقَها بنواظر سعوده ،
وجعلها أحدَ جدوده^(٣) ذات إهاب مُسَيَّرٍ ، وقُرْبٍ مُحَبَّرٍ^(٤) ، وذَنَبٍ مُشَجَّرٍ ،
وشَوَى^(٥) مُسَوَّرٍ^(٦) ووجه فُزَّحَجٍ ، ورأس متَوَجَّجٍ ، تكتنفه أذنان كأنهما زُجَّان^(٧) ،
سُجَّيَّة^(٨) الأنصاف ، بلُورِيَّة الأطراف ، جامعة شَيْبَتِها^(٩) بالترتيب بين زمني
الشبيبة والمشيبة . فهي قيد الأبصار ، وأمد الأفكار ، ونهاية الإعتبار ، غنيٌّ عن
الحَلْيِ عَطَلُها ، مُزْرِيَّة بالزَّهر حللُها ، واحدة جنسها ، وعالم نفسها ، صنعة
الحكيم ، وتقدير العزيز العليم .

٣ - ومن رسالة لأبي الحسن بن نصر الكاتب أرسلها الى صديق له اشترى

(١) كذا ورد في زهر الآداب ، وقال محققه : الكوبال كورة بفارس ، ولم أقف عليها في كتب البلدان
المتيسرة لدي .

(٢) نهاية الأرب . ٣٢٧/٩ .

(٣) جدوده : حظوظه .

(٤) إهاب مسيّر : جلد مخطط . القرب (بضم ، وبضميتين) : الخاصة .

(٥) الشوى : اليدان والرجلان .

(٦) مسوّر : يريد محاط بنقش مثل السوار .

(٧) الزجّان ثنية زج : الحديدنة التي تركب في أسفل الرمح .

(٨) سُجَّيَّة : نسبة الى السبجة وهو كساء أسود .

(٩) الشَّيْبَةُ ، هي في ألوان البهائم بياض في سواد ، أو سواد في بياض .

حماراً يداعبه بها، قال: (١).

... أتتنا الأنباء تنعى رأيك الفائل (٢) وتفلُّ عزمك الآفل، بوقوع اختيارك على فاضح صاحبه، ومُسليم راحه، الجامد في حَلَبَةِ الجياد، والحادق بالجران والكياد. السُّوم (٣) دِينُهُ ودَّابُهُ، والبلادة طبيعته وشأنه، لا يصلحه التأديب ولا تفرع له الظنايب (٤)، إنَّ لحظَ عَيْراً نهق. أو لمح أتاناً شبق، أو وجد روناً شَمَّ وانتشق، فكم هشم سنّاً لصاحبه، وكم سعط أنفَ راحه، وكم استردّه خائفاً فلم يردّده، وكم رامه خاطباً فلم يُسجده، يعجل إنَّ أحبَّ الأناة والإبطاء، ويرسخ إنَّ حاول الحثَّ والنَّجاء، مطبوع على الكيد والخلاف، موضوع للضَّعة والاستخفاف، عزيز حتى تهينه الشَّياط، كسولٌ ولو أبْطَره الشَّياط، ما عرف في النجاة أبا، ولا أفاد من الوَعْي أدبا، الطالب به محصور، والهارب عليه مأسور، والممتطي له راجل، والمستعلي بذروته نازل، له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء اشئوها، ومن الأذهاب أصدؤها، ومن القدود أحقرها، تجحده المراكب، وتجهله المواكب، وتعرفه ظهور السوابك (كذا)، وتألّفه سباطات (٥) المبارك والله الموفق.

مما جاء عنه في الشعر

قال مسعود بن كبير الجرمي (٦) في حمار اشتراه فوجده على خلاف ما وصفه به النخاس :

(١) نهاية الأرب ١٠/١٠٠.

(٢) الفائل: الخاطيء الضعيف.

(٣) السوم: الرعي.

(٤) الظنايب، جمع الظنوب: حرف الساق من قُدَم. يقال: قرع ظنايب الأمر، أي ذلله وسهّله.

(٥) السبابة: الكناسة تطرح حيث ترمى الأوساخ.

(٦) الحيوان للمجاط ٦/٣٨١.

يا أَجْنَحَ الْأَذْنِ أَلَا تَحُبُّ أَهَانَكَ اللَّهُ فَيْسَ النَّجْبُ
 مَا كَانَ لِي إِذْ أَشْتَرِكَ قَلْبُ بَلَى وَلَكِنْ ضَاعَ ثَمَّ اللَّبُّ
 إِنَّ الَّذِي بَاعَكَ خَبُّ ضَبُّ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَيْرٌ نَدْبُ
 وَشَرُّ مَا قَالَ الرَّجَالُ الْكَذْبُ صُبُّ عَلَيْهِ ضُبْعٌ وَذُبُّ
 سِرْحَانَةٌ وَجِيَالٌ قِرْشُبُ ذِيخٌ عَدْتُهُ رَمْلَةٌ وَهَضْبُ^(١)
 كَأَنَّهُ تَحْتَ الظُّلَامِ سَقْبُ يَأْخُذُ مِنْهُ مَنْ رَأَاهُ الرُّعْبُ^(٢)
 أَبُو جَرَاءٍ مَسْهُنٌ السَّغْبُ وَصَبَّحَ الرَّاعِي مُجْرًا وَعُغْبُ^(٣)
 وقال أبو غلاله في حمار طَيَّاب^(٤) :

لَمْ أَبْكِ شَجَوًّا لَفَقْدِ حِبِّ وَلَا ابْتِلَانِي بِذَاكَ رَبِّي
 لَكُنِّي قَدْ بَكَيْتُ حُزْنًا عَلَى حِمَارٍ لَجَارٍ جَنْبِ
 لَوْ شِمٌّ رِيحَ الشُّنْمِ شَمًّا مِنْ غَيْرِ أَكَلٍ لَقَالَ حَسْبِي
 أَوْ عَايَنَ الْقَتْلَ مِنْ بَعِيدٍ يَوْمًا لَغْنَى بِصَوْتِ صَبِّ
 لَيْسَ يَزُولُ الَّذِي بِقَلْبِي يَا مَنْ جَفَانِي بِغَيْرِ ذَنْبِ
 وقال آخر على لسان حمار^(٥) :

قَالَ حِمَارُ الْحَكِيمِ تُوْمَا لَوْ أَنْصِفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ^(٦)
 لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطُ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرْكَبُ

(١) السرحانة: انثى الذئب. جيال: الضبع. القرشب: الأكل. الذيخ (بالكسر): الكثير الشعر من الضباع.

(٢) السقب: ولد الناقة.

(٣) مجرأ، تسهيل مجرأ وهو الجريء الوغب: اللثيم الوغد، ويعني الذئب.

(٤) ثمار القلوب ٣٦٨.

(٥) نهاية الأرب ١٠/١٠٠.

(٦) توما: طيب يوصف بكونه أجهل من حمارة.

وقال آخر يداعب أديباً مات حماره (١) :

مات حمار الأديب قلت قضي وفات من أمره الذي فاتا
مات وقد خلف الأديب ومن خلف مثل الأديب ما ماتا

وقال آخر مشبهاً المقيم بدار الهوان بالحمار المقيّد (٢) :

إنّ الهوان حمار الأهل يعرفه والحر يُكره والجسرة الأجد (٣)
ولا يُقيم بدار الدل يعرفها إلا الأذلان غير الأهل والوتد
هذا على الخسف مربوط برميته وذا يُشج فلا يأوي له أحد

وقال خالد بن يزيد الكاتب يهجو حماره (٤) :

وقائل إنّ حماري غدا يمشي إذا صوب أو أصعدا
فقلت لكن حماري إذا أحثته لا يلحق المقيّدا
يستعذب الضرب فإن زدته كاد من اللذة أن يرقدا

وقال أحمد فارس الشدياق يرثي حماراً له وهو يرمز إلى غرض آخر (٥) :

راح الحمار وخلى القيد والوتد وما رأى أثره في الناس من أحد
فهل أنا راكب من بعده وتدا أم مجزئي قيده لو كان من مسد
أم كيف أدخل داراً كان لي سكناً فيها وأنزل عني منزل الولد
سرهدته بيدي كالطفل من شفي كالطفل من شفي سرهدته بيدي (٦)

(١) نهاية الأرب ١٠/١٠٠ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ٢٨٣/١ .

(٣) الجسرة: الناقة العظيمة المقدمة على سلوك الأوعار الأجد (بضمّتين): القوة الموثقة الخلق .

(٤) نهاية الأرب ١٠/٩٩ .

(٥) الساق على الساق ٣٥٤/٣٥٤ .

(٦) سرهدته: غديته وسمنته. الشفق (محرّكة): بمعنى الشفقة .

وَجِئْتُهُ بِشَعِيرٍ لَا يُخَالِطُهُ
وَكَانَ يُوقِظُنِي مِنْهُ النَّهَاقُ إِذَا
كَمْ حَادَّ بِي عَنْ مَضِيْقٍ حِينَ أَبْصَرَ مَنْ
وَسَارَ بِي فِي طَرِيقٍ بَلَّ جَانِبُهَا
وَكَمْ جَرَى فَارِهَا إِذْ لَاحَ عَنْ بُعْدٍ
وَإِذْ تَبَيَّنَ نَعْشاً لِلْجَنَازَةِ لَمْ
مَا ضَلُّ يَوْماً عَنْ اسْتِقْرَاءٍ مِغْلَفِهِ
قَدْ رَابَنِي حِذْقُهُ حَتَّى ظَنَنْتُ بِهِ
وَمَا شَكَا قَطُّ مِنْ وَخْزٍ وَلَا ضَعْفَتْ
شُلَّتْ يَدَا مِنْ بِهِ وَلَّى وَغَادَرَنِي
أَعَالِمُ أَنَّنِي مِنْ بَعْدِهِ جَزِعٌ
وَأَنَّ صَوْتَ الْمُنَادِي الْيَوْمَ يَزَعِقُ أَنْ
لَا يَغْرُرُنْكَ رَغْدُ أَنْتَ وَاجِدُهُ
فَلِأَنَّمَا ذَا لِحِينٍ أَنْتَ تَعْلَمُهُ
يَقْدِيدُكَ كُلُّ حِمَارٍ نَدَّ مِنْ بَطْرِ
مَصْنَبُ الرِّأْسِ مَمْشُوقُ الْقَوَائِمِ لَمْ
أَلِيَّةٌ أَنَّهُ بِالطَّرِيقِ أَعْرِفُ مِنْ
يَا لَيْتَ لِي خُصْلَةٌ مِنْ ذَيْلِهِ أَثْراً

مَاسٌ وَلَا عَسَجْدٌ خَوْفاً مِنَ الدَّرْدِ
اسْتَقْلْتُ نَوْماً بِصَوْتِ مُطْرِبٍ غَرْدٍ
حَوْلَ الْجَمَالِ تَبَلُّ الْأَرْضِ بِالزَّبْدِ
أَهْلُ الْجَمَالِ بِمَاءِ الْوَرْدِ وَهُوَ نَدِي
زِفَافٌ خَوْدٍ إِلَيْهَا بِالْبَغِ الْأَمْدِ
يَمُرُّ بِهِ مَعَ أَلِيمِ النَّخْسِ فِي الْكَتَدِ (١)
أَكَانَ فِي رَوْضَةٍ غَنَاءً أَمْ جَرْدٍ
مُسَخِيَةً مِثْلَ بَعْضِ الْخَلْقِ عَنْ أَحَدٍ
رِجْلَاهُ عَنْ جَوْبٍ وَعِثْ طَالَ أَوْ جَدَدٍ (٢)
أَمْشِي وَأَنْشَبُ فِي أَوْحَالِ ذَا الْبَلَدِ
وَأَنْ فُرْقَتَهُ نَارٌ عَلَى كَبْدِي
إِلْبَسُ إِكَافَكَ فِي جُنْحِ الدُّجَى وَعُدِ (٣)
عِنْدَ الْحَرَامِيِّ خَضَمِي فَيْكَ مِنْ حَسَدٍ
مَا دَامَ شَهراً عَلَى طَرَفٍ وَلَا عَتَدِ (٤)
أَوْ ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ أَوْ خَارٍ مِنْ جَهْدِ (٥)
يَحْرُنْ إِذَا سُمَّتْهُ خُسْفاً وَلَمْ يَجِدِ
مَوْلَاهُ إِنْ لَمْ يُعَقِّهِ الْقَيْدُ ذُو الْعُقْدِ
أَرْنُو إِلَيْهَا كَمَا يُرْنِي إِلَى الْخُرْدِ

- (١) الكتد: مجتمع الكتفين .
(٢) الوعث: الطريق الخشن الغليظ. الجدد (بفتحيتين) : الأرض المستوية، وفي المثل (من سلك الجدد أمن العثار) .
(٣) الإكاف (بالكسر): البرذعة التي تطرح تحت الرجل .
(٤) الطرف (بالكسر): الكريم من الخيل . العتد (بفتحيتين، وفتح فكسر): الفرس المعد للجري وللمهمات .
(٥) نَدَّ الحمار: نفر وذهب على وجهه شارباً . اللَّغَب : التعب، والإعياء .

وقال أبو سيّارة (عُميلة بن خالد العدواني) وكان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة، وكان يُخاف عليه من الحسد فيعوّذه بقوله^(١) :

لا هُمّ مالي في الحِمَارِ الْأَسْوَدَ أَصْبَحْتُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدُ
هَلَّا يَكَادُ ذُو الْحِمَارِ الْجَلْعَدُ يَرْقَى أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحْسَدُ^(٢)
من شرِّ كلِّ حاسِدٍ إِذَا حَسَدُ وَمِنْ أَذَاةِ النَّافِثَاتِ بِالْعُقْدُ
وقال ابن المعتز يذم حماراً^(٣) :

هذا الحمارُ من الحَمِيرِ حمارُ نَاحَتْ عَلَيْهِ جِلْيَةٌ وَعِذَارُ
وكأنّما الحركاتُ منه سَوَاكِنُ وكأنّما إقْبَالُهُ إِدْبَارُ
وقال أبو غلاله في وصف حمار طيّاب السقاء^(٤) :

وحمارٌ بَكَتْ عَلَيْهِ الْحَمِيرُ دَقَّ حَتَّى / بِهِ الذُّبَابُ يَطِيرُ
كَانَ فِيمَا مَضَى يَسِيرُ بَضْعُفٍ وَهُوَ الْيَوْمَ وَاقِفٌ لَا يَسِيرُ
كَيْفَ يَمْشِي وَلَيْسَ يُعْلَفُ شَيْئاً وَهُوَ شَيْخٌ مِنَ الْحَمِيرِ كَبِيرُ
يَأْكُلُ التَّنُّ فِي الزَّمَانِ وَلَكِنْ أَبْعَدَ الْأَبْعَدِينَ عَنْهُ الشُّعِيرُ
عَايَنَ الْفَتَّ مَرَّةً مِنْ بَعِيدٍ فَتَغَنَّى فِي الْفُؤَادِ سَعِيرُ
(لَيْسَ لِي مِنْكَ يَا ظَلُومُ نَصِيرُ أَنَا عَبْدُ الْهَوَى وَأَنْتَ أَمِيرُ)

وقال أبو الحسين الجزّار (يحيى بن عبد العظيم المصري) يذمُّ حماره^(٥) :

(١) حياة الحيوان للدميري ٢٥٤/١ .

(٢) الجلعّد (بفتح فسكون: الصلب الشديد .

(٣) ديوانه ٥٨٣/٢ .

(٤) ثمار القلوب / ٣٦٧ ونهاية الأرب ٩٩/١٠ .

(٥) نهاية الأرب ٩٩/١٠ .

هذا جماري في الحَمِيرِ جِمارُ في كُلِّ خَطْوٍ كَبُوءٌ وَعِثَارُ
قِنطَارُ تَبْنٍ في حَشَاهُ شَعِيرَةٌ وشَعِيرَةٌ في ظَهْرِهِ قِنطَارُ
وقال أبو الفتح كشاجم (محمود بن الحسين) في صيده الحُمُر الوحشية بالرمي (١) :

لَمَّا بَدَا الصُّبْحُ فَقِيلَ أَسْفَرَا وقَوَّضَ اللَّيْلُ فَقِيلَ شَمَّرَا
وَأَذَكَّتِ الرِّيحُ نَسِيمًا عَطَرَا كأنَّما يُؤْخَذُ مِنْهَا عَنَبَرَا
غَدَّتْ بِنَا جُرْدٌ طَوَيْنَ ضُمَّرَا مَكْسُوءَةٌ مِنَ الشَّيَاتِ جَبَرَا (٢)
أَبْلَقَهَا وَحَزْنُهَا وَالْأَشْقَرَا حَتَّى إِذَا الْعَانَةُ عَنَّتْ سَطَرَا (٣)
وظَهَرَتْ أَوْ كَرَبَتْ أَنْ تَظْهَرَا وَقَالَ مَنْ كَانَ أَحَدٌ بَصَرَا (٤)
لِمَنْ يَلِيهِ جَدِلًا مُسْتَبْشِرَا أَمَا تَرَى أَمَا تَرَى أَمَا تَرَى
فَمُنْبِضٌ أَوْ مُسْتَجِدٌّ وَتَرَا وَمُطَلِّقٌ بِسَهْمِهِ فَقَصَّرَا
وَمُمْسِكٌ أَجْدِرُ بِهِ أَنْ يَظْفُرَا وَكُنْتُ مِنْ أَشَدِّهِمْ تَنْظُرَا
لَا أَنْفِدُ الْعَزْمَةَ أَوْلا اسْتَظْهَرَا حَتَّى إِذَا أَمَكَّنِي أَنْ أَقْدِرَا
بَهَرْتُهُمْ سَبْعًا وَمِثْلِي بَهَرَا فَقَدَّمَ الْمِقْدَارُ مَنْ تَأَخَّرَا
مَنْ أَحْسَنَ الْوَرْدَ أَجَاد الصُّدْرَا فَكَمْ رَأَيْتُ مِسْحَلًا مُعَفَّرَا (٥)
مُكْتَسِيًا مِنْ دَمِهِ مُعَصَّفَرَا مَا خَصَّنِي بَلْ كَانَ لِلْقَوْمِ فِرَا (٦)

(١) ديوانه/١٩٤.

(٢) الشَّيَاتِ جمع الشَّيَةِ: كُلُّ لَوْنٍ يَخَالِفُ مَعْظَمَ لَوْنِ الْفَرَسِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ: هِيَ فِي أَلْوَانِ الْبَهَائِمِ:

بَيَاضٌ فِي سَوَادٍ، أَوْ سَوَادٌ فِي بَيَاضٍ.

(٣) الْحَزْنُ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْأَسَاسِ (وَمِنْ الْمَجَازِ قَوْلُهُمْ لِلدَّابَّةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ وَطِيشًا: أَنَّهُ لِحَزْنِ

الْمَشْيِ، وَفِيهِ حَزُونَةٌ). الْعَانَةُ: الْقَطِيعُ مِنَ الْحَمَرِ الْوَحْشِيَّةِ. السُّطْرُ (بَفَتْحٍ) فَسْكَوْنٍ،

وَبَفَتْحَتَيْنِ: الصَّفُّ مِنَ الشَّيْءِ.

(٤) كَرَبَتْ: كَادَتْ.

(٥) الْمَسْحَلُ (بِالْكَسْرِ): الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ.

(٦) الْفِرَا (بِالْكَسْرِ) جَمْعُ الْفَرَا (بِالْفَتْحِ) وَهُوَ الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ أَيْضًا.

وكان فيه غرض أن أشكروا إليه ما أعمه فأكثر
لصدق النبي فيما أخبرا إذ قال: كل الصيد في جوف الفرا^(١)

وقال ابن المعتز في الحمير والأتن^(٢):

رعى شهرين بالدي رين قبا كالطوامير^(٣)
يقلبن إلى الذعر عيوناً كالقوارير
وآذاناً سميعات كأنصاف الكوافير^(٤)
وقد الأرض منها أسد وقصص الحوافير
كان الأرض تلقاها بأذناب الزناير

وقال آخر يمدح حمارة الهزيل^(٥):

لا تنظرن إلى هزال حماري وأنظر إلى مجراه في الأخطار
متوقدا جعل الذكاء إمامه فكأنما هو شعلة من نار
عادت عليه الريح عند هبوبها فكأنه ريح الدبور يباري

وقال أبو الفتح كشاجم في صيده الحمر الوحشية بالأهلة^(٦):

لما نضت أثوابها الحنادس ورثق الكوكب فهو ناعس^(٧)
عدت بنا ضوامير عوابس جرد غيوث شأوها رواجس^(٨)

(١) انظر (كل الصيد في جوف الفرا) في فصلي الأحاديث النبوية، والأمثال من هذا الموضوع.

(٢) ديوانه ٥٨٢/٢.

(٣) القب (بضم القاف وتشديد الباء) جمع الأقب: الدقيق الخصر الضامر البطن. الطوامير، جمع الطامور: الصحيفة المطوية.

(٤) الكوافير، جمع الكافور وهو هنا وعاء الطلعة في النخلة الذي ينشق عنها.

(٥) نهاية الأرب للنويري ٩٨/١٠.

(٦) ديوانه ٢٨٤. الأهلة، جمع الهلال، وهو هنا سنان له شعبتان يصاد به الوحش.

(٧) رثق النوم عينيه: خالطهما الشأو: الأمد، والغاية.

(٨) رواجس: لها سهيل كقصص الرعد.

كَأَنَّهَا عَوَاصِفُ رَوَامِسُ أَطْلَالُ مَا يَطَّائُهُ دَوَارِسُ^(١)
يَرْغَنُ حُمْرًا وَرَدُّهَا خَوَامِسُ بِمِثْلِ شُهْبٍ شِبْهَهُنَّ قَائِسُ^(٢)
أَكَلَةُ لَكْنِهَا مَنَاحِسُ تَذْمَى بِهَا الْأَعْقَابُ لَا الْمَعَاطِسُ^(٣)
حَتَّى تَرَى التَّائِمَ وَهُوَ جَالِسُ مَا الصَّيْدُ إِلَّا مَا أَرَاعَ الْفَارِسُ

و قَط حِمَارٍ لِلسَّرَاجِ الْوَرَّاقِ فِي بئرِ فَمَاتِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ الْمَصْرِيِّ يَدَاعِبُهُ^(٤) :

يَفْدِيكَ جَحْشُكَ إِذْ مَضَى مُتَرَدِّيًا وَتَالِدٍ يُفْدِي الْأَدِيبَ وَطَارِفَ
عَدِمَ الشَّعِيرَ فَلَمْ يَجِدْهُ وَلَا رَأَى تَبْنًا وَرَاحَ مِنَ الظُّمَاءِ كَالْتَّالِفِ
وَرَأَى الْبُؤَيْرَةَ غَيْرَ خَافٍ مَأْوَها فَرَمَى حُشَاشَةَ نَفْسِهِ لِمَخَافِ
فَهُوَ الشَّهِيدُ لَكُمْ بَوَافِرِ فَضْلِكُمْ هَذَا الْمَكَارِمِ لَا حَمَامَةَ خَاطِفِ^(٥)
قَوْمٌ يَمُوتُ حِمَارُهُمْ عَطَشًا لَقَدْ أَزْرَوْا بِحَاتِمِ فِي الزَّمَانِ السَّالِفِ

فَأَجَابَهُ الْوَرَّاقُ بِقَطِيبَةٍ أُولَاهُ^(٦) :

أَذْنَتْ قُطُوفَ ثِمَارِهَا لِلْقَاطِفِ وَتَنَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ مَعَاطِفِي
مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِذِكْرِ الْحِمَارِ :

وَلَكُمْ بَكَيْتٌ عَلَيْهِ عِنْدَ مَرَابِعٍ وَمَرَاتِعٍ رُشَّتْ بِدَمْعِي الدَّارِفِ

(١) الروامس: الرياح الدوافن للأثار.

(٢) الخوامس: التي ترعى ثلاثة أيام وترد الماء في اليوم الرابع.

(٣) مناحس، من النحس وهو الشؤم.

(٤) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

(٥) قوله (لا حمامة خاطف) إشارة إلى أبيات ابن عنين التي مدح بها الإمام فخر الدين الرازي،

وسياتي ذكرها في باب (الحمام) وأولها :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا في كُلِّ مَخْصَةٍ وَتَلَجَّ خَاشِيفِ

(٦) الوافي بالوفيات ٢١٩/١.

يُمِيسِي عَلَى عُسْرِي وَيُسْرِي صَابِرًا
وَقَدْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْقَنَاعَةِ يَقْتَدِي
وَدَعَاهُ لِلْبُئْرِ الصَّدَى فَأَجَابَهُ
وَهُوَ الْمُدِلُّ بِالْفَةِ طَالَتْ وَمَا
وَمُؤَافِقِي فِي كُلِّ مَا حَاوَلْتُهُ
دَوْرَانُ سَاقِيهِ لِطَاحُونٍ لِنَقْدِ
لَكِنْ بِمَاءِ الْبُئْرِ رَاحَ يَنْقَلِبُ

بِمَعَارِفِ تُلْهِيهِ دُونَ مَعَالِفِ
بِي وَهِيَ فِي ذَا الْوَقْتِ جُلُّ وَظَائِفِ
وَاعْتَاقَهُ صُبْرُ الْجَمَامِ الْأَزْفِ
أَنْسَى حُقُوقَ مَرَابِعِي وَمَآلِفِي
فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُؤَافِقِي وَمُخَالِفِي
لِلْمَاءِ فِي شَاتٍ وَيَوْمٍ صَائِفِ
قَتَلْتَهُ شَامَاتٍ بِمَوْتِ جَارِفِ (كَذَا)

وقال اللَّبَّادِي الشاعر: خرجت من بعض مدن أذربيجان وتحتي مهر رائع
وكانت السنة مجدبة، فضمني الطريق وغلاماً حَدَثًا على حمار، فحادثته فرأيت
أديباً راوية للشعر، فسرنا بقيّة يومنا وأمسينا إلى خان على ظهر الطريق،
فطلبت من صاحبه أن يشتري لنا طعاماً نأكله، وعلفاً للمهر فاعتذر، وبعد أن
جعلت له جعيلة جاعني برغيفين ومكوك^(١) من الشعير، فأخذت رغيفاً ودفعت
الآخر إلى الغلام، ثم علّقت الشعير على دابتي وجعلت أحداث الفتى وحماره
واقف بغير علف، فاطرق ملياً ثم قال: أسمع - أيدك الله - أبياتاً حضرت
الساعة؟ قلت: هايتها، فأنشدني^(٢):

يَا سَيِّدِي شِعْرِي نَفَايَةُ شِعْرِهَا
وَقَدْ انْبَسَطَتْ إِلَيْكَ فِي إِنْشَادِ مَا
أَنْسَتَنِي وَسَرَرْتَنِي وَبَرَّرْتَنِي
وَأُرِيدُ أَذْكُرُ حَاجَةً إِنْ تَقْضِيهَا
أَنَا فِي ضِيَاغَتِكَ الْعَثِيَّةِ هَاهُنَا

فَلَذَاكَ نَظْمِي لَا يَقُومُ بِشُرْكَهَا
هُوَ بِالْحَقِيقَةِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِكَ
وَجَعَلْتُ أَمْرِي مِنْ مُقَدِّمِ أَمْرِكَ
أَنْكَ عَبْدٌ مَدْحُكَ مَا حَيَّيْتُ وَشُكْرِكَ
فَاجْعَلْ جِمَارِي فِي ضِيَاغَةِ مُهْرِكَ

(١) المكوك: مكيال عراقي يسع بحساب الأوزان العشرية حوالي ثلاثة أكيال و(٤٨٠) غراماً .
(٢) التحف والهدايا/٩٤ - ٩٦ .

فضحكت، واعتذرت إليه من إغفالي أمر حمارة، وابتعت المكوك الآخر
ودفعته إليه .

وقال أبو غلاله في حمار طيّاب السقاء (١) :

حِمَارٌ أَتَاكَ بِهِ ضِرُّهُ وَدَارَ عَلَيْهِ بِذَاكَ الْفَلَكُ
يَمِيلُ مِنَ الضَّعْفِ فِي مَشْيِهِ وَيَسْقُطُ فِي كُلِّ دَرَبٍ سَلَكُ
فَأَمَّا الشَّعِيرُ فَمَا ذَاقَهُ كَمَا لَا يَذُوقُ الطَّعَامَ الْمَلَكُ
يُغْنِي عَلَى الْقَتِّ لَمَّا يَرَاهُ وَقَدْ هَزَّهُ الْجَوْعُ حَتَّى هَلَكَ
أَخَذَتْ فُؤَادِي فَعَذَّبَتْهُ وَأَسْهَرَتْ عَيْنِي فَمَا حَلَّ لَكَ

ومن مُلح ابن عنين (شرف الدين محمد بن نصر) قوله يرثي حماراً له
مات في الموصل (٢) :

لَيْلٌ بِأَوَّلِ يَوْمِ الْحَشْرِ مُتَّصِلُ وَمَقْلَةٌ أَبَدًا إِنْسَانُهَا خَاضِلُ
وَهَلْ أَلَامٌ وَقَدْ لَاقِيَتْ دَاهِيَةً يَنْهَدُ لَوْ حَمَلَتْهَا بَعْضُهَا الْجُبْلُ (٣)
تَوَى الْمِصْكُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ آمِلُهُ عَوْنًا وَخِيَبَ فِيهِ ذَلِكَ الْأَمْلُ (٤)
لَا تَبْعَدَنَّ تَرْبَةً ضَمَّتْ شَمَائِلَهُ وَلَا عَدَا جَانِبَيْهَا الْعَارِضُ الْهَظْلُ
لَقَدْ حَوَتْ غَيْرَ مِكَسَالٍ وَلَا رَعِشٍ إِنْ قَيَّدَ الْقَوْدَ مِنْ دُونِ السَّرَى الْكَسْلُ (٥)
قَدْ كَانَ إِنْ سَابَقَتْهُ الرِّيحُ غَادِرَهَا كَأَنَّ أَحْمَصَهَا بِالشُّوكِ يَنْتَعِلُ (٦)

(١) ثمار القلوب/ ٣٦٨ .

(٢) ديوانه / ١٤٠ .

(٣) الجبل (بضمتين، وبضم فكسر): الجماعة من الناس .

(٤) المصك: القوي .

(٥) القود جمع الأقود: الدلول المنقاد من الابل والخيول .

(٦) في الوافي بالوفيات ١٢٥/٥ (متنعل) .

لا عاجزاً عند حمل المُثْقَلَاتِ ولا
مُكَمَّلُ الخَلْقِ رَحْبُ الصَّدْرِ مُنْتَفِخُ الـ
يَطْوِي عَلَى ظَمًا خَمْساً أَضَالَعُهُ
وَيَقْطَعُ الْمُقْفِرَاتِ الْمُوْجِشَاتِ إِذَا
فَفِي الْأَبَاطِحِ هَيْقُ رَاعِهِ قَنَصُ
يُرْجَعُ النَّهَقُ مَقْرُوناً وَيُطْرَبُنِي
لو كَانَ يُفْدَى بِمَالٍ مَا ضَنْنْتُ بِهِ
وإنَّ لِي بِنِظَامِ الدِّينِ تَعْزِيَةً

(يمشي الهويناً كما يمشي الوجي الوجل^(١))
سَجْنَيْنِ لَا ضَامِرٌ طَاوٍ وَلَا سَغِلُ^(٢)
فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ وَالرَّمْضَاءِ تَشْتَعِلُ^(٣)
عَنْ قَطْعِهَا كَلَّتِ الْمَهْرِيَّةُ الْبُزْلُ^(٤)
وَفِي الْجِبَالِ الْمُنِيفَاتِ الذَّرَى وَعَلُ^(٥)
لَحْنًا كَمَا يُطْرَبُ الْمَزْمُومُ وَالرَّمْلُ^(٦)
وَلَمْ تُصْنِ دُونَهُ خَيْلٌ وَلَا خَوْلُ
عَنْهُ وَفِي النَّجَبِ مِنْ أَبْنَائِهِ بَدَلُ

وقال محمد بن يحيى اليزيدي في رثاء حمارة^(٧) :

أَلَا يَا حِمَارِي كُنْتَ زَيْنِي وَحِلْيَتِي وَكُنْتَ سِرَاجاً فِي الْفِنَاءِ الْمُعْطَلِ^(٨)
أَرْجَلَنِي مِنْكَ الزَّمَانُ وَجِرْفَتِي وَمَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مُرْجَلِي

وقال الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) يصف حمار الوحش من قصيدة

في المديح^(٩) :

عَنْتَرَيْسُ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ طُ كَعْدُو الْمُصْلَصِلِ الْجَوَالِ^(١٠)

(١) الوجي: الذي حفي حافره. عجز البيت للأعشى الكبير، وصدره (غراء فرعاء مصقول عوارضها - تمشي) .

(٢) السغل (بفتح فكسر) : المهزول .

(٣) بيضة الصيف: صميمه، وهي بين طلوع سهيل والدبران (أساس البلاغة) .

(٤) الأبل المهرية: من النجائب، قيل إنها تسبق الخيل وفي نسبتها أقوال .

(٥) الهيق: الظليم وهو ذكر النعام .

(٦) المزموم والرمل: لحنان من الحان الغناء .

(٧) شعر اليزيديين/ ١١١ .

(٨) المعطل: الموات من الأرض .

(٩) ديوانه/ ٧ .

(١٠) العنتريس: الناقة الصلبة. المصلصل: حمار الوحش المصوت .

لَا حَهُ الصَّيْفُ وَالصَّيَالُ وَإِشْفَا قُ عَلَى صَعْدَةِ كَقَوْسِ الضَّالِ (١)
 مُلْمِعٍ لَاعَةِ الْفُؤَادِ إِلَى جَحْ شِ فَلَاهُ عَنْهَا فَبَسَّ الْفَالِي (٢)
 ذُو أَذَاةٍ عَلَى الْخَلِيطِ خَبِيثُ الدِ نَفْسٍ يَرْمِي مَرَاغُهُ بِالنُّسَالِ (٣)
 غَادَرَ الْجَحْشَ فِي الْغُبَارِ وَعَدَا هَا حَثِيثًا لُصُوءَ الْأُدْحَالِ (٤)
 ذَلِكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الدِ رَعْنٍ بَعْدَ الْكَلَالِ وَالْأَعْمَالِ (٥)

استعار ناظر الشرقية بمصر حمارة الشاعر البوصيري (محمد بن سعيد) ،
 فأعجبته ، فأخذها وجهز له مائتي درهم ، فكتب البوصيري على لسان حمارته
 الأبيات الآتية ، فلما قرأها الناظر ردَّ الحمارة ولم يأخذ الدراهم منه (٦) :

يَا أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتُ أَلْفَاظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاضِلٌ
 حَاشَاكَ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ وَأَنْتَ بِالرُّزْقِ فِيهِ لِي كَافِلٌ
 أَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَحَدْتَ عَارِيَةً مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تَرُدَّ فِي الْعَاجِلِ
 وَكَانَ عَزَمِي عِنْدَ الْوُصُولِ بِكُمْ أَجْمَلُ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْحَاصِلِ
 مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
 لَوْ جَرَّسُوهُ عَلَيَّ مِنْ سَفَهٍ لَقُلْتُ غَيِّظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ (٧)

(١) لاحه الصيف: غيره. الصيال: مصاولة الفحول من حمر الوحش. الصعدة: الأتان الطويلة
 الظهر الضال: شجر تتخذ منه القسي .

(٢) المُلْمِع: الأتان التي استبان حملها. لاعة، من اللوعة: الحزن الشديد الافتلاء: الفطام،
 يقول: ظهر حمل الأتان فحزنت على صغير لها أضناه الفطام .

(٣) المِراغ: المكان الذي تتمرغ فيه الدابة. النسال (بالضم): ما سقط عن الدابة من الشعر .

(٤) عداها: صرفها. اللُصُوء: ما غلظ وارتفع من الأرض. الأدحال جمع دحل: بقب كالنفق ضيق
 الأعلى واسع الأسفل .

(٥) رعن الجبل: أنفه الشاخص منه. الأعمال: من أعمل الناقة: كلَّفها العمل والسير .

(٦) ديوانه/ ١٨٩ .

(٧) جرَّسوه: ندَّدوا بفعله .

طَالَ بِي شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي وَالشَّوْقُ دَاءٌ لَا دُقَّتَهُ قَاتِلٌ
وَبُعَيْتِي أَنْ أَكُونَ سَائِبَةً مِنْ بَلَدِي فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ
لَا تَطْمَعُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ فَذَاكَ مَا لَا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ
وَبَعْدَ هَذَا فَمَا يَجِلُّ لَكُمْ مِلْكَِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

وقال خاشع محسن الراوي القصيدة الرمزية الآتية (١) :

إِنَّ الْحِمَارَ ابْنَ حَنْتَمَ هُوَ الْعَزِيزُ الْمُكْرَمُ (٢)
لَهُ الْمَعَالِفُ تُبْنَى لَهُ الْعَلِيقُ يُقَدَّمُ
مِنْ أَعْدَابِ الْمَاءِ يُسْقَى وَأَطْيَبُ التَّبَنِ يُطْعَمُ
وَكَمْ يُسَاسُ بِالْطَفِ كَيْ لَا يَضِيقَ وَيَسَامُ
فَهُوَ الْأَثِيرُ الْمَرْجَى وَهُوَ الصَّفِيُّ الْمُقَدَّمُ
وَهُوَ الْحَرِيرُ الْمُوَقَّى إِذَا الزَّمَانُ تَأَزَّمُ
يَخْتَالُ ذَلًّا وَتِيهًا إِمَّا عَلَى الرَّبْعِ أَقْدَمُ
تَرَى عَلَيْهِ جِلَالًا مِنْ هَيْبَةِ السَّرْجِ أَعْظَمُ (٣)
وَرَشْمَةً مِنْ حَرِيرٍ بِهَا عَلَى الْعَزِيرِ شَمُ (٤)
أُزْرَى بِكُلِّ جَوَادٍ يُسَابِقُ الرِّيحَ مُلْجَمُ

إِنَّ الْحِمَارَ ابْنَ حَنْتَمَ فَاقَ الْجَوَادَ الْمُطَهَّمُ

(١) ديوانه/ ٣٩ .

(٢) حنتم : من أسماء النساء .

(٣) الجلال ، عامية مستعملة في العراق ، فصيحتها : الجَلَّ (بالضم) وهو للدابة كالثوب للإنسان ، جمعه جلال (بالكسر) وأجلال .

(٤) الرشمة ، عامية مستعملة في العراق ، فصيحتها : الرسن (بالفتح) وهو ما كان على الأنف من الأزيمة ، والحبل الذي تقاد به الدابة .

فيا له حَنَمِيًّا على العَلِيقَةِ حَمَحَمَ
يَهْزُ رَأْسًا وَذِيلاً إِلَيْكَ إِنَّ هُوَ سَلَّمَ
تَرَاهُ وَهُوَ مُدِلُّ بِالْحُسْنِ يَزْهُو وَيَنْعَمُ
مُعْنِفِصاً مِنْ حُبُورٍ وَالذَّهْرُ بِالسُّوءِ مُفْعَمُ (١)
قَدْ أَخْجَلَ الظَّبْيَ حُسْنًا لِمَ لَا يُضْمُ وَيُلْتَمُ
فَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَهْيَ عَلَى الزَّمَانِ وَأَوْسَمُ ؟
وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَصْفَى عَلَى الْحَيَاةِ وَأَنْعَمُ ؟
وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَذْهَى وَمَنْ تُرَى مِنْهُ أَفْهَمُ ؟
غَنِيَّتُهُ وَهُوَ لَاؤٍ حَتَّى غَدَا الرِّيقُ عَلَقَمُ

إِنَّ الْحَمِيرَ لِأَوْلَى بِأَنْ تُعَزَّزَ وَتُكْرَمَ
فَلَيْتَنِي كُنْتُ مِنْهَا كَيْمَا أَفُوزَ وَأُغْنَمَ
وَلَيْتَنِي لَسْتُ أَحْجُو وَلَيْتَنِي لَسْتُ أَعْلَمُ (٢)
وَلَيْتَ عَقْلِي يَفْنَى وَلَيْتَ جِسِّي يُعْدَمُ
وَلَيْتَ أَنِّي أَصَمُّ وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَبْكَمُ
عَسَايَ أَحْيَا سَعِيداً مِثْلَ الْحِمَارِ ابْنِ حَتَمَ
فَلَا أَحْسُ فَأَشْكُو وَلَا أَغَارُ فَأُظْلَمَ
وَلَا أَذَادُ وَأُقْصَى عَنِ النِّعَمِ فَأُحْرَمَ
وَقَالَ أَبُو غَلَالَةَ فِي هَذَا حِمَارٍ طَيِّبِ السَّاءِ (٣) ؛

أَقْسَمْتُ بِالْكَاسِ وَالْمُدَامِ وَصُحْبَةِ الْفِتْيَةِ الْكِرَامِ

(١) عنفص الرجل: ادَّعى بما ليس فيه ، وكان ذا خفة وصلف وبخلاء . وعنفص الحمار، عامية مستعملة في العراق، تعني قفز قفزات متتابعة من صحة ونشاط .

(٢) الحجو: الفطنة .

(٣) ثمار القلوب/٣٦٧ .

أَنْ لَسْتُ أَبْكِي عَلَى رُسُومٍ غَيْرَهَا هَاطِلُ الْغَمَامِ
لَكِنْ بُكَائِي عَلَى حِمَارٍ مُوَكَّلِ الْجِسْمِ بِالسَّقَامِ
قَدْ ذَابَ ضُرّاً أَوْ مَاتَ هَزْلاً فَصَارَ جِلْداً أَعْلَى عِظَامِ
وَمَرَّ يَوْماً بِهِ شَعِيرٌ مِقْدَارِ كَفِّينِ لِلْحَمَامِ
وَحَمَلُ قَتٍّ لَشَاةٍ قَوْمٍ كِلَاهُمَا فِي يَدَيَّ غُلَامِ
فَظَلُّ مِنْ فَرْحَةٍ يَغْنِي وَقَالَ قَدْ جَاءَنِي طَعَامِي
يَا زَائِرِينَا مِنَ الْخِيَامِ حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ
لَمْ تَطْرُقَانِي وَبِي حَرَكَ إِلَى حَلَالٍ وَلَا حَرَامِ
وقال أحمد بن طاهر يصف حماراً (١) :

شَيْبَةً كَأَنَّ الشَّمْسَ فِيهَا أَشْرَقَتْ وَأَضَاءَ فِيهَا الْبَدْرُ عِنْدَ تَمَامِهِ
وَكَأَنَّهُ مِنْ تَحْتِ رَاكِبِهِ إِذَا مَا لَاحَ بَرَقَ لَاحَ تَحْتَ غَمَامِهِ
ظَهَرَ كَجَرِي الْمَاءِ لَيْنٌ رُكُوبِهِ فِي حَالَتِي إِتْعَابِهِ وَجَمَامِهِ
سَفِهَتْ يَدَاهُ عَلَى الثَّرَى فَتَلَاعَبَتْ فِي جَرِيهِ بِسُهُولِهِ وَإِكَامِهِ
عَنْ حَافِرٍ كَالصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ أَقْوَى وَأَصْلَبُ مِنْهُ فِي اسْتِحْكَامِهِ
مَا الْخَيْزُرَانُ إِذَا انْتَنَتْ أَعْطَافُهُ فِي لَيْنِ مَعْطِفِهِ وَلَيْنِ عِظَامِهِ
عُنُقٌ يَطُولُ بِهَا فُضُولُ عِنَانِهِ وَمُحْزَمٌ يَغْتَالُ فَضْلَ حِزَامِهِ
وَكَأَنَّهُ بِالرَّيْحِ مُتَّعِلٌ وَمَا جَرِي الرِّيحِ كَجَرِيهِ وَدَوَامِهِ
أَخَذَ الْمَحَاسِنَ آمِناً مِنْ عَيْهِ وَحَوَى الْكَمَالَ مُبَرَّراً مِنْ ذَامِهِ
وقال صخر بن عمرو بن الشريد لَمَّا أَضْنَاهُ جَرَحَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ امْرَأَتَهُ قَدْ
بَرِمَتْ بِهِ، وَرَأَى تَحْرُقَ أُمِّهِ عَلَيْهِ (٢) :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهَا وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي

(١) نهاية الأرب ٩٧/١٠ .

(٢) الكامل للمبرد ٦٠/٤ .

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً عليكِ ومن يَغترُّ بالحدَثانِ
أهمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُهُ وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزوانِ
لعمري لقد أنبَهتُ مَنْ كانَ نائماً وأسمعتُ من كانتَ لَهُ أذنانِ
فأيُّ امرئٍ ساوى بأَمِّ حَلِيلَةٍ فلا عاشَ إلَّا في شَقَى وهوانِ

وقال أبو غلالة في حمار طَيَّاب السَّقاء^(١) :

حِمَارُ طَيَّابٍ لَا تُحْصَى مَعَايِيهِ ما فِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا قُلْتُهُ فِيهِ
قَدْ دَقَّ حَتَّى رَأَيْتُ الْخَيْطَ يَشْبَهُهُ مِنَ الْهَزَالِ وَعَيْنُ الضُّرِّ تَبْكِيهِ
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَوْلَا التَّبَنِّي يَأْكُلُهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَكَانَ الْجُوعُ يُفْنِيهِ
مَا زَالَ يَطْلُبُ وَصَلَ الْقَتْلُ مُحْتِجِداً وَالْقَتْلُ يَقْتُلُهُ بِالْصَّدِّ وَالْتِيهِ
حَتَّى تَغْنَى لَهُ مِنْ طُولِ جَفَوْتِهِ صَوْتاً يَبُوحُ بِمَا قَدْ كَانَ يُخْفِيهِ
النَّجْمُ يَرْحَمُنِي مِمَّا أَكَابِدُهُ وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا أَقَاسِيهِ

وقال ابن الهبَّاريَّة في قصَّة الحمار والضرغام^(٢) :

وقال أبو أيُّوب ما هذا المثلُّ قال: حمارٌ كانَ في بَعْضِ الجِلَلِ^(٣)
فَقَصَّدَ المَرْعَى فَخَاضَ طِينَا فَظَلَّ فِيهِ مُوْتَقاً رَهِينَا
وَكَلَّمَا رَامَ الخُرُوجَ غَاصَا مِثْلَ خَنِيْقٍ يَطْلُبُ الخَلَاصَا
إِذَا تَلَكَّا فِي الخِنَاقِ واضْطَرَبَ زَادَ خِنَاقاً بِالْمِرَاسِ وَعَطَبَ^(٤)
كَذَاكَ مَنْ يَحْتَالُ لِلرِّخَاءِ قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّةِ البَلَاءِ
تَزِيدُهُ حِيلَتُهُ بَلَاءَ لِأَنَّهُ يُرَاغِمُ القَضَاءَ

(١) ثمار القلوب/٣٦٨ .

(٢) ديوانه (الصادح والباغم) ٤٦ .

(٣) أبو أيُّوب: كنية الجمل، ولعله هو المقصود بالبيت. الحلل: جمع حَلَّة (بالكسر): المحلَّة، والقوم النزول فيهم كثرة، وقيل: مائة بيت.

(٤) تَلَكَّا: تَلَكَّا، أي أبطأ وتوقف.

فلم يَزَلْ في الْوَحْلِ شَهراً كامِلاً
 حتَّى غداً مثل الْفَنَيْقِ الْمُصْعَبِ
 فصارَ ممَّا نالَهُ مِنْ أَكْلِ
 فجارَ لِلْحَيْنِ هُناكَ أَسَدُ
 فَسَمِعَ الصَّوْتُ فَقَالَ : فَرَجُ
 وَاتَّبَعَ الصَّوْتُ فَأَلْفَى الطَّيْنا
 فقال : إِنَّ خُضْتُ نَشَبْتُ فِيهِ
 أَموتُ في يَوْمٍ ولا أَعِيشُ
 فَلَيْسَ إِلَّا الْكِيدُ والتَّذْبِيرُ
 قال سَلامُ يا أبا زيادِ
 إِنِّي أراكَ مِنْذُ حِينِ ما كُنتُ
 قال : أبا الحارِثِ عِمَّ صَباحا
 والله ما آخَرْتُ المَقامَ هاهنا
 لَكُنْني مُقَيِّدُ بِالْوَحْلِ
 وإِنِّي أَرْجوكَ أَنْ تُنْقِذَني
 فَإِنَّ يَكُنْ في طَبْعِكَ الْقِساوَةُ
 فَأَمَنْتُ فَأَنْتَ مَلِكُ كَبِيرُ
 وإِنَّ مِنْ خِصائِلِ الْكِرامِ
 وإِنَّ مِنْ شَرائِطِ الْعُلُوِّ
 كَفَاكَ مِنْها أَيُّها الْكَبِيرُ
 قال لَهُ اللَّيْثُ دَعَوْتُ رَاجِما

يَرعى بِذاكَ المَرَجِ رَوْضاً باقِلاً (١)
 وعادَ في الشَّحْمِ بَريِّ مُعْجِبِ (٢)
 يَنْهَقُ وهو غائِصٌ في الْوَحْلِ
 لِلصَّيْدِ مِنْذُ مَدَّةٍ يَجْتَهِدُ
 لِكُلِّ ضَيْقٍ سَعَةً وَمَخْرَجُ
 دُونَ الْحِمَارِ لَثِقاً ثَخِيناً (٣)
 وَلَيْسَ في قُوَّةٍ تَكْفِيهِ
 إِذْ لَسْتُ بِمَنْ أَكَلَهُ الْحَشِيشُ
 وَالْحَزْمُ لا الإِقْدامُ والتَّغْرِيرُ
 وبِالْوِدَادِ تُخَدِّعُ الأَعادي
 بِذا المَكَانِ مُطْمَئِناً لا بِشا
 فَقَدْ عَدَوْتُ مَلِكاً جَحْجَاحا
 مقالَ غَرُّ لَمْ يَكُنْ مُداهِنا
 في مِحْنَةٍ شَدِيدَةٍ وَذُلِّ
 مِنْ وَرَطَني هَذي وَأَنْ تُسَعِدَني
 وَبَيْنَنا الْبَغْضاءُ وَالْعَدَاوَةُ
 وَها أَنَا مُضْطَهَّدُ أُسِيرُ
 رَحْمَةً ذِي الْبَلاءِ وَالسَّقَامِ
 الْعَطْفُ في الْبُؤْسِ عَلى الْعَدُوِّ
 أَنِّي مِنْها بِكَ مُسْتَجِيرُ
 إِنَّ الْعَظِيمَ يَدْفَعُ الْعَظائِما

(١) الباقل: المخضر .

(٢) الفنيق: فحل الإبل المكرم. المصعب: الذي ترك فلم يركب فصار صعباً .

(٣) اللق: الندي، واللزج .

أبشُرْ فَإِنِّي كَاشِفُ عَنْكَ الْكَرْبِ
 فَإِنَّ مِثْلِي يَدْفَعُ الْأَهْوَالَ
 لَا سِيَّمَا عَنِ مُسْتَجِيرِ بَائِسٍ
 قَدْ قَضَتِ الْعُقُولُ أَنَّ الشُّفْقَةَ
 وَمَنْ أَغَاثَ الْبَائِسَ الْمَلْهُوفَا
 وَمَرٌّ لِلْمَكْرِ وَلِلدَّهَاءِ
 فَاانْقَطَعَ الْمَاءُ وَجَفَّ الطِّينُ
 وَنَشِفَ الْمَاءُ وَخَلَّى قَدَرٌ مَا
 وَلَمْ يَزَلْ يَدْعُو لَهُ الْجَمَارُ
 حَتَّى إِذَا جَفَّ عَلَيْهِ الطِّينُ
 وَاحْتَبَسَ الضَّرْعَامُ عَنْهُ عَمْدَا
 وَجَاءَهُ اللَّيْثُ وَقَالَ أَجْبَذُكَ
 قَالَ نَعَمْ فَأَفْعَلُ فَأَنْتَ عَالِمٌ
 فَعَلِقْتُ مِنْ وَقْتِهِ مَخَالِبُهُ
 فَدَقُّهُ مِنْ وَقْتِهِ وَافْتَرَسَهُ

وَنَازِعُ دُونَكَ أُنْيَابَ النُّوَبِ
 عَنِ الْعِدَى وَيَحْمِلُ الْأَثْقَالَ
 وَقَانِطٍ مِنَ الْحَيَاةِ يَائِسٍ
 عَنِ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ صَدَقَهُ
 أَعَانَهُ اللَّهُ إِذَا أُخِيفَا
 فَسَدَّ مِنْ فَوْقَ مَسِيلِ الْمَاءِ
 فِي مَدَّةٍ وَفَرَحَ الْمِسْكِينُ
 يَرُوي بِهِ غَلَّتَهُ مِنَ الظُّمَأِ
 وَلَيْسَ يَذْري أَنَّهُ مَكَّارُ
 وَجِسْمُهُ فِي جَوْفِهِ دَفِينُ
 وَقَطَعَ الْعُشْبَ فَلَاقَى جَهْدَا
 بِقُوَّتِي مِنْهُ لَعَلِّي أَنْقَذُكَ^(١)
 وَنَاصِحُ كَمَا تَقُولُ رَاحِمُ
 فِيهِ وَعَادَ اللَّيْثُ وَهُوَ رَاكِبُهُ
 وَيُحِ أَيْبِهِ صَائِدًا مَا أَكْسَهُ

(١) جَبَذَ : لَغَا فِي جَذَبٍ ، وَلَيْسَتْ قَلْبًا لِاسْتِقْلَالِ كُلِّ حَرْفٍ بِتَصْرِفِهِ .

الْحَمَام^(١)

أجناسه :

الحمام : وحشي وأهلي ، وبيوتي وطوراني^(٢) . وكل طائر يعرف الزواج ، ويحسن الصوت والهديل ، والدعاء والترجيع فهو حمام وإن خالف بعضه بعضاً في بعض الصوت واللون ولحن الهديل . ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه ، بل يُغمر منقاره حتى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم .

الحمام جمع ، ويجمع أيضاً على حمامات وحمام ، واحده حمامة للذكر والأنثى ، لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث ، وربما قالوا : حمام للواحد .

ويشمل هذا الاسم عند العرب أسماء كثيرة ، ومن أهم تلك الأسماء ما

(١) الحيوان للمحافظ ١٤٤/٣ . المحققص ١٦٧/٨/٢ . حياة الحيوان ٢٥٦/١ و ١١/٢ و ١٩٦ و ٢٥٨ و ٣٩٤ و ٤١٠ ، والمعجم الزولوجي ٥٤٢/٢ ، والصحاح للجوهري ، ولسان العرب ، وأدب الموارد - في حدود المواد التي سيرد ذكرها - .

(٢) الطوراني نسبة إلى طور سباء ، وفيل : (طراني) نسبة إلى جبل يقال له (طرآن)

تردّد ذكرها في أشعارهم وهي :

- الفاختة (بكسر الخاء) جمعها فواخت وهي ضرب من الحمام المطوّق ويقال لها: الصُلُصُل (بضم الصادين) . قيل إنّ اسم الفاختة مشتق من الفخت وهو ظل القمر. وفخت الفاختة: صوتت، وتفتّخت المرأة: مشت مشي الفاختة .

- القُمري (بالضم) والجمع قماري، وقُمَر (بضم فسكون) والأنثى قمرية، ويسمى الذكر (ساق حرّ) و (ورشان) جمعه وراشين وكنيته: أبو زكري، وأبو طلحة، وأبو الأخضر، وأبو عمران، وأبو النائحة .

- اليمامة، وقد اختلفوا في التعريف بها فمن قائل إنّها الحمامة البرية، وقائل إنّها الحمامة الأهلية .

والإسم يقع على الذكر والأنثى، والهاء للجنس لا للتأنيث، والجمع يمامات، ويمام .

- الوراق: الحمامة التي يضرب لونها إلى السواد في غبرة .

واعتبر بعضهم (القطا) من الحمام، ولكنني أفردتها لأسباب سأذكرها عندما تأتي نوبتها .

مما ورد في الأمثال

- (آلف من حمام مكّة) ويقال أيضاً (آمن من حمام الحرم)^(١) وذلك أنها لا تثار، ولا تصاد، فهي تتألف وتأمين ويطول عهدها هناك .
- (أحقق من حمامة)^(٢) لأنّهم يزعمون أنّها لا تصلح عشها، فربما سقط

(١) جمهرة الأمثال ١٩٩/١، وحياة الحيوان ٢٦٣/١ .

(٢) جمهرة الأمثال ٣٩٣/١ .

بيضها فانكسر .

- (أشجى من حمامة)^(١) .

- (أكذب من فاختة)^(٢) رموها بالكذب زوراً لأنهم توهموا أنها تقول في هديلها - وهي فوق النخلة ، والنخلة لم يخرج طلعتها بعد - (هذا أوان الرطب) فقال شاعرهم :

أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
الطلع لم يبد لها هذا أوان الرطب

- (أهدى من حمامة)^(٣) يريدون الحمام الزاجل الذي يستعمل لنقل الرسائل إلى مختلف الأقطار .

- (تقلدها طوق الحمامة)^(٤) يقال ذلك للذيلة يأتيها الإنسان فيلزمه عارها ، وهو مأخوذ من قول الشاعر عبيد بن الأبرص .

إذهب بها إذهب بها طوقها طوق الحمامة

ومنه قولهم (طوق الحمامة لا يلى على القدم)^(٥) وقولهم (كأطواق الحمام في الرقاب)^(٦) .

- (زقة زق الحمامة فرخها)^(٧) يضرب مثلاً لمن تولّى تربية قريب له فلم يقصّر في رعايته والشفقة عليه .

(١) المصدر السابق ٥٣٨/١ .

(٢) المصدر السابق ١٧٣/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٣٥٣/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٢٧٥/١ .

(٥) و (٦) - التمثيل والمحاضرة/ ٣٧٢ .

(٧) المعجم الزوولوجي ٥٤٩/٢ .

- (الفاختة عنده أبو ذر^(١)) لقد مرّ في الأمثال قبل قليل (أكذب من
فاختة) أمّا أبو ذرّ فهو الغفاري جندب بن جنادة الصحابي الجليل الذي يقول فيه
رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء
من ذي لهجة أصدق من أبي ذر^(٢)) .

- (كن مع الناس يمامة^(٣)) يعني كن وديعاً مع الناس وعاملهم بالرفق .

مما ورد في القصص

الحمامتان^(٤) :

زعموا أنّ حمامتين ذكرًا وأنثى ملأّا عشّهما من الحنطة والشعير فقال الذكر
للأنثى : إنّنا إذا وجدنا في الصّحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما هنا شيئاً ، فإذا
جاء الشتاء ولم يكن في الصّحارى شيء رجعنا إلى ما في عشّنا فأكلناه . فرضيت
الأنثى بذلك وقالت له نعماً رأيت ، وكان ذلك الحبّ ندياً حين وضعاه في
عشّهما . فانطلق الذكر فغاب ، فلما جاء الصيف يبس الحبّ وتضمّر ، فلما رجع
الذكر رأى الحبّ ناقصاً فقال لها : أليس كنّا جمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً
فليم أكلته ؟ فجعلت تحلف أنّها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تتنصّل إليه فلم
يصدّقها وجعل ينقرها حتى ماتت .

فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء تندّى الحبّ وامتلاًّ العشّ كما كان ، فلما
رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال : ما ينفعني الحبّ
والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجذك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكّرت في أمرك

(١) المعجم الزوولوجي ٤/٥ .

(٢) الاستيعاب ٢٥٥/١ .

(٣) حياة الحيوان ٤١١/٢ .

(٤) كليله ودمنة ٣٧٨ .

وعلمت أنني قد ظلمتك ولا أقدر على تدارك ما فات . ثم استمرّ على حزنه فلم يطعم طعاماً ولا شرباً حتى مات إلى جانبها .

الحمامة المطوّقة والغراب والجُرذ^(١) :

زعموا أنه كان بأرض سكاوُنْدَجِين عند مدينة دَاهَرٍ مكان كثير الصيد ينتابه الصيَّادون، وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب . فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بَصُر بصيَّاد قبيح المنظر سيِّء الخلق، وقبح منظره يدلُّ على سوء مخبره، على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلاً نحو الشجرة، فذعر الغراب منه وقال : لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حَيْنِي، وإما حَيْنُ غَيْرِي، فَلأُبْتِنُ في مكاني حتى أنظر ماذا يصنع ؟ ثم إنَّ الصيَّاد نصب شبكته ونثر عليها الحبَّ وكمن قريباً منها . فلم يلبث إلا قليلاً حتى مرَّت به حمامة يقال لها المطوّقة، وكانت سيِّدة الحمام، ومعها حمام كثير، فعميت هي وصاحباتها عن الشوك فوقعن على الحبَّ يلتقطنه فعِلِقْنَ في الشبكة كلُّهنَّ وأقبل الصيَّاد فرحاً مسروراً . فجعلت كلُّ حمامة تتلجلج^(٢) في حبالها، وتلتمس الخلاص لنفسها . قالت المطوّقة : لا تخاذلن^(٣) في المعالجة، ولا تكن نفس إحداكنَّ أهمَّ إليها من نفس صاحبتها، ولكن نتعاون جميعنا ونطير كطائر واحد فينجو بعضنا ببعض .

فجمعن أنفسهنَّ ووثنَ وثبة واحدة فقلعن الشبكة جميعهنَّ بتعاونهنَّ وعلون بها في الجوِّ . ولم يقطع الصياد رجاءه منهنَّ وظنَّ أنهنَّ لا يجاوزن إلاَّ قريباً حتى يقعن .

(١) المصدر السابق/ ٢٣٥ .

(٢) تتلجلج : تردّد مرتبكة .

(٣) لا تخاذلن : لا تتركن التعاون .

فقال الغراب : لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن ، فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام : هذا الصياد جادٌ في طلبكن ، فإن نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا ، وإن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف . وبمكان كذا جردٌ هو لي أخٌ فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرك . ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف . وتبعهن الغراب لينظر إليهن لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عُدَّة عند الحاجة ، فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرد أمرت الحمام أن يقعن فوقن .

وكان للجرد مائة جحر أعدها للمخاوف . فنادته المطوقة بأسمه - وكان اسمه زَيْرُك ، فأجابها الجرد من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرد يسعى فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟ قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدَّر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعني في هذه الورطة . فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمراً . وقد تنكسف الشمس وينخسف القمر إذا قضى ذلك عليهما ، ثم إن الجرد أخذ في قرض العقد^(١) الذي فيه المطوقة .

فقالت له المطوقة : إبدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي ، فأعادت عليه ذلك مراراً وهو لا يلتفت إلى قولها . فلما أكرث عليه القول وكررت قال لها : لقد كررت القول عليّ كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقاً . قالت : إنني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تملّ وتكسل عن قطع ما بقي ، وعرفت أنك إن بدأت بهن قبلي وكنت أنا الأخيرة لم ترض وإن أدركك الفتور أن أبقى في الشرك . قال الجرد : هذا ممّا يزيد الرغبة فيك والمودة لك . ثم إن الجرد أخذ في قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها . . . (٢) .

(١) العقد (بكسر العين) : القلادة . والمراد هنا : حبل الشرك .

(٢) للقصة بقية لا علاقة لها بالحمام تركناها توخيّاً للاختصار .

مما ورد في الكلام المنشور

١ - قال أبو حاتم السجستاني^(١) :

جميع الفراسة التي لا تخطيء في حمام الأمصار أربعة أوجه. فالوجه الأول التقطيع، والثاني المجسمة، والثالث الشمائل، والرابع الحركة. فالمحمود من التقطيع عند العلماء ذوي التجارب: انتصاب الخلقة واستدارة الرأس في غير عظم ولا صغر، وعظم القرطمتين^(٢) ونقاؤهما، واتساع المنخرين وأنهرات الشدقين، وسعة الجوف وحسن خلقة العينين، وقصر المنقار في غير دقة، واتساع الصدر وامتلاء الجؤجؤ^(٣)، وطول العنق وإشراف المنكبين وانكماش الجناحين، وطول القوادم في غير إفراط، ولحاق بعض الخوافي ببعض في غير تفنين^(٤)، وصلابة العصب من غير انتفاخ ولا ييس، واجتماع الخلق في غير تكزيم^(٥)، وعظم الفخذين والساقين، واقتدار الأصابع وقصر الذنب وخفته من غير تفريق من الريش ولا تفنين، وتوقد الحذقتين وصفاء اللون. فهذه أعلام الفراسة في التقطيع.

وأما أعلام المجسمة فوثاقة الخلق وشدة اللحم ومتانة العصب وصلابة القصب، ولين الريش في غير رقة، وصلابة المنقار في غير دقة.

وأما أعلام الشمائل فصفاء البصر وثبات النظر وشدة الحذر وحسن التلفت، وقلة التخيل وذكاء الفؤاد، وظهور الشهومة وقلة الرعدة عند الدعر،

(١) المخصص لابن سيده ١٧٠/٨/٢.

(٢) القرطمتان من الحمام: نعلتان على أصل منقاره.

(٣) الجؤجؤ: الصدر أو عظام الصدر، أو مواصل عظامه، أو مجتمع رؤوس عظامه.

(٤) من غير تفنين: من غير اختلاط.

(٥) التكزيم: القصر، والانقباض.

(٦) الشهومة: الذكاء، التوقد، النشاط.

وخفّة النهوض إذا نهض، والمبادرة إذا لقط .

وأما أعلام الحركة فالطيران في علو ومدّ العنق في سمو، وقلة الإضطراب في جو السماء، وضم الجناحين في الهواء، وتدافع الركض في غير اختلاط وحسن الأم في غير دوران، وشدة المر في الطيران، فإذا أصبته جامعاً لهذه الصفات فهو الطائر الكامل، وإلا فبقدر ما فيه من هذه المحاسن تكون هدايته وفراسته .

٢ - وقال النويري^(١) : وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان^(٢) وبسط فيه القول ووسّع المجال، ونحن الآن نورد ملخص ما قاله فيه . قال: ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به، وهو من الطير الميامين، وهو إذا علم الذكر منه أنه قد أودع رحم الأنثى ما يكون منه الولد، تقدّم في إعداد العش ونقل القصب وشقق الخوص، وأشبه ذلك من العيدان الخوّارة^(٣) الدقاق حتى يعملأ أفحوصة^(٤) وينسجها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي اتخذاه واصطنعاه عشاً بقدر جثمان الحمامة، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حروفاً غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج، ولتلتزم كتفي الجوّج، ولتكون رفداً لصاحب الحُضن وسنداً للبيض، ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأفحوصة يسخّنانها ويدفئانها ويطيئانها وينفيان عنها طباعها الأول، ويحدثان لها طبيعة أخرى مشتقة من طباعهما ومستخرجة من رائحة أبدانها وقواهما لكي تقع البيضة إذا وقعت في موضع يكون أشبه المواضع طباعاً بأرحام الحمام مع الحضانة والوثارة كي لا تنكسر البيضة ببس الموضع، ولئلا تنكر طباعها طباع

(١) نهاية الأرب ٢٧١/١٠ .

(٢) الحيوان للجاحظ ١٤٧/٣ - ١٥٨ .

(٣) الخوّارة: الضعيفة .

(٤) الأفحوصة: الموضع الذي تفحص التراب عنه أي تكشفه لتبيض فيه .

المكان، وليكون على مقدار من البرد والسخونة والرخاوة والصلابة .

ثم إن ضربها المخاض وطرقتا^(١) ببيضها بدرت إلى الموضع الذي قد أعدته وتحاملت إليه، إلا أن يقرعها رعد قاصف أو ريح عاصف فإنها ربما رمت بها دون الأفحوصة . والرعد ربما أفسد البيض . فإذا وضعت البيض في ذلك المكان الذي أعداه لا يزالان يتعاقبان الحُصن ويتعاورانه حتى تنتهي أيامه ويتم ميقاته، فعند ذلك ينصدع البيض عن الفرخ فيخرج عاري الجلد صغير الجناح مستد الحلقوم^(٢) فيعلمان أنه لا يتسع حلقه وحوصلته للغذاء، فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا في حلق الفرخ الرّيح لتتسع الحوصلة بعد التحامها . ثم يعلمان أنه وإن اتسعت الحوصلة لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزق بالطعم، فيزق باللُعاب المختلط بقواهما وقوى الطعم . ثم يعلمان أن الحوصلة تضعف عن استمرار الغذاء وهضم الطعم فيأكلان من شروج أصول الحيطان - وهو شيء من الملح المحض والتراب الخالص، وهذا هو السَّبَخ - فيزقانه به . حتى إذا علما أنه قد اندبغ واشتد زقاه بالحب الذي قد غب في حواصلهما، ثم يزقانه بعد ذلك بالحب والماء . حتى إذا علما أنه قد أطاق اللُّقْط منعاه بعض المنع ليحتاج إلى اللُّقْط فيتعوّد . فإذا علما أن إرادته قد تمت وأنه قد قوي على اللُّقْط وبلغ بنفسه منتهى حاجته، ضرباه إذا سألهما الكفاية، ونفياه متى رجع إليهما، وتنتزع تلك الرحمة العجيبة منهما وينسيان ذلك التعطف ثم يتدثان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المقدمات . فسبحان الهادي الملهم . قال: ثم يتبدى الذكر بالدُّعاء والطِّراد، وتبدى الأنثى بالتأتي والإستدعاء، ثم تزيف وتشكل^(٣)

(١) طرقت الحمامة: حان وقت خروج ببيضها .

(٢) في الحيوان ١٥٢/٣ (منسد الحلقوم) يقال: انسد واستدّ انسداداً واستداداً: أغلق، ولا فرق بينهما .

(٣) زافت الحمامة تزيف: إذا مشت بين يدي الذكر مدلة متبخرة . شكلت المرأة: كانت ذات شكل أي غنج ودلال .

وتمكن وتمنع، وتُجيب وتَصْدُف بوجهها ثم يتعاشقان ويتطاولان ويكون بينهما
قُبْل وأَرْتِشَاف وإِدْخَال فَمِها في فمه وذلك هو التطاعم والمطاعمة. قال الشاعر:
لَمْ أُعْطَها بِيدي إِذْ بَتَّ أَرَشُفُها إِلَّا تَطَاوُلَ غُصْنِ الجِيدِ بِالجِيدِ^(١)
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءِ نَاعِمَةٍ مُطَوَّقَانِ أَصَاخَا بَعْدَ تَغْرِيدِ

مما جاء في الشعر

قال جهم بن خلف في قمرية^(٢):

<p>طَرُوبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى عَسِيبَ أَشْأٍ بِذَاتِ الغُضَا^(٣) يُهَيِّجُ لِلصَّبِّ مَا قَدْ مَضَى بِدَعْوَةِ نُوحٍ لَهَا إِذْ دَعَا^(٤) تُبْكِي وَدَمْعُهَا لَا تُرَى وَقَدْ عَلِقَتْهُ جِبَالُ الرَّدَى عَلَيْهِ وَمَاذَا يَرُدُّ البُكََا خَفُوقُ الجَنَاحِ حَيْثُ النُّجَا^(٥)</p>	<p>وَقَدْ شَاقَنِي نَوُحُ قُمْرِيَّةٍ مِنَ الوُزْقِ نَوَاحِيَةً بَاكَرَتْ تَغْنَتْ عَلَيْهِ بَلَحْنٍ لَهَا مُطَوَّقَةٌ كُسيَتْ زِينَةً فَلَمْ أَرِ بَاكِيَةً مِثْلَهَا أَصْلَتْ فُرَيْخًا فَطَافَتْ لَهُ فَلَمَّا بَدَا اليَأْسُ مِنْهُ بَكَتْ وَقَدْ صَادَهُ ضَرِيمٌ مُلْحِمٌ</p>
---	--

(١) عطا فلان الشيء يعطوه: أخذه بيده.

(٢) الحيوان للجاحظ ١٩٩/٣.

(٣) العسيب من سعف النخل: الذي لم ينبت عليه الخوص. الأشياء: صغار النخل أو عامته.

(٤) في الحيوان للجاحظ ١٩٥/٣ أن العرب والشعراء مطبقون على أن الحمامة هي التي كانت دليل
نوح عليه السلام ورائده، وحين رجعت إليه ومعها الكرم وفي رجليها الطين دعا لها فعوضها الله
من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق.

(٥) الضرم (ككتف): الجائع. الملحم (بكسر الحاء): الذي يطعم صاحبه اللحم. الحثيث
النجا: السريع الطيران، ويريد به الصقر.

وقال أبو هلال العسكري في قماري^(١) :

وَمُغْنِيَاتٍ مِنْ وَرَاءِ سَتَائِرٍ مَشْقُوقَةٍ الْأَوْسَاطِ وَالْأَحْنَاءِ
غَنَّتْ فَلَمْ تُحَوِّجْ إِلَى مَشْهُورَةٍ وَشَدَّتْ فَلَمْ تُفَقِّرْ إِلَى الْمَيْلَاءِ
تَبْدُو عَلَى أَعْنَاقِهِنَّ أَهْلَةٌ سُودٌ تَبْدُلُ ظُلْمَةً بِضِيَاءِ

وقال جميل صدقي الزهاوي^(٢) في الحمام القلاب :

تَقَلَّبُ بِانْتِظَامٍ فِي الْهَوَاءِ حَمَائِمُ هُنَّ زِينَةُ كُلِّ رَاءٍ
مُلَوَّنَةٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ صِبْغٌ بِالْوَانِ حَوَتْ كُلَّ الْبَهَاءِ
حَمَائِمُ كُلَّمَا رُمِنَ اقْتِرَاباً مِنَ الْأَرْضِ ارْتَفَعْنَ إِلَى السَّمَاءِ
وَعُذْنَ ضَوَاعِداً مُتَقَلِّبَاتٍ وَلَيْسَ صُعُودُهُنَّ بِلَا عَنَاءٍ
هَجَرْنَ وَكُونَهُنَّ بِهَا اضْطِرَاراً فَطَرْنَ مِنَ الصُّبْحِ إِلَى الْمَسَاءِ^(٣)
إِذَا رُمِنَ الْوُقُوعُ عَلَى بُيُوتٍ رَبِينَ بِهَا انْقَلَبْنَ إِلَى النُّورِ
بِتَضْفِيقٍ يَلْدُ لِسَامِعِيهِ وَتَضْعِيدٍ وَرَقَصَ فِي الْهَوَاءِ

وقال أمية بن أبي الصلت في طوق الحمامة^(٤) :

وَأَرْسَلْتُ الْحَمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ تَذُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلْمَسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهُ مِنَ الْمَاءِ الْعُبَابُ
فَجَاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقُطْفٍ عَلَيْهِ النَّاطُ وَالطِّينُ الْكُثَابُ^(٥)

(١) ديوان المعاني/١٤٣ .

(٢) ديوانه/١٥٨ .

(٣) الوكون جمع الوكن (بفتح فسكون) : عش الطائر في جبل أو جدار، وقيل : الوكن مأوى الطير في غير عش، والوكر (بالراء) ما كان في عش .

(٤) ديوانه/١٨ ، ويلاحظ التعليق على البيت الرابع من المقطعة الأولى حول طوق الحمامة الذي نالته بدعوة من نوح عليه السلام أثناء الطوفان .

(٥) الركض - هنا - بمعنى الطيران . الناط : الطين الأسود الممتن . الكُثَاب (بالضم) : الكثير . في الحيوان للمجاحظ ٣٢١/٢ ، ونهاية الأرب ٢٧٧/١٠ (الكُباب) وهو الطين اللزج .

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْقًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ (١)
إِذَا مَاتَتْ تَوَرَّتْهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقْتَلُ فَلَيْسَ لَهُ اسْتِلابُ

وقال أبو نواس من قصيدة خمزية (٢) :

قُطِرَ بُلٌّ مَرْبَعِي وَلِي يُقْرَى الْكَرْخُ مَصِيفٌ وَأُمِّي الْعِنَبُ (٣)
تُرْضِعُنِي دُرَّهَا وَتَلَحْفُنِي بِظِلِّهَا وَالْهَجِيرُ يَلْتَهَبُ
إِذَا تَنَّتْهُ الْغُصُونُ جَلَّلَنِي فَيَنَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبُ (٤)
تَبَيْتُ فِي مَائِمِ حَمَائِمِهِ كَمَا تُرْنِي الْفَوَائِدُ السُّلْبُ
يَهَبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخِفُّنَا طَرْبُ

وقال محمد بن حازم الباهلي (٥) :

نَهَانِي أَنْ أُطِيلَ الشُّعْرَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصُّوَابِ
وَابْعَثْنِي أَرْبَعَةً وَخَمْسًا بِالْفَافِ مَثْقَفَةً عِذَابِ
وَهُنَّ إِذَا وَسَمْتُ بِهِنَّ قَوْمًا كَأَطَوَاقِ الْحَمَامَةِ فِي الرِّقَابِ

وقال يحيى بن هذيل (٦) في حمامة :

وَقَفْتُ عَلَى الْغُصْنِ الْجَدِيدِ كَأَنَّمَا تَلْهُو بِهِ فِي الْغَيْمِ أَوْ يَلْهُو بِهَا
وَتَسْتَرَّتْ فِي سَرُورَةٍ مُلْتَفَّةٍ حَاجَبَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ شَخْصَ رَقِيبِهَا

(١) فرسوا : ثبثوا. في الديوان (فرشوا) وما أثبتته عن المصدرين المذكورين. السخاب (بالكسر) : القلادة .

(٢) ديوانه / ٤ .

(٣) قطرب : قرية شمالي بغداد ينسب إليها الخمر وقد اندثرت منذ زمن بعيد .

(٤) الجوب (بضم ففتح) جمع الجوبة وهي الفجوة ، يريدان الشجر الفينان كثيف ليس فيه فجوات تنفذ منها الشمس .

(٥) ثمار القلوب / ٤٦٦ .

(٦) التشبيهات / ٥٩ .

فَكَأَنَّمَا رِيحُ الْجَنُوبِ تَغَايَرَتْ أَلَّا تُرَى إِلَّا لَوَقْتِ هُبُوبِهَا
بَاتَتْ تُغَايِرُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَرَزَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ قَبْلَ غُرُوبِهَا

وقال شاعر يهجو ويصف المهجو بأنه أكذب من الفواخت (١) :

وَقَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ كُلُّهُ كَقَوْلِ الْفَوَاخِتِ جَاءَ الرُّطْبَا (٢)
وَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ أَشْبَهَنَّهُ فَلَسَنَ يُدَانِيَنَّهُ فِي الْكَذِبِ

وقال آخر (٣) :

وَقَدْ كُنْتَ تَصْدُقُ صِدْقَ الْقَطَا فَأَصْبَحْتَ أَكْذَبَ مِنْ فَاخِتَةٍ

وقال عوف بن محلم وقد سمع نوح حمامة (٤) :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ الْفُكَّ حَاضِرٌ وَغُضُنُكَ مَيَّادُ فَيْفِيمَ تَنْوُحُ (٥)
أَفِقْ لَا تَنْحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَأَنِّي بَكَيْتُ زَمَانًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلَوْعًا فَشَطَّتْ غَرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ فَهَا أَنَا أَبْكِي وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ

وقال صفي الدين الحلي (عبد العزيز بن سرايا) (٦) :

نَمَّ بِسَرِّ الرُّوضِ خَفَقُ الرِّيَّاحِ وَاقْتَدَحَ الشَّرْقُ زِنَادَ الصَّبَاحِ
وَأَخْجَلَ الْوَرْدُ شُعَاعَ الضُّحَى فَابْتَسَمَتْ مِنْهُ ثَغُورُ الْأَقَاخِ
وَقَامَ فِي الدُّوْحِ لِنَعْيِ الدُّجَى حَمَائِمُ تُطْرِبُنَا بِالصِّيَاحِ
مُذْ وَلَدَ الصُّبْحِ وَمَاتَ الدُّجَى صَاخَتْ فَلَمْ نَذِرْ غِنًا أَمْ نَوَاحِ

(١) ثمار القلوب/٤٩٠ .

(٢) يراجع المثل (أكذب من فاختة) في باب (مما ورد في الأمثال) عن الحمام .

(٣) ثمار القلوب/٤٩٠ .

(٤) الكامل للمبرد ١٢٤/٣ .

(٥) قال المرصفي في رغبة الأمل (٢٦/٧) : الشعر لأبي كبير الهذلي وليس لعوف بن محلم، ولم أجده في ديوان الهذليين .

(٦) ديوانه /١٦٥ .

وقال العرجي (عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) مشبهاً (الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة ^(١) :

أَلَمْ يُنْسِرْ لَيْلَى عَهْدَكَ الْمُتَبَاعِدُ وَدَهْرُ أَتَى بَعْدَ الَّذِي زَلَّ فَاسِدُ ^(٢)
فَوَادَكَ أَنْ يَهْتَاجَ لَمَّا بَدَتْ لَهُ رُسُومُ الْمَغَانِي وَالْأَثَافِي الرُّوَائِدُ
وَمَرَبُطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٌ مُصَرَّعٌ وَهَابٍ كَجُثَمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدُ ^(٣)

وقال ابن ماء السماء (عبادة بن عبد الله) في قمرى ^(٤) :
مُطَوَّقٌ جَوْدٌ فِي شَدْوِهِ كَأَنَّمَا طَوَّقَ إِذْ جَوْدَا
مَالَ عَلَى الْخُوطِ فَشَبَّهَتْهُ بِشَارِبٍ لَمَّا انْتَشَى عَرَبْدَا
كَأَنَّمَا الطَّلُّ عَلَى طَرْقِهِ دَمَعٌ عَلَى عِقْدٍ فُتَاةٌ بَدَا

وقال يحيى بن هذيل في الحمام ^(٥) :
غَنَى وَفَوْقَ جَنَاحِيهِ سَقِيطُ نَدَى وَالْغَيْمُ يُنْجِزُ لِلْحَوَازِنِ مَا وَعَدَا ^(٦)
يَهْفُو بِهِ خُوطُ رِيحَانٍ تُغَايِلُهُ فِي الْجَوِّ رِيحٌ فَتَلْوِي مَتْنَهُ أَوْدَا
إِذَا اسْتَقَلَّ وَمَسَّ الْأَرْضَ تَحْسَبُهُ مُصَلِّياً [إِذْ] تَلْقَى سَجْدَةً سَجْدَا ^(٧)
لَهُ ثَلَاثَةُ أَلْوَانٍ تَخَالُ بِهَا زُمُرُداً وَ عَقِيقاً جَاوَرَا بَرْدَا
وقال عبد الله بن المعتز ^(٨) :

وَصَوْتِ حَمَامَةٍ سَجَعَتْ بَلِيلٍ وَقَدْ حَنَّتْ إِلَى إِلْفٍ بَعِيدِ

(١) ديوانه ١١٦/.

(٢) زلّ: ذهب.

(٣) الخيم (بالفتح) أحد جموع الخيمة، وقال الجوهري (الخيم مثل الخيمة).

(٤) و(٥) التشبيهات ٥٧/.

(٦) الحوزان: نوع من الزهر.

(٧) استقلّ الطائر: ارتفع. في الأصل (إن تلقى) وهو تصحيف. في البيت إشارة الى حكم شرعي

(٨) يلزم قاريء القرآن بالسجود لله كلما التقى بآية تضمنت سجدة واجبة.

(٩) ديوانه ٥٦٦/٢.

فما زلنا نقول لها أعيدي ولساقي ألا هل من مزيد
 وقال النابغة الذبياني في معلقته (١):
 احكمم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع وإرد الثمد (٢)
 يحفنه جانباً نيتي وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد (٣)
 قالت ألا ليثما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ويصفه فقيد (٤)
 فحسبوه فالقوه كما حسبت يسعاً ويسعين لم تنقص ولم تزيد
 فأكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد
 وقال عبد الله بن الدمينه (٥)، وقيل مجنون ليلي (٦):
 ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادني مسراك وجداً على وجد
 إن هتفت ورفاء في زوني الضجى على فني غص النبات من الرند
 بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليداً وأبذيت الذي لم يكن تبدي (٧)
 وقال صخر الغني (٨) من قصيدة في رثاء ولده:
 وما إن صوت نائحة بليل يسبل لا تنام مع الهجود (٩)
 تجهنا غاديين فسألتنني بواحيها وأسأل عن تليد (١٠)

(١) ديوانه / ٣٤.

(٢) فتاة الحي: يقال إنها زرقاء اليمامة، وهي التي يفرّب بحدة بصرها المثل. شراع: مجتمعة. الثمد: الماء القليل.

(٣) النيت: الحبل. مثل الزجاجة، أي عيناً صافية لم يصبها رمد، يقول: إن الفتاة حذرت عدد الحمام وهو بين حافتي الجبل.

(٤) نقد: محاسب.

(٥) ديوانه / ٨٥.

(٦) ديوانه / ١١٢، وفي القصيدة أبيات منسوبة إلى غير الشاعرين المذكورين.

(٧) هذه رواية ديوان ابن الدمينه، وفي رواية ديوان المجنون بعض الاختلاف.

(٨) ديوان الهذليين ٦٧/٢.

(٩) النائحة الحمامة. سبل: موضع.

(١٠) تجهنا: أي تواجها وتقابلنا. تليد: ابن الشاعر المتوفى.

فقلتُ لها فأمّا ساقُ حُرٍّ فَبَانَ مع الأوائلِ مِنْ ثُمُودِ (١)
وقالتُ لَنْ تَرَى أَبَداً تَليَداً بِعَينِكَ آخِرَ العُمُرِ الجَديدِ (٢)
كلانا رَدَّ صاحِبَهُ بِياسٍ وتَأَيَّبٍ ووِجَدانٍ بَعِيدِ
وقال الصنوبري (أحمد بن محمد) (٣):

لي وَرْشانُ تَبْهَى به الدَّارُ وَيَسْعُدُ الزائِرُونَ والجارُ (٤)
أَقْلُ ما فِيهِ أَنْ مَنطِقَه تَقْدَحُ مِنْ فَرطِ حُسْنِهِ النَّارُ
مُفْتَرِقُ النِّعَمَتَيْنِ تَحْسَبُهُ تُضْرَبُ فِي الحَلْقِ مِنْهُ أوتارُ
أَغْنٍ لَدُنْ الغِناءِ سَجَسَجُهُ مِنقارُهُ فِي الغِناءِ مِزمارُ (٥)
وطائرٌ واحدٌ إِذا كُثِرَتْ آدائُه كانَ فِيهِ أَطيارُ
قال أبو بكر ابن دريد الأزدي: خرجنا نريد عمان في سفر لنا فزلنا بقرية

تحت نخل، فإذا بفاختتين تتزاقان فسنح لي أن قلت (٦):

أَقُولُ لَوْرَقاوينِ فِي فَرْعِ نَحْلَةٍ وَقَدْ طَفَلَ الإِمْساءُ أَوْ جَنَحَ العَصْرُ
وَقَدْ بَسَطَتْ هاتا لَتَلِكْ جَناحَها وَمالَ على هاتيكَ مِنْ هَذِهِ النُّحْرُ
لِيَهْنِكُما أَنْ لَمْ تُراعا بِفُرْقَةٍ وَما دَبَّ فِي تَشْيِيتِ شَمْلِكُما الدَّهْرُ
فَلَمْ أَرِ مِثْلِي قَطَعَ الشَّوْقُ قَلْبَهُ على أَنَّهُ يَحْكِي قِساوَتَهُ الصَّخْرُ
وقال محمود سامي البارودي باشا من قصيدة (٧):

وَكَمْ لَيْلَةٍ أَفْنَيْتُ عُمَرَ ظَلامِها إلى أَنْ بَدَأَ لِلصُّبْحِ فِيهِ قَتِيرُ (٨)

(١) ساق حر: الذكر من الحمام، ويقال هو الفرخ الذي تبكيه الحمام في الهديل.

(٢) العمر الجديد، يعني كل يوم جاء فهو جديد.

(٣) ديوانه ٣٧/.

(٤) الورشان: الذكر من القماري، ويسمى ساق حر أيضاً.

(٥) اللدن: اللين من كل شيء. السجسج من الغناء: الذي يجمع بين الرقة والصلابة.

(٦) ديوانه ٦٦/.

(٧) ديوانه ٢٧/٢.

(٨) القتير في الأصل رؤوس المسامير في الدرع، ويطلق على الشيب في أول ظهوره، والمراد هنا ضوء الصبح في أول طلوعه.

شغلت بها قلبي ومتعت ناظري
صنعت بها صنع الكريم بأهله
فما راعنا إلا حفيف حمائم
تجاوب أتراباً لها في خمائل
نواعم لا يعرفن بؤس معيشة
توسد هامات لهن وسائداً
كان على أعطافها من حبيكها
خوارج من ألك دواخل غيره
إذا غازلتها الشمس رقت كأنما
فلما رأيت الصبح قد رقت جوده
خرجت أجر الذيل تيهاً وإنما
وفال بحى بن هذيل في الحمام (٣):

ترى قطرات الطل كالدر فوقها
إذا انتفضت في الأيك تنثره نثراً
إذا فرقتهم ألف الغيم غيره
عليها فقد شبهتها قينة سكرى
نراحم أخرى مثلها بعقودها
ولم ترض باسترجاع منشورها كبرا

وشبه الحسين بن الحجاج غناء قينة بقهقهة القمرى ، فقال الثعالبي : لم
أسمع من ضرب بها المثل إلا أبا عبد الله بن الحجاج فانه ظرف وملح حيث قال
(٤):

وقينة تنغميها في الفنا أملاح من قهقهة القمرى

(١) موله (الساك طهور): كتابة عن عفته وامتناعه عما يشين ويقبح.

(٢) الشجر من الشعر والرش: صفاره بين كباره.

(٣) الشخصيات ٥٨/.

(٤) نمار العلوب/٤٨٨.

غناؤها الممدود بي فاعلٌ
وقال أبو نواس يصف حماماً لرجل بصريّ اسمه يعفور (١):
يا أيُّها المُطَنَّبُ ذا الغُرُورِ
ي الحسن الهذء والتَّخْيِيرِ
إِسمَعْ فَمَا نَبَّاكَ كَالْخَيْرِ
صِفَاتُهُ مُحْكَمَةُ التَّحْيِيرِ
أَطْيَارُ يَعْفُورٍ ذَوَاتُ الْخَيْرِ
هذا ثناء حُسْنِهَا الْمَشْهُورِ
في حُجَرٍ شَامِخَةٍ التَّحْيِيرِ
بِعَرَصَةِ الْإِنَاثِ وَالذَّكُورِ
تَكَرِيرٍ تَهْدِيلٍ عَلَى تَكَرِيرِ
تَرْثَمَ لِعِيدَانِ وَالزَّمِيرِ
مِنْ مُجْتَنَى الذُّوبِ أَخِي التَّغْيِيرِ
وَأَعْيُنِ أَصْفَى مِنَ الْبُلُورِ
لَمَعَ الْيَوَاقِيتِ مَعَ الشُّذُورِ
كَتَوَامَاتِ اللَّوْلُؤِ الْمَذْخُورِ
فَوْقَ مَنَاقِيرِ قِصَا صُورِ
فَعَلَ الْغِنَى الْمَقْصُورِ بِالْعُسْرِ
فِي صِفَةِ السُّودِ مِنَ الطُّيُورِ
رَبِّ شَهَادَاتٍ لَدَعَايَ زُورِ
مِنْ ذِي صِفَاتٍ حَاقِقٍ نَحْرِيرِ
مَا جَعَلَ الْأَسُودَ كَالْيَعْفُورِ (٢)
أَوَّلَى بِذَاتٍ فَضْلُهَا الْمَذْكُورِ (٣)
يَا حُسْنَهَا فَوْقَ أَعَالِي الدُّورِ
إِذَا تَهَادَيْنِ مِنَ الْوُكُورِ
وَطَرَدَ الْغَيُورِ كَالْغَيُورِ
كَأَنَّ فِي هَدِيلِهَا الْجَهِيرِ
أَوْكَدَوِيَّ النَّجْلِ فِي الْقَفِيرِ (٤)
ذَوَاتِ هَامٍ جَهْمَةِ التُّدْوِيرِ (٥)
فِي لَامِعٍ مِنْ حَمْرَةٍ مُنِيرِ
إِلَى قَرَاتِيمٍ نِبَالٍ حُورِ (٦)
فُصِّلَ مَقْرُوناً مِنَ الْمُنْثُورِ (٧)
كَرْنَةَ الْبَمِّ وَرَجَعَ الزَّيْرِ (٨)

(١) ديوانه/٦٥٥.

(٢) اليعفور - هنا - لون كلون التراب.

(٣) يعفور: اسم الرجل البصري المذكور في مقدمة الأرجوزة الخير (بالكسر) : الشرف والأصل .

(٤) الزمير: الغناء الحسن. القفير: خلية النحل.

(٥) الذوب: العسل. التغير: رفع الطير اجنحتها للطيران.

(٦) القراطين جمع قرطمة. نقطة على أصل منقار الحمامة. نبال، جمع نبال، وهو الذكي النجيب.

(٧) التوائم من اللالي كالفرائد، لا يكون هذه الأفردة، ولا تكون تلك إلا مع مثلها.

(٨) البم (بفتح الباء وتشديد الميم) والزير (بالكسر): وتران من أوتار العود (معربان).

ذوات ريش كمدارى الحور
جُرِد كظهر الأدم المبشور
من بين ما سبط وذى تنمير
حزور ذى ذنب قصير
فشق هول الحور والغمر
يقطع كالمستطرد المذعور
يفوت وثباً حذق الشور
كالحالق الكاسر للتغوير
أو لفت نار بيد المشير
فضتضع الحجرة بالنجير
نرب ساع عندها بثير

وأزجل في حُمرة الحبر (١)
بين البطون الملس والظهور (٢)
كم طائرٍ منهن ذى تشمير (٣)
من مزجل أرسل في البُحور (٤)
كفعله بالحزن والوعور (٥)
في اليوم أياماً من المسير
وخاطف العقبان والصقور
أو سهم رام قاصد طير (٦)
حتى هوى للوكر كالمطور (٧)
وكبروا فأيما تكبير
أبر منه قسم النذير

وقال كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين) يرثى قمرئاً (٨):
غدر الزمان وجار في أحكامه والدهر عَيْن الخائن الغدار
ورزئت أغلاقاً عليّ كريمةً من قبل أن تُقضي بها أو طاري (٩)

(١) المدارى جمع مدارة: المشط.

(٢) جرد (بالهم): ليس عليها ريش. الأدم: الجلد: المبشور: المقشور.

(٣) السط: المنسحل ضد الجعد، و (ما) زائدة. التنمير: التنقيط من أي لون كان، يوصف به الطير والرادين. التشمير: الاختيال، والجذ في الأمر.

(٤) الحور: العس القوي. المزجل: الحمام الزجل الذي يرسل على بعد ويقوم مقام البريد.
(٥) الحور (مفتح فكون) القمر والعمق. الغمر: المياه الكثيرة. الحزن (بالفتح): الأرض الصلبة.

(٦) الحالق: المنافع. التغوير: الهبوط إلى الغور وهو ما انحدر من الأرض. الطير: المحدد.

(٧) اللفت (بخر اللام): شق الشيء وجانبه.

(٨) دوايه ٢٢٧.

(٩) الأغلاق جمع الملق (بالكسر): النفيس من كل شيء.

فَفَقَدْتُ فِيهِ أَمْتَعَ السُّمَارِ
وَمُنَاسِبُ الْأَقْلَامِ بِالْمِنْقَارِ
طَوَّقَيْنِ خِلْتَهُمَا مِنَ النُّوَارِ
بِهَدِيلِهِ عَنْ مُطْرِبِ الْأَوْتَارِ
وَيُقِيمُنَا لِلْفَرْصِ فِي الْأَسْحَارِ
يَكْوِي الْحَشَا بِجَوَى كَلْدَعِ النَّارِ
وَلَقَدْ مَزَجْتُ دَمًا بِدَمْعٍ جَارِي
هَيْهَاتَ أَوْدَى سَيْدِ الْأَطْيَارِ

وَفُجِعْتُ بِالْقُمْرِيِّ فَجَعَةً ثَاكِلٍ
لَوْنُ الْغَمَامَةِ وَالْغَمَامَةُ لَوْنُهُ
وَمُطَوَّقٍ مِنْ صَبْغٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ
وَلَطَالَمَا اسْتَعْنَيْتُ فِي غَلَسِ الدُّجَى
هَزَجُ الْأَصَائِلِ يَسْتَحِثُّ كَوْوَسَنَا
لَهْفِي عَلَى الْقُمْرِيِّ لَهْفًا دَائِمًا
وَلَقَدْ هَجَرْتُ الصَّبْرَ بَعْدَ فِرَاقِهِ
مَا كُنْتُ فِي الْأَطْيَارِ إِلَّا وَاحِدٌ

وقال جهم بن خلف في حمامة (١):

مُثَوِّقَةٌ وَرَقَاءُ تَصْدَحُ فِي الْفَجْرِ
لَهَا دَمْعَةٌ يَوْمًا عَلَى خَدِّهَا تَجْرِي
نَوَائِحُ بِالْأَصْيَافِ فِي فَنَنِ السِّدْرِ
يُهَيِّجُ لِلصَّبِّ الْحَزِينَ جَوَى الصِّدْرِ
بَصَوْتٍ يَهَيِّجُ الْمُسْتَهَامَ عَلَى الذِّكْرِ
عَلَيْهَا وَلَا تُكَلِّى تُبْكِي عَلَى بَكْرِ
شَرِبْنَ سُلَافًا مِنْ مُعْتَقَةِ الْخَمْرِ
نَوَائِحُ مَيِّتٍ يَلْتَدِمَنَّ لَدَى قَبْرِ (٢)

وَقَدْ هَاجَ شَوْقِي أَنْ تَغْنَّتْ حَمَامَةٌ
هَتُوفُ تُبْكِي سَاقِحُورٌ وَلَنْ تَرَى
تَغْنَّتْ بِلَحْنٍ فَاسْتَجَابَتْ لِصَوْتِهَا
إِذَا فَتَرَتْ كَرَّتْ بِلَحْنٍ شَجَّ لَهَا
دَعَتْهُنَّ مِطْرَابُ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى
فَلَمْ أَرِذَا وَجِدَ يَزِيدُ صَبَابَةً
فَأَسْعَدْنَهَا بِالنُّوحِ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَجَاوَيْنَ لَحْنًا فِي الْغُصُونِ كَأَنَّهَا
بِسُرَّةٍ وَاِدٍ مِنْ تَبَالَةِ مُوْنِي

وقال ديك الجن (عبد السلام بن رغبان) في نواح الحمام (٤):
لَهَا مُقَلُّ تَجْرِي الدُّمُوعَ وَلَا تَجْرِي

حَمَائِمُ وَرَقٍ فِي حِمَى وَرَقٍ خُضِرِ

(١) الحيوان للجاحظ ٢٤٢/٣.

(٢) يلتدمن، من الإلتدام وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة.

(٣) تبالة: موضع ببلاد اليمن. الطلح: شجر عظام.

(٤) ديوانه ١٦٧/.

تَكَلَّفْنَ إِسْعَادَ الْغَرِيبَةِ إِنْ بَكَتْ وَإِنْ كُنَّ لَا يَدْرِينَ كَيْفَ جَوَى الصَّدْرِ
لَهَا حُرْقٌ لَوْ أَنَّ خَنَسَاءَ أَغْوَلَتْ بِهِنَّ لَأَدَّتْ حَقَّ صَخْرٍ إِلَى صَخْرٍ
فَقُلْتُ لِنَفْسِي هُنَا طَلَبُ الْأَسَى وَمَعْدِنُهُ إِنْ فَاتَنِي طَلَبُ الصَّبْرِ
ظَلِيلُنَا وَلَوْ أَنَّ الْمُنَى لَصَحِبَتْهَا حَمَاماً وَلَوْ تُعْطَى الْمُنَى لَرَوَتْ شِعْرِي
وقال محمد بن الحسين في غناء الحمام (١):

تَغْنَتْ عَلَى الْأَغْصَانِ يَوْماً حَمَائِمٌ كَمَا يَتَغَنَّيَنَّ الْقِيَانُ الْأَوَانِسُ
يَظُنُّ الَّذِي يُضْغِي إِلَيْهِنَّ مَعْبِداً أَوْ ابْنَ سُرَيْجٍ فِي ذُرَى الْأَيْكِ جَالِسٌ (٢)
وقال الأعشى الكبير (قيس بن ميمون) في الحمام (٣):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَرَضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا نَخِيلاً وَزَرْعاً نَابِتاً وَفَصَافِصَا (٤)
وَذَا شُرَفَاتٍ يُقْصِرُ الطَّيْرُ دُونَهُ تَرَى لِلْحَمَامِ الْوُرْقَ فِيهِ قَرَامِصَا (٥)

وقال مجنون ليلى (قيس بن الملوّح) (٦):

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو يَبَّةً شَقَّتِ الْعَصَا هِيَ الْيَوْمَ شَتَّى وَهِيَ أَمْسٍ جَمِيعُ
فَلَوْ لَمْ يَهْجَنِي الظَّاعِنُونَ لَهَا جَنِي حَمَائِمٌ وَرُقٌّ فِي الدِّيَارِ وَقُوعُ
تَدَاعَيْنِ فَاسْتَبَكَيْنِ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى نَوَائِحُ لَا تَجْرِي لَهُنَّ دُمُوعُ
وقال أعرابي يصف الحمام (٧):

مُزَبَّرَجَةٌ الْأَعْنَاقِ نُمِرَ ظَهْرُهَا مُخْطَمَةٌ بِالذَّرِّ خُضِرَ رَوَائِعُ (٨)

(١) التشبيهات / ٦١.

(٢) معبد وابن سريج: مغنيان مشهوران.

(٣) ديوانه / ١٥١.

(٤) العرض: واد باليمامة موطن الشاعر. الفصافص: نبات مرتفع جداً تعلفه الدواب.

(٥) القرامص، جمع القرموص: العش يبيض فيه الحمام.

(٦) ديوانه / ١٩١.

(٧) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٧٢.

(٨) مزبرجة: مزينة، ومذهبة. النمر (بضم فسكون): المنقطة بأي لون كان.

تَرَى طُرّاً بَيْنَ الْخَوَافِي كَأَنَّهَا حَوَاشِي بُرُودٍ أَحْكَمَتْهَا الْوَشَائِعُ (١)
وَمِنْ قِطْعِ الْيَاقُوتِ صِيغَتْ عُيُونُهَا خَوَاصِبُ بِالْحَنَاءِ مِنْهَا أَصَابِعُ

وقال الوزير أبو بكر ابن اللبّانة الأندلسي (٢)

وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَادٍ يَحْتَوِي طَرْفِي لِأَخَرِ تَحْتَوِيهِ الْأَضْلَعُ
يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَعْتَدِي وَيُظْلَهُ وَرَقُ الْغُصُونِ فَيَهْجَعُ
تَخِذُ الْأَرَاكَ أَرِيكَةً لِمَنَامِهِ فَلَهُ إِلَى الْأَسْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ
حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهَ نَفْسُ الصَّبَا وَالصَّبِيحُ هَزَّكَ مِنْهُ شَدُوْ مُبْدَعُ
فَكَأَنَّهَا تِلْكَ الْأَرَاكَةُ مِنْبَرٌ وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مِصْقَعُ

وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق (٣)

وَمُتَفَقَاتِ الشُّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ

لَيْسَنَ ظِلَاماً بِالصَّبَاحِ مُرَقَّعاً
أَخَذَنَ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفَافاً وَمَنْسِيراً

وَحَضْبَنَ بِالْحَنَاءِ كَفّاً وَإِضْبَعاً
وَتَرْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَنَهَا

جَلَوْنَ عَقِيقاً لِلْعُيُونِ مُرْصَعاً
تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجِلَامِ كَأَنَّهَا

جَنَادِلُ تَذُحُّهَا ثَلَاثاً وَارْبَعاً (٤)

تَبَوُّعُ بِهَا فِي الْجَوْ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ مَجَادِيفاً تَبَوُّعُ بِهَا مَعاً (٥)

(١) الخوافي: ريشات إذا ضمَّ الطائر جناحيه خفيت تحت القوادم.

(٢) نهاية الأرب ١٠/٢٦٦.

(٣) ديوان المعاني ٢/١٣٦.

(٤) الجلام، جمع الجلم (بفتحتين): المقرض.

(٥) تبوع بها: تبسطها في الجور.

إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا تَرْفُ فِرَاخًا فِي الْمَغَاوِرِ جُوعًا
 وَقَالَ أَبُو الْأَسود الدُّؤَلِي (١)
 وَسَاجِعٍ فِي فُرُوعِ الْأَيْكِ هَيَّجَنِي لَمْ أُدْرِ لِمَ نَاحَ مِمَّا بِي وَلِمَ سَجَعَا
 أَبَاكِيًا إِلْفُهُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ أَمْ جَارِعًا لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْعَا
 يَدْعُو حَمَامَتَهُ وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلًا وَلَا هَجَعَا
 مُوشُخُ سُنْدُسًا خُضِرُ مَنْكِبِهِ تَرَى مِنَ الْمَسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لُمَعَا
 لَهُ مِنَ الْأَسْرِ طَوْقٌ فَوْقَ لَبَّتِهِ مِنَ الْبَنْفَسِجِ وَالْخَيْرِيِّ قَدْ جُمِعَا (٢)
 كَأَنَّمَا عَبَّ فِي مُسَوِّدٍ غَالِيَةٍ وَحَلَّ مِنْ تَحْتِهِ الْكَافُورُ فَانْتَقَعَا (٣)
 كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِنْ حُسْنِ أَصْفَرَارِهِمَا فَصَّانٍ مِنْ حَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ قُطِعَا
 كَأَنَّ رِجْلَيْهِ مِنْ حُسْنِ أَحْمَرَارِهِمَا مَارِقٌ مِنْ شُعْبِ الْمَرْجَانِ فَاتُّسَعَا

شَكَا النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسَى فَرَمَى

بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
 وَالرَّيْحُ تَخْفِضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ طَوْرًا فَمِنْخَفِضًا يَدْعُو وَمُتْرَفِعَا
 كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ يَتَلَوُ الزُّبُورَ وَنَجْمُ الصُّبْحِ قَدْ طَلَعَا
 وَقَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ الْحُبُوبِيِّ (٤) :

أَحْمَامَةُ الْوَادِي عَدَاكَ جَوَى لَوْ حَلَّ فَرَعَكَ أَحْرَقَ الْفَرْعَا
 إِنِّي اتَّخَذْتُكَ لِي مُنَادِمَةً وَلَقَدْ شَرِبْتُ فِغْرُدِي سَجَعَا
 وَقَالَ الرَّئِيسُ ابْنُ سَيْنَا (الْحَسِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) فِي النَّفْسِ وَقَدْ تَمَثَّلَهَا حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ (٥)

(١) ديوانه ١١٦/ ونهاية الأرب ٢٦٥/١٠.

(٢) الخيري: الخزامي، ويسمى: المنشور الأصفر.

(٣) انتقع الرجل، وامتنع (بصيغة المبني المجهول): تغير.

(٤) ديوانه ٣٣٦.

(٥) وفيات الاعيان ٤٢٢/١.

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّرٍ وَتَمْنَعِ
مَحْجُوبَةً عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَرَقَّعِ
وَصَلْتُ عَلَى كُرْهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَفْجُعِ
أَنْفَتُ وَمَا أَلْفَتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ أَلْفَتُ مُجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ
وَأَظْنُهَا نَسِيَتْ عُهُوداً بِالْحِمَى
وَمَنَازِلًا بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ

حَتَّى إِذَا اتَّصَلْتُ بِهَاءِ هَبُوطِهَا مِنْ مِيمٍ مَرْكَزِهَا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
عَلِقْتُ بِهَا ثَاءً الثَّقِيلِ فَاصْصَحْتُ بَيْنَ الْمَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الْخُضْعِ
تَبْكِي وَقَدْ نَسِيَتْ عُهُوداً بِالْحِمَى بِمَدَامِعِ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ
حَتَّى إِذَا قَرُبَ الْمَسِيرُ إِلَى الْحِمَى وَدَنَا الرَّحِيلُ إِلَى الْفَضَاءِ الْأَوْسَعِ
وَعَدْتُ تُغَرِّدُ فَوْقَ ذِرْوَةٍ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلُّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
وَتَعُودُ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَفُهَا لَمْ يُرْفَعِ
فَهَبُوطُهَا إِذْ كَانَ ضَرْبَةً لَازِبٍ لِتَكُونَ سَامِعَةً لِمَا لَمْ تَسْمَعِ
فَلَأَيَّ شَيْءٍ أَهْبَطْتُ مِنْ شَاهِقٍ سَامٍ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الْأَوْضَعِ
إِنْ كَانَ أَهْبَطَهَا الْإِلَهُ لِحَكْمَةٍ طُوِيَتْ عَنِ الْفُطَيْنِ اللَّيْسِ الْأَرْوَعِ
إِذْ عَاقَهَا الشَّرْكُ الْكَثِيفُ فَصَدَّهَا قَفْصٌ عَنِ الْأَوْجِ الْفَسِيحِ الْأَرْفَعِ
فَكَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعِ

وقال محبوب الخوري الشرتوني اللبناني (من شعراء المهجر) في حمامة
كان يراها أثناء مرضه تنتقل أمام عينيه على المرتفعات والسطوح، فلما شفي
افتقدتها ولم يقف لها على أثر فقال (١) :

أَنَابِكَ خَطْبٌ فَلَمْ تَرْجِعِي أَمْ الطَّيْرُ تَنْبُو عَنْ الْمَرْتَعِ؟

(١) الشعر العربي في المهجر/ ٢٣٥.

أَسَى يَا حَمَامَهُ فِي جَانِحِي وَحُزْنَ تَغْلَغَلَ فِي الْأَضْلَعِ
وَلَوْ لَمْ يُعَذِّبْ جَفُونِي السَّقَا مُ لَجَلَّتْ ذَكَرِكَ بِالْأَذْمَعِ
غَدَاةً تَرَكْتُ فِرَاشَ الضَّنَى طَلَبْتُكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ
وَسَاءَلْتُ عَنْكَ جِهَاتَ الْفَضَا ءِ فُضَاعَ السُّؤَالِ وَلَمْ يَنْفَعِ
هُوَ الْفَجْرُ عَوْدَنِي أَنْ أَرَا لِكَ هُنَاكَ عَلَى الْحَائِطِ الْأَرْفَعِ
فَكَمْ طَلَعَ الْفَجْرُ ثُمَّ انْقَضَى وَعَادَ وَعُدْتُ فَلَمْ تَطْلُعْ
لَقَدْ كُنْتُ ذَلِكَ الْأَنْيَسَ الْأَحْسَبَ إِذَا مَا طَفَرْتُ مِنَ الْمَخْدَعِ
أَمْتَعَ طَرْفِي بِنُورِ الضُّحَى وَبِالْوَرْدِ وَالْحَبَقِ الْأَضْوَعِ (١)
أَجَلْتُ كُنْتُ أَبْدَعُ رَسْمٍ يَلُوحُ لِعَيْنِي فِي الشَّهْدِ الْأَبْدَعِ
فَكُنْتُ أَرَى فِيكَ رَمَزَ الْوَفَا ءِ وَرَمَزَ الطَّهَارَةِ فِي الْمَنْزَعِ
وَأَبْصَرْتُ فِيكَ رَسُولَ السَّمَاءِ ءِ يُحَدِّثُ عَنْ قُدْرَةِ الْمُبْدَعِ
وَقُورُفِكَ فِي شُرُفَاتِ السُّطُوحِ حِ وَقُوفٌ يَشُوقُكَ أَنْ تَسْجَعِي
كَأَنَّكَ فِي أَوْجِهَا شَاعِرٌ أَطْلُ عَلَى الْعَالَمِ الْأَوْسَعِ
وَكُنْتُ إِذَا مَا شَقَّقْتُ الْفَضَا ءِ بِحَانِحِكَ الْخَافِقِ الطَّيِّعِ
تَصَوَّرْتُ أَنَّكَ طَيْرُ الْخَيَا لَ يَطِيرُ بَعِيداً عَنِ الْمَجْمَعِ

إِذَا كُنْتُ فِي قَيْدِ هَذِي الْحَيَا ةِ تَعَالِي إِلَيَّ وَعِيشِي مَعِي
فَأَنْتِ هُنَالِكَ رَهْنُ الْخَرِيدِ فَبِ إِذَا نَقَصَ الْحَبُّ لَمْ تَشْبَعِي
وَلَيْسَ هُنَالِكَ أَمْنٌ فَإِنْ رَمَتْكَ يَدَا صَائِدٍ تُصْرَعِي

وقال ابن عُنَيْنٍ (محمد بن نصر) ملغزاً في الوراشرين (٢):

يَا أَدْبَاءَ الزَّمَانِ إِنِّي أَعْجَزَنِي لِلْعَوِيصِ كَشَفُ

(١) الحبق (بفتح الحاء): نبات طيب الرائحة .

(٢) ديوانه / ١٥١ . الوراشرين جمع الورشان وهو ذكر القماري .

فخبروني عن أسم. جمع. النصف ظرف والنصف حرف

وقال محمد بن سنان الخفاجي في الحمام (١):

عجبت لها تشكو الغرام جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلها
ويشجي قلوب العاشقين حينها وما فهموا مما تغنت به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لست طوقا ولا خضبت كفا

حضر ابن عنين درس فخر الدين الرازي بخوارزم في يوم شات وقد سقط
ثلج كثير، فإذا حمامة يطردها صقر، فألقت نفسها في حجر الفخر الرازي فرجع
عنها الجارح، ورق لها الشيخ وأخذها بيده، فقال ابن عنين في الحال (٢):

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا في كل مخمصة وثلج خاشف (٣)
العاصمين إذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الرافع
من نبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنت ملجأ للخائف
وقدت عليك وقد تداني حتفها فحوتها ببقائها المستأنف
ولو أنها تحبى بمال لانتت من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها والموت يلمع من جناحي خاطف
قريم لواء القوت حتى ظله بإزائه يجري بقلب واجف (٤)

وقال بكر بن النطاح (٥):

إذا شئت غنتني ببغداد قينة وإن شئت غناني الحمام المطوق

(١) مطلع الفوائد ومجمع الفرائد / ٢٦٧.

(٢) ديوانه / ٩٤.

(٣) خشف الثلج: سُمع له خشفة عند المشي فهو خاشف.

(٤) القرم (بكسر الراء): من اشتدت شهوته الى اللحم.

(٥) الحيوان للمجاهظ ١٩٧/٣.

لباسي الحُسامُ أو إزارُ مُعَصِّفَرٍ وِدْرُغُ حَدِيدٍ أو قَمِيصٌ مُخَلَّقٌ^(١)

وقال محمد بن الحسين الطَّبَّي^(٢) :

قُمْرِيَّةٌ دَعَتْ الهَوَى فكَأَنَّمَا نَطَقَتْ وَلَيْسَ لَهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ
غُنْتُ فَحَبَّبَتِ الْأَرَاكَ كَأَنَّمَا فَوْقَ الْغُصُونِ حَبَابَةٌ وَمُخَارِقٌ^(٣)

وقال أيضاً^(٤) :

لَعَمْرِي إِنِّي لِلْحَمَائِمِ فِي الضُّحَى إِذَا عَرَّدَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ لَوَائِقُ
وَأُسْعِدَنِي مِنْهَا صَدِيقَةٌ أَيْكَةٌ كَمَا يُسْعِدُ الْإِلْفَ الصَّدِيقُ الصَّادِقُ

وقال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران

والسَّبقِ^(٥) :

يَجْتَابُ أَوْدِيَةَ السُّحَابِ بِخَافِقٍ كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي السُّحَابِ فَأَبْرَقَا
لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لِغَايَةٍ يَوْمًا لَجَاءَكَ مِثْلُهَا أَوْ أَسْبَقَا
يَسْتَقْرِبُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَذْهَبًا وَالْأَفْقَ ذَا السُّقْفِ الرَّفِيعَةِ مُرْتَقَى
وَيَظَلُّ يَسْتَرْقِي السَّمَاءَ بِخَافِقٍ فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابِ الْمُحْرِقَا
يَبْلُو فَيَعْجَبُ مَنْ رَأَاهُ لِحُسْنِهِ وَتَكَادُ آيَةُ عُنُقِهِ أَنْ تَنْطَلِقَا
مُتَرَفِّقًا مِنْ حَيْثُ دَرَّتْ كَأَنَّمَا لَيْسَ الزُّجَاجَةُ أَوْ تَجَلَّبَبَ زَيْبَقَا

وقال يحيى بن هذيل في القمري^(٦) :

قَدْ اخْتَفَى بَيْنَ أَغْصَانٍ وَأُورَاقٍ وَحَنَ حَنَةً مَشْغُوفٍ وَمُشْتَاقٍ

(١) مخَلَّقٌ: مطَّيَّبٌ بالخلوق (بفتح الخاء) وهو ضرب من الطيب .

(٢) التشبيهات/ ٦٠ .

(٣) حَبَابَةٌ ومُخَارِقٌ: مغنيان مشهوران .

(٤) التشبيهات/ ٦١ .

(٥) نهاية الأرب للنويري ٢٧٩/١٠ .

(٦) التشبيهات/ ٥٩ .

كأنما خاف عدلاً فهو مُسْتَرٌّ أو خاف وإشياء أودت بميثاق
وقال أيضاً^(١):

مطوّقة يغدو الندى في جناحها لآلىء ليست من نظام ولا سلك
إذا انتقلت عن أيكها فكأنما قوادٍمها أجفان وإلهة تبكي
وقال أبو هلال العسكري في فاختة^(٢) :

مَرَزْتُ بِمِطْرَابِ الْغَدَاةِ كَأَنَّهَا تَعْلُ مَعَ الْإِشْرَاقِ رَاحاً مُفْلَلاً^(٣)
مُنْمَرَةً كِذْرَاءَ تَحَسَّبُ أَنَّهَا تُجَلُّلُ مِنْ جِلْدِ السَّحَابِ مُفْصَّلاً^(٤)
بَدَتْ تَجْتَلِي لِلْعَيْنِ طَوْقاً مُمَسَّكاً وَطَرَفاً كَمَا تَرْنُو الْغَزَالَةَ أَكْحَلاً
لَهَا ذَنْبٌ وَفِي الْجَوَانِبِ مِثْلَمَا تُقَشِّرُ طَلْعاً أَوْ تُجَرِّدُ مُنْصَلاً
إِذَا حَلَقَتْ فِي الْجَوِّ خِلَتْ جَنَاحَهَا يَرُدُّ صَفِيْراً أَوْ يَحْرُكُ جُلْجُلًا^(٥)

وسمع أبو فراس الحمداني حمامة وهو في أسره تنوح على شجرة فقال
يخاطبها^(٦) :

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي ؟
مَعَاذَ الْهَوَى مَا دُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى
وَلَا خَاطَرْتُ مِنْكَ الْهَمُومُ بِبَالٍ
أَتَحْمِلُ مَحْزُونُ الْفُؤَادِ قَوَادِمَ عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ

(١) المصدر السابق/ ٥٨ .

(٢) ديوان المعاني ١٣٨/٢ ، ونهاية الأرب ٢٦٠/١٠ .

(٣) يريد بمطراب الغداة: الفاختة. شراب مفلل: يلذع لذع الفلفل .

(٤) منمرة: منقطة بأي لون كان .

(٥) الجلجل: الجرس الصغير، جمعه جلاجل .

(٦) ديوانه ٢٣٨ .

أيا جارتنا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهوم تعالى
تعالى ترى روحاً لدي ضيفة تردد في جسم يعذب بال
أضحك مأسور وبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سال؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّة ولكن دمي في الحوادث غال

وقال نصيب (الأكبر) بن رباح^(١) :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهناً وإني لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحمايم

وقال أبو قطيفة (عمرو بن الوليد)^(٢) :

وتبدلت من مساكين قومي والقصور التي بها الأطم^(٣)
كل قصر مشيد ذي أواس يتغنى على ذراه الحمام^(٤)
إقر مني السلام إن جثت قومي وقليل لهم لذي السلام

وقال حميد بن ثور الهلالي من قصيدة طويلة^(٥) :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة دعت ساق حرّ ترحة وترنما
من الورق حماء العلاطين باكرت عسيب أشاء مطلع الشمس أسحما^(٦)
إذا هزّه الرّيح أو لعبت به أرنت عليه مائلاً ومقوما^(٧)

(١) ديوانه ١٢٤ وديوان الحماسة لأبي تمام ١٢٨٩/٣ .

(٢) الأغاني ٣٩/١ .

(٣) الأطم: الحصون واحدها أطم (بضمّتين) .

(٤) أواسي جمع أسي وهو الأصل، يقال فلان في أسيه أي في أصله، والأسى والأساس واحد . وفي رواية أخرى (ذي أواس) بالشين المعجمة، يريد أن هذه القصور موشية أي منقوشة .

(٥) ديوانه ٢٤ .

(٦) العلاطان: الرقمتان في أعناق الطير . العسيب: صغار السعف الذي لم ينبت عليه الخوص .
الأشياء: صغار النخل .

(٧) أرنت: صاحت . المائل: اللأطىء بالأرض وهو من الأضداد .

تُبَارِي حَمَامَ الْجَلْهَتَيْنِ وَتَرْعَوِي
تَطَوَّقُ طَوْقاً لَمْ يَكُنْ عَنْ تَمِيمَةٍ
بَنَتْ بَيْتَهُ الْحَرَقَاءُ وَهِيَ رَفِيقَةٌ
تُرْشِحُ أَحْوَى مُزْلِغِباً تَرَى لَهُ
كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ
فَلَمَّا اكْتَسَى رِيشاً سُخَاماً وَلَمْ يَجِدْ
أُتِيحَ لَهُ صَفَرٌ مُسِفٌ فَلَمْ يَدْعُ
فَأَوْفَتْ عَلَى غُصْنٍ ضَحِيّاً فَلَمْ تَدْعُ
مُطَوَّقَةً خَطْبَاءً تَصْدَحُ كُلَّمَا
إِذَا شِثَتْ غَتْنِي بِأَجْزَاعٍ بَيْشَةٍ
عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا
فَلَمْ أَرِ مَحْزُوناً لَهُ مِثْلُ صَوْتِهَا
كَمِثْلِي إِذَا غَنَّتْ وَلَكِنْ صَوْتُهَا

إِلَى آبِنِ ثَلَاثٍ بَيْنَ عَوْدَيْنِ أَعْجَمَا (١)
وَلَا ضَرْبِ صَوَاغٍ بِكَفَيْهِ دِرْهَمَا
بِهِ بَيْنَ أَعْوَادٍ بَعْلِيَاءَ مُعَلَّمَا
أَنَايِبٍ مِنْ مُسْتَعَجِلِ الرِّيشِ حَمَحَمَا (٢)
إِذَا هُوَ مَدُّ الْجَيْدِ مِنْهُ لِيُطْعَمَا (٣)
لَهُ مَعَهَا فِي بَاحَةِ الْعُشِّ مَجْثَمَا (٤)
لَهَا وَلِذَا إِلَّا رَمِيماً وَأَعْظَمَا (٥)
لِبَاكِتٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوَّمَا (٦)
دَنَا الصَّيْفُ وَأَنْجَابَ الرَّبِيعِ فَأَنْجَمَا (٧)
أَوِ النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثٍ أَوْ مِنْ يَبْنَمَا (٨)
فَصِيحاً وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
وَلَا عَرَبِيّاً شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمَا
لَهُ عَوْلَةٌ لَوْ يَفْهَمُ الْعَوْدُ أَرْزَمَا (٩)

وقال عبيد بن الأبرص (١٠) في خرق الحمامة وعدم إتقانها عمل العش:

عَيُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ

-
- (١) الجلهتان: جانبا الوادي. ابن ثلاث: الفرخ ابن ثلاث ليال. بين عودين: يريد أنه في عشه.
(٢) ازلغب الفرخ: طلع ريشه. جمحم: اسود، وفي رواية (جمما) أي كثر.
(٣) الحنوة: نبات سهلي طيب الريح.
(٤) السخام: اللين. المجثم: موضع جثوم الطائر.
(٥) المسف: الذي يدنو من الأرض في طيرانه.
(٦) ضحياً: ضحى. متلوماً: ملامة.
(٧) انجاء، وأنجم: كلاهما بمعنى أفلح.
(٨) بيشة: واد تثليث: موضع قرب مكة. يبنما: واد قبل تثليث.
(٩) العود: المسن من الابل.
(١٠) عيون الأخبار ٧٢/٢.

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ تُمَامَةٍ (١)
وقال أحمد شوقي في قصة الحمامة مع نبي الله سليمان بن داود عليهما
السلام (٢):

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقَرِّبُ فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةً
خَدَمَتْهُ عُمَرَاءَ مِثْلَمَا قَدْ شَاءَ صِدْقاً وَاسْتِقَامَةً
فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ يَوْمًا تَبَلَّغَهُمْ سَلَامَةً
وَالْكَتَبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ
فَأَرَادَتْ الْحَمَقَاءُ تَعْرِفُ مِنْ رَسَائِلِهِ مَرَامَةً
عَمِدَتْ لِأَوَّلِهَا وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً (٣)
فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ فِيهِ عَا مِلَّةً بِتَاجٍ لِلْحَمَامَةِ
وَيَقُولُ وَفُوهَا الرُّعَا يَّةً فِي الرُّحِيلِ وَفِي الْإِقَامَةِ
وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بَأَنَّ تُعْطَى رِيَاضاً فِي تِهَامَةٍ (٣)
وَأَتَتْ لِثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَجِبِ أَنْ فَضَّتْ خِتَامَةً
فَرَأَتْهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُو نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الزُّعَامَةَ
فَبَكَتْ لِذَاكَ تَنْدُماً هِيَهَاتَ لَا تُجْدِي النَّدَامَةَ
وَأَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ وَهِيَ تَقُولُ يَا رَبَّ السَّلَامَةَ
قَالَتْ: فَقَدْتُ الْكَتَبَ يَا مَوْلَايَ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ (١)
لِتَسْزُعِي لَمَّا أَنَا نِي الْبَارِزُ يَدْفَعُنِي أَمَامَةً
فَأَجَابَ بَلْ جِئْتُ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
لَكِنْ كَفَاكَ عُقُوبَةً مَنْ خَانَ خَائَتَهُ الْكَرَامَةَ

(١) يقول: قرنت عودة النشم القوية بالتمام الضعيف فتكسر ووقع البيض .

(٢) الشوقيات ١٦٨/٤ .

(٣) رامه، وتهامة، واليمامة: أسماء أمكنة .

وقال عبد الله بن جحش في أبي سفيان بن حرب لما عدا على داره بمكة فباعها^(١) :

أَبْلِغْ أبا سُفْيَانَ عَنْ أَمْرٍ عَوَاقِبُهُ نَدَامَةٌ
دَارَ ابْنِ عَمِّكَ بَعْتَهَا تَقْضِي بِهَا عَنْكَ الْغَرَامَةَ
وَحَلِيفُكُمْ بِاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ مُجْتَهِدُ الْقِسَامَةِ
إِذْهَبْ بِهَا إِذْهَبْ بِهَا طُوقَتْهَا طُوقَ الْحَمَامَةِ

وقال أبو حية النميري (الهيثم بن الربيع) مشبهاً الأثافي بالحمام^(٢) :

مَنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرَ مَخْذٍ نُؤْيٍ كَبَاقِي الْوَحْيِ خُطٌّ عَلَى إِمَامٍ^(٣)
وَعَبْرَ خَوَالِدٍ لَوْحَنَ حَتَّى بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ^(٤)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطْرُنْ مَعَ الْحَمَامِ
وقال الفرزدق^(٥) :

وَمَنْ يَكُ خَائِفًا لِأَذَاةِ شِعْرِي فَقَدْ أَمِنَ الْهَجَاءَ بَنُو حَرَامِ
هُمْ مَنَعُوا سَفِيهِهُمْ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
وقال ابن هرمة (إبراهيم بن علي)^(٦) :

إِنِّي أَمْرُو أَصُوغُ الْحَلِيِّ تَعْمَلُهُ كَفَّايَ لَكُنْ لِسَانِي صَائِغُ الْكَلِمِ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٥٠٠/١ .

(٢) الحيوان للجاحظ ٢٤٠/٣ .

(٣) المخذ: موضع الخذ وهو الشق. الوحي: الكتابة. الإمام: الكتاب .

(٤) الخوالد: يعني الأثافي لأنهن يبقين بعد الرحيل عن الدار. لوحن: غيرتهن النار. الشام جمع شامة وهي الأثر الأسود في البدن أو الأرض .

(٥) ثمار القلوب/٤٦٦. ولم أجدهما في ديوانه.

(٦) المصدر السابق/٤٦٦، وديوانه ٢١٠/٢١١ .

إِنِّي إِذَا مَا امْرُؤٌ خَفْتُ نَعَامَتَهُ فِي الْجَهْلِ وَاسْتَحْصَدْتُ مِنْهُ قُوَى الْأَدَمِ
عَقَدْتُ فِي مِلْتَوَى أَوْدَاجِ لَبَّتِهِ طَوَّقَ الْحَمَامَةِ لَا يَبْلَى عَلَى الْقَدَمِ
وقال كثير عزة أو غيره من بني سهم (١) :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيْسَبُ الْمُطِيبُونَ جُدُودًا وَالْكَرَامُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
يَأْمَنُ الطُّبِّي وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْمَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ
وقال عدي بن الرقاع العاملي، وقيل لنصيب بن رباح (٢) :

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّنِي كُنْتُ نَائِمًا أَعْلَلُ مِنْ بَرْدِ الْكَرَى بِالتَّنَسُّمِ
إِلَى أَنْ بَكَتْ وَرَقَاءُ فِي غُصْنِ أَيْكَةٍ تُرَدَّدُ مَبْكَاهَا بِحُسْنِ التَّرْنَمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بَلِيلِي شَفِيتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدَمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
وقال أعرابي في الحمام (٣) :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُدْنَ عَوْدَةً فَإِنِّي إِلَى أَصْوَاتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدَنْ يُمِتَّنِي وَكِدْتُ بِأَسْرَارِي لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بِأَصْوَاتِ الْهَدِيدِ كَأَنَّمَا شَرِبْنَ حُمِيمًا أَوْ بِهِنَّ جُنُونُ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا بِكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ شُؤُونُ
وقال ابن القاشاني في غناء الحمامة (٤) :

يَا لَيْلَةَ جَمَعْتَنِي وَالْمَدَامَ وَمَنْ أَهْوَاهُ فِي رَوْضَةٍ تَحْكِي الْجَنَانَ لَنَا

(١) الحيوان للجاحظ ١٩٤/٣ .

(٢) الكامل للمبرّد ١٢٥/٣ والبيتان الثالث والرابع في شعر نصيب بن رباح/ ١٦٠ مع أبيات أخرى .

(٣) الأعرابيات / ٢٥٩ .

(٤) ثمار القلوب/ ٤٦٧ .

لأَشْكُرَنَّكَ مَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْغُصُونِ كَمَا طَوَّقْتَنِي مِنَّا

وقال شاعر يصف لون الحمام^(١) :

كَأَنَّ بَنَحْرَهَا وَالْجَيْدِ مِنْهَا إِذَا مَا أُمَكَّنْتَ لِلنَّظَرِ إِنَّا
مَخْطَأٌ كَانَ مِنْ قَلَمٍ دَقِيقٍ فَخَطَّ بِجِيدِهَا وَالنَّحْرِ نُونَا

وقال أبو الحسين النوري^(٢) :

رَبِّ وَرَقَاءَ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ هَتَفَتْ فِي فَنِّي
ذَكَرْتَ إِلْفًا وَخِذْنًا صَالِحًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبُكَائِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رَبُّمَا أَرْقَنِي
وَلَقَدْ تَشْكُرُ فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تُعْرِفُنِي

وقال القاسم بن يوسف بن صبيح يرثي القمري^(٣) :

هَلْ لَأَمْرٍ مِنْ أَمَانٍ مِنْ رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ
أَمْ هَلْ تَرَى نَاجِيًا مِنْ طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ
مَا أَتْنَانِ يَجْتَمِعَانِ إِلَّا سَيَفْتَرِقَانِ
قَرِينُ كُلِّ قَرِينٍ يَبِينُ بَعْدَ اقْتِرَانِ
وَالْمَازِمَانِ وَنَسْرُ الدِّ سَمَاءٍ وَالْفَرَقْدَانِ^(٤)
يُبْلِي الْجَدِيدَ الْجَدِيدِ لَدَانِ ثُمَّ مَا يَبْلِيَانِ
كَانَ الْمُطَوَّقُ خِذْنًا مِنْ أَكْرَمِ الْأَخْدَانِ

(١) محاضرات الأدباء ٦٧٤/٢ .

(٢) حياة الحيوان للدميري ٣٩٥/٢ .

(٣) أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق/ ١٩٣ .

(٤) المازمان: موضع بين المشعر وعرفة .

وصاحِباً وَخَلِيلاً
سِنِينَ سَبْعاً وَعَشْراً
فَغَالَهُ حَادِثٌ مِنْ
أَمْسَى الْمُطَوَّقُ رَمْساً
مُسْتَوِطِناً دَارَ قَفَرٍ
دَانِي الْجَوَارِ وَإِنْ كَا
فَالْقَلْبُ فِيهِ كُلُومٌ
وَفِي الْحَشَا لَذِيعَاتُ
وَالْمُقْلَتَانِ سَجُومٌ
كَانَ الْمُطَوَّقُ أَنْسَاً
وَكَانَ طَلْقاً ضُحُوكاً
إِذَا أَشْرَتْ إِلَيْهِ
مُغْرُداً فِي دُجَى اللَّيْلِ
مُنَادِياً سَاقَ حُرٍّ
وَكَانَ أَعْجَمَ فِي نُطْ
وَطَالَمَا غَنَانِي
لِمَعْبِدٍ وَالسُّرَيْجِ
كَانَ الْمُطَوَّقُ جَارَ الـ
تَنْوِيهِ أَبَاءَ صِدْقٍ
فِي مَغْرَسٍ طَابَ أَصْلًا
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ يَأْقُو
كَأَنَّ رَجُلَيْهِ مَضْبُو

مِنْ خَالِصِ الْخِلَانِ
مُخْفُورَةً بِثَمَانِ
حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ
دَرِيَجَةً الْأَكْفَانِ
مِنْ عَامِرِ الْأَوْطَانِ
نَ نَازِحاً غَيْرَ دَانِ
مِنْ لَاعِجِ الْأَحْزَانِ
كَمِشْعَلِ النَّيِّرَانِ
دَمْعاً هُمَا تَكْفَانِ
لِلأَهْلِ وَالْجِيرَانِ
يُجِيبُ كُلَّ أَوَانِ
بِاللَّحْظِ أَوْ بِالْبَنَانِ
لِـ مُؤَذِّنَاً بِالْأَذَانِ
أَوْ حُرَّةً بِبَيَانِ
فِيهِ فَصِيحُ اللَّسَانِ
مِنْ مُطَرِّبِ الْأَلْحَانِ
يِّ وَالْغَرِيضِ الْيَمَانِي
رُسُولِ وَالْفُرْقَانِ
لِمُحْصَنَاتِ هِجَانِ
مِنْ طَيِّبِ الْأَغْصَانِ
تَتَانِ حَمْرَاوَانِ
غَتَانِ مِنْ أَرْجَوَانِ (١)

(١) الأرجوان: صبغ أحمر (معرب) .

كَأَنَّ هَامَتَهُ رُكِّبَتْ عَلَى غُصْنٍ بَانٍ
وَأَخْضَرَ اللَّوْنِ يَحْكِي لِبَاسَ أَهْلِ الْجَنَانِ
وَذِي سَفَاهٍ لِحَانِي لَمْ يُعْنِهِ مَا عَنَانِي
رَدَّدَتْهُ بِصَغَارٍ وَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
يَلُومُنِي وَهُوَ خَلُوءٌ لَمْ يَشْجِهْ مَا شَجَانِي
هَيْهَاتَ مَا لَكَ ثَانٍ مُقَارِبُ أَوْ مُدَانِي
وَمَا بَنَى مِثْلَ مَا قَدْ بَنَيْتَ فِي اللَّهْوِ بَانِي
فَاذْهَبْ حَمِيداً فَقِيداً فَمَا خَلَا اللَّهَ فَانِي
وقال بعض الكتاب في وصفه^(١) :

سَجَعَتْ هَاتِفَةُ الْوَرَقِ عَنْهَا شَحْطُ بَيْنِ
ذَاتِ طَوْقٍ مِثْلَ خَطِّ النُّونِ أَفْنَى الطَّرْفَيْنِ
وَتَرَى نَاطِرَهَا يَدٌ مَعُ فِي يَاقُوتَيْنِ
تُخْرِجُ الْأَنْفَاسَ مِنْ ثَقَدٍ بَيْنِ كَاللُّؤْلُؤَيْنِ
وقال عبد الله بن المعتز يصف حمامة^(٢) :

هَبَّجَتْ حُزْنَها حَمَامَةٌ غُصْنٍ فَهُوَ بِأَكْ يَنْوُحُ وَهِيَ تُغْنِي
زَيْنَتْ بِاِكْتِسَاءٍ وَشَيْءٍ مِنَ الرِّيبِ شَرٌّ وَطَوَّقٍ فِي جِيدِهَا مُطْمَئِنٌّ
وَاسْتَعَادَ الْهَدِيرَ مِنْهَا ارْتِيَاخٌ لَجَّ حَتَّى حَسِبْتُهُ مَسَّ جِنَّ
ثُمَّ طَارَتْ وَسَافَرَتْ بِجَنَاحٍ خَلَفَ الْأَفْهَامَ كَبَرَقَةٍ مُزْنٍ
وقال أبو بكر الصنوبري (أحمد بن محمد) في الورشان^(٣) :

أَنَا فِي نُزْهَتَيْنِ مِنْ بُسْتَانِي حِينَ أَخْلُو بِهِ وَمِنْ وَرْشَانِي

(١) محاضرات الأدباء ٦٧٥/٢ .

(٢) ديوانه ٦٤٨/٢ .

(٣) ديوانه ٤٩٨/ ونهاية الأرب ٢٥٩/١٠ .

طَائِرُ قَلْبٍ مِنْ يُغْنِيهِ أَوْلَى
مُسْمِعُ يُوَدِّعُ الْمَسَامِعَ مَا شَا
فِي رِدَائِهِ مِنْ سَوَسَنِ وَقَمِيصٍ
قَدْ تَغَشَّى لَوْنَ السَّمَاءِ قَرَاهُ
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ هَذَا (٢) :

قُلْ لِهَذَا الْحَمَامِ إِنَّ جَهْلَ الْحُ
لَمْ تُصِبْهُ النَّوَى بِفَقْدَانِ حِلٍّ
فَشَدَا فِي قَضِيبٍ أَيْلِكَ يُعَلِّي

سَبَّ أَنَا وَاقِفٌ عَلَى عِرْفَانِهِ
فَيَرَى بَاكِئاً عَلَى فَقْدَانِهِ
هُ وَيُذْنِيهِ أَرْضَهُ مِنْ لِيَانِهِ

(١) القرا (بالفتح) : الظهر .
(٢) التشبيهات / ٥٨ .

الحَيَّة (١)

الحَيَّةُ إسم يطلق على الذكر والأنثى، وإنَّما دخلته الهاء لأنَّه واحد من جنس، فإن أردت التمييز قلت: هذا حَيَّةٌ ذكر، وهذه حَيَّةٌ أنثى، على أنَّه قد روي عن بعض العرب: رأيت حَيًّا على حَيَّة، أي ذكرًا على أنثى، وتجمع على حَيَّات وحيوات.

ويقال: أرض مَحَيَّات ومَحَوَّات، أي كثيرة الحَيَّات. والحاوي: صاحب الحَيَّات، والحَيُّوت: ذكر الحَيَّات.

من أسماء الحيات ونعوتها:

الأبتر	: أبتر الذنب مقطوعه، خبيث أزرق.
الأخزم	: الحَيَّةُ الذكر، والخبيث الغضوب.
الأرقم	: مرَّقم بحمرة وسواد وكُدرة. خبيث عارٍ. والأرقم

(١) المخصص ١٠٦/٨/٢ - ١١٥. حياة الحيوان ٢٥/١ - ٢٧ و ١٧١ و ١٨٣ و ٢١٣ و ٥٠/٢ و ٦٩ و ١١٥. المعجم الزوولوجي ٦/٦، والصحاح ولسان العرب وأقرب الموارد ومعجم متن اللغة ضمن حدود المواد التي سيرد ذكرها.

- إسم للذكر، ولا يقال للأنثى رقماء ولكنها رقشاء
 : غير مُنُون، وأَسود سالخ، وصالخ: إذا ألقى
 أسود
 سلخه، وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يضاف، وجمع
 الأسود أساود، والأنثى أسودة، وجمع المَرْكَب
 أساود سُلخ وسوالخ وسالخة .
- الأصلَة : حمراء ليست بشديدة الحمرة. قصيرة عريضة
 تخطُّ بذنبها، وهي من دواهي الحَيَّات، ويقال:
 إنها تثب على الفارس. والجمع أصل .
- الأَصْمُ : ما لا يقبل الرقية، كأنه قد صُمَّ عن سماعها .
 الأَصِيلع : دقيق العنق صغير الرأس كأنَّ رأسه بُندقة .
 الأعيرج : حية صمَّاء لا تقبل الرُّقية، وربما تثب حتى تصير مع
 الفارس، جمعها الأعيرجات .
- الأَفْعَى : عريضة على الأرض. إذا مشت مشت مثنية
 بشنين، أو بثلاثة أثناء. رأسها عريض. ثقيلة
 لا تطلب أحداً، وإن طلبت لم تدرك، وإنما تعضُّ
 إذا وطىء عليها. الجمع أفاعي .
- الأَفْعُوان . : ذكر الأفاعي .
 أفنون : الحية العجوز .
 الأَقْزَل : ضرب من الحَيَّات .
- الأيِّم : كلُّ حية (أيِّم) الذكر والأنثى في ذلك سواء،
 وأهل الحجاز يسمون الجان من الحَيَّات (الأيِّم) وهذيل
 يقولون (الأيِّم) بكسر الياء المشددة، وبنو تميم
 يقولون (الأيِّن)، وقال ابن بري كما في اللسان: (الأيِّم)

الثُّعْبَانُ	: حَيَّةٌ ضَخْمَةٌ، زَعَمُوا أَنَّ نَفْخَهُ يَقْتُلُ، وَقِيلَ: كُلُّ حَيَّةٍ ثُعْبَانٌ .
الْجَانُّ	: حَيَّةٌ دَقِيقٌ أَمْلَسٌ لَا يَضُرُّ أَحَدًا. يَضْرِبُ لَوْنُهُ إِلَى الْصَفْرَةِ، وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَسْمُونِ الْإِيْمَ مِنَ الْحَيَّاتِ الْجَانَّ
الْجَارِنُ	: وَلَدُ الْحَيَّةِ .
الْحُبَابُ	: حَيَّةٌ بَعِيْنَهَا لَيْسَتْ مِنَ الْعَوَارِمِ، وَعَمَّ بَعْضُهُمْ جَمِيعَ الْحَيَّاتِ .
الْحُرُّ	: حَيَّةٌ دَقِيقَةٌ شَبِيْهَةٌ بِالْجَانِّ مِنَ الْحَيَّاتِ .
الْحُرْفُ	: مَظْلَمُ اللَّوْنِ، قِيلَ: إِذَا أَخَذَ إِنْسَانًا لَمْ يَبْقَ فِيْهِ دَمٌ إِلَّا خَرَجَ .
الْحِصْفُ	: إِسْمُ الْحَيَّةِ (طَائِيَّةٌ) .
الْحِضْبُ	: الذَّكَرُ الضَّخْمُ مِنَ الْحَيَّاتِ .
الْحُفَّاتُ	: مِنْ أَضْخَمِ الْحَيَّاتِ. أَرْقَشُ وَهُوَ أَكْثَرُ رَقَطًا مِنَ الْأَرْقَمِ مَنْتَفَخُ الْوَرِيدِ. ضَعِيفُ السَّمِّ، وَقِيلَ: لَا سَمٌّ لَهُ .
الْحِفْتُ	: عَلَى خَلْقَةِ الْأَفْعَى إِلَّا أَنَّهُ أَعْظَمُ .
الْحَمَاطِيطُ	: الْحَيَّةُ جَمْعُهَا حَمَاطِيطٌ .
الْحَنْشُ	: الْأَسْوَدُ مِنَ الْحَيَّاتِ. وَقِيلَ: حَيَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ أَعْظَمُ مِنَ الثُّعْبَانِ، وَقِيلَ: يُقَالُ لِلْحَيَّةِ وَجْمِيعِ دَوَابِّ الْأَرْضِ: الْأَحْنَاشُ، ثُمَّ خُصَّتْ بِهِ الْحَيَّةُ فَقِيلَ لَهَا: حَنْشٌ .
الْخَنْفِيشُ	: حَيَّةٌ عَظِيْمَةٌ ضَخْمَةٌ الرَّأْسِ رَقَشَاءُ كِدْرَاءُ إِذَا حَرَّبَتْهَا أَنْتَفَخَ وَرِيدُهَا جَمْعُهَا خَنْفِيشٌ .
الْخَشَاشُ	: حَيَّةٌ أَسْمَرُ أَصْغَرُ مِنَ الْأَرْقَمِ، صَغِيرُ الرَّأْسِ قَلَمًا يُؤْذِي أَحَدًا .
الدَّسَّاسُ	: حَيَّةٌ أَحْمَرُ كَالْدَّمِ مَحْدَّدُ الطَّرْفَيْنِ، لَا يُدْرَى أَيُّهُمَا

- رأسه، غليظ الجلد، ويسمى النَكَاز أيضاً.
- الدَّوَمَس : ضرب من الحَيَّات محرنفش الغلاصم، يقال :
إنَّه ينفخ نفخاً فيحرق ما أصاب، والجمع الدَّواميس
- ذات الرُّبَيَّتين : الحَيَّة التي لها نقطتان سوداوان فوق عينيها
ذو الطُّفَيْتَيْن : حَيَّة خبيث ذو جُدَدٍ في ظهره بيضٍ وسود،
والطُّفَى : خوص المقل^(١). أراد أن في جنبيه
خطَّين كخوصتين من خوص المقل، وفي الصحاح
رُبَّما قيل لهذه الحَيَّة، طُفَيَّة على معنى ذات
الطفية .
- الرَّقِيب : ضرب من الحَيَّات خبيث. الجمع الرَّقِيَّات والرُّقُب
السَّفْ : ضرب من الحَيَّات، قال بعضهم: إنَّها تطير في
الهواء، وقال آخرون: رُبَّما خُصَّ بالسف الأرقم
- الشجاع : من أعرم الحَيَّات طويل أفرع مُرَقَّش الظهر بسواد
وصُفرة. الجمع شجاعان وأشجعة .
- الصِّلُ : الحَيَّة الدقيقة الصفراء، قيل إنَّها تكون في الرمل
لا تنفع منها الرقية .
- العَرَبِيد : قيل: إنَّه أسود سالخ، وجاء في المخصص عن ثعلب
أنَّها حَيَّة خفيفة، وعن ابن قتيبة: أنَّها تنفخ
ولا تؤذي، وبها سَمِّي المعربد من السكارى لأنَّه
ينفخ ولا يؤذي ولا يضر شيئاً .
- الغَضُوب : حَيَّة خبيثة .
الغُول : الحَيَّة جمعتها أغوال .

(١) المقل (بضم فسكون) : ثمر الدَّوم (يؤكل) والدَّوم : شجرة تشبه النخلة في حالاتها .

ابن قِترَة	: حَيَّةٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ صَغِيرٌ أَرْقَطٌ يَتَطَوَّى ثُمَّ يَنْقَرُ .
القُدَّار	: الثَّعْبَانُ الْعَظِيمُ .
القُرْنَاء	: حَيَّةٌ لَهَا كَاللِّحْمَتَيْنِ فِي رَأْسِهَا .
القُرْزَة	: حَيَّةٌ عَرَجَاءُ تَنْزَوُ .
القُصَيْرَى	: ضَرْبٌ مِنَ الْأَفَاعِي الْخَبِيثَةِ صَغِيرَةُ الْجِسْمِ حَيَّةٌ قَصْصًا، أَيْ خَبِيثَةٌ .
المِخْرَاط	: الْحَيَّةُ الْمَنْسَلَخَةُ أَوْ الْمَعْتَادَةُ الْإِنْسِلَاحَ فِي كُلِّ عَامٍ .
النُّضْنَاض	: الَّتِي تَحْرُكُ لِسَانَهَا حَرَكَةً خَفِيفَةً، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي لَا تَنْتَرُّ فِي مَكَانٍ وَإِذَا نَهَشَتْ قَتَلَتْ مِنْ سَاعَتِهَا .
الهلال	: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ إِذَا سَلَخَتْ فِيهِ هَالَالٌ، وَقِيلَ: فَرَخُ الْحَيَّةِ، وَقِيلَ: هُوَ الْحَيَّةُ مَا كَانَ .
كنية الذكر	: أَبُو الْبَحْتَرِيِّ، أَبُو عَثْمَانَ. أَبُو الرِّيحِ. أَبُو الْعَاصِ أَبُو مَذْعُورٍ، أَبُو وَثَّابٍ، أَبُو يَقْظَانَ .
كنية الأنثى	: أُمُّ طَبَقٍ. أُمُّ عَافِيَةٍ. أُمُّ عَثْمَانَ أُمُّ الْفَتْحِ. أُمُّ مَحْبُوبٍ .

ذَكَرَهَا فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف/ ١٠٧) ومثلها في (سورة الشعراء/ ٣٢) .

﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى﴾ فَاَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه/ ٢٠) .

﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (النحل/ ١٠) ومثلها في (سورة القصص/ ٣٠) .

مما جاء عنها في الحديث الشريف

(إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرَزُ^(١) إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى حُجْرِهَا)^(٢) .
(اقْتُلُوا ذَا الطِفْئَيْنِ^(٣) فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ - أَوْ قَالَ : يَطْمَسُ - الْبَصَرَ وَيَذْهَبُ الْحَبْلُ)^(٤) .

(اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطِفْئَيْنِ وَالْأَبْتَرُ^(٥) فَإِنَّهُمَا يَطْمَسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْقُطَانِ الْحَبْلَ)^(٦) .

مما ورد في الأمثال

(أَبْصِرْ مِنْ حَيَّةٍ) . ضَرْبٌ بِهَا الْمَثَلُ لِحَدَّةِ بَصَرِهَا^(٧) .
(ادْخُلْ مِنْ حَيَّةٍ) . قِيلَ ذَلِكَ لِقُدْرَتِهَا عَلَى الدَّخُولِ فِي كُلِّ ثَقْبٍ وَشَقٍّ^(٨) .

(أَرَوْى مِنْ حَيَّةٍ) ، لِأَنَّهَا تَكُونُ فِي الْقَفْرِ لَا تَرَى الْمَاءَ وَلَا تَشْرِبُهُ^(٩) .
(أَطُولُ مِنْ دَمَاءِ^(١٠) مِنَ الْحَيَّةِ) ، لِأَنَّهَا تُذْبِحُ ، وَرَبَّمَا قَطَعَ الثَّلَثَ مِنْهَا فَتَبْقَى أَيَّامًا تَتَحَرَّكُ وَقَدْ تَعِيشُ إِنْ سَلِمَتْ مِنَ الذَّرِّ^(١١) .

(١) يَأْرَزُ: يَنْظُمُ وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ .

(٢) صحيح البخاري ٢٧/٣ .

(٣) ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ تَقْدُمُ ذَكَرَهُ .

(٤) صحيح البخاري ١٥٦/٤ .

(٥) الْأَبْتَرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ مَرَّ ذَكَرَهُ فِي أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ .

(٦) صحيح البخاري ١٥٤/٤ .

(٧) لِسَانُ الْعَرَبِ (مَادَّةُ حَيَا) .

(٨) التَّمَثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ ٣٧٧ .

(٩) جُمُهِرَةُ الْأَمْثَالِ ٤٩٩/١ .

(١٠) الذَّمَاءُ (بِالْفَتْحِ) : بَقِيَّةُ النَّفْسِ .

(١١) جُمُهِرَةُ الْأَمْثَالِ ٢٠/٢ .

(أظلم من حية) ، لأنها تأتي جحر الضب فتأكل حسنها وتسكن جحرها (١) .

(أعدى من الحية) ، من العدو (٢) لأنها تزحف على بطنها ولا يلحق بها أحد (٣) .

(أعرى من حية) ، لأنها تنسلخ من قشرها في كل عام (٤) .
(أعمر من حية) ، لأنها - كما زعموا - لا تموت حتى تقتل (٥) .
(حية الوادي) ، يضرب مثلاً للرجل الشجاع المنيع الجانب الحامي لحوزته (٦) .

(كالأرقم إن يُقتل يَنَقَم وإن يُترك يَلَقَم) ، يضرب لمن يتوقع شره في كل حال (٧) .

(والفتى من تعرّفته الليالي والفيافي كالحية النضاض^(٨))
(وبالضبيّة لين في مجسّتها وسّمها نافع يُردي إذا لَسَعَتْ^(٩))
(إذا وجَدَتْ بواي حية ذكراً فاذْهَبْ ودعني أمارِس حية الوادي^(١٠))

(١) لسان العرب (مادة حيا) .

(٢) ويجوز أن يكون من العدوان وقد مرّ المثل (أظلم من حية) .

(٣) ثمار القلوب/٤٢٦ وجمهرة الأمثال ٦٦/٢ .

(٤) المصدر السابق ٣٤/٢ .

(٥) المصدر المذكور ٧٤/٢ .

(٦) لسان العرب (مادة حيا) .

(٧) جمهرة الأمثال ١٦٧/٢ .

(٨) ديوان أبي تمام الطائي ٣١٠/٢ .

(٩) التمثيل والمحاضرة/٣٧٨ .

(١٠) ثمار القلوب/٤٢٢ .

(لا تَغْرُنْكَ هذه الأوجه الغـُـرُّ فـيـا رُبَّ حَيَّةٍ في رِياضٍ ^(١))

مِمَّا جاء في القصص

(الحَيَّةُ والقرد والْبَبْر ^(٢))

زعموا أنَّ جماعة احتفروا رَكِيَّةً ^(٣) فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر. ومرَّ بهم رجل سائح فأشرف على الرَكِيَّة فُبصر بالرجل والحية والقرد والببر. ففكر في نفسه وقال: لست أعمل لآخرتي عملاً أفضل من أنْ أَخْلَصَ هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء. . . فأخذ حبلاً وأدلاه في البئر، فتعلَّق به القرد لخَفَّتْه فخرج ثم أدلاه ثانية فالتفتَّ به الحية فخرجت، ثم أدلاه ثالثة فتعلَّق به الببر فأخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له: لا تُخرج هذا الرجل من الرَكِيَّة فإنَّه ليس شيء أقلَّ من شكر الانسان. ثم قال له القرد: انْ منزلي في جبلٍ قريب من مدينة نوادرُحَت .

فقال له الببر: أنا أيضاً في أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية: وأنا في سور تلك المدينة. فإنْ أنت مررت بنا يوماً من الدهر واحتجت إلينا فصوَّت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف. فلم يلتفت السائح الي ما ذكروا له من قلة شُكر الإنسان وأدلى الجبل فأخرج الصائغ فسجد له . وقال: لقد أوليتني معروفاً، فإنْ مررت يوماً من الدهر بمدينة نوادرُحَت فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ واسمي فلان لعلِّي أكافئك، بما صنعت إليَّ من المعروف. فانطلق الصائغ الى مدينته، وانطلق السائح الى وجهته. فعرض بعد ذلك أنَّ السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له، وقبَّل

(١) التمثيل والمحاضرة / ٣٧٨ .

(٢) الببر: سبع هندي يعادل الأسد في عظم الجئة إلا أنَّ الببر أشدُّ بطشاً. أبيض البطن والجانبين مع صفرة، ومخطَّط بخطوط اسود، والكلمة فارسية معربة .

(٣) الرَكِيَّة: البئر ذات الماء، ومنه قولهم: ملأ الرَكوة من الرَكِيَّة .

رجليه، واعتذر إليه وقال: إِنَّ القرد لا يملكون شيئاً، ولكن اقعد حتى آتيك،
وانطلق القرد وأتاه بفأكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته.

ثم إِنَّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله البير فخرّ له ساجداً
وقال له: إِنَّكَ قد أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك. فانطلق البير فدخل
في بعض الحيطان^(١) إلى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها، فأتاه به من غير أن
يعلم السائح من أين هو. فقال في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا
الجزء فكيف لو أتيت إلى الصائغ؟ فإنه إن كان معسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا
الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه. فانطلق
السائح فأتى إلى الصائغ فلما رآه رحّب به وأدخله إلى بيته، فلما بصّر بالحلي
معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك.

فقال الصائغ: إطمئن حتى آتيك بطعام فلسست أرضى لك ما في البيت،
ثم خرج وهو يقول: قد أصبتُ فرصتي، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على
ذلك فتحسن منزلي عنده.

فانطلق إلى باب الملك فأرسل إليه أن الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي
فأرسل الملك وأتى بالسائح. فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يُعذّب
وبطاف به في المدينة ويصلب فلماً فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول
بأعلى صوته: لو أنني أطعت القرد والحية والبير فيما أمرني به وأخبرني من قلة
شكر الإنسان لم يصبر أمري إلى هذا البلاء، وجعل يكرّر هذا القول، فسمعت
مقاتله تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتدّ عليها أمره فجعلت تحتال
في خلاصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فرقّوه
ليشفوه فلم يُغنوا عنه شيئاً.

(١) الحيطان جمع الحائط، وهو هنا: البستان.

ثم مضت الحيّة إلى أختيها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف وما وقع فيه ، فرقت له وانطلقت إلى ابن الملك وتراءت له وقالت : إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً . انطلقت الحيّة إلى السائح فدخلت إليه السجن وقالت له : هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف إلى هذا الانسان ولم تطعني ، وأتته بورق ينفع من سمّها وقالت له : إذا جاؤا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، فإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فإنك تنجو إن شاء الله تعالى ، وإن ابن الملك أخبر أباه أنه سمع قائلاً يقول : إنك لن تبرأ حتى يرقيك السائح الذي حُبس ظلماً . فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقى ولده فقال : لا أحسن الرقي ، ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ بأذن الله تعالى ، فسقاه فبرىء الغلام . ففرح الملك بذلك وسأله عن قصّته فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطيةً حسنة ، وأمر بالصائغ أن يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح^(١).

٢ - (الأخوان والحيّة)

زعموا أنّ أخوين كانا في إبل لهما ، فأجذبت بلادهما ، وكان بالقرب منهما وادٍ خصيب وفيه حيّة تحميه من كلّ أحد ، فقال أحدهما للآخر : لو أنني أتيت هذا الوادي المُكلىء فرعيت فيه إبلي وأصلحتّها ، فقال له أخوه : إنني أخاف عليك الحيّة ألا ترى أنّ أحداً لا يهبط ذلك الوادي إلّا أهلكته ، قال : فوالله لأفعلن ، فهبط الوادي ورعى به إبله زماناً ، ثم إنّ الحيّة نهشته فقتلته ، فقال أخوه : والله ما في الحياة بعد أخي خير ، فلأطلبنّ الحيّة ولأقتلنّها ، أو لأتبعنّ أخي ، فهبط ذلك الوادي وطلب الحيّة ليقتلها ، فقالت الحيّة له : ألسنت ترى أنني قتلت أخاك؟ فهل لك في الصلح فأدعك بهذا الوادي تكون فيه وأعطيك كلّ يوم ديناراً ما بقيت؟ قال : أو فاعلة أنت؟ قالت : نعم ، قال : إنني أفعل ، فحلف لها

(١) كيلة ودمنة / ٣٩١ .

وأعطاه الموائيق لا يضربها، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً ، فكثر ماله حتى صار
من أحسن الناس حالاً، ثم إنه تذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر
إلى قاتل أخي؟ فعمد إلى فأس فأخذها ثم قعد لها فمرت به فتبعها فضربها
فأخطأها ودخلت الجحر ، ووقعت الفأس بالجبل فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما
رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فخاف الرجل شرها وندم فقال لها : هل لك
في أن نتواثق ونعود إلى ماكننا عليه؟ فقالت (كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟) (١) .

فذهب قولها المحكي عنها مثلاً يضرب لمن لا يفي بالعهد . ونظم النابغة
الذبياني هذه القصيدة بقصيدة سيرد ذكرها ضمن الأشعار التي قيلت في الحية،
ولا أستبعد أنها من نسج خياله .

مما جاء في الشعر :

قال خلف الأحمر (٢) داعياً على شخص اسمه عبيد بأن تنهشه حية من
ثلاث حيات اختارها له : جبليّة مهروثة الشدين رقشاء قرناء، أو ذات الطفيتين لو
عصت صخرة لتطايرت فلقاً مثل النوى، أو أسود حالكا أنياه كالمدى :

صَبَّ إِلَهُ عَلَى عُبَيْدٍ حِيَّةٌ	لَا تَنْفَعُ النَّفْثَاتُ فِيهَا وَالرُّقَى
جَبَلِيَّةٌ تَسْرِي إِذَا مَا جَنَّهَا	لَيْلٌ وَتَكْمُنُ بِالنَّهَارِ فَمَا تُرَى
مَهْرُوتَةٌ الشَّدَقَيْنِ يَنْطَفُ نَابُهَا	سَمًّا تَرَى مَا إِنَّ يُهَابَ وَيُنْقَى
خَضِرَتْ لَهَا عُقْوٌ وَسَائِرُ خَلْقِهَا	بَضٌّ يَبِينُ كَمَثَلِ مُصْبَاحِ الدُّجَى
وَكَأَنَّمَا لَبَسَتْ بِأَعْلَى لَوْنُهَا	بُرْدًا مِنَ الْأَثْوَابِ أَنْعَجَهُ الْبَلَى (٣)
رَقْشَاءٌ تَقْتَصِدُ الطَّرِيقَ إِذَا دَنَا	مِنْهَا الْمَسَاءُ كَأَنَّهَا ثِيَابُ رِشَا
قَرْنَاءُ أَنْسَاهَا الزَّمَانُ فَأَذْرَكَتْ	عَادًا فَلَيْسَ لِنَهْشِهِ مِنْهَا شِفَا

(١) مجمع الامثال للميداني ١٤٥/٢ .

(٢) نور القيس / ٧٨ .

(٣) نوح اللون: خلص بياضه .

أَوْ حَيَّةٌ ذَا طُفَيْتَيْنِ أَحَلَّهُ
فَنَشَا بَغَارٍ مُظْلَمٍ أَرْجَأُوهُ
لَمْ تَغْشَهُ شَمْسٌ وَحَالَفَ قَعْرَهُ
لَوْ عَضَّ حَرْفِي صَخْرَةً لَتَطَايَرْتُ
أَوْ حَالِكًا أَمَّا النَّهَارُ فَكَامِنٌ
فِي عَيْنِهِ قَبْلُ وَفِي خَيْشُومِهِ
يَلْقَى عُبَيْدًا مَاشِيًا مُتَفَضِّلًا
فِي لَيْلَةٍ نَحْسٍ يَحَارُ هُدَاتُهَا
فِيحُوصُهُ فِي كَعْبِهِ بِمَذْرَبٍ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ وَاصِفًا قَوَافِي شَعْرِهِ كَأَنِّيَابِ الْأَفَاعِي (٤).

وَقَدْ عَلِمْتَ عَلِيًّا رَبِيعَةً أَنِّي
إِذَا السَّيْفُ أَكْدَى كَانَ فِي مَضَاءٍ
تَرَكْتُ ابْنَ نَهْيَا بَعْدَ طَوْلِ هَدِيرِهِ
مُصِيخًا كَأَنَّ الْأَرْضَ مِنْهُ خَلَاءٌ (٥)
وَمَا رَاحَ مِثْلِي فِي الْعِقَابِ وَلَا غَدَا
لِمُسْتَكْبِرٍ فِي نَاطِرِيهِ عِدَاءٍ
تَزُولُ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَا
حُمَاتُ الْأَفَاعِي رِيقُهُنَّ قَضَاءٌ (٦)
وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ يَصِفُ حَيَّةً: (٧).

يَرَوْنَ الْمَوْتَ دُونَكَ إِنْ رَأَوْنِي وَصِلَّ صَفًا لِنَابِيهِ دُبَابُ

-
- (١) ذُو الطُّفَيْتَيْنِ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ تَقْدَمُ ذِكْرُهُ فِي فَصْلِ أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ.
(٢) مُتَفَضِّلًا: مَدْعِيًّا الْفَضْلَ. مُتَخَلِّقًا: تَخْلُقُ بِغَيْرِ خَلْقِهِ.
(٣) حَاصِ الثَّوْبِ: خَاطُهُ بِلَا رَقْعَةٍ.
(٤) دِيَوَانُهُ ١٢٨/ و ١٢٩.
(٥) ابْنُ نَهْيَا: حَمَادُ عَجْرَدٍ.
(٦) حُمَاتُ، جَمْعُ حِمَّةٍ (بِضْمِ الْحَاءِ وَتَخْفِيفِ الْمِيمِ الْمَفْتُوحَةِ): شَوْكَةُ الزُّبُورِ وَنَابُ الْأَفْعَى.
(٧) نَوْرُ الْقَبْسِ ٧٧.

من المتطويات بكهف طود أبي الحاؤون أن يَطُوا جِماه
حرام لا يُرام له جناب^(١) كأن دماً أمير على قراه
ولا تسري بفقوته الذئب وقطراناً أمير به كباب^(٢)
إذا ما استجرس الأصوات أبدى لساناً دونه الموت العباب^(٣)
يظل نهاره نوماً سباتاً ونزوته طموراً وأنسياب^(٤)
كأن جرادة نشرت عليه جناحاً فارتدى منها الحباب^(٥)
متى ما يرم عن عينيه شخصاً فليس إلى الحياة له إياب
وقال خريز بن نُشبة العدوي لبني جعفر بن كلاب، وضرب جور الحية في
الحكم مثلاً فقال: (٦)

كأنني حين أحبو جعفرًا مذحي أسقيهم طرق ماء غير مشروب
ولو أحاصم أفعى نأبها لثق أو الأسود من صم الأهاضب^(٧)
لكنتم معها إلباً وكان لها ناب بأسفل ساق أو بعرقوب

وقال كثير عزة لعبد العزيز بن مروان: (٨)

وما زالت رُقاك تسل ضيغي وتخرج من مكانها ضبابي^(٩)
ويرقيني لك الرقون حتى أجابت حية تحت التراب

(١) في المصدر المذكور (عرام) مكان (حرام) والتصويب في الحيوان للجاحظ ٢٧٩/٤.

(٢) امار الدم: أجراه. الكباب (بالضم) التراب. البيت زيادة من الحيوان للجاحظ.

(٣) استجرس: طلب الجرس (بفتح فسكون) وهو الصوت.

(٤) الطمور: الوثوب إلى أسفل.

(٥) الحباب: الحية.

(٦) الحيوان للجاحظ ١٥٢/٤.

(٧) لثق: مبتل بالسّم.

(٨) ديوانه ٢٨٠/ والصناعتين ٧٥/.

(٩) الضباب: الأضغان والعداوة.

وقال الأعشى الكبير لشييان بن شهاب الجحدرى من قصيدة: (١)

أبا مِسْمَعٍ إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ بَنَى لِي مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا
فَلَا تَلْمَسِ الْأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا وَدَعَهَا إِذَا مَا عَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا (٢)
أبا مِسْمَعٍ أَفْصِرْفَانٌ قَصِيدَةٌ مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقُ بِهَا أَخَوَاتُهَا
وقال آخر: (٣)

هُمْ أَيْقَظُوا رُقْطَ الْأَفَاعِي وَنَبَّهُوا عَقَارِبَ لَيْلٍ نَامَ عَنْهَا حُؤَانُهَا
وَهُمْ نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفْهَ بِهِ وَمَا آفَةُ الْأَخْبَارِ إِلَّا رَوَاتُهَا

وقال آخر في وصف الحيات: (٤)

وَكَمْ طَوَتْ مِنْ حَشَى رَاصِدٍ لِلْسَفْرِ فِي أَعْلَى الثِّيَابِ (٥)
أَصَمَّ أَعْمَى لَا يُجِيبُ الرُّقَى يَقْتَرُ عَنْ عُصْلٍ حَدِيدَاتِ (٦)
مُنْهَرِتِ الشَّدَقِ رَقُودِ الضُّحَى سَتَرِ طُمُورٍ فِي الدُّجَنَاتِ (٧)
ذِي هَامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطُوحَةٍ مِنَ الدَّوَاهِي الْجَبَلِيَّاتِ
صَلَّ صَفًّا تَنْطَفُفُ أَنْيَابُهُ سِمَامَ ذَيْفَانٍ مَجِيرَاتِ (٨)
مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَجِيبَاتِ
قَدَمَنْ عَنِ ضِرْسَيْنِ وَاسْتَأْخَرَا إِلَى سِمَاخَيْنِ وَلَهَوَاتِ (٩)

(١) ديوانه / ٨٥.

(٢) السفاة: التراب.

(٣) حياة الحيوان ١/ ٢٧٥.

(٤) الحيوان للمجاهظ ٤/ ٢٨٢.

(٥) الثنية: الطريق العالي في الجبل.

(٦) الناب الأعصل: الأبعوج.

(٧) منهرة: واسع. الطُمُور: الوثاب إلى أسفل.

(٨) تنطف: تقطر. الذيفان: السم القاتل. مجيرات: كذا ورد، وقال الاستاذ عبد السلام هارون محقق

كتاب الحيوان: لعلها (مبيرات) بمعنى مهلكات.

(٩) اللهوات (بالتحريك) جمع اللّهاء: اللّحمة المشرفة على الحلق، وقد سكنّ الهاء ليستقيم له وزن الشعر، كما أنه جمعها والمراد بها لهأة واحدة.

يُسَبِّتُهُ الصُّبْحُ وَطَوْرًا لَهُ نَفَخٌ وَنَفَثٌ فِي الْمَغَارَاتِ (١)
وَتَارَةً تَحْسِبُهُ مَيِّتًا مِنْ طُولِ إِطْرَاقٍ وَإِخْبَاتٍ (٢)

وقال الإمام الشافعي: (٣)

عِنْدِي يَوَاقِيتُ الْقَرِيضِ وَدُرُّهُ وَعَلَيَّ إِكْلِيلُ الْكَلَامِ وَتَاجُهُ
تُرْبِي عَلَى رَوْضِ الرُّبَا أَزْهَارُهُ وَيَرِقُّ فِي نَادِي النَّدَى دِيْبَاجُهُ
وَالشَّاعِرُ الْمُنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِحُ وَالشَّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاجُهُ
وَعِدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ دَاءٌ مَعْضِلُ وَلَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْكَرِيمِ عِلَاجُهُ

وقال أبو هلال العسكري يصف حية: (٤)

وِخْفِيْفَةُ الْحَرَكَاتِ تَفْتَرِّغُ الرَّبَى كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ فِي الْغَمَامِ الرَّائِحِ
دَنْقُوطَةٌ تَحْكِي بُطُونَ صَحَائِفٍ إِبَانٌ تَبْدُو مِنْ بُطُونِ صَفَائِحِ
نَرَضَى مِنَ الدُّنْيَا بَظْلَ صُخَيْرَةٍ وَمِنَ الْمَعَاشِ بِاشْتِمَامِ رَوَائِحِ

وقال حُسَيْنُ بْنُ عُرْفَةَ (جَاهِلِي): (٥)

مِنْ دُونِ خَيْرِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَخَفِيفٍ نَافِجَةٍ وَكَلْبٍ مُؤَسَّدٍ (٦)
وَأُخْوِكَ مُحْتَمِلٍ عَلَيْكَ ضَعِيفَةٍ وَمُسِيفٍ قَوْمِكَ لَائِمٍّ لَا يُحْمَدُ (٧)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدٍ سَالِحٍ لَا بَلَّ أَحَبُّهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

(١) يسببته: ينيمه.

(٢) الاطراق: السكون وإرخاء العين. الإخبات: الخشوع والتواضع.

(٣) ديوانه / ٦٤ و ٦٥.

(٤) ديوان المعاني ١٤٥/٢.

(٥) النوادر لأبي زيد ٧٥ و ٧٦.

(٦) النافجة: الريح تبدأ بشدة، والسحابة الكثيرة المطر، أوسد الكلب، وأوصده: أغراه بالصيد فهو مؤسد ومؤسد.

(٧) المسيف: الذي أصاب إبله السواف وهي الغدة.

وقال آخر: (١)

وكَيْفَ وَقَدْ أَشْهَرْتَ عَيْنَكَ تَبْتَغِي
من الصَّمِّ يَكْفِي مَرَّةً مِنْ لُعَابِهِ
عِنَاداً لِنَائِي حَيَّةً قَدْ تَرَبَّدَا (٢)
وما عاد إلَّا كَانَ فِي الْعَوْدِ أَحْمَدًا

وقال عنترة العبسي (٣) وقيل إنها لحريث بن عئاب الطائي: (٤).

أَتَرْجُو حَيَاةً يَا ابْنَ بَشِيرٍ بِنِ مُسْهِرٍ
أَصَمَّ جِبَالِي إِذَا عَضَّ عَضَّةً
بِسُلْعٍ صَفَا لَمْ يَبْدُ لِلشَّمْسِ قَبْلَهَا
لَهُ رِبْقَةٌ فِي عُنُقِهِ مِنْ قَمِيصِهِ
رَقُودٍ ضَحِيَّاتٍ كَأَنَّ لِسَانَهُ
يُفِيْتُ النَّفُوسَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ الرُّقَى
وقد عَلِقَتْ رِجْلَاكَ فِي نَابِ أَسْوَدَا
تَزَايِلُ عَنْهُ جِلْدُهُ فَتَبَدَّدَا
إِذَا مَا رَأَاهُ صَاحِبُ الْيَمِّ أُرْعِدَا (٥)
وَسَائِرُهُ عَنِ مَتْنِهِ قَدْ تَقَدَّرَا (٦)
إِذَا سَمِعَ الْأَجْرَاسَ مَكْحَالٍ أُرْمَدَا (٧)
وإنَّ أَبْرَقَ الْحَاوِي عَلَيْهِ وَأُرْعَدَا

وقال أبو الأسود الدؤلي: (٨)

لَيْتَكَ آذَنْتَنِي بِوَاحِدَةٍ
تَحْلِفُ إِلَّا تَبْرُنِي أَبَدًا
تَجْعَلُهَا مِنْكَ سَائِرَ الْأَبَدِ
فإنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبِدِي

(١) الحيوان للجاحظ ٢٨٥/٤.

(٢) ضمير ترَبَّدَ عائد الحية والحية تذكر وتؤنث.

(٣) الحيوان للجاحظ ٣٠٨/٤ ولم أجدها في ديوانه.

(٤) ديوان ابن نباتة السعدي ٥٩٣/١.

(٥) السلع: الشق. اليم: الحية.

(٦) الربقة: الحبل. قميصه: جلده المنسلخ.

(٧) الأجراس: الأصوات. المكحال: المِرْوَد يكتحل به، وقد يشبه لسان الحية بالمرود في دقته

وسواده.

(٨) ديوانه ١٠٤/.

إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَارْمِ بِهِ فِي نَازِرِي حَيَّةً عَلَى رَصْدٍ^(١)

وقال أبو تمام من قصيدة في مدح أحمد بن أبي دؤاد: ^(٢)

حَمَلَ الْعَبَّءَ كَاهِلُ لَكَ أَمْسَى لَخُطُوبِ الزَّمَانِ بِالْمِرْصَادِ
عَاتِقُ مُعْتَقٍ مِنَ الْهُونِ إِلَّا مِنْ مُقَاسَاةٍ مَغْرَمٍ أَوْ نِجَادٍ^(٣)
مُلَّتْكَ الْأَحْسَابُ أَيُّ حَيَاءٍ وَحَيَا أَرْزَمَةٍ وَحَيَّةٍ وَادٍ^(٤)
لَوْ تَرَاخَتْ يَدَاكَ عَنْهَا فُوقًا أَكَلَتْهَا الْأَيَّامُ أَكَلَ الْجَرَادِ^(٥)

وقال من قصيدة أخرى في مدح ابن أبي دؤاد: ^(٦)

خُذْهَا مُثَقَّفَةً الْقَوَافِي زُبُّهَا لِسَوَابِغِ النِّعْمَاءِ غَيْرُ كَنُودٍ^(٧)
كَالْدُرِّ كَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمُهُ بِالشَّرِّ فِي عُقْبِ الْفَتَاةِ الرُّودِ
كَرْقَى الْأَسَاوِدِ وَالْأَرَاقِمِ طَالَمَا نَزَعَتْ حُمَاتٍ بَسَخَائِمٍ وَحُقُودٍ^(٨)

وقال الأخطل: ^(٩)

قَدْ أَنْذَرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَالنُّذُرُ
بَاتُوا نِيَامًا عَلَى الْأَنْمَاطِ لَيْلَهُمْ وَلَيْلَهُ سَاهِرٌ فِيهَا وَمَا شَعَرُوا^(١٠)

(١) يقال للحية التي ترصد المارة على الطريق لتلسع: رصيد.

(٢) ديوانه ٣٦٤/١ و ٣٦٥.

(٣) النجاد: حمائل السيف، وهو والمغرم لم يكونا من الهوان ولكن جؤزوا دخول مثلهما في المستثنى الذي ليس من جنسهما الأول.

(٤) يريد أي حياء فيك. الحيا: المطر العام. الأزمة السنة الشديدة. حية الوادي: يشبهون بها السيد الشجاع.

(٥) الفواق: ما بين الحبتين.

(٦) ديوانه ٢٩٧/١ و ٢٩٩.

(٧) الكنود: الكفور.

(٨) الحُمات جمع الحُمة: السم، وقيل ناب الحية وشوكة الزنبور.

(٩) ديوانه ٢٦٨/١ و ٢٦٩.

(١٠) الأنمط: ضرب من البسط له خمل رقيق.

هناك قالوا أنام الماء حيته وما يكاد ينام الحية الذكر

كان الأقبيل بن نبهان القيني مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير، فهرب من الحجاج لما رأى البيت الحرام يضرب بالمجانيق، وقال شعراً أغضب الحجاج فطلبه! فاحتفى بقبر مروان، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له. فقال له قومه: إنك إن أتيت الحجاج قتلك. فطرح الكتاب وهرب وقال: (١)

لقد علمت وخير القول أنفعه
لئن ذهبت إلى الحجاج يقتلني
مستحيباً صُحفاً تدمي طوابعها
أن أنطلاقي إلى الحجاج تغير
إني لأحمق من تُحذى به العير
وفي الصّحائف حيات مناكير (٢)

وقال رجل من قريش: (٣)

ما زال أمرؤ لالة السوء منتشراً
دو ميرة تفرق الحيات صولته
حتى أطل عليهم حية ذكر
عف الشمائل قد شدت له المير

وقال آخر في الحية: (٤)

لا ينبت العشب في وادٍ تكون به
جرداء شايكة الأنياب ذابلة
لو شرحت بالمدي ما مسها بلل
قد جاهدوها فما قام الرقاة لها
ولا يُجاورها وحش ولا شجر
ينبو من اليبس عن يافوخها الحجر
ولو تكنفها الحاؤون ما قدروا
وخاتلوها فما نالوا ولا ظفروا

(١) الحيوان للجاحظ ٢٥٣/٤ والمؤتلف المختلف ٢٥.

(٢) استحقب الشيء: حمله في مؤخرة الرجل. الطوايح: الأختام التي تختم بها الرسائل.

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٦١/٤.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣٠٩/٤ ونهاية الأرب ١٠/١٤٣، وقد عزيت في الحماسة البصرية ٣٤٣/٢ إلى عمرو بن شاس.

يَكْبُو لَهَا الْوَرَلُ الْعَادِي إِذَا نَفَخْتُ جُبْنًا وَيَهْرُبُ مِنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ^(١)

وقال النابغة الذبياني من قصيدة عاتب بها بني مُرَّة على تحالفهم عليه وعلى قومه، وضرب لهم مثل الحَيَّة والأخوين الذي تقدم ذكره في فصل القصص: (٢).

وإِنِّي لَأَلْقَى مِنْ ذَوِي الضُّعْنِ مِنْهُمْ
كَمَا لَقِيتُ ذَاتُ الصُّفَا مِنْ حَلِيفِهَا
فَقَالَتْ لَهُ أَذْعُوكَ لِلْعَقْلِ وَافِيًا
فَوَاتَّقْهَا بِاللَّهِ حِينَ تَرَاضِيَا
فَلَمَّا تَوَفَّى الْعَقْلَ إِلَّا أَقْلَهُ
تَذَكَّرْتُ أَنِّي يَجْعَلُ اللَّهُ جُنَّةً
فَلَمَّا رَأَى أَنَّ ثَمَرَ اللَّهِ مَالَهُ
أَكْبَّ عَلَى فَاسٍ يُحْدِ غُرَابَهَا
فَقَامَ لَهَا مِنْ فَوْقِ جُحْرِ مُشِيدٍ
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسِيَهُ
فَقَالَ تَعَالَى نَجْعِلِ اللَّهَ بَيْنَنَا
وَمَا أَصْبَحَتْ تَشْكُو مِنَ الْوَجْدِ سَاهِرَةً
وَمَا أَنْفَكْتَ الْأَمْثَالَ فِي النَّاسِ سَاهِرَةً
وَلَا تَغْشِيَنِي مِنْكَ بِالظُّلْمِ بَادِرَةً^(٣)
فَكَانَتْ تَدِيهِ الْمَالَ غِبًّا وَظَاهِرَةً
وَجَارَتْ بِهِ نَفْسٌ عَنِ الْحَقِّ جَائِرَةً
فَيُصْبِحُ ذَا مَالٍ وَيَقْتُلُ وَاتِرَةً^(٤)
وَأَثَلُ مَوْجُودًا وَسَدُّ مَفَاقِرَةٍ^(٥)
مَذْكِرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَةً
لَيَقْتُلَهَا أَوْ تُخْطِئُ الْكَفَّ بَادِرَةً^(٦)
وَلِلْبَرِّ عَيْنٌ لَا تَغْمُضُ نَاطِرَةً^(٧)
عَلَى مَالِنَا أَوْ تُنْجِزِي لِي آخِرَةً

(١) الْوَرَلُ: دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه يكون في الرمال والصحاري. يريد بالحية الذكر. الرجل الشجاع.

(٢) ديوانه ٦٨/.

(٣) العقل: الدية التي تعطى لأهل القتل.

(٤) الْجُنَّة (بالضم): السترة، وكل ما وقاك.

(٥) ثَمَرُ مَالِهِ وَأَثَلُهُ: ثَمَاهِ وَأَصْلُهُ. المفاقر: جمع الفقر.

(٦) الْبَادِرَةُ: ما يبدر من الإنسان عند حدثه.

(٧) الْبَرُّ (بالفتح وتشديد الراء): من أسماء الله الحسنى.

فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي رَأَيْتُكَ مَسْحُورًا يَمِينُكَ فَاجِرَةٌ^(١)
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي وَضَرْبَةُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَةٌ
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ هَذَا فِي وَصْفِ الْحَيَّاتِ^(٢) وَالْأَرْجَحِ (يَحْيَى بْنُ هَذَا):

هُرْتُ اللَّهَازِمَ لَيْلَهُنَّ رَوَاقِدُ يَرْمِينَ نِفْطًا مُحْرِقًا وَكَأَنَّمَا
يَرْفَعْنَ أَعْنَاقًا كَعِيدَانِ الْقَنَا وَتَمِيلُ عَمَّا قَابَلَتْهُ بِوَجْهِهَا
وَإِذَا صَنَعْنَ دَوَائِرًا فَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّمَا أَحْدَاقُهُنَّ مَعَ الضُّحَى
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ: ^(٦)

فَإِذَا حَبَّتْ فِي بَاطِنِ أَوْطَاهِرِ^(٣) يَحْرِقْنَ بِالْأُنْيَابِ حَدَّ مِيشِرِ^(٤)
وَيَدْعُنَ فِي الْمُتَنَابِ رُغَبَ الْخَاطِرِ فَكَأَنَّمَا تَحْكِي صُدُورَ الْهَاجِرِ
يُحْكِمْنَ صَوْعَ خَلَاجِلٍ وَأَسَاوِرِ سَبَجٍ يُقَلِّبُ بَيْنَ كَفَى تَاجِرِ^(٥)

قَرِيحَةٌ لَمْ تُدْنِيهَا السَّيَاطُ وَلَمْ كَمْنَطَوَى الْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ مَكْمُنُهَا
الْلَيْثُ لِلْيَيْثِ مَنُوسُوبٌ أَظَا فِرُهُ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ^(٨) :

تَخَلَّ ابْنُ صَفَّارٍ فَلَا تَذْكُرِ الْعُلَى وَلَا تَذْكُرْنَ حَيَاتٍ قَوْمَكَ فِي الذِّكْرِ

(١) أَفْعَلُ (هنا) بمعنى لا أفعل وذلك لورودها بعد القسم ، كقوله تعالى (تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذْكُرُ يَوْسُفَ) سورة يوسف / ٨٥ .

(٢) التشبيهات (١٨٩ و ٢٩٩) .

(٣) الهرت: الواسع . اللهازم جمع اللهزمة: العظم الثنائيء تحت الأذن .

(٤) المياشر جمع الميشار وهو المنشار .

(٥) السبج: الخرز الأسود (فارسي معرب) .

(٦) الحيوان للجاحظ ٢٥٥/٤ .

(٧) يريد بالقريحة: خالصة النسب . (تعصر) كذا ورد ولعل الاصل (تُقَسَّر) .

(٨) ديوانه / ١٣٥ .

فَقَدْ نَهَضَتْ لِلتَّغْلِيْبَيْنِ حَيَّةٌ كَحَيَّةِ مُوسَى يَوْمَ أُيْدَ بِالنُّصْرِ

وقال آخر وقد جمع صفة الحية^(١) :

قَدْ كَادَ يَقْتُلْنِي أَضْمُ مُرْقَشُ مِنْ حُبِّكُمْ وَالْخَطْبُ غَيْرُ كَبِيرِ
خُلِقْتُ لَهُازِمُهُ عَزِيْنٌ وَرَأْسُهُ كَالْقُرْصِ فَلُطِحَ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرِ^(٢)
وَيُسْدِرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيْضِ بَرِيرِ^(٣)
وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَلَقَاكَ كِفَّةً مُنْخَلٍ مَاطُورِ
وَكَانَ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمَضَتْ لِطُهُورِ

وقال آخر في مליح لسعته حية^(٤) :

قَالُوا خَيْبُكَ مَلْسُوعٌ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عَقْرَبِ الصُّدْغِ أَوْ مِنْ حَيَّةِ الشَّعْرِ
قَالُوا بَلَى مِنْ أَفَاعِي الْأَرْضِ قُلْتُ لَهُمْ وَكَيْفَ تَسْعَى أَفَاعِي الْأَرْضِ لِلْقَمَرِ

ومن أحسن ما قيل في الحية قول النابغة الذبياني^(٥) :

صَلُّ صَفًّا لَا تَنْطَوِي مِنَ الْقِصْرِ طَوِيلَةُ الْإِطْرَاقِ مِنْ غَيْرِ خَفَرٍ
دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ كَبَانَمَا قَدْ ذَهَبَتْ بِهَا الْفِكْرُ
مَهْرُوتُهُ الشَّدَقَيْنِ خَوْلَاءَ النَّظَرِ تَفْتَرُّ عَنْ عُوجِ جِدَادٍ كَالْإِبَرِ

(١) الحيوان للجاحظ ١٨١/٤ ، وفي نسبة الأبيات اختلاف . يراجع الحيوان للجاحظ ٢١٤/٢
والمؤتلف والمختلف/٤٤ والأصمعيات/١٢٣ .

(٢) اللهازم جمع اللهزمة: العظم الناتئ تحت الأذن وهو أصل الحنك . عزيز : متفرقات .

(٣) يريد بسمرأ : الواحدة من البربر وهو ثمر الأراك إذا اسودَّ وبلغ . النفيض : المنفوس .

(٤) حياة الحيوان ٢٨١/١ .

(٥) ديوانه/٧٣ .

وقال عمرو بن العاص يوم صفين^(١):

إِذَا تَخَارَزْتُ وَمَا بِي مِنْ خَزَرٍ ثُمَّ خَبَّاتِ الْعَيْنَ مِنْ غَيْرِ عَوَزٍ
الْفَيْتَنِي أَلْوَى بَعْدَ الْمُسْتَمَرِّ ذَا صَوْلَةٍ فِي الْمُصْمَثَلَاتِ الْكُبَرِ^(٢)
أَحْمِلْ مَا حُمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كَالْحَيَّةِ الصَّمَاءِ فِي أَصْلِ الضُّخْرِ
وقال أدهم بن أبي الزعرار^(٣) وشبهه نفسه بحية:

وَمَا أَسْوَدُ بِالْبَاسِ تَرْتَاحَ نَفْسُهُ إِذَا حَلَبَةٌ جَاءَتْ وَيُطْرَقُ لِلْجِسِّ
بِهِ نُقْطُ حُمْرٍ وَسُودٌ كَأَنَّمَا تَنْضَحُ نَضْحًا بِالْكُحَيْلِ وَبِالْوَرَسِ^(٤)
أَصْمُ فُطَارِيٌّ يَكُونُ خُرُوجُهُ قُبَيْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ مُخْتَلَطَ الدَّمَسِ^(٥)
لَهُ مَنَزَلُ أَنْفِ ابْنِ قِتْرَةَ يَغْتَلِي بِهِ السَّمُّ لَمْ يَظْهَرْ نَهَارًا إِلَى الشَّمْسِ^(٦)
يَقِيلُ إِذَا مَا قَالَ بَيْنَ شَوَاهِقِ تَزَلُّ الْعُقَابِ عَنْ نَفَائِفِهَا الْمُلْسِ^(٧)
بِأَجْرٍ مَنِيَّ يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ مُقْدِمًا إِذَا الْحَرْبُ دَبَّتْ أَوْ لَبَسَتْ لَهَا لِبْسِي
وقال عامر بن لقيط الأسدي الفقعسي^(٨):

لَعَمْرُكَ إِنِّي لَوْ أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَلَا تَجْعَلَنَّ الْأَرْضَ لَيْلًا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ حَيَّتِي حِينَ تُلْمَسُ

(١) وقعة صفين/ ٣٧٠ .

(٢) الألوى: الشديد الخصومة . المصمَثَلَات: الدواهي، واحدها المصمَثَلَة .

(٣) الحيوان للمجاحظ ٣٠٦/٤ .

(٤) الكُحَيْل (بصيغة التصغير): القطران، ويعرف اليوم بالنفط الأسود. الورس: نبت يُصَبَغُ بِهِ فيعطى صفرة إلى حمرة .

(٥) حَيَّةٌ قَطَارِيٌّ وقطاريةٌ تَأْوِي إلى فطر جبل . الدمس: الظلام .

(٦) ابن قِتْرَةَ: حية خبيثة تقدم ذكرها . يَغْتَلِي بِهِ، بمعنى يَغْتَلِي مِنْهُ، وفي الذكر الحكيم (عيناً يشرب بها عباد الله) سورة الإنسان/ ٦ .

(٧) قال الرجل يقيل: نام في القائلة وهي نصف النهار. النفايف جمع النفف: صقع الجبل الذي كأنه جدار مستو .

(٨) الحماسة للبحري/ ٢٤٠ .

فَمَا لَكُمْ طُلْسًا إِلَيَّ كَأَنَّكُمْ ذَتَابُ الْغَضَا وَالذُّبُّ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ ^(١)

وقال ذو الاصبع العدواني ^(٢) :

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ ^(٣)
عَلَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُوفُونَ بِالْقَرْضِ
وَمِنْهُمْ حَكْمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وقال جرير من قصيدة في هجاء الفرزدق ^(٤) :

إِنَّا لَنَعْرِفُ مِنْ نِجَارٍ مُجَاشِعٍ هَذَا الْحَفِيفِ كَمَا يَحِفُّ الْخِرْوَعُ ^(٥)
أَيْفَاشُونَ وَقَدْ رَأَوْ حُفَاتَهُمْ قَدْ عَضُّهُ فَقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجُعُ ^(٦)

وقال النابغة الذبياني من قصيدة في مدح النعمان بن المنذر ^(٧) :

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْبِلَةً مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُ نَاقِعُ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَائِعُ ^(٨)
تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِعُ ^(٩)

(١) الطُّلس جمع الأطلس: الذي في لونه غبرة إلى سواد .

(٢) الشعر والشعراء/ ٥٩٨ .

(٣) العذير: العاذر، والحال التي تحاولها تعذر عليها .

(٤) ديوانه/ ٣٤٤ .

(٥) الحفيف: صوت حركة الأغصان. الخروع: شجرة ضعيفة العود .

(٦) المفايضة: المفاخرة. الحفّات: حية لا سم لها. الأشجع (بضم الجيم) جمع الشجاع، وهو من أعزم الحيات .

(٧) ديوانه/ ٨٠ .

(٨) ليلة التمام: أطول ليالي الشتاء. السليم: الملدوغ. حلّي النساء: كان العرب يجعلون الحلّي في يد الملسوع ويحركونه لئلا ينام فيدبّ السم فيه .

(٩) تنازرها: أنذر بعضهم بعضاً .

وقال الزبيدي في يحيى بن أبي حفصة (١):

إِنِّي وَيْحِي وَمَا يَبْغِي كَمُلْتِمَسٍ
أَهْوَى إِلَى بَابِ حُجْرٍ فِي مُقَدِّمِهِ
اللُّونُ أَرْبَدُ وَالْأَنْيَابُ شَابِكَةٌ
لَوْ نَالَ كَفْكَ آبَتْ مِنْهُ مُخَضَّبَةٌ
فَأَجَابَهُ يَحْيَى فَقَالَ (٥):

كَمْ حَيَّةٌ تَرْهَبُ الْحَيَّاتِ صَوْلَتُهُ
يُلْقَيْنَ حَيَّةٌ قُفًّا ذَا مُسَاوَرَةٍ
تَكَادُ تَسْقُطُ مِنْهُنَّ الْجُلُودُ لِمَا
أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءٍ أَيْبَسَهَا
يَحْمَى لِرَيْدِيهِ قَدْ غَاذَرْتُهُ قِطْعًا (٦)
يُسْقَى بِهِ الْقِرْنُ مِنْ كَأْسِ الرَّدَى جُرْعًا (٧)
يَعْلَمَنَّ مِنْهُ إِذَا عَايَنُهُ قَزْعًا
أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَاَنْصَدَعَا

وقال أبو تمام الطائي (٨) من قصيدة في مدح محمد بن الهيثم:

قَدْ كَسَانَا مِنْ كِسْوَةِ الصَّيْفِ خِرْقٌ
حُلَّةٌ سَابِرِيَّةٌ وَرِدَاءٌ
مُكْتَسٍ مِنْ مَكَارِمِ وَمَسَاعٍ
كَسَحَا الْقَيْضِ أَوْرِدَاءِ الشُّجَاعِ (٩)

وقال السيد أحمد الصافي النجفي في مجاورة الأفعى (١٠):

-
- (١) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .
(٢) العسيب: جريدة النخل المستقيمة يكشط خوصها. القزع: خفة شعر الرأس.
(٣) شابكة: مشبكة. عُصْل: ملتويات .
(٤) قزعا: قِطْعًا متفرقة .
(٥) الحيوان للجاحظ ٢٨١/٤ .
(٦) الريد (بالفتح): الحرف الناتئ من الجبل .
(٧) الْقُفُّ (بالضم): مرتفع حجري .
(٨) ديوانه ٣٤١/٢ .
(٩) السابرية: الرقيقة. القَيْض: قشرة البيض السمكية العليا، والسحا: القشرة الرقيقة التي تحت القَيْض. الشجاع: الحية، ورداؤه: سلخه.
(١٠) ديوانه (شعر) ٥٦ .

جَاوَزْتُ أَفْعَى فِي السَّقْفِ سَاكِنَةً

تُطْرِبُ لِي بِالْفَجِيحِ أَشْمَاعِي
وَإِنْ تَلَوْتُ الْقَرِيضَ تُنْصِتُ لِي
كَأَنَّهَا طَرَبَتْ لِأَسْجَاعِي
لَمْ تُعَلِّنِ الْحَرْبَ غَيْرُ أَطْمَاعِي
فَقُلْتُ سَمِّي مِنْكُمْ وَأَوْجَاعِي
قَالُوا تَحْذَرُ فَالَسَمُ فِي فَمِهَا
لِلْمَكْرِ تَعْزُوْنَهَا وَلَسْتُ أَرَى
مِنْكُمْ سِوَى مَاكِرٍ وَخَدَّاعِي
مِنْ ذِي لِسَانٍ بِالْقَوْلِ لِدَّاعِي
أَتَّقِي لَدَّعَهَا وَكَمْ بِكُمْ
عَامَانِ مَرًّا بِنَا وَمَا هِيَ لِي
سَعَتْ بِشَرٍّ وَلَا أَنَا سَاعِي
وَكَمْ مِنْكُمْ صَبَاحَ مَسَاءٍ
لِلشَّرِّ دَاعٍ لِلْخَيْرِ مَنَاعِي

وقال أبو نصر سهل بن المرزبان^(١) :

قَالَ لَمَّا قُلْتُ لِمَ تَهْجُرُنَا إِنَّ أَتَى بَرْدٌ وَإِنْ ثَلَجٌ وَقَعَ
أَنَا كَالْحَيَّةِ أَشْتُو كَامِنًا ثُمَّ أَنْسَابُ إِذَا الصَّيْفُ رَجَعَ

وقال أبو الحسين الظاهر البصري^(٢) :

عَرَفْتُ فِي الْأَسْفَارِ مَا لَمْ أَعْرِفِ
أَلَيْتُ لَا أَنْصِفُ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
مِنْ كُلِّ مَوْصُوفٍ وَمَا لَمْ يُوصَفِ
وَلَا أَفِي دَهْرِي لِحِلٍّ لَا يَفِي
إِذْ أَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفٍ
سِرْتُ وَصَحْبِي وَسَطَ قَاعٍ صَفْصَفِ
تُومِي بِرَأْسٍ مِثْلَ رَأْسِ الْمَجْدَفِ^(٣)
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَنْكُفِي
وَذَنْبٍ مُنْدِمِجٍ مُعَقَّفِ

(١) يتيمة الدهر ٣٩٢/٤ .

(٢) يتيمة الدهر ٣٧٠/٢ .

(٣) المجدف والمجداف (بالدال المهملة والدال المعجمة) : خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين تسير بها القوارب .

عَلَوْتُهَا بِحَدِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ فَظَلَّ يَجْرِي دَمُهَا كَالْقَرْقَفِ^(١)
أَتَلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفِي

وقال ابن المعتز^(٢) :

كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي يَوْمَ بَيْنَهُمْ رَقْشَاءُ مَجْدُولَةٌ فِي لَوْنِهَا بَلَقُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو مِنْ مَكَامِهَا غُصْنٌ تَفْتَحُ فِيهِ النُّورُ وَالْوَرَقُ
يَنْسَلُ مِنْهَا لِسَانٌ تَسْتَغِيثُ بِهِ كَمَا تَعُوذُ بِالسَّبَابَةِ الْغَرِقُ

وقال آخر في حمرة عين الأفعى^(٣) :

لَوْلَا الْهَرَاوَةُ وَالْكَفَاتُ أَوْرَدَنِي حَوْضَ الْمَيِّئَةِ قَتَالَ لِمَنْ عَلِقَا^(٤)
أَصَمُّ مُنْهَرِتُ الشَّدَقَيْنِ مُلْتَبِدٌ لَمْ يُغَذَّ إِلَّا الْمَنَايَا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا
كَأَنَّ عَيْنَيْهِ مِسْمَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ جَلَاهُمَا مِدْوَسُ التَّلَاقِ فَاتْتَلَقَا^(٥)

وقال جمال الملك بن أفلح^(٦) :

وَقَالُوا يَصِيرُ الشَّعْرُ فِي الْمَاءِ حَيَّةً إِذَا الشَّمْسُ حَادَتْهُ فَمَا خِلَتْهُ صِدْقَا
فَلَمَّا أَلْتَوَى صُدْغَاهُ فِي مَاءٍ وَجْهَهُ
وَقَدْ لَسَعَا قَلْبِي تَيَقَّنْتُهُ حَقًّا

وقال ابن نباتة السعدي يصف الحية^(٧) :

(١) القرقف: من أسماء الخمر.

(٢) ديوانه ١٤١/١ ، وديوان المعاني ١٤٥/٢ .

(٣) الحيوان للجاحظ ٢٤٢/٤ .

(٤) الكفات جمع الكفة (بالكسر) من آلات الصيد .

(٥) المدوس (بالكسر) : المصقلة . التلاق (تفعال) : من ألق، أي لمع وبرق .

(٦) حياة الحيوان ٢٨٠/١ .

(٧) ديوانه ٥٩٤/١ .

إذا عَرَسَ السَّارُونَ فِي بَطْنِ زَامِرٍ فِى الْهَضْبَةِ الْحَمْرَاءِ إِنْ كُنْتُ سَارِيًّا
فَسِرْ وَتَعَوِّذْ مِنْ شِرَارِ الطَّوَارِقِ^(١) يُسَالِمُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ نَهَارَهُ
أَغْيِرُ يَأْوِي فِي صُدُوعِ الشَّوَاهِقِ كَأَنَّ بَقَايَا مَا سَرَى مِنْ قَمِيصِهِ
إِلَى اللَّيْلِ مَحْبُوءٌ لِإِخْدَى الْبَوَائِقِ يُقَصِّرُ عَنْ يَأْفُوخِهِ حِينَ يَنْطَوِي
عَلَى مَتْنِهِ أَفْوَافُ بُرْدِ شَبَارِقِ^(٢) تَنَادَرَهُ الْحَاوُونَ إِذْ أَبْصَرُوا بِهِ
حَقِيبَةٌ مَمْلُوءٌ مِنَ السَّمِّ زَاهِقِ تُسَارِقُ عَيْنَاهُ بَنَانُ الْمُسَارِقِ^(٣)

وقال مهذب الملك في تشبيه لون النار وألستها بالأرقام^(٤) :

كَأَنُونُ أَذْهَبَ بَرْدَهُ كَأَنُونُنَا مَا بَيْنَ سَادَاتِ كِرَامٍ حُذِّقِ
بِأَرْاقِمِ حُمْرِ الْبُطُونِ ظُهُورُهَا سُودٌ تَلْعَلُعُ بِاللِّسَانِ الْأُزْرَقِ^(٥)
وقال الأخطل من قصيدة في هجاء جرير^(٦) :

وَمَا غَرَّ كَلْبًا مِنْ كُلِّبٍ بِحَيَّةٍ أَصَمُّ عَلَى أَنْيَابِهِ السَّمُّ شَابِكِ^(٧)
وَبَيَّتْ صَفَاةً فِي لَهَابٍ لُعَابِهِ سِمَامُ الْمَنَايَا أَسْوَدُ اللَّوْنِ حَالِكِ^(٨)
تَرَى مَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ إِذَا مَشَى صُدُوعًا نَفَتْ عَنْهَا مُتَوْنِ الدَّكَادِكِ^(٩)

(١) زامر: قال محقق ديوان ابن نباته السعدي (زامر: اسم جبل بمدينة الموصل) ولم أقف عليه.

وجاء في تاج العروس (زيمر) بقعة بجبال طيء، ووادي الزمّار: قرب الموصل.

(٢) الأفواف: النقط البيض في البرود الموشاة. الشبارق: المقطع.

(٣) تنادره الحاؤون: أنذر بعضهم بعضاً.

(٤) حياة الحيوان ٢٩/١.

(٥) تلعلع الكلب: دلع لسانه عطشاً.

(٦) ديوانه/ ٢٨٥.

(٧) الشابك: الطويل الأنياب، وقد رد الشاعر (من ناحية الاعراب) شابك على الأنياب.

(٨) اللهاب جمع لهب (بالكسر): الصدع في الجبل.

(٩) الدكادك جمع دكدك: الأرض الغليظة.

وقال ابن المعتز في الحية^(١) :

أُنْعَتْ رَقِطَاءٌ لَا تَحْيَا لَدَيْعَتُهَا لَوْ قَدْهَا السَّيْفُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَلَلٌ
تُلْقِي إِذَا انْسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَا كُفٌّ دِرْعٍ قَدْهُ بَطْلٌ

وقال كثير عزة^(٢) :

وَسَوْدَاءٌ مِطْرَاقٍ إِلَيَّ مِنَ الصِّفَا أَنِيَّ إِذَا الْحَاوِي دَنَا فَصَدَّالَهَا^(٣)
كَفَفْتُ يَدًا عَنْهَا وَأَرْضَيْتُ سَمْعَهَا مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى صَدَّقْتُ مَا وَعَى لَهَا
وَأَشْعَرْتُهَا نَفْسًا بَلِيغًا فَلَوْ تَرَى وَقَدْ جَعَلْتُ أَنْ تَرَعْنِي النَّفْثَ بِالَهَا^(٤)
تَسَلَّلْتُهَا مِنْ حَيْثُ أَدْرَكَهَا الرُّقَى إِلَى الْكَفِّ لَمَا سَالَمْتُ وَأَنْسِلَالَهَا

وقال النابغة الذبياني^(٥) :

مَاذَا رُزِنَا بِهِ مِنْ حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بِالرِّذَايَا صِلٌّ أَصْلَالٍ^(٦)
سَهْلٍ الْخَلِيقَةِ مَشَاءٍ بِأَقْدَمِهِ إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَى حِمَالٍ أَثْقَالٍ^(٧)

وقال آخر في وصف حَيَّاتِ الْجَبَلِ^(٨) :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُسْلِقِي مَرَّةً فِي الْيَمَاسِ بَعْضَ حَيَّاتِ الْجَبَلِ

(١) ديوانه ٦٣٣/١ .

(٢) ديوانه ٨٥ والحيوان للمجاهظ ١٨٨/٤ و ١٨٩ .

(٣) الصفا: الصخور الملساء الصلبة. أني، من الأناة: البطء. صدالها، من التصدية وهي التصفيق .

(٤) النفث، من نفث الراقي في العقدة: بزق ولا ريق معه، ونفثت الحية: نفخت، ولسعت .
(٥) ديوانه ١٠٠ .

(٦) النضناضة: الحبة التي تحرك لسانها حركة خفيفة، وقيل: التي لا تقر في مكان وإذا نهشت قتلت من ساعتها .

(٧) يريد بذوات الذرى: المعالي .

(٨) الحيوان للمجاهظ ٤٩٧/٣ .

غَايِرُ الْعَيْنَيْنِ مَقْطُوحُ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَاتِ جُحْرِ وَالْقَلَلِ ^(١)
يَتَوَارَى فِي صُدُوعِ مَرَّةٍ رَيْدُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ ^(٢)
وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفَلٍ ^(٣)
طَرَدَ الْأَرَوَى فَمَا تَقَرَّبُهُ وَنَفَى الْحَيَاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ ^(٤)
وقال محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي مشبهاً درعه بسلخ
حية ^(٥) .

نَهْنَهْتُ أَوَّلَهَا بِضَرْبَةِ صَادِقٍ كَانَتْ كَمَا شُقَّ الرِّدَاءُ الْمُعْلَمُ
وَعَلَيَّ مَسْبُوغُ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ سِلْخُ كَسَانِيهِ الشُّجَاعُ الْأَرْقَمُ
وقال المتلمس ^(٦) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفٍّ لَهُ أُخْرَى فَاصْبَحَ أَجْذَمًا ^(٧)
فَلَمَّا اسْتَقَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ لَمْ يَجِدْ لَهُ دَرَكًا فِي أَنْ تَبَيَّنَا فَأَحْجَمًا ^(٨)
يَدَاهُ أَصَابَتْ هَذِهِ حَتَفَ هَذِهِ فَلَمْ تَجِدِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدِّمًا
فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَائِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمًا ^(٩)

وقال آخر مشبهاً صديقَ السوء بالحية ^(١٠) :

مَتَى تَحَمَّدَ صَدِيقُ السُّوءِ فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ مَحَمَّدَةٍ تَذُمَّهُ

(١) مقطوح : عريض .

(٢) الرِّيدُ : السريع . القِدْحُ : السهم . المؤلُّ ، أصله المؤلِّل : المحدَّد .

(٣) الطفل : قبيل غروب الشمس .

(٤) قال الجاحظ : إنما ذكر ذلك لأن الأروى تأكل الحيات .

(٥) نمار القلوب/٤٢٩ .

(٦) مختارات ابن الشجري ، القسم الأول/٢٩ .

(٧) الأجذم : المقطوع اليد .

(٨) الدرك : اللحاق .

(٩) الإطراق : السكوت . الشجاع : ضرب من الحيات .

(١٠) التمثيل والمحاضرة/٣٧٨ .

كَطِفْلٍ رَاقَهُ تَرْقِيشُ صِلٍ فَلَمَّا مَسَّهُ أَرْدَاهُ سُمُّهُ
وقال أبو نصر العتبي^(١) :

تَعَلَّمُ مِنَ الْأَفْعَى أَمَالِي طَبْعُهَا وَأَنْسُ إِذَا أَوْحَشَتْ تُعَفَّ عَنِ الدَّمِّ
لَئِنْ كَانَ سَمٌّ نَاقِعٌ تَحْتَ نَابِهَا فَفِي لَحْمِهَا تَرْيَاقُ غَائِلَةِ السَّمِّ
وقال خلف الأحمر^(٢) يصف حية :

لَهُ عُنُقٌ مُخَضَّرَةٌ مَدُّ ظَهْرِهِ وَشُومٌ كَتَحْبِيرِ الْيَمَانِيِّ الْمُرْقَمِ^(٣)
إِلَى هَامَةٍ مِثْلِ الرَّحَى مُسْتَدِيرَةٌ بِهَا نُقْطُ سُودٍ وَعَيْنَانِ كَالدَّمِّ
وقال آخر^(٤) :

لَا هُمْ إِنْ كَانَ أَبُو عَمْرٍو ظَلَمَ وَخَانَنِي فِي عِلْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ
فَابْعَثْ لَهُ فِي بَعْضِ أَعْرَاضِ اللَّمَمِ لَمِيمَةً مِنْ حَنْشٍ أَعْمَى أَصَمَّ^(٥)
أَسْمَرَ زَحَافًا مِنَ الرُّقْطِ الْعُرْمِ قَدْ عَاشَ حَتَّى هُوَ لَا يَمْشِي بِدَمٍ^(٦)
فَكَلَّمَا أَقْصَدَ مِنْهُ الْجُوعُ شَمَّ حَتَّى إِذَا أَمْسَى أَبُو عَمْرٍو وَلَمْ^(٧)
يَمْسَ مِنْهُ مَضْضٌ وَلَا سَقَمٌ قَامَ وَوَدَّ بَعْدَهَا أَنْ لَمْ يَقُمْ
وَلَمْ يَقُمْ لِإِبْلِ وَلَا غَنَمٍ وَلَا لِيَخُوفٍ رَاعَهُ وَلَا لِيَهْمٍ

(١) التمثيل والمحاضرة.

(٢) نهاية الأرب ١٤٥/١٠ .

(٣) التحبير: التزيين والتوشية. اليماني المرقم برد مخطط من صنع اليمن.

(٤) الحيوان للجاحظ ٢٨٣/٤ .

(٥) اللمم (بالفتح) : جنون خفيف، أو طرف من جنون يلم بالإنسان. اللميمة: الجماعة.

الحنش: ضرب من الحيات.

(٦) العرم (بضم فسكون) جمع أعرم، وهو ما كان منقُطاً بسواد وبياض. وقد ضم الراء لضرورة

الوزن.

(٧) أقصده: أصابه. شم، أي شم الهواء يطعمه بدل الطعام.

حَتَّى دَنَا مِنْ رَأْسِ نَضْنَاضٍ أَصَمَّ فَخَاضَهُ بَيْنَ الشَّرَاكِ وَالْقَدَمِ^(١)
بِمَذْرَبٍ أَخْرَجَهُ مِنْ جَوْفِ كِمٍ كَأَنَّ وَخَزَنَا بِهِ إِذَا انْتَضَمَ^(٢)
وَوَخْزَةُ إِشْفَى فِي عَطُوفٍ مِنْ أَدَمِ^(٣)

وقال أحمد بن هذيل يصف حية^(٤)، وإخالة يحيى بن هذيل :

مِنَ الرُّقْشِ فِي ظَهْرِهَا حُلَّةٌ قَدْ اخْتَلَفَتْ فِيهِ أَلْوَانُهَا
وَمُذَّتْ بِأَخْرَى عَلَى جَوْفِهَا مُعْصَفَرَةٌ هَالِي شَانُهَا
وَتَنْصَبُّ مِثْلَ التَّلَاعِ الْمِلَا ءِ فَاضَتْ عَلَى الْأَرْضِ خُلْجَانُهَا
فَمِنْ قَائِمِ الرُّمَحِ جُثْمَانُهَا وَمِنْ جِلْدَةِ الرُّمَحِ أَسْنَانُهَا
أَرَاهَا الْفَتَاتِ اللَّعُوبِ الَّتِي تَفُوحُ مِنَ الْمِسْكِ أُرْدَانُهَا
وَكُنْتُ جَحَدْتُ سَرَاوِيلَهَا فَقَالَتْ أَمَا تِلْكَ هِمِيَانُهَا^(٥)

وقال علي بن أبي الحسين^(٦) :

أَرْقَمَ كَالدَّرْعِ فِيهِ وَشَمٌ مُنْمَنُ الظَّهِرِ وَاللَّبَانِ^(٧)
يَزْحَفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاعٍ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ كَوَكْبَانِ
مَا بَيْنَ نَبْعٍ وَبَيْنَ ضَالٍ وَبَيْنَ آسٍ وَأَقْحُوَانِ

(١) النضناض : حية ينضنض لسانه، أي يحركه. خاضه بالسيف خوضاً: وضعه في أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق.

(٢) أراد بالمذرب: الناب الحاد. الكم (بالكسر): وعاء الطلع، وغطاء النور، وأراد به فم الحية.

(٣) الإشفي (بالكسر): المخرز. العطوف: المعطوف. الأدم: الجلد.

(٤) التشبيهاً/ ١٨٨ و ٢٩٩.

(٥) الهميان: ثكة السروال (معرب).

(٦) التشبيهاً/ ١٨٩.

(٧) اللبان: الظهر.

يَرْتَشِفُ الْمَاءَ مِنْ نِطَافٍ وَيَقْضُمُ الْحَمْضَ مِنْ رِعَانٍ^(١)

وقال الحسين بن الحجاج يمدح مَنْ وهب له دابة^(٢) :

فَدَيْتُ مَنْ صَيَّرَنِي رَاكِباً وَكُنْتُ أَعْدَى قَبْلُ مِنْ حَيَّةٍ^(٣)
فَدَيْتُهُ إِنَّ فِدَائِي لَهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَحْسُدُنِي كَيْه

(١) النطاف (بالكسر) : الماء القليل . الرعان جمع الرعن : أنف يتقدم الجبل .

(٢) ثمار القلوب/٤٢٦ .

(٣) يقال (أعدى من الحية) لأنها تمشي على بطنها .

فهرس الجزء الأول

١٠٤ أسماؤه وكناهه	٥ المقدمة
١٠٤ ذكره في الشعر	١٣ الإبل
١٠٥ ما ورد عنه في القصص	٢٠ من أوصاف الإبل
١٠٩ الأرنب	٢٢ ما ورد في المعاجم في الإبل
١٠٩ أسماؤه وصفاته	٤٣ ذكر الإبل في القرآن الكريم
١٠٩ ما ورد في اللغة عنها	٤٥ ما ورد في الحديث الشريف عن الإبل
١١١ ما ورد عنها في الأمثال	٤٦ ما ورد في الأمثال عن الإبل
١١١ ما ورد عنها في القصص	٥١ ما ورد في المنشور عن الإبل
١١٤ ما ورد عنها في الشعر	٥٣ ما قاله الشعراء في الإبل
١١٩ الأوز	٧٣ الأسد
١١٩ ما ورد عنه في الأمثال	٧٣ أسماؤه وصفاته
١٢٠ ما ورد عنه في القصص	٧٨ ذكره في القرآن الكريم
١٢٢ ما ورد عنه في الشعر	٧٨ ذكره في الحديث النبوي الشريف
١٢٥ ابن عرس	٧٨ ما ورد عنه في الأمثال
١٢٥ ما ورد عنه في القصص	٨٠ ما ورد عنه نثراً
١٢٧ ما ورد عنه في الشعر	٨٣ ما ورد عنه شعراً
١٢٩ الأبل	١٠٤ ابن آوى

٢٠٧	ما قيل فيه شعراً	١٢٩	ما ورد عنه في الشعر
٢٣١	● اليوم	١٣٣	● البيغاء
٢٣٢	ما ورد عنه في القصص	١٣٤	ما ورد عنه في الشعر
٢٤٠	ما ورد في الشعر	١٤١	● البرغوث
٢٤٥	● التمساح	١٤١	ما ورد عنه في الأمثال
٢٤٦	ما قيل فيه شعراً	١٤٢	ما ورد عنه في القصص
٢٤٩	● الثعلب	١٤٢	ما ورد عنه نثراً
٢٥٠	الأمثال الواردة فيه	١٤٣	ما ورد عنه في الشعر
٢٥٠	ما جاء عنه في القصص	١٥١	● البعوض
٢٥٤	ما قيل فيه شعراً	١٥١	ما ورد عنه في القرآن الكريم
٢٦١	● الجراد	١٥١	ما ورد عنه في الحديث
٢٦٤	ذكره في القرآن الكريم	١٥٣	ما ورد عنه في الشعر
٢٦٥	ذكره في الأمثال	١٦١	● البغال
٢٦٧	ما قيل فيه شعراً	١٦١	ما ورد عنها في القرآن الكريم
٢٧٥	● الحبارى	١٦١	ما ورد عنها في الأمثال
٢٧٦	ما ورد في الأمثال	١٦٢	ما ورد عنها في القصص
٢٧٨	ما ورد في الشعر	١٦٦	ما ورد عنها في الشعر
٢٨٣	● الحجل	١٧٩	● البقر الأهلي
٢٨٤	ما ورد في الحديث الشريف	١٨٤	ما ورد عنها في القرآن الكريم
٢٨٤	ما ورد في القصص	١٨٥	ما ورد في الحديث الشريف
٢٨٥	ما ورد في الشعر	١٨٦	ما ورد في الأمثال
٢٩١	● الحرياء	١٨٧	ما ورد في الكلام المنشور
٢٩٢	ما ورد في الشعر	١٩٠	ما ورد في الشعر
٢٩٧	● الحسون	١٩٥	● اللبل
		١٩٦	ما ورد عنه في القصص
		٢٠٥	ما جاء في الكلام المنشور

